M O H A M M E D A AL - B A N K I

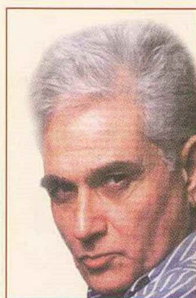
دراسات
STUDIES

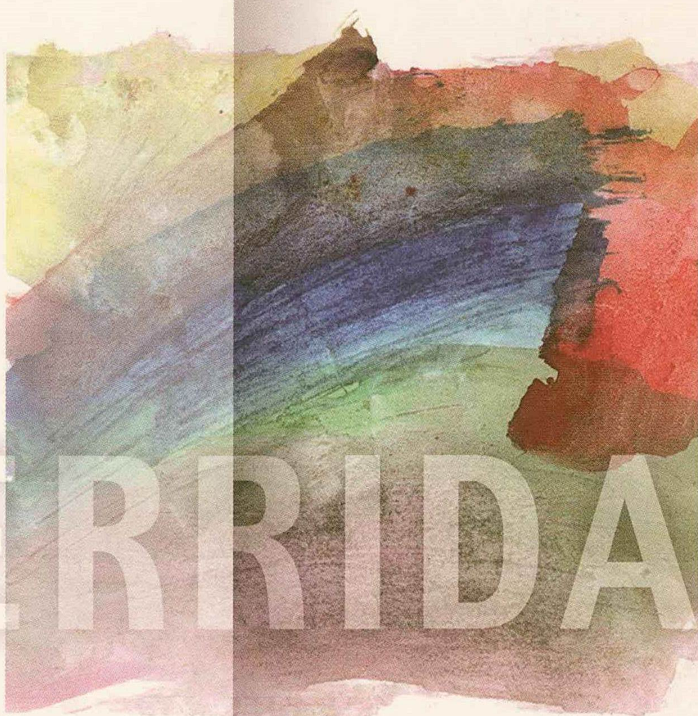
دريدا عربيّاً

محمّد أحمد البنكي









قراءة التفكيك في الفكر النقديّ العربيّ





دريدا عربيّا

قراءة التفكيك
في الفكر النقديّ العربيّ

دريدا عربيّاً : قراءة التفكيك في الفكر النقديّ العربيّ / فكر - دراسات
محمّد أحمد البنكي / مؤلّف من البحرين
e-mail : albanki002@hotmail.com
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨



التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
الإشراف الفنّي :
لوحة الغلاف : **ياسر زهير أبو شايب / ٩ سنوات**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
التنفيذ الطباعيّ : **رشاد برس / بيروت ، لبنان**

ISBN 99901-01-89-2



دراسات
STUDIES

محمّد أحمد البنكي

دريدا عربيّاً

قراءة التفكيك في الفكر النقديّ العربيّ





مملكة البحرين
وزارة الإعلام
الثقافة والتراث الوطني

الإهداء

إلى كاميليا نور الدين
محبة بقدر ما حملت معي
واحتملت عني

المحتويات

المقدمة

يمثل النص الفكري الغربي سلطة مرجعية شديدة البروز في إنتاج العرب الفكري طيلة العصر الحديث وذلك أن القراءات التي استندت إلى هذا النص (مترجمة أو ممثلة أو معارضة) قد بلغت من التكاثر حداً يجعلها جديرة بالوضع تحت مسبر الدراسة والفحص واقتفاء الدلالات . وليس من شك في ان مثل هذه الظاهرة كفيلة في حد ذاتها بإثارة العديد من الأسئلة والافتراضات لا سيما وأن بعض القراءات المطروحة في هذا الصدد لم يتهيأ لها فيما يبدو ، العدة النظرية الكافية لإنجاز اعادة انتاج قمينة بالإضافة والاستثمار .

لقد ظل النظر في القراءات العربية للفكر الغربي إذن محتاجاً إلى دراسة مستقلة تتناول مستويات هذه المعالجات ومجالاتها واستراتيجياتها المنهجية ولذلك رأينا أن تخص هذه القراءات بدراسة مطبقة على متن نصي محدد ومحصور انسجاماً مع مقتضيات البحث ، ومما لا شك فيه أن درس تلك القراءات يعرفنا عن كثب على المصادر التي أسهمت اسهاماً وافراً في تكوين أجيال وأجيال من قراء الفكر العرب ومنتجيه .

ولم يكن افتقار هذه القراءات إلى الدرس هو وحده الذي دعانا إلى اختيار هذه الموضوعات ، فقد كان لنا من الاهتمام الشخصي بتتبع الدراسات في مجال النظرية الأدبية المعاصرة وتعالقها بميادين العلوم الإنسانية الأخرى - والفلسفة منها بوجه أخص - داع آخر إلى ذلك .

ثم إن بعض النصوص الغربية قد لقى - على صعيد التناول العربي - رواجاً قلّما اتفق لغيره . وربما أبرزت لنا الأثبات الببليوغرافية العربية المتوافرة ما يعزز هذا الافتراض الذي نكاد نرجحه لأسباب عدة تتعلق في المقام الأول بمتابعتنا - قدر الوسع - لحركة الطباعة والنشر في الوطن العربي خلال العقود الأخيرة ، ولعل نصوص دريدا الفلسفية والنقدية هي من النصوص التي عرفت مثل هذا الرواج مؤخراً عبر أكثر من قراءة عربية اضطلعت بمعالجتها وتوظيفها واختبار نجاعة الاستراتيجيات التي تقترحها في ميدان التعاطي مع النصوص

وتفكيك الدلالات الثاوية فيها .

في هذا الإطار ، اطار مراجعة المكتسب والتساؤل عن حظه من الصحة والصواب ، واطار السعي إلى تناول بعض قضايا ، في قراءتنا للآخر ، لم تنل حظها من الاهتمام المأمول ، ينصب جهد هذا الكتاب الموسوم بـ : «قراءة دريدا في الفكر النقدي العربي» طامحين إلى استقطاب اشكالات القراءة العربية للإسهام الدريدي ووضعها ضمن أطر واضحة وبسيطة تمكننا من استخلاص حصيلة قادرة على اعطاء صورة شاملة لطبيعة مسار هذه القراءات وآفاق تطورها المحتملة .

وقد سبق هذا الكتاب أربع دراسات عرضت للموضوع الذي تنعقد المباحث عليه ، أو تناولت جانباً منه على الأقل ، وهي :

- «التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب» ، للباحث علي الشرع من دائرة اللغة العربية بجامعة اليرموك الأردنية . وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة : دراسات (العلوم الإنسانية) الصادرة عن الجامعة الأردنية ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ، مارس ١٩٨٩ ، الصفحات ١٩٦-٢١٦ .

- «التفكيك والاختلاف . جاك دريدا والفكر العربي المعاصر» ، للباحث أحمد عبدالحليم عطية من قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ونشرت الدراسة لأول مرة ضمن الكتاب الدوري : قضايا فكرية العدد الخامس والسادس عشر ، يونيو-يوليو ١٩٩٥م ، وهو مخصص لمحور بعنوان : «الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين . رؤية تحليلية نقدية» ، وصادر عن : قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، والدراسة بضمنه وتقع في الصفحات ١٥٩-١٨٩ . ثم أعيد نشر الدراسة ، على جزئين في مجلة : دراسات عربية الصادرة عن دار الطليعة ببيروت وذلك في العدد : ٢/١ ، السنة الرابعة والثلاثون ، نوفمبر - ديسمبر ، ١٩٩٧ ، الصفحات من ٥٣ إلى ٨٧ . والعدد : ٤/٣ ، السنة الرابعة والثلاثون ، يناير-فبراير ، ١٩٩٨م ، الصفحات من ١٠٤ إلى ١١٧ .

- «التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر» للباحث يوسف

وغليسي ، وهو باحث جزائري شاب أنجز الماجستير في ١٩٩٦ وذلك بمعهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسطنطينة الجزائرية . والدراسة منشورة ضمن مجلة : قوافل ، الرياض ، السنة الخامسة ، المجلد الخامس ، العدد التاسع ، ١٩٩٧م ، السعودية . الصفحات ٥٣-٦٦ .

- «المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك» للباحث عبدالعزيز حمودة من قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب جامعة عين شمس المصرية ، وقد نشرت هذه الدراسة ضمن سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ، العدد ٢٣٢ ، أبريل ١٩٩٨م .

إن مزية دراسة علي الشرع تكمن في سبقها إلى الموضوع واستدلالها على أهميته ، غير أن الشرع قد قصر دراسته على تتبع مظاهر الإفادة من التفكيك في كتابات أدونيس وكمال أبوديب ، ومن ثم فقد كانت هذه الدراسة من قبيل الجهود الجزئية التي تركز على جانب محدد من الجوانب التي تنتظم تحت مشمولات قراءة دريدا في الفكر النقدي العربي ، وكذا الأمر مع دراسة الباحث يوسف وغليسي ، فقد أفرد وغليسي الجانب الهام من دراسته ، بعد مقدمات تعريفية بالتفكيك ، لمناقشة الاجتهادات العربية المختلفة في اقتراح مقابلات اصطلاحية للكلمة المفتاحية Deconstruction عند دريدا ، وظاهر أن مثل هذا البحث ، على أهميته ، لا يمثل درساً شاملاً لـ«التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر» كما يوحي العنوان ، خاصة وان صاحب الدراسة يميل إلى ارسال أحكام بالقيمة متسرعة تنتهي إلى وصم كل الجهود التي ناقشها «بأنها انتاج نقدي محلي ببهارج أجنبية»! وهو أمر - فيما بدا لنا - لا ينم عن إحاطة كافية أو تقص شاف .

أما دراسة أحمد عبدالحليم عطية «التفكيك والاختلاف : جاك دريدا والفكر العربي المعاصر» فقد اتخذت طابعاً مسحياً اهتم بالتتبع والتجميع ، وقد بذل الباحث جهداً ملحوظاً في هذا الصدد ، وقد استفدنا من بعض تتبعاته في الاستدراك على ما فاتنا من كتابات وجهود ، إلا اننا وجدنا أن الخارطة المسحية التي رسمها الباحث كانت مفتقدة لشوارد مهمة عديدة ، ومتجاوزة لكثير من

التضاريس والتخوم المميزة في الاستثمار العربي لدريدا واستراتيجياته التفكيكية . والدراسة ، إلى ذلك ، وقعت في الخلط بين الكتابات المكرسة لدريدا والتفكيك والأخرى التي عرضت للمفاهيم والاستراتيجيات التفكيكية بذكر عابر أو اشارات طائرة . بل إن الباحث يتجوز فيعد كل ما كتب تحت مسمى «الاختلاف» ، أو «ثورة الهوامش» ، أو ما شاكل من كلمات مفتاحية تلابس مفاتيح دريدا داخلاً في اطار التعاملات العربية مع استراتيجيات دريدا وممارساته التفكيكية .

ويهمنا بصدد دراسة الباحث عبدالعزيز حمودة أن نشير إلى أنها أطول الدراسات الأربع ، وقد جاءت في كتاب كامل ، أوقفه صاحبه على البنيوية والتفكيك ، في بيئة المنشأ وعبر التطبيقات العربية ، لكن حمودة صرف جهداً طويلاً في عرض الأصول النظرية ، ثم عرّج على بعض أمثلة لما رأى أنه تطبيقات بنيوية عربية في اطار النقد الأدبي ، ولم يقدم الباحث مثالاً واحداً على الممارسة التفكيكية في متن النقد الذي سطره النقاد العرب . وهذا ما دعا جابر عصفور ، في غضون مناقشته للكتاب ، أن يقول : «إن السؤال الأهم هو : أين التفكيك في كتابات (نادي نخبة النخبة الحداثي؟) والإجابة أن حمودة لم يتوقف مرة واحدة عند ناقد عربي معاصر ، أو حتى دراسة واحدة لناقد عربي معاصر ، ليطرح علينا تحليلاً نقضياً لإنجاز تفكيكي مكتمل . . . وإذا كان التفكيك الفرنسي- الأمريكي هو الأصل المنقول ، حقاً ، فأين هي صوره المنقولة؟ ومن هم هؤلاء النقاد العرب الذين يدخلون إلى النقد الأدبي من بوابة دريدا التي تفتح «أبواب الجحيم وأبواب الشك وفوضى النقد» (بعبارات حمودة ص١٦٣-١٦٤) في المشهد العربي الثقافي؟» .(١)

إن هذه الدراسات المتقدمة الأربع لهي مما ينهض شاهداً على أهمية الاتجاه لدراسة حضور دريدا والتفكيك في الفكر النقدي العربي ، ولقد استفاد كتابنا

---

(١) عصفور ، جابر : «حَشَفٌ وسوء كِيلة . كتاب المرايا المحدبة سقطة علمية وإليكم الدليل الأول» . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٨٠ ، ٢٢ نوفمبر ١٩٩٨ ، ص١١ .

من هذه الدراسات في الحدود التي رسمها أصحاب هذه الدراسات لمعالجتهم، لكن النتيجة المتحصلة التي اطمأننا إليها هي أن الجهود المنجزة السابقة لا تفي بالحاجة الماثلة التي دعت إلى اختيار «قراءة دريدا في الفكر النقدي العربي» موضوعاً لهذا الكتاب. وقد وقفنا على مآخذ ونقود أخرى آثرنا عدم التفصيل فيها في هذا المقام لاعتزامنا العودة إليها في مواطن لاحقة.

هذا وبعد معايشتنا للموضوع دراسة وتأملا، تبين لنا ثلاثة أركان ناظمة لمقاربة ما نوينا الشروع فيه، وهي:

أولاً : تحديد المفاهيم والإجراءات النظرية التي يحتكم إليها البحث مع إبراز النماذج النظرية التي تثري رصد انتقال أفكار دريدا إلى مجالات الفكر النقدي العربي.

ثانياً : استكشاف مساحة الاشتغال العربي بقراءة دريدا، وتوضيح جنبات المشهد الذي عنى باستراتيجيات التفكيك (ترجمةً أو توظيفاً أو معارضةً) في ميادين الفكر النقدي العربي.

ثالثاً : تحليل بعض القراءات العربية التي تقاطعت مع دريدا وسعت الى صياغة نماذج من المواقف المتعاطفة أو المتعارضة مع مقولات التفكيك وامكان الإفادة منها في بيئات الفكر والنقد.

ثم شرعنا في التشييد، فكان الفصل الأول مشتملاً على تحديد لمصطلح النقد وتحولاته الدلالية في النقد الغربي، حتى إذا ما تبين لنا المصطلح بجميع أبعاده انتقلنا الى عبارة «الفكر النقدي العربي» فعمدنا إلى تحليل المقصود منها وذلك من خلال بيان الحقل الدلالي لهذا الفكر النقدي ومعنى صفة «عربي» المضافة إليه.

وبعد ذلك اتجهنا إلى التأمل في الآليات المختلفة التي تتدخل في تشكيل الفكر النقدي العربي مبينين أثر آليات التحويل في هذا التشكيل، ودور فعالية التحويل في ذلك أيضاً.

وقد عرضنا في هذا الفصل ستة مداخل نظرية تحصلت من متابعة المنظورات المختلفة التي تتصل بمبحث انتقال النظريات وسفر المفاهيم وهجرة

المصطلحات . وكانت ثلاثة من هذه النماذج الستة مهتمة بأثر السياقات الخارجية على الآثار المترحلة بين بيئات الفكر ، وهي نماذج : لويس ألتوسير ، وبيير بورديو وإدوارد سعيد . أما النماذج الثلاثة الأخرى فينتظمها العكوف على النصوص نفسها دون تطلب ضواغط مباشرة للسياق الخارجي على حركة التداخل بين هذه النصوص وترحّل الآثار في حركتها ، وهي نماذج : بول دي مان ، جاك دريدا وهارولد بلوم .

ولما تم لنا التعرف على السياج النظري لمقاربة الموضوع ، انتقلنا الى سبر واستكشاف استراتيجيات التفكيك ، حضوراً وانتفاء ، في الفكر النقدي العربي ، وكان هذا هو الفصل الثاني من الكتاب ، فعرضنا ، أولاً ، للآراء المختلفة التي ترصد حضور التفكيك عربياً ، وناقشنا هذه الآراء .

ثم وقفنا على المظاهر المختلفة للإنتاج النقدي العربي الذي اتصل بالتفكيك من خلال تقسيم مساحة الاشتغال بحسب تحقيب زمني عشري يتناول شبكات ومراحل وتجليات انتقال التفكيك إلى بيئات الفكر النقدي في الساحة العربية ، وذلك من خلال تتبع هذه المظاهر والتجليات في العقد السبعيني والعقد الثمانيني والعقد التسعيني من القرن العشرين على الترتيب .

لكن لما كان من مقتضيات الاستيفاء لجوانب الموضوع المدروس أن نُتْبِعُ عمومية السبر بخصوصية النماذج التي انتمت الى فضاء المسبور فقد عقدنا الفصل الثالث على دراسة بعض النماذج التحليلية من المتن المقروء . وقد وقع الاختيار على عينة تمثيلية من سبعة نقاد ومفكرين . وقد روعي في اختيار العينة موازنات كشفنا عن مبرراتها في مواضعها من الكتاب .

ذلك كان هيكل البناء الذي توصلنا إليه ، بقى أن نشير إلى قضية هامة تتعلق بموارد معلومات هذا البحث .

لقد جرى التقليد العلمي على إحلال بعض المصادر والنشريات والبيانات في مرتبة ثانوية بالنسبة إلى حجية الاستعانة بها في الكتابة العلمية . بل إن البعض قد عدها من أمارات بخس الجهد ، والتشكيك في الموثوقية ، والأصالة ، والقدرة على الإرتقاء إلى مراقي الرصانة والقبول الحسن . وليس الأمر على

إطلاقه ، ولا المصادرة على عواهنها ، فللقضية أبعاد ، ولمسالكها تفصيلات ، وذلك تبعاً لتنوع السياقات ، وتباين المنطلقات ، واختلاف المداخل الإجرائية . وإن ما يصح في اقتضاء معين لا يحجب المشروعية عن اعتماد خلافه في اقتضاء آخر ، ضرورة ، ولا معنى للتعنت ما دام كل اجتهاد مؤسس على مرجعية متماسكة ، أخذ بها أهل العلم ، أو طائفة منهم ، وانحفرت طرائقها في شعاب البحث عن المعرفة واختطاط الأدوات الموصلة لها .

لقد استثمرت هذه الدراسة موارد متعددة للمعلومات ، تفاوت طابعها ونسقها ، وكان من بينها ، في بعض الأحيان ، بيانات معزوّة إلى الجرائد والصحف السيّارة ، كما دخل في مشمولاتها حوارات واستجوابات منشورة في قنوات إعلامية مختلفة وكلها تضيء فضاء القراءات العربية لإسهامات دريدا والاتجاهات التفكيكية . هذا و ان الاستفادة من ذلك لم تخرج عن حدود المواضعة المرعية التي تجعل اللجوء إلى الدليل الثانوي سائغاً حيث تُعدم المعلومات ، ويعز توافرها في غيره ، أو حيث ينتظم الدليل كقرينة ، تتقوى بسواها ، لإثراء الخلفية العامة .(٢) ان السبب الأساس لاعتماد هذه المعلومات قد انبنى على كونها أحد أشكال الخطاب التي يفترضها اليوم عالم أكثر حيوية وتدفقاً في وسائل الإتصال والتخاطب .

إن المتن الذي تمتح منه مقاربة القراءات المتعددة لجاك دريدا وتيارات التفكيك في الفكر النقدي العربي الراهن واسع ومتفلت ، وهو ينتشر في فضاء تداولي متداخل يصب فيه الأكاديمي والصحفي والابداعي ، ويتوزع على دراسات ومقالات وبيانات وحوارات ومؤلفات يصعب حصرها . ثم إن منه لما يكشف عن دراية كبيرة بإدارة المقولات ، وحسن التعامل مع سياق الانتقالات ،

---

(٢) للمزيد حول دواعي استخدام الدليل الثانوي ومراتبه في القبول والاستحسان في البحوث الأكاديمية انظر :

بدر ، أحمد : أصول البحث العلمي ومناهجه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٨ ، ١٩٨٦ ، ص٢٧٢ وما بعدها .

ومنه ما ينم عن انشداه بالموضات ، ومسارعة إلى اغراءات الرواج . وإن العكوف على متن متراكب من هذا النوع ليستفرض اجتهاداً نقدياً متوخياً للتمييز ، مستدعياً لمتطلبات منهجية تقتضي مرونة الانتقال من عمل الباحث كموثق Archivist يلتقط النصوص والبيانات الدالة من جنبات المشهد إلى العمل كمهتم بنقد الثقافة يوفر الاعتبار لروابط الانتاج الثقافي مع المؤسسات والتحولات الاجتماعية والثقافية المحيطة ، ثم يستحضر هواجس مؤرخ الفكر الذي يتتبع مسارات الفكرة والجدالات النظرية التي عدلت من مكوناتها ومضامينها . وأخيراً ، وربما قبل كل شيء أيضاً ، العمل كمؤول يحاول استنطاق النصوص واستبانة الأصوات المتساكنة فيها والتأويلات المتصارعة في ثوائها .

وإن لهذا الكتاب في بعض الاجتهادات البحثية التي تشغل دوائر البحث العلمي على النطاق العالمي راهنا شفيعاً في تبرير ما نذهب إليه ، فقد أعاد جيرار جينيت الاعتبار لجملة النصوص المتشظية التي تنتشر حول نص أساس متخذة من الجريدة أو الإذاعة أو المجلة أو الندوة العامة . . الخ موقعاً تنتظم من خلاله بوصفها عنصراً من عناصر انتاج المعرفة . وهو قد قدم مجموعة من المقدمات النظرية حول هذه المكونات النصية التي تمثل بعض مستويات النص الموازي في كتابه «عتبات»(٣) .

يضع جينيت هذه المكونات النصية ضمن ملمح نظري حدده في ما أسماه بـ épitexte public وقد ترجمه بعضهم بـ «النص العمومي المصاحب»(٤) وهو «كل نص مواز لا يوجد مادياً ملحقاً بالنص ضمن نفس الكتاب ، ولكنه ينتشر في فضاء فيزيائي واجتماعي غير محدد بالقوة ، وبذلك يكون موضع (النص العمومي المصاحب) في أي مكان خارج الكتاب : كأن يكون منشوراً بالجرائد ،

---

(٣) Genette, Gérard: Seuiles. Ed. Seuil, 1987.

(٤) الحجمري ، عبدالفتاح : عتبات النص : البنية والدلالة ، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٦٨ .

بالمجـلات ، برامج إذاعـيـة ، لقـاءات ، ندوات . . . الخ"[٥] . إن هذا النص العمومي يتوجه إلى جمهور أوسع من إطار المتخصصين بالنقد أو الفكر بقصد وصف أو شـرح أو تأويل الإنتـاج الفكري والإبداعي وبغـرض خلق سيـاقـات معرفية موازية تقرب أطروحات النص الأساس من الجمهور العام والخاص .

وجيرار جينيت يهتم بإبراز ما للنصوص العمومية المصاحبة من وظيفة في فهم خصوصية النص وتحديد جانب أساسي من مقاصده الدلالية ، وهو اهتمام أضحى ، على نحو ما يعلق الحجمري ، مصدراً لصياغة أسئلة دقيقة تعيد الاعتبار لهذه المحافل النصية المتنوعة الأنساق وقوفاً عند ما يميزها ويغني طرق اشتغالها .[٦] إن تحليل النصوص الثانوية والعامة ، أو العتبات ، بمقترح جينيت ، يرتبط بالاختيارات التي يقدمها تصور النص الموازي Le Paratexte ، ولا شك أن العلاقات عبر النصية Para-Textualité وعلاقات التناص Intertextualité والنظر إلى الدليل النصي بوصفه إحالة متقهقرة أبداً تدفع بالمشهد النقدي والفكري الراهن إلى إعادة مراجعة المفاهيم حول حدود النصوص وقيمها وفاعليتها في التحليل وانتاج المعنى . وبهذا فإن اعادة انتاج بعض النصوص العمومية المصاحبة في قراءة دريدا والتفكيك ، استثماراً وتوظيفاً ، ليس من شأنها أن تخرج على المواضعة التقليدية التي تستصحبها هذه الاطروحة ، وتعمل في هامشها ومناطق ما تجيزه وتغض الطرف عنه ، كما أن الجهد ، من ناحية أخرى ، يسعى أن يكون متواكباً ، في الوقت نفسه ، مع ذهابات مألوفة ومكتسبة لمشروعيتها في الأفق النظري الماثل .

---

(٥) الحجمري ، عبدالفتاح : المرجع السابق ص٦٨ وهو ينقل عن جينيت : Seuiles ، ص٣١٦ .

(٦) الحجمري ، عبدالفتاح ، السابق ، ص٧ .

الفصل الأول

الفكر النقدي العربي وانتقال النظريات

هذا بحث وضع لدراسة قراءة دريدا في «الفكر النقدي العربي» ، ومن ثَمَّ عَرَضَ التساؤل : ما المقصود بالفكر النقدي؟ وما الذي تضيف صفة «العربي» إليه؟ وهل هناك فكر نقدي عربي؟

إن مصطلح : نقد لم يُختص ، في التداول الاصطلاحي ، بدلالة واحدة وإنما جرى توظيفه ، في حالات متعددة ، بدلالات متنوعة . ولا شك أن مختلف الاستعمالات للمصطلح الواحد تعمل أثرها في تضييق أو توسيع مجراه وما يمكن أن يُحمل عليه .

وارتباط النقد بالفكر في عبارة «الفكر النقدي العربي» يدفع إلى طلب وجوه الصلة والتمايز بين «النقد الأدبي» و «النقد الفكري» من حيث أن «الفكر النقدي» عبارة تفتح على الحقلين معاً ؛ حقل الفكر وحقل النقد . ولقد يروق للكثيرين أن يغضّوا الطرف عن علاقة إحلال تعطي للفلسفة ما للفكر ، وللفكر ما هو للفلسفة وتُماهي بين المجالين ، ومع هذا الفريق يُخشى أن يعزز هذا التعبير - الفكر النقدي - في العنوان مؤدىً مفاده أن القاريء بإزاء أطروحة تقطع مع النقد الأدبي ، أو تتناءى عنه ، متكرسة على النقد الفكري وما يدور في فلكه من مسائل هي إلى حقول الفلسفة والثقافة أقرب مما إلى حقول النقد الأدبي بحصر المعنى . إن مثل هذا المنظور الأخير ، الذي قد يسبق إليه الفهم ، عرضة للمساءلة عند التأمل في دلالة الاقتضاء الناجمة عن مقارنة بين التركيبين التاليين :

- قراءة دريدا في الفكر النقدي العربي .
- قراءة دريدا في النقد الفكري العربي .

ظاهرٌ أن التركيب الأول يدل على نشاط معرفي يتصل بما يطلق عليه اسم النقد -جنس النقد- ، بينما ينصرف التركيب الآخر إلى لون مخصوص من ألوان النقد خصصته صفة : فكري التي تُخرجُ كل لون من النقد لا ينطبق عليه النعت الوارد من مشمولات التعريف . إن الفكر ، بحسب ما يقترح لالاند ، هو مجمل الوقائع المعتبرة الناشئة عن عمليات الإدراك والعقل ، وهي عمليات

تسمح بفهم ما يشكل مادة المعرفة ، وتحقق درجة توليفية أرفع من درجة الإدراك الصوري المستقى من الذاكرة أو المخيلة[1] . وعند التسليم بالتعريف الآنف يتحصل أن هذه الأطروحة تتحدث عن مظاهر إدراك وفهم المادة المعرفية المدرجة تحت مسمى التفكيك في النقد المنسوب إلى بيئة ثقافية أو جغرافية أو لغوية خاصة هي البيئة العربية . أي أن مصطلح «الفكر النقدي» لا يُلزم بشيء أبعد من الإشارة إلى صور من النشاط المعرفي التي تتحقق داخل ما يعرف بـ «النقد» . وإن المصطلح الأخير مطلق من التقييد أو التخصيص أو الحصر الذي قد يوهم بأي منها لفظ : فكر ، وإن كان لا يمتنع أن يداخله بعض ذلك من مأتىً آخر بطبيعة الحال . إن من المناسب ، بعد ذلك ، أن يجري بلورة المراد من مصطلح : نقد ، ومن صفة :عربي .

١- النقد الغربي : مصطلح النقد وتحولاته الدلالية:

إن عناية كبيرة قد بذلت لتتبع تواريخ النقد على ضفته الأدبية وعلى ضفته الأخرى المتعلقة بالفلسفة والفكر[2] . والناظر في المحاولات التي تصدت لرصد

---

(١) انظر :

- لالاند ، أندريه : موسوعة لالاند الفلسفية . ترجمة : خليل أحمد خليل ، المجلد الثاني ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٩٥٥ .

(٢) للتوسع في هذا الموضوع يمكن الرجوع ، بخصوص تاريخ النقد الأدبي ، إلى ما يلي :

- ويلك ، رينيه : تاريخ النقد الأدبي الحديث ١٧٥٠-١٩٥٠ . ترجمة : مجاهد عبدالمنعم مجاهد ، ج١ : أواخر القرن الثامن عشر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .

- ويلك ، رينيه : ملحق النقد الأدبي . نظرة تاريخية . ضمن كتاب : ما هو النقد؟ . تحرير : بول هيرنادي ، ترجمة : سلافة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٢٨٨-٣١٨ .

- تيبوديه ، ألبرت : النقد الكلاسيكي ، أعلامه وأصوله . ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٩ (وعنوان الكتاب الأصلي هو : ==

الموجات المتتابعة في أي من المجريين سيدرك أن مرج البحرين يلتقيان في غير موضع ، وأن بعض الخلطاء يبغي على بعض في مواطن كثيرة ، لكن القسمة تظل قائمة في المنظور العام ومفسحة للحظات الإختراق والتداخل في هذا المسار أو ذاك في آن واحد .

ولعل ثمة ما يدعو ، لأغراض منهجية تتعلق بمقصود البحث ، إلى الاقتصار على لحظات مفصلية من سياق هذه التحولات ، وهي أربع لحظات نوردها على النحو الآتي :

أ) النقد من المعيار إلى الذات (لحظة أرسطو) :

لقد ظل مصطلح «النقد» شأواً عظيماً من الزمن دائراً في فلك التعريف الأرسطي من حيث أنه علم للمعايير التي بها يعرف الجيد من الرديء(٣) . والناظر في اجتهادات التأريخ للتحولات الدلالية في دلالة هذا المصطلح يجد أن الثواء المرجعي الذي قرره أرسطو قد حاز من الرسوخ والقبول ما جعله يبدو

= فسيولوجيا النقد Physiologie de La Critique لكن المترجم أو دار النشر قد تصرفا في العنوان دون ابداء مسوغات!) .

- كارلوني و فيللو : تطور النقد الأدبي في العصر الحديث . ترجمة : جورج سعد يونس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو سنة الطبع .

وللتوسع فيما يختص بالنقد الفلسفي يمكن الإطلاع على الباب المعنون بـ : تطور مفهوم النقد من العصر اليوناني حتى مدرسة فرانكفورت ، وذلك ضمن :

- حسن ، حسن محمد : النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز . دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص١٣-١٠٨ .

(٣) انظر :

- ويلك ، رينيه : ملحق النقد الأدبي . نظرة تاريخية . ضمن كتاب : ما هو النقد؟ . تحرير : بول هيرنادي ، ترجمة : سلافة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٢٨٨ .

في بعض الأوقات كما لو أنه مسلمة من المسلمات غير القابلة للنقض . ولعل التتبع الذي يقدمه رينيه ويلك[٤] كاشف للسياق الذي تطور معه هذا المفهوم في مختلف اللغات الأوروبية بشكل متفاوت . لقد كانت التحولات الدلالية الأنشط في حيوات المصطلح من نصيب ألمانيا أما مبلغ التغيرات في البلدان الأخرى (انجلترا - فرنسا - إيطاليا خصوصاً) فلم يكد يتجاوز حدود المراوحة بالمصطلح بين قطب المعيارية الأرسطية من جهة وقطب الذاتية المتملصة من سلطة المعيار الجماعي المسبق من الجهة الأخرى .

وعلى الرغم من أن جل المساجلات حول ذاتية أو معيارية النقد لم تخرج بالمصطلح عن الاختصاص بحقل الأدب إلا أنه قد وجد على الدوام من حاول توسيع مدى المفهوم ومد رحاب استثماره . فهذا لورد كيمس ، الناقد والقاضي الاسكتلندي يدأب على السعي مع صدور كتابه «عناصر النقد» عام ١٧٦٢م إلى منح النقد مجالاً واسعاً للعمل بالترابط مع علم النفس مدعياً أنه إنما يقوم بتأسيس علم جديد يصرف دلالة النقد إلى «أي شكل منتظم لم يتم السعي إليه قبلاً»[٥] ، ولعل صنيع كيمس هو ما دفع رينيه ويلك إلى القول : «خلال القرن الثامن عشر ، تم تدريجياً توسيع مفهوم هذا المصطلح الذي كان قد أصبح مقتصراً على النقد اللفظي للكتّاب الكلاسيكيين ، بحيث أصبح يتضمن مشكلة الفهم والحكم ، بل نظرية المعرفة والتعرف بأسرها»[٦] . ويشكل ماثيو آرنولد نموذجاً واضحاً لمحاولات تحرير النقد من التزاماته المرجعية بالقصائد «وذلك بالعمل على توسيع مفهوم كلمة «نقد» من مفهوم مقتصر على نقد الأدب إلى مفهوم يتضمن النقد العام لمشاكل الإنسانية التي تؤلف عالم

---

(٤) انظر الهامش السابق .

(٥) انظر :

- ويلك ، رينيه ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

(٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

الأفكار»[٧] . وتقترح مسارات تجربة كينيث بيرك وتجربة ر .ب . بلا كمور ، من نقاد القرن العشرين ، ترجمة عملية للاختطاطات الجديدة التي باتت تتوارد بها منحنيات الانعطاف بالنقد إلى صيغة أكثر امتداداً من مشمولات الدرس الأدبي ، فقد عمد بيرك «إلى توسيع مجال النقد خارج نطاق الأدب فأصبح فيلسوفاً يتطلع إلى نظام يجمع النقد الأدبي مع التحليل النفسي والماركسية وعلم دلالة الألفاظ و هلم جرا . وحاول استيعاب النقد الأدبي ضمن إطار فلسفة البواعث التي أطلق عليها اسم الدرامية - Dramatism[٨] ، أما بلاكمور فقد استغنت كتاباته النقدية الأخيرة عن الإشارة إلى أي نص أدبي ، ونَحَتْ ، أكثر فأكثر ، إلى جعل النقد خلاصة لما تتضمنه حياة الكاتب بأسرها من توتر وتعريف للذات»[٩] .

وفي كل الأحوال فقد كانت التحولات الأشد حسماً في الخروج بمصطلح «النقد» عن مجالات الدرس الأدبي فحسب هي التحولات التي جاءت من ألمانيا .

ب) النقد من الأداة إلى النظام (لحظة كانط) :

على الرغم من أن التدخل الألماني في بلورة الإتساع الدلالي لمصطلح النقد قد عرف طريقه عبر أكثر من ممثل إلا أن المرء لا يسعه عدم التوقف أمام المساهمة التي قدمها إيمانويل كانط حتى إن وسعه السكوت عن اسهامات غيره . لقد وعى كانط أنّ كل الرؤى التي جاءت في إثر أرسطو انما أرادت من النقد ما يشبه المباديء العامة للحكم والمعايرة ، أي أنها فهمت النقد بوصفه أداة تتيح للعقل أن يقيس على أساس منها قيمة الأشياء أو الأفكار والنصوص . والنقلة

(٧) كريغر ، موري : النقد فن ثانوي . ضمن : هيرنادي ، بول (محرر) : ما هو النقد؟ ، مرجع سابق ، ص٢٧٦ .

(٨) ويلك ، رينيه : ملحق النقد الأدبي . نظرة تاريخية . مرجع سابق ، ص٣٠٧ .

(٩) السابق ، نفس الصفحة .

الحاسمة التي أحدثها كانط كمنت في تحويل النقد من أداة في نظام نظر العقل إلى نظام ينظر في العقل نفسه ويعين شروط امكان معرفته القبلية ، هل هي ممكنة؟ وكيف تكون ممكنة؟ وما هي حدود امكانها؟

إن كلمة «نقد» ترد في جميع كتب كانط الأساسية وتطبع المشروع الكانطي في مختلف أبعاده . لكن الجزء الخاص بالتعليق على أحكام الإبداع الجمالي يكاد لا يتكرس إلا في كتابه «نقد الحكم» الصادر سنة ١٧٩٠م .

إن هذا هو ما سيعزى لكانط في قلب أطراف المعادلة التي كانت ملامحها آخذة في التعمق حول علاقة النقد الأدبي بالنقد الفلسفي . لقد استدعى كانط علماً جديداً كي يأخذ مكانه في مصاف العلوم الأخرى ،وكتب تحت عنوان : «فكرة علم خاص إسمه نقد العقل المحض ، وأقسامه» يقول : «يؤدي نقد العقل إذن ، في النهاية وبالضرورة إلى علم . . . ولا يمكن لهذا العلم أيضاً أن يترامى إلى حدٍّ مخيف لأنّه لا عمل له مع موضوعات العقل التي تتنوع إلى ما لا نهاية ، بل فقط مع العقل نفسه ومع المشكلات التي تنبثق برمتها من صلبه ، والتي تطرحها عليه لا طبيعة الأشياء المختلفة عنه ، بل طبيعته هو»(١٠) . إن المسارات التي شقها «النقد» مع كانط قد ظلت وفيّة ، في مجموعها ، للمجال الفلسفي لكنها مع ذلك أسهمت لاحقاً في تدعيم النقد الأدبي بصور مختلفة ، هذا هو ما يلاحظه رينيه ويلك حيث يقول : «لم يُعن كانط كثيراً بالأعمال الفنية الملموسة . غير أن حركة التأمل التي قام بتدشينها قد أدت إلى ازدهار الجماليات في فلسفات شيلينغ وهيغل ، وإلى انبثاق النظريات الأدبية عند شيلر وهمبولدت وآخرين عديدين»(١١) . وإذا أُخذ في الاعتبار أن نقد كانط الفلسفي لم يصب في النقد الأدبي فقط ، بل رفد منه أيضاً ، بان بأن التأثيرات المتبادلة

---

(١٠) كانط ، إيمانويل : نقد العقل المحض . ترجمة : موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت - باريس ، ط١ ، ١٩٨٨ ص٥٣-٥٤ .

(١١) ويلك ، رينيه : ملحق النقد الأدبي . نظرة تاريخية . ضمن كتاب : ما هو النقد؟ . مرجع سابق ، ص٢٩٣ .

بين النقد الأدبي والنقد الفلسفي قوية وشديدة التجاذب والتداخل . يقول إ . نوكس : «من الأهمية بمكان ملاحظة أن كتاب اللورد كايمز (عناصر النقد) ترجم إلى الألمانية سنة ١٧٦٣ ، أي قبل سبع وعشرين سنة من صدور (نقد الحكم) لكانط ؛ وقد ترك ذلك الكتاب ، بلا أدنى شك ، أثراً ما في عمل كانط»(١٢) .

ج) النقد من الفكر إلى الواقع (اللحظة الماركسية) :

ستأخذ الأمور في التعقد والتشابك منذ هيمنة النقد الماركسي مع أمثال لوكاتش الذي سيروم تحويل النقد الأدبي إلى تشكيل جزئي ضمن دائرة النقد بمدلوله الفكري الذي يستوعب مختلف الظواهر في إطار كلية أكبر هي التجربة الإنسانية في تطوراتها التاريخية . لقد أراد لوكاتش أن يعيد كتابة تاريخ النقد من وجهة انضواء كل أشكاله تحت مظلة النقد الفلسفي ، وكتب يقول : «يمكن اعتبار أفلاطون وأرسطو نموذجين للنقد الفلسفي ، لأنهما لا يرتبطان بنوع أدبي معين ، وإنما يحللان الفن كجزء من السياق العام لرؤية كل منهما لموقع الفن في التجربة الإنسانية بشكل عام» .(١٣) ويعلق رمضان بسطاويسي على تدخلات لوكاتش بالقول : «ينبغي هنا أن نميز بين النقد الفلسفي الذي يقدمه لوكاتش ، والنقد الفني الذي يعني مجموعة من الخطوات الإجرائية التي يقدمها الناقد

---

(١٢) نوكس ، إ . : النظريات الجمالية (كانط - هيجل - شوبنهاور) . ترجمة : محمد شفيق شيّا ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٦٠ .

(١٣) Lukacs, George : Writer and Critic and Other Essays. Trans. P.A. Arthur Khan, Merlin Press, London, 1970. p.215

نقلاً عن :

- محمد ، رمضان بسطاويسي : علم الجمال عند لوكاتش . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٩٤ .

خلال تقدم بحثه في النص»[١٤] ويضيف : «إن علم الجمال ، لدى لوكاتش ، يقودنا في المجال التطبيقي إلى النقد الفلسفي ، لأنه يحاول الانتقال من الخاص إلى العام ، ومن العرضي إلى الجوهري ، ليكشف عن كلية النص وارتباطها بكلية أكبر .»[١٥] ، وعلى هذا المنوال تؤدي حركة المِغزَل المستمرة إلى تأكيد دَين النقد الأدبي بالكثير للنقد الفلسفي ، بل يبدو الناقد الأدبي مفتقراً إلى عون الناقد الفلسفي الذي يقدم له أدواته الإجرائية لاختبار النصوص وتفسيرها . إن الناقد الفلسفي يحاول إقامة الاختلاف في الوحدة بينما الناقد الأدبي أو الفني يحاول إقامة الوحدة في الاختلاف . وتكون حصيلة نشاط الأول نظرية في الفن أو الأدب تدفع وتسهل التطورات اللاحقة على حين يقدم الناقد الأدبي ايضاحاً في الفن أو الأدب ليس أكثر .»[١٦]

مِثْلُ منظور لوكاتش السابق سيتعزز دائماً ، لأسباب جدّ مفهومة ، في النقد الماركسي الذي يرى في نفسه تجسيداً لمهمة تاريخية واجبة الإنجاز . وإن طروحات تيري إيجلتون تقدم بهذا الصدد آخر التطويرات المؤكِدة على هذا المنظور «ليس النقد حقلاً بريئاً ، ولم يكن كذلك أبداً ، وينبغي أن يوجد فرعٌ من فروع النقد الماركسي في تاريخ النقد نفسه يطرح السؤال الخاص بالشروط والغايات التي تجعل النقد الأدبي يُغيِّر اتجاهه ؛ فللنقد تاريخ هو أكثر من مجرد وصف اعتباطي لعملية تكونه ؛ إن النقد لا يظهر بوصفه جواباً سريعاً تلقائياً ، على الحقيقة الوجودية للنص ، مقترناً بصورة عضوية مع الغاية التي يضيء وجودها» .[١٧] إن شروط النقد الأدبي التي ينادي إيجلتون من أجل رعايتها تكمن في علاقة خطاب النقد الأدبي بخطابات أخرى متزامنة معه ، خطابات تتشكل ضمن وسط أيديولوجي تلعب فيه مؤثرات السياسة والأخلاق والدين ويلعب هو - الوسط الأيديولوجي - على «السطوح الفعلية للإدراك ضافراً نفسه

---

(١٤) محمد ، رمضان بسطاويسي : علم الجمال عند لوكاتش . المرجع السابق ، ص١٩٨ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(١٦) انظر : المرجع السابق ص١٩٥ .

مع مادة التجربة التلقائية ومع جذور اللغة وإيماءاتها»[١٨] . وهذا يعني ، ببساطة ، استمرار ترهين نقد الأدب للنقد الفلسفي أو الفكري في المنظور الماركسي مادام تاريخ النقد هو كما يقول إيجلتون «مظهر من مظاهر تاريخ طقم من التشكيلات الأيديولوجية المحددة»[١٩] .

د) النقد من اللغة إلى الثقافة (لحظة «النظرية») :

إن التحولات التي حاقت بالمشاهد النقدية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين جعلت من انبثاق ما يعرف بـ «النظرية» مجالاً للإطاحة بالحدود بين أنواع النقد كما بين الأنواع الكتابية وجهويات النشاط العلمي والفكري ، وإلى هذه الملاحظة يصوب م .هـ . إبرامز وجهه حين يقول ، بعد تناول للبنيوية والسميولوجيا والتفكيك ونظريات التلقي : «ينبغي ملاحظة أنه ما من نظرية من نظريات ما بعد الحداثة التي ذكرتها قد صيغت كمرجعية مقصورة على الأدب . فقد قدمت كل منها نفسها كفكرة عظيمة تهدف إلى تثوير فهمنا لجميع النشاطات والنتاجات الإنسانية التي يعتبر الأدب مجرد جانب صغير منها .»[٢٠] وهكذا سيغدو مألوفاً أن يخرط الحديث عن النقد النسوي مثلاً ضمن كتابات مخصصة لتناول اتجاهات نقد الأدب ، كما ستعرف الاتجاهات السميولوجية والتفكيكية والتأويلية واتجاهات تحليل الخطاب ترحّلاً دائماً بين مصادر امداد متعددة ومصاب تطبيق متنوعة . إن النقد بصورته هذه نقد مختلف

---

(١٧) ايجلتون ، تيري : النقد والأيديولوجية . ترجمة : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٢٩ .

(١٨) السابق ، ص٣٢ .

(١٩) السابق ، ص٣٢ .

(٢٠) إبرامز ، م .هـ . : تاريخ الأدب الإنجليزي . ترجمة : بدر الرفاعي ، مجلة الثقافة العالمية ، الكويت ، ع٨٧ ، مارس-أبريل ١٩٩٨ ، ص١٦٩ . والمقال الأصلي بعنوان آخر هو: The Information of English Studies 1930 - 1995 وقد ظهر في مجلة Daedalus عدد شتاء ١٩٩٧ .

عن النقد الذي تقترحه صيغة أرسطو المعيارية ، كما أنه يتجاوز النقد الترنسندنتالي الكانطي في بحثه عن شروط الإمكان ، والنقد الماركسي في بحثه عن شروط الواقع التي توجد من وراء النصوص . إن النقد المقترح بقوة ، في السنوات الأخيرة ، هو نقد ينصرف إلى قوى العمل التي تتحرك باستمرار في كل نص ، تقيم داخل هذا النص متحينة الفرص لإحداث حركة انقلابية مفاجئة بمجرد عثورها على توترات تهز انتظام الدلالة التي بدا أن النص يسير في طريقها لأول وهلة . وهو بهذا الوصف نقد يمر بكل النصوص : نقدية أو فلسفية ، أو فكرية عامة . وما دام الفكر لا يقبل الإدراك إلا عندما يتم نسبته إلى اللغة كما يلاحظ ، محقاً ، إميل بنفنيست(٢١) فإن الفكر النقدي الذي تعبر عنه هذه اللحظة ، ومنه تنطلق بؤرة استشعارات هذا البحث ، هو مكان تنازع تتعمد في أرضه نصوص عربية تقرأ في التفكيك من وجهة ما اصطلح عليه قديماً بـ «النقد الأدبي» وما اصطلح عليه أيضاً بـ «النقد الفلسفي» . ولقد يميل بعضهم إلى استحداث نعت جديد يُلحَق بمصطلح النقد ليعبر عن المساحة الجديدة التي تستوعب كل ألوان النقد وهو نعت : «الثقافي» فيَقْتَرِحُ مسمى النقد الثقافي بديلاً جامعاً . وقد يميل بعضهم الآخر إلى اطلاق لفظة النقد سليمة من كل قيد ليفتح الدلالة بالاستغناء عن كل وصف لاحق .

---

(٢١) Benveniste, Emile: Problémes de Linguistique générale, Paris Gallimard, 1966, P.64

نقلاً عن :

- الفلسفة الحديثة ، نصوص مختارة . ترجمة واختيار : محمد سبيلا - عبدالسلام بنعبدالعالي ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٧٧ .

٢- الفكر النقدي العربي:

الحقل الدلالي للفكر النقدي العربي :

تتناول هذه الدراسة لفظة «عربي» الواردة في عبارة «الفكر النقدي العربي» بمعنى ينتظم في مشمولاته جملة نصوص الفكر النقدي التي كتبها كتّاب عرب باللغة العربية أو بلغة أجنبية أخرى مع تحقق انتقال الكتابات ، في الحالة الثانية ، إلى حيز التأثير والتداول في الأوساط المعنية من القراء العرب عن طريق الترجمة إلى العربية ، أي إننا سندرج ضمن مدونة البحث كتابات كاتب كعبدالفتاح كيليطو أو محمد أركون جنباً إلى جنب مع اسهامات الكتاب العرب المرشحة للدراسة رغم أن بعض كتابات كيليطو ومعظم كتابات أركون قد نشرت بالفرنسية أولاً وقبل أن تجد طريقها إلى الترجمة العربية . إن فيصل التفرقة في هذا المقام ينطلق من حقيقة أن هوية «عربي» لا تتحدد عبر لغة الكتابة فحسب ، على أهمية هذا الجانب ، بل هناك دوماً تعددية في مكونات الهوية تنبع من المرجعية الذهنية ، وتسريبات المتخيل ، وطبيعة القضايا المهيمنة في المواضيع المطروقة ، وبمثل هذه المحكات يشرع هذا البحث في الحديث عن عبدالكبير الخطيبي ويستبعد إدوارد سعيد أو إيهاب حسن على سبيل المثال ، مع أن كلاً من هذه الأسماء قد كتب بغير العربية وجرى ترجمة بعض إسهاماته إلى العربية تالياً .(٢٢)

---

(٢٢) كان محمد أركون قد نافح بحرارة ضد الفكرة التي طرحها محمد عابد الجابري في كتابه «الخطاب العربي المعاصر» والتي تدعي أن مشمولات الفكر العربي (أو العقل العربي) تنحصر في ماتم انتاجه باللغة العربية فقط . إن أركون ينطلق ، محقاً ، من أن اللغة لا تختص بشعب أو عنصر من عناصر البشر ، وإنها قد تتأثر بتاريخ القوم أو الجماعة أو الأجناس الناطقة بها ، لكن التعامل بين العقل واللغة أوسع وأعمق وأكثر مرونة وتعدداً وانتاجاً من العلاقات بين قوم محدودين ولغة . أنظر :

– الجابري محمد عابد : الخطاب العربي المعاصر . دراسة تحليلية نقدية . دار الطليعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٣ .

==

إن ما تقصده هذه الدراسة بالفكر النقدي العربي ، أو بأي فكر آخر ، إذن ، هو منتجات هذا الفكر ؛ أي مجموعة من النصوص المنتجة ضمن صور مخصوصة للعمل الذهني يمكن تنسيبها إلى سياقات أو تحقيبات أو بيئات حضارية أو جغرافية مختلفة بحسب النعوت التي نرصفها إلى جانب كلمة «فكر» منشئين اضافة ونسبة بين مرجعياتها وهذا الفكر ، فنقول الفكر العربي والفكر الغربي والفكر النقدي والفكر السياسي والفكر الديني الخ . وظاهر ، مادام ذلك كذلك ، أن المقصود في هذه الحال ليس هو الفكر في مفهومه المجرد الذي تضبطه دراسات علم النفس والفلسفة وتاريخ الأفكار ، وإنما الفكر متلازماً مع اللغة على نحو ما تظهره النصوص .(٢٣)

وفي هذا الضوء بالإمكان القول إن استخدام عبارة «فكر عربي» ، بالمعنى الذي تقرر ، ينخرط في سياق التعامل مع مصطلح قارّ ومتواطأ على تداوله وتأريخه . وقد لاحظ أحد الباحثين أن تعبير «الفكر العربي» لم يظهر ، يقيناً ، إلا مع نهاية الحرب العالمية الثانية وأنه لم يستقر إلا مع بداية الستينات الميلادية من القرن العشرين إثر سيطرة الموجة القومية العربية في كتابات ميشيل عفلق والأدبيات الناصرية والبعثية التي نحت إلى استبدال صفة «إسلامي» بصفة

== وانظر كذلك :

- أركون ، محمد : من فيصل التفرقة إلى فصل المقال . أين هو الفكر الإسلامي المعاصر . ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت-لندن ، ط١ ، ١٩٩٣ ، صXIV .

(٢٣) لتوسيع مجال النظر في علاقة اللغة بالفكر يمكن الرجوع إلى :

- عياشي ، محمد منذر : الكتابة الثانية وفاتحة المتعة . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ . الدراسة المعنونة بـ : «سيمياء اللغة والفكر» ، ص٦٥-١٠٣ .

- وأيضاً : شوشار ، بول : اللغة والفكر . ترجمة : صلاح أبو الوليد - متري شماس ، سلسلة ماذا أعرف ، المنشورات العربية ، جونيه ، ط١ ، ١٩٧٧ .

«عربي» في التعبير عن الماضي الثقافي والفكري[٢٤] . وبصرف النظر عن منشأ التسمية وظروف سك العبارة فإن «الفكر العربي» عبارة دخلت في حيز التداول الواسع اليوم إلى الحد الذي وجدت معه دراسات عدة تضمّن عناوينها هذه العبارة دون أن تأتي على تعريف لها وكأنما التكريس الذي نالته كافياً ، بحد ذاته ، للإحالة على متصور قارّ ومعيّن المشمولات .

أثر آليات التحويل في تشكيل الفكر النقدي العربي :

تتيح قراءات المثقفين والنقاد العرب لأفكار الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا واستراتيجيات المقاربة التفكيكية للنصوص أن يجري التأمل في الآليات المختلفة التي يواجه بها الفكر النقدي العربي ، في لحظته الراهنة ، متغيرات التاريخ الكوني المتسارع . تصلح هذه الإفادة الأولى للفت الانتباه منذ البداية إلى أن هذا البحث لا يروم الانكباب على اعادات الإنتاج العربية للمناظير التفكيكية في اجرائياتها ومسائلها التقنية المعزولة ، المتعلقة فحسب بحدود الوفاء لأصل ، أو حدود الامتثال لمقاييس متعارفة في نقل المصطلح ، أو تطبيق الأداة المفهومية ، وإنما تتم العناية بالآفاق التي تندرج بضمنها سيرورات التحويل ، وهجرة المصطلح ، وسفر النظرية ، وانتقال المفهوم من خلال ضواغط وشروط تداولية مركبة وشديدة التعقيد . ولن تكون قراءة دريدا والتفكيك في الحقل العربي ، في هذه الحالة ، سوى حالة نموذج ، وعينة تحليل ، للإفضاء إلى المشهد بأرجائه الشاسعة وجنباته الممتدة والقابلة للاتساع . من هنا يصح القول ان مرامي استبصار هذا البحث تتطلع إلى بذل أسئلة تتناول مستويات عديدة من النقد العربي ، بعجره وبجره ، في اللحظة الراهنة ، وكذا الفكر العربي أيضاً . إن هذه

---

(٢٤) قرني ، عزت : أوجه قصور وأغلاط في تأريخ الفكر الحديث . مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج ٢٥ ، ع١ ، يوليو–سبتمبر ١٩٩٦ ، ص١٥٣ ، وهو يشير في هوامش الدراسة إلى كتاب صدر لرئيف خوري عن دار المكشوف ببيروت ، في سنة ١٩٤٣م بعنوان «الفكر العربي . أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي» .

هي البؤرة التي تتصوب جهتها الأحداق ، ويتحرى هذا البحث أن تكون في المحْرَق الأبعد لشواغله النظرية والعملية . وبالوسع قول هذا حتى وإن تراءى للبعض أن المواجهة التي يأتيها البحث انما تتم عبر زاوية ضيقة . ولعل التأمل وحده كفيل بإظهار كم هي زاوية رحبة ومدخلية تنفتح على ردهات الفكر والنقد من أوسع مداخلهما . والمقصود هنا زاوية تحولات المقروء عبر السياقات والضواغط واللغات .

ان رحلة المباحث التالية هي محاولة للوقوف على امكانات الحوار ، ووتائره ، وأشكاله في الأماكن الصغيرة المكتظة القابعة في الفراغ الفاصل الواصل بين الذات والآخر . ومن المحتم ، كما يبدو ، أن تمر هذه الرحلة بمحطات الأسئلة المعرفية حول «الهوية» و «الخصوصية» و «الأصالة» و «التهجين» و «تمثيل المختلف» وعلاقات القوة والمعرفة ، واستراتيجيات التأويل ، وصراع الخطابات . . . الخ . إن هذا وحده خليق بأن ينفتح على هاوية . ولكن سيجري التكفل ، قدر الإمكان ، بتحديد القضايا وحصر النماذج وتخّير المتون . ويأمل ، هذا البحث ، أن يترك ليقظة مجتهدة أن تراقب انسياب هذه الأسئلة من وراء المشهد المتحرك على أن يأخذ التدخل فرصته كلما لزم الأمر أو تطلبت سياسة المعالجة .

ولعل المتوخى بمثل هذا الاستعراض لمشهد القراءات العربية لدريدا ، على أساس التمثيل وتتبع بعض الصور ، أن يتم تحقيق جملة من الأمور المتصلة بموضوع البحث ومنها إبراز ملامح عريضة للقدر الذي اتسعت به جهود الاهتمام بقضايا التفكيك وتطبيقاته على امتداد جنبات المشهد ، والإحاطة بالمجالات المعرفية والحقول النقدية التي انصبت فيها هذه الجهود والقراءات ، والإفصاح عن نوعية المواضيع والمسائل التي تسلطت عليها هذه المعالجات ، وكذلك بيان طابع الاستجابات التي حرّكت المفكرين والنقاد العرب ، إزاء ما تقدم ، ترجمةً واستثماراً أو معارضةً .

دور فعالية التحويل في تشكيل الفكر النقدي العربي :

ليتقبل القاريء عند هذا المنعطف رصداً لما يشرع فيه هذا البحث من الزاوية

التالية : ألا تفترض قراءة الفكر العربي للتفكيك بوصفه منتوجاً ثقافياً غربياً انطواء منطلقات هذه الدراسة على تسليم بتقابل جوهري بين الذات والآخر أو بين الفكر العربي والفكر الغربي؟ ومن ثم ألا توحي ممارسة «القراءة» بأنها قنطرة عبور تؤمّن انتقال الآخر إلى الذات أو انتقال الذات إلى الآخر؟ هل يمكن المصادقة على ضرورة هذا العبور، أو امكانيته إذا شاءت الأسئلة جذرية أبعد؟ إن السؤال هنا سؤال معرفي، يمس طبيعة تصور حركة الاغتناء والتوليد داخل حضارة من الحضارات، أو بمعنى آخر كيف تحدث الإضافة أو يتحقق الابتكار؟

كان طه عبدالرحمن قد طرح في مقدمة كتابه «فقه الفلسفة : ١- الفلسفة والترجمة» سؤالاً يتقاطع مع ما هذه الدراسة بصدده، في أكثر من نقطة، قال طه عبدالرحمن : «ليس في الأسئلة عن الفلسفة الإسلامية العربية سؤال يشغل البال ويستحق الجواب مثلما هو السؤال عن قدرتها على التجديد وقدْرها من الإبداع : فهل الفلسفة الإسلامية العربية مجددة ومبدعة بالإضافة إلى المنقول الفلسفي، قديمه وحديثه، أم هي منحصرة في تقليده، مقتصرة على اتباعه؟» .[٢٥] إن في القول بانحصارها في تقليد ما يتوفر عليه الآخر من منقول فلسفي إقرار ضمني بامتناع البناء على أساسات الآخر، أو أقله استبعاد لإمكانية ذلك في غالب الأحوال. كما ان في فتح مجال الإمكان وقابلية التضايف المستمر انحياز إلى رؤية معرفية مخالفة بالتأكيد.

وقد يبدو، بالنظر إلى رهانات اتجاهات البحث في الساحة العربية الراهنة، ان خيارات الباحثين، أمام هذه الإشكالية، شديدة التقاطبات السجالية. وأنها، في الكثير من الأحيان، تكرر استجابات منمطة تجاه ثنائيات من مثل الأنا والآخر والأصالة والمعاصرة. يحدث ذلك دون طرح السؤال المعرفي حول طبيعة التحويل وامكانية الإبداع ومفعولات الاختلاف.

عند هذه النقطة قد يبدو استدعاء دريدا مفيداً لبلورة مفهوم تأخذ به هذه

---

(٢٥) عبدالرحمن، طه : فقه الفلسفة ١- الفلسفة والترجمة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص٤٩ .

الدراسة في نظرتها إلى الإبداع والمجريات التي تفسح للإضافة ، كما تفسح لهذا كله علاقة بانفتاح النسق وانغلاقه .

كان دريدا قد ناقش العديد من المسائل التي تتصل بما هو مثار هنا في تناولات متفرقة ، تناولات تنصب على الإضافة Supplement ودورها المزدوج الذي يستكمل من جهة ، ويفيض من جهة أخرى(٢٦) . كما قدم زاداً نظرياً يتواشج مع هذه المسألة في كل ما كتبه عن الترجمة ضمن كتاباته المتنوعة»(٢٧) .

ليس المقام ، في هذا الموضوع من البحث ، مقام توسع في توظيفات الإضافة والترجمة عند دريدا . ولكن ، ثمة فائدة نرجوها في عرض آراء له حول الابتكار

---

(٢٦) وأهم مواضع اشتغال دريدا على فكرة الإضافة هي دراسته حول جان جاك روسو والتي تشغل أكثر من ثلثي صفحات كتاب «في الغراماتولوجي» ، انظر :

- Derrida, Jacques: of Grmmatology, trans. Gayatri C. Spivak, Baltimore and London, Johns Hopkins University Press, 1976.

وانظر أيضا دراسة دريدا :

- The Supplement of Copula: Philosophy before Linguistics

ضمن :

- Derrida, Jacques: Marges of Philosophy, trans: Alan Bass, The Harvester Press, London, 1982, PP. 175-205.

(٢٧) انظر على الأخص :

- Derrida, Jacques: Marges of Philosophy, trans. Alan Bass, The Harvester Press, London, 1982.

والترجمة عن دريدا فاعلية تحويلية تناهض كل تصور انغلاقي للبنية وتدخل العَرَض في الماهية والغيبة في الحضور والاختلاف في الهوية ، وتسمح للتغييرات المتواصلة أن تعبر بالنصوص بين الألسن والتأويلات والإضافات هكذا دواليك .

والإبداع . فالتاريخ الذي يرويه دريدا يشير إلى أن مفهوم الإبداع قد انتقل من مفهوم الخلق من عدم بمعناه الديني إلى مفهوم الكشف والاكتشاف الذي يعثر علي شيء موجود ، ولكنه غير معروف ، وذلك مع حركة الكشوف العلمية . ثم بدءً من أواخر القرن السابع عشر ، وفي اطار فكر كل من ديكارت وليبنتز ، غلب على موضوع الابتكار مفهوم الإنتاج ؛ انتاج تقنية معرفية جديدة وليس مجرد كشف شئ موجود . ويلاحظ دريدا ان كل هذه التحولات في تاريخ المفهوم لم تنجُ من الحمولة الميتافيزيقية التي تحكمت في الفكر الغربي ، وان مفهوم الإبداع قد ظل موصولاً بمفهوم الحقيقة التقليدي الذي ظل مهيمناً حتى لحظة هيدغر .(٢٨)

الضوء الجديد الذي يسلطه دريدا على مفهوم الإبداع ، بغية فحصه وتعيين حدوده ، ايذاناً بمجاوزته ، ينبعث من التدخل في منطقة التوتر الحرج بين كون الإبداع ، في بذرته الأولى ، عثوراً على شيء أو موضوع أو فكرة على غير مثال سابق من ناحية ، وكونه ، من ناحية أخرى ، لا يصبح منتجاً أو مثمراً إلا بانخراطه في عالم الضرورات الذي تفرضه سياسات الدول الحديثة في تنظيمها لإصدار براءات الاختراع وبرمجة البحث العلمي وتخطيط العمليات الثقافية . «وهكذا يبدأ الابتكار طبيعياً فردياً وثورياً ، وينتهي بالاندماج في النظام العام الذي يعمل جاهداً على تحويل المصادفة الخلاقة والطفرة الشاردة إلى احتمالية

---

(٢٨) انظر لمزيد من التفصيل :

- الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وقضية الابتكار . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع١٤٠ ، ١٧ مارس ١٩٩٦م ، ص٢٥ .

وكذلك :

- الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وفلسفة التفكيك . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٢٠-٣٥ ، والجدير بالذكر أن المقالة السابقة «جاك دريدا وقضية الابتكار» مضمنة في هذه المقالة علماً بأن إحالتنا التالية تشير إلى المقالة الأولى .

محسوبة وإلى هامش قابل للتعايش في إطار المتجانس والمتماثل» .[٢٩] إن «الأبوريا Aporia» التي يمكن أن تعرض للإبداع ، اذن ، هي أبوريا الحيرة اللانهائية بين الإبداع بوصفه حدثاً ، ينطوي على الفرادة من جهة ، وبين كونه يرتبط ، من جهة أخرى ، بمقتضيات تُدْخِلَهُ في الأنساق وآليات انتظامها . ها هنا تكون الوقفة من جديد أمام مشكلة التاريخ والبنية . وحلول دريدا لهذ المشكلة ، أو تدخلاته ، التي ليست حلولاً بالضرورة ، تأتي متوافقة مع مجمل استراتيجياته ، أي إنه يهتم بتطوير انفتاحات تتفادى الغلق فيصبح كل من الابتكار والنظام ، الحدث والفكر ، التاريخ والبنية داخل الآخر وخارجه ، ولا يمكن لأحدهما أن يعطى مكان الصدارة على حساب الآخر . إن منافحة دريدا ، والحال كذلك ، هي منافحة عن أفكار عدم التناقض ، وانتصار للتعددية ومبدأ الوفرة بحسبان أن المعنى صعب المنال ومتعسر على التحديد النهائي . وإذا كان المقام هنا يناقش مفهوماً واحداً فحسب هو مفهوم الإبداع ، من وجهة نظر دريدا ، فإن الفرصة سانحة ، لتعلم درس أول عن أحد مفاتيح لعبة التفكيك ، وهو ما يشرحه وليم راي في هذا الاقتباس المطول شيئاً ما ، والذي يُورَدُ ، على طوله ، لأهميته . يقول راي : «النقد التفكيكي يمثل ويعبر دائماً عن مفارقة المعنى بوضعه في عملية ادراكية ، ثم اثارة السؤال عن العملية الإدراكية هذه ، ولكن نهج دريدا يلغي تعاقب «ثم» هذه عن طريق استغلال جانبي المعنى في آن «واحد» «داخل» اللفظة «الواحدة» - التي تكشف بساطتها الخارجية عن شبكة من الشكوك التي اذا أخذت في مجملها ، حولت فرق التأجيل [= الاختلاف] إلى صورة رمزية ، أي ان دريدا يجزيء المفاهيم الأحادية إلى مجموعات كثيرة من الحركات الأخرى (السابقة) . فتنتج من اللفظة الواحدة سلسلة متعاقبة من أمثلة القلب ، يصور دريدا تاريخها على أنه سمة بنيوية للمفهوم الذي هو قيد الدرس ، وهكذا يصبح المفهوم شعاراً أو صورة إدراكية لفرق

---

(٢٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

التأجيل»[٣٠] .

لن يشذ مفهوم «الابداع» عند دريدا عن الاندراج داخل مخرطة التفكيك هذه ، وسيعمل على تطوير معالجة لتاريخ محاولات هذا المفهوم للانعتاق من أسر الحقائق الدوغمائية القائمة خروجاً من دائرة الجدل الهيجلي الصاعد ، حيث يتلاشى النقيض على مستوى التركيب ، واجتيازاً لقبليات المعرفة وشروط تأسيسها عند كانط ، وصولاً إلى ارتطام كل الفكر الميتافيزيقي الغربي في نظرته إلى الإبداع بحدود الممكن ومنطق النظام الذي يحكم تجليات الابتكار ويبقيها في حيز الممكن التفكير فيه ، ومن ثم يرتد كل تجديد وتحويل إلى عالم الممكنات التي يحددها النظام بالقوة ويدرجها في قائمة الأشياء المتوقعة .[٣١] ان هذا التاريخ يطرح مساءلةً حاسمة : هل الابتكار والإبداع هو ابتكار وابداع في هذه الحالة؟ أليس في آليات التعامل معه ما يلغي هويته من حيث هو فرادة وحدث غير قابلين للتكرار؟ جواب دريدا يميل إلى تسليح الإبداع بما يكفل له التداخل والتخارج المستمر مع البنية والنظام ، والإبقاء على جذوة الاختراق المستمر والمراوحة المتواصلة بين حدود ما يمكن التفكير فيه وما لا يمكن التفكير فيه ، «لأننا في نهاية المطاف -يقول دريدا- لا نبتكر الآخر ولا نبدع المغاير وإنما نفسح له المجال ونشق له فرجة في النظام حتى نفتح له طريقاً للعبور ، فالآخر ليس في واقع الأمر إلا النحن . وابتكار الآخر ليس في نهاية الأمر إلا اعادة اكتشاف النحن واعادة ابتكار عالمه في تجاوز لا ينتهي»[٣٢] .

إن مفهوم الإبداع ، إذن ، مثله مثل الإضافة والتحويل ، يرتد إلى صورة ادراكية أخرى للكلمة المفتاحية : اختلاف . وهنا يسهل استخلاص أن الاغتناء

---

(٣٠) راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص١٦٤-١٦٥ .

(٣١) انظر :

- الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وقضية الابتكار ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

(٣٢) السابق ، ص٢٥ .

والتوليد وحركة الأثر Trace والتشتت Dissemination والتلقيم Greffe تعمل بمجموعها من أجل توفير الانتهاكات الدائمة والمتواصلة داخل وهم الهوية الصافية والنقية التي لا وجود لها . أي أن التضايف المستمر والتحويل الذي لا يتوانى قائمان بين الأنا والآخر في كل لحظة . هكذا تسرد الحضارات تاريخها : ذات متباعدة أبداً عن ذاتها ، وآخر ينحز في سويداء الهوية ذاتها كل لحظة .

٣- مداخل نظرية لمقاربة أنماط التحويل وانتقال النظريات :

ينطلق تناول أنماط استعارة المفاهيم وانتقال النظريات من أرضية ابستمولوجية قبل كل شيء إلى أرضية تقترح وعياً مركباً منذ البداية . ذلك أن عملية اعادة انتاج الفكر ليست عملية موضوعية تتم بمعزل عن إرادة الناقل ووعيه ، اقتصاراً على تأثيرات الظرف المادي والاجتماعي ، ولا هي تحويل ذاتي مستقل لاتتدخل في متجهاته ومراحله العوامل السياقية المختلفة ، وانما هي عوان بين ذلك . والنص معاد الإنتاج هو نتاج لبنينة لا تكف عن الهدم والتشييد في سيرورة من التخلق المستمر الذي لا يمكن عزوه إلى الناقل الفرد بوصفه فاعلاً مهيمناً ، كما لا يمكن قصره على بنية السياقات التي تتحكم بعلاقات القوة وفق مقسومات مقدرة سلفاً ومحسوبة ضمن انتظام قار .

ولعله مما يعين على دراسة القراءات العربية لاستراتيجيات التفكيك ، معالجةً وتحليلاً ، أن يجري الاستضاءة ببعض المداخل النظرية التي يمكن توسلها في شق طرقات مداخل هذه الدراسة . وهي امكانيات ست ، تمثلها منظورات ثلاثة تهتم بأثر السياق «خارج النصي» (بالمعنى الذي يميل إلى حد النص في نطاق متناه يبدأ بعده العالم الخارجي) وهذه المنظورات هي منظورات لويس ألتوسير ، وإدوارد سعيد ، وبيير بورديو . وذلك بمقابلة منظورات ثلاثة أخرى تعكف على النص الذي لا شيء خارجه ، وهي منظورات : بول دي مان وهارولد بلوم وجاك دريدا .

نموذج لويس ألتوسير :

إن لويس ألتوسير الذي يقوم بحركة حاسمة في مسار الفكر الماركسي ، بإطراحه مؤلفات ماركس الشاب الممسوس بالهيجلية ، وتركيزه على مؤلفات مرحلة النضج من عمر ماركس ، بخلاف القراءات السائدة قبله ، يقدم مجموعة من المقترحات ، التي ألحت على اهتماماته ، تقبل التقاطع مع ما المقام بصدده ، بكل طيبة خاطر . فمنذ تصديه الهام لقراءة كتاب ماركس حول رأس المال ، حاول ألتوسير أن يصب تدخلاته في اتجاه يتجنب الاختزالية التي يذهب إليها بعضهم متى تعلق الأمر بالصلة بين المعارف والوقائع . إنه يقول : «يجب علينا أن لا نغرق في الضلالات بصدد القوة التي لا يمكن تصديقها لهذا العرف ، الذي ما زال يسيطر علينا جميعاً أيضاً ، والذي هو جوهر التاريخية المعاصرة ؛ والتي قد تريد أن تجعلنا نخلط بين موضوع المعرفة والموضوع الواقعي ، بخلعها على موضوع المعرفة ، صفات الموضوع الواقعي التي هي معرفته ذاتها .»(٣٣) وستشتغل مساهمة ألتوسير اللاحقة بدأب على تعميق الشقة بين الإثنين ، أي بين : «تطور صور المفهوم في المعرفة» من جهة و «تطور المقولات الواقعية في التاريخ المشخّص» من الجهة الأخرى(٣٤) . وما سيملأ التفريغ الناجم هو الأيديولوجيا التي ستكتسب أهمية متزايدة في درس ألتوسير .

ان الأيديولوجيا عند ألتوسير هي «تمثيل» للعلاقة الخيالية القائمة بين الأفراد وظروف وجودهم الحقيقية ، بمعنى «أن الأفراد لا يتمثلون في الأيديولوجيا ظروف وجودهم الحقيقية ، ولا عالمهم الحقيقي ، بل قبل كل شئ

---

(٣٣) ألتوسير ، لويس وآخرون : قراءة رأس المال . ترجمة : تيسير شيخ الأرض ، ج٢ ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٤ ، ص٦٦ .

(٣٤) السابق ، ص٨٤ .

علاقتهم بظروف الوجود هذه» .[٣٥] ومن هنا ، فإن الفلسفة ليست تأويلاً للعالم ، وإنما هي تأويل للتأويل ، أي تأويل للوهم الأيديولوجي الذي يعكس علاقة الناس بظروف وجودهم . إنه ، إذن ، علاقة من الدرجة الثانية ، وليس أبداً تعالقاً في درجة الصفر . وتكمن جدّة ألتوسير ، هنا ، في أنه يضع المرء أمام قراءة تتهم المباشر وتضعه أمام لغة للغة ، وتأويل للمؤول المعيش . وبهذا النمط من النظر إلى اجتهادات ماركس ، والذي يسدى الفضل فيه إلى ألتوسير ، لن يعود ماركس ، كما يقول فوكو ، «مؤولاً لتاريخ علاقات الإنتاج ، وإنما مؤولاً لعلاقة تقدم نفسها كتأويل ما دامت تقدم نفسها كطبيعة» .[٣٦]

وعلى الرغم من أن جذور هذا التدخل النظري حول علاقة الأفكار وتحولاتها بالتأويل الأيديولوجي للواقع وكونها تأويلا للتأويل قد تحوصل لألتوسير نتيجة قراءاته المكرّسة لإسهامات كارل ماركس ، إلا أن الخطوط العريضة لهذه المحددات النظرية ستتنامى وتشتغل بحيوية في كل مجهودات ألتوسير اللاحقة

---

(٣٥) ألتوسير ، لويس : الأيديولوجيا وأجهزة الدولة الأيديولوجية (ملاحظات تمهيدية لدراسة) . ضمن : دراسات لا أنسانوية من لويس ألتوسير وجورج كانغيلهم . ترجمة : سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص١٠٣ . ودراسة ألتوسير السابقة كانت في الأصل مقالة نشرت في مجلة La Pansée ، عدد ١٥٠ ثم أعيد نشرها في كتاب ألتوسير : مواقف . Positions, Editions Sociales, 1976.

(٣٦) Foucault, Michel : "Nietzsche, Freud, Marx" in Nietzsche, Colloque de Royaumont, Minuit, 1967.

والاقتباس منقول عن :

- بنعبدالعالي ، عبدالسلام : أسس الفكر الفلسفي المعاصر : مجاوزة الميتافيزيقا . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٣٩ .

وهو لم يذكر رقم الصفحة التي نقل منها كلام فوكو ، لكنه يذكر في الهامش ملاحظة حاذقة حين يقول : بهذا المعنى ، وبه فقط يمكن أن يعتبر ماركس مفكراً للاختلاف ، ويضم إلى جانب نيتشه وفرويد في قراءتهما للميتافيزيقا .

بما يجعل منها ، في النهاية ، بؤرة توليد منهجي قابلة للاستدعاء والاستيحاء . ويتناول ألتوسير ، في «الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية»[٣٧] ، مواقف العلماء إزاء ما عُرف بـ «أزمة الفيزياء الحديثة» في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، حين بدا اعتقاد أن «المادة قد انتهت» في طريقه لهز مسلمات الفيزياء . ولقد تراوحت مواقف العلماء بين تذبذبات متقاصية ، نفذ منها ألتوسير إلى قراءة دور ما أسماه «فلسفة العلماء العفوية» في صراع الأيديولوجيات والأفكار التي قادت إلى تضارب المواقف . وهو يعني بفلسفة العلماء العفوية ، كما يوضح ، الأفكار التي يملكها العلماء في رؤوسهم واعية أو غير واعية ، والتي تهم ممارستهم العملية وتهم العلم .[٣٨] إن ألتوسير الشغف بالفلسفة شغفه بالسياسة ، والذي انطلق دائماً من مقدمة أساسية «هي أن الثورة تحتاج -لكي تنجح- إلى فلسفة فعالة حاجتها إلى الممارسة»[٣٩] ، حاول أن يضع منظوراته الفلسفية السابقة ضمن شروط التعرف على الشكل التاريخي للصراعات السياسية والأيديولوجية التي تنعكس على فلسفة العلماء العفوية ، وتتدخل في التناقضات النظرية لتواريخ العلوم والأفكار ، «وبما أن كل صراع في الفلسفة لا ينتهي بصفة كلية ولا يعالج بصفة مطلقة ، فلكي تكون رؤيتنا واضحة لا بد من التعرف على القوى الحاضرة والتوصل إلى إزاحة النقاب عن طريقة حل هذا الصراع ، أي معرفة مصدره ومعرفة مآله والتساؤل عن السلطة التي ستفضي إليها هذه المعرفة» .[٤٠] وبغض الطرف قليلاً عن الأشواق

---

(٣٧) ألتوسير ، لويس : الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية . ترجمة : رضا الزاوي ، منشورات عيون ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٩ .

(٣٨) السابق ، ص١١٦ .

(٣٩) كيرزويل ، أديث : عصر البنيوية ، من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة : جابر عصفور ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٥٧ .

(٤٠) ألتوسير ، لويس : الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية . ترجمة : رضا الزاوي ، مرجع سابق ، ص١٢٩ .

النضالية التي تتملك كائناً منقسماً يضع رجله اليمنى على أرض الفلسفة بينما تقف رجله اليسرى على أرض السياسة المراوغة(٤١) ، وبزحزحة ألتوسير قليلاً زحزحة تعزز ارتكازه الفلسفي ، سيكون بالإمكان استخلاص منظور عام يمكن أن يشكِّل خلفية مرجعية للنظر إلى ساحة صراع الأفكار وتحولاتها ومسببات الهيمنة التي تُكْتَبُ لقراءة ما ، في ظرف ما . إن هذا المنظور هو ما توسله ألتوسير نفسه حين وجد أن الكيفية التي تتأسس بها أفكار بيرجسون هي كيفية روحانية تجعله عاكفاً ، في كل ما قدم ، على «حفر القاع الروحاني القديم ليستغل العلوم في شكل روحاني متجدد عبر حجج ومقولات جديدة»(٤٢) . وهو أيضاً المنظور الذي راقب منه إسهامات برنشفيك وبول ريكور وغارودي بوصفها استغلالاً «يقوم به فلاسفة روحانيون (لعلوم الطبيعة ، أو علم اللاشعور أو علم التاريخ) لخدمة أهداف تعظيمية ولتبريرها ، لأن أهدافهم ينقصها الضمان اللازم . لذلك فهم يسرقونه من هيبة العلوم .»(٤٣)

ومرة أخرى ، لا يدخل في الحساب الانسياق وراء النيات الأيديولوجية الكامنة لدى ألتوسير(٤٤) ، كما لا يغرب عن البال أن ألتوسير القائل - إن «الأيديولوجيا تنادي الأفراد كذوات» لا يمكن له ، مع ذلك ، إلا أن يكون متفقاً مع المنظِّرين الماركسيين الذين سيسارعون إلى رد هذه التجليات الفردية التي تظهر عند برنشفيك أوغارودي أوريكور إلى وعي جماعي يتجاوز المستوى الفردي

---

(٤١) كما تصور إديث كيرزويل ألتوسير . أنظر : عصر البنيوية ، مرجع سابق ، ص٦١ .

(٤٢) ألتوسير ، لويس : الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية . مرجع سابق ، ص٥٠١ .

(٤٣) ألتوسير ، لويس : المصدر السابق ، ص١٠٧ .

(٤٤) تكتب إديث كيرزويل في : عصر البنيوية ، مرجع سابق ، ص٦٠ : «لقد أدرك ألتوسير -في آخر الأمر- أن ما فعله من اعادة صياغة النقد القديم للفلسفة ، المبني على علمية متطرفة ، قد أصبح نمطاً آخر من الوضيعة Positivism ، أي أصبح ايديولوجيا» .

ولا يكون الأخير إلا بمثابة الحالات النموذجية المؤشرة إليه .(٤٥) وإن ما يمكن استلاله ، مع ذلك ، من ألتوسير وخرطه فيما المقام بصدده ، هو أن هناك قيماً أيديولوجية ، يتمثلها القاريء العربي لنصوص التفكيك ، جراء ما أودع فيه من معطيات الظرف الاجتماعي والمتخيل الجمعي ، وهي قيم تتدخل في اعادة انتاج النص التفكيكي من خلال العلاقة التأويلية التي تربط هذا القاريء بواقعه وإنها لتتحكم في انتاج تأويل لدريدا أو بول دي مان يعتمد على التأويل الأول الذي حددته معطيات يتعامل معها القاريء على أنها معطيات انسانية وصالحة كونياً ومرتبطة بخبرة تقنية بحتة في القراءة واستنطاق النصوص ، بينما هي في التحليل الأعمق معطيات ذات صفة تاريخية وعرضية ومخترقة بالأيديولوجيا التي يعيشها هؤلاء القراء تبعاً لمواقعهم في الصراعات الاجتماعية والحضارية ، وفي مساحة تزدهر فيها آليات التحويل ، كفعالية هادرة تجري على وقع منها مناشط ذاهبة في التبدل والصيرورة . ولا ينقص المتتبع مؤشرات اضافية زيادة على تلك التي تتصل بحركة الاتصالات ، وشبكات الإعتماد الاقتصادي المتبادل ، ووسائل الإعلام المعولمة ، واتساع هامش الثقافة المضادة عبر النزعات النسوية والبيئية والمضادة للعسكرة ، وعبر تزايد مفعولات الهجرة على مستوى الأفراد والجماعات والأفكار والنماذج والنظريات ، للقول إن فردريك جيمسون قد يبدو محقاً حين يصرِّح : «إن المفهوم الألتوسيري يتيح لنا الآن أن نعيد التفكير في هذه المسائل الجغرافية والكارتوجرافية المتخصصة في علاقتها بالفضاء الاجتماعي ، في علاقتها ، مثلاً ، بالطبقة الاجتماعية والسياق القومي والدولي ، في علاقتها بالطرق التي لابد أننا جميعاً نرسم بها ادراكياً خرائط

---

(٤٥) أنظر :

- زيما ، بيير : النقد الاجتماعي : نحو علم اجتماع للنص الأدبي . ترجمة : عايدة لطفي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٢٣ .

علاقاتنا الاجتماعية الفردية بالحقائق الطبقية الدولية والقومية والمحلية»(٤٦) .

أخيراً ، ذاكم ما يقوله للقاريء دريدا إذا تُركَ له أن يتحدث بين فراغات هذا النص ، راجياً ، كما كان يوم رثاء ألتوسير ، أن يستمع الجميع إلى ما يقول : «في ما وراء هذا القبر ، فيما وراء رؤوسكم ، أحلم بالذين يأتون بعده أو بعدنا حتى ، والذين للأسف أرى لأكثر من علامة أنهم متسرعون في فهم ، وتأويل ، وتصنيف ، وتثبيت ، واختزال ، وغلق ، والحكم ، بمعنى التنكر لما يتعلق بهذا القدر الشديد التفرد ، أو لما يتعلّق ، بلا انفصال ، بامتحانات الوجود ، الفكر ، السياسة . سأطلب منهم التوقف قليلاً ، أخذ الوقت للإنصات لزمننا (. . .) تفكيك (وبصبر) كلّ ما خُتِمَ (في وقتنا) وعوّل على حياة ، عمل ، اسم لويس ألتوسير»(٤٧) .

إن لويس ألتوسير هو ، بأكثر من معنى ، مقترح لتطوير منظور يمكن من زاويته توضيح بعض المرئيات المتصلة بهذا البحث دون أن يعني ذلك الالتزام بوجهة ألتوسيرية مطلقة في كل المراحل .

نموذج بيير بورديو :

إن استدعاءً مطلوباً لبيير بورديو مهمٌ في هذا التشييد النظري لجنبات الفضاء المرجعي . فتحليلات بورديو قد اشتغلت ، بدأب ، على الكشف عن شروط انتاج الثقافة ، واعادة انتاجها داخل سياق واحد ، أو ضمن مشمولات عدةٍ من السياقات . ولقد كانت هذه التحليلات جزءاً من طموح نحو وضع

---

(٤٦) جيمسون ، فردريك : المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة . ضمن : «مدخل إلى ما بعد الحداثة» . ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٥ .

(٤٧) دريدا ، جاك : العالم غير مناسب : قراءة لغياب ألتوسير . ترجمة : بختي بن عودة ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٥ ، ع١٩ ، أغسطس-سبتمبر ١٩٩٣ ، ص١٣ . وقد قريء هذا النص بمناسبة مراسم تشييع جنازة ألتوسير ، ونشرته جريدة «Les Lettres FranÇaises» (في عددها رقم ٤ ، ديسمبر ١٩٩٠) ضمن ملف خاص حول ألتوسير .

نظرية عامة للإنتاج الأدبي تأخذ مكانها بوصفها جزءاً من نظرية أوسع هي نظرية الحقل Le champ التي سهر عليها بورديو منذ مطالع باكرة . لقد انصبت جهود هذا العالم الاجتماعي الفرنسي في اطار تنظيم تحليل الروابط بين النصوص وتحليل الروابط بين منتجي هذه النصوص حيث تنخرط آليات التناص L'intertexte والمحاكاة Pastishes والتلاعب بالمرجعيات ضمن محددات اجتماعية للقراءة والتلقي . ولا تتمكن الكتابة من اتخاذ وضع حصانة ضد العالم الاجتماعي والخارجي لأنه لا يرى في مثل هذه الحصانة إلا عودة جديدة للترنسندنتالية Transcendance.[٤٨]

ومع أن بيير بورديو يسلم بأن للظاهرة الابداعية بعدها النوعي ، إلا أن هذا البعد لا يتفلت ، عنده ، من شروط اجتماعية لإمكانية الكتابة ، واستراتيجيات اجتماعية تنجز على أساس منها هذه الكتابة ضمن استجابة لإكراهات البنى الاجتماعية للحقل[٤٩] . ومن هنا ، فهو ينظم النظر في الممارسة الفكرية داخل تحليلاته للممارسات الرمزية .

وفي اطار ما المقام بصدده ، فإن منظوراً بوردياً سيقترح تصويب النظر جهة الشروط الاجتماعية لإنتاج الكتّاب العرب الذين يقرأون التفكيك ، أو بتعبير أدق استعداداتهم الدائمة . كما سيقترح ، من ناحية أخرى ، تصويب النظر

---

(٤٨) ومن هذا المنطلق يعيب بيير بورديو على جيرار جنيت سقوطه في قطيعة شكلية تفصل الظاهرة الأدبية عن سياقها الاجتماعي . راجع :

- بورديو ، بيير : «بيير بورديو : كل شيء اجتماعي» . حوار أجراه : بيير مارك دوبيازي .ترجمة : فوزي بوخريص . مجلة المنطلق ، بيروت ، ع١١٤ ، شتاء ١٩٩٦ ، ص١٤٦-١٥٢ . وهو في الأصل حوار مع بورديو منشور في Magazine Litteraire, Octobre 1992, No. 303.

(٤٩) المرجع السابق ، ص١٥٦-١٥٧ .

جهة المنطق النوعي الذي يتحكم في كل حقل[٥٠] من حقول التنافس التي توظف فيها هذه الاستعدادات ، أي المجال النقدي والمجال الأكاديمي والمجال الأيديولوجي والمجال السياسي والمجال الجغرافي ، دون اغفال للضغوط الظرفية أو البنيوية التي تؤثر على هذه الفضاءات المتمتعة باستقلالها النسبي .[٥١]

إن كل حقل من هذه الحقول يهيء ، عند التتبع ، لرصد كل قراءة من القراءات بوصفها امكانية متحصلة عن وتاثر العلاقات داخل بنية ذلك الحقل . وفي ضوء من ذلك يكون بالاستطاعة تفسير الخلاف في الاستقبال الذي يحظى به دريدا بين ناقد شاب وناقد من جيل أسبق ، أو بين مفكر أنجلو سكسوني المرجعية وآخر فرنسي الثقافة ، وكذا بين ناقد ينتمي إلى دوائر المركز الجغرافي والسياسي وغيره ممن يعبّرون عن مدارات الهامش . وفي الواقع ، فإن مثل هذا المنظور يتضمن الاقرار بأن بنية العلاقات التي تشكل فضاء الحقل هي التي تتحكم في الصورة التي يمكن لعلاقات التفاعل الظاهرية أن تتخذها ، وكذلك في مجمل التحويرات التي يمكن أن يمارسها النقاد والمفكرون العرب على نصوص التفكيك التي يعرضون لها . من هنا لا يعبأ هذا المنظور ، إلا على نحو نسبي متحرز ، بمسئولية المفكر الفرد أو الناقد الشخص في خطأ الترجمة أو

---

(٥٠) يقول بيير أنصار : «يجدر بنا أن نفهم بكلمة حقل سياسي أو حقل ثقافي ، ليس مجموعة من الأشخاص مزيدة بعضها إلى بعض تعنى بالسياسة أو الانتاج الثقافي ، بل ينبغي أن نفهم نسق مواقف العملاء agents السياسي والثقافي . لهذا يمكن أن نعرّف الحقل الفكري champ intellectuel على أنه «نسق العلاقات التي تتوطد بين عملاء نسق الانتاج الفكري» . فمجموعة كاملة من المؤسسات - دور نشر ، أكاديميات (. . .) تشكّل جزءاً كلياً أو جزئياً من هذا النسق وتشارك في عملية التنافس الخاص التي تضع هؤلاء العملاء في تواجه التنافس من أجل الشرعية الثقافية» .

- أنصار ، بيير : العلوم الاجتماعية المعاصرة . ترجمة : نخلة فريفر . المركز الثقافي العربي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٣٤ .

(٥١) بتصرف ، استلهاما من : بورديو ، بيير : الرمز والسلطة . ترجمة : عبدالسلام بنعبدالعالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص٢٣-٢٤ .

الانزلاق عن الدلالة الأصلية المفترضة لنص من النصوص ، أو حتى المسخ والتشويه والابتعاد عن الدقة مما تطالب المنظورات التقليدية بتجنبه . ان الفاعل هنا ليس ذاتاً تاريخية قادرة على رسم أهدافها الخاصة وتعيين مراميها وتحقيقها ، ولكنه دائماً فاعل اجتماعي يحرص بيير بورديو على تمييزه من مفهوم الذات في النظريات ذات المنزع المثالي الديكارتي ، ومن مفهوم البنية المجردة في النظريات ذات المنزع الموضوعي الآلي . انه يقدم صيغة تسعى «نحو اقصاء الذوات» (التي تكون دائماً ممكنة بوصفها ضرباً من الحالة القصوى أو المثلى) العزيزة على تقليد فلسفات الوعي ، من دون افناء الفاعلين لصالح بنية مجردة قد أضفي عليها طابع الوجود الموضوعي ، حتى ولو كان أولئك الفاعلون نتاج هذه البنية وكانوا يصنعون أو يعيدون صنع تلك البنية باستمرار ، بل يستطيعون أن يحولوها جذرياً ، ولكن تحت شروط بنيوية جيدة التحديد .»[٥٢] . ان بيير بورديو يطمح ، بذلك ، إلى تجاوز ثنائية الموضوعية والذاتية أو الخارج والداخل أو البنية والفاعل عبر هذه الحركة التي لا تكل بين مفهوم الحقل من ناحية ومفهوم الهابيتوس من الناحية الأخرى[٥٣] . وهو يرى «أن كل مجتمع يرتكز على العلاقة بين مبدأين متفاوتي الأهمية تبعاً للمجتمعات وهما مسجلَين أو مطبوعَين ، أحدهما في

---

(٥٢) بورديو ، بيير - فاكونت ، ج .د . : أسئلة علم الاجتماع . في علم الاجتماع الانعكاسي . ترجمة : عبدالجليل الكور ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١٠١ .

(٥٣) يترجم علي سالم الـ Habitus بعبارة «البنى الذاتية من الاستعدادات والتصورات» انحيازاً إلى أداء المعنى المقصود ، أما عبدالجليل الكور فيترجمها بـ «السمت» أخذاً في الاعتبار بأن هذا اللفظ يفي بالمعنى الدلالي المقصود ولا يخل بالبنية الصرفية للذوق العربي ، وإن أشار إلى امكانية ترجمة الـ Habitusبلفظ «المَلَكَة» الذي استعمله ابن خلدون . أما نخلة فريفر فينقل اللفظ الأجنبي بفحواه إلى العربية ويترجمها هكذا «آبيتوس» ضمن ترجمته لكتاب بيار أنصار «العلوم الاجتماعية المعاصرة» .
ويعرف بيار بورديو الآبيتوس L'habitus بأنه «تهيؤ عام يولّد تصورات خاصة قابلة للتطبيق في ميادين مختلفة من الفكر والعمل» وذلك في دراسته Systemes d'enseignement et systemes de pensée المنشورة في العدد ١٩ ، ١٩٦٧ . » انظر : Revue internationale de sciences sociales ==

البنى الموضوعية ، وبالتحديد ، في بنية توزيع رأس المال وفي الميكانيزمات التي تنزع إلى اعادة انتاجه ، والآخر في الاستعدادات (نحو اعادة الإنتاج) : ومن خلال العلاقة بين هذين المبدأين تُعرّف أنماط اعادة الإنتاج المختلفة ، وبشكل خاص استراتيجيات اعادة الإنتاج التي تميزها أو تعرفها»(٥٤) .

إن مساهمة بيير بورديو التي تقع في اطار علم اجتماع الحقل النقدي وعلم اجتماع الحقل الفكري يمكنها أن تمد الجسور الوطيدة مع ما المقام بصدده في هذه المباحث . خصوصاً لجهة تحديد الجوانب المعرفية التي تحكم بناء التدخلات النقدية والفكرية .

إن الحقل النقدي ، مثله مثل أي حقل آخر ، يحدّد قيمه الخاصة ويكرس معطياته التنظيمية للتغييرات والحركة بين المواقع داخل بنيته . والفاعلون النقديون فيه يدأبون اما لتغييره أو للاحتفاظ بحدوده وشكله تبعاً للوضع الذي يضمن هيمنة وسيادة اتجاهاتهم وأفكارهم . وهكذا ، فإن استراتيجية مثل الاستراتيجية التفكيكية تُقْرَأُ من قبل هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين بكيفيات متغايرة تتأثر بالصراعات والمنافسات والرغبات بين مختلف الأطراف . وهنا قد

== - أنصار ، بيير : العلوم الاجتماعية المعاصرة . مرجع سابق ، ص٢٩ وهو ينقل عن بيير بورديو أيضاً في ص٣٦ ما نصه :

سوف يعني الأبيتوس مجموعة الاستعدادات المكتسبة ورواشم schémes الادراك ، والتقويم والفعل التي طبعها المحيط الاجتماعي في لحظة محددة وموقع خاص :

اضافة إلى ما قيل فإن الأبيتوس ، أي نسق الاستعدادات المكتسبة ، هو في الوقت عينه منتج pro-ducteur الممارسات ، و «أصل الإدراكات وعمليات التقويم والأعمال» .

(٥٤) Bourdieu, Pierre: "Stratégies de reproduction et modes de domination". Actes de La re-cherche en sciences sociales, Décembre, 1994, p.3.

نقلاً عن :

- سالم ، علي : بيار بورديو (٥) ، استراتيجيات اعادة الإنتاج منطق الحقول والرأسمال الثقافي ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج ٧ ، ع٢٨ ، أغسطس-سبتمبر ١٩٩٦ ، ص١٢٦ .

يكون مثال المنشور أو البلورة الموشورية Le prisme الذي يستنجد به بورديو وشرّاحه مسعفاً لتصوير ما يجري على صعيد التعالقات والقراءات . فالحقل يحرف اتجاهات القوى الخارجية تبعاً لبنيته الداخلية .[٥٥] ويشهد الحقل النقدي ، في ضوء بورديو ، تداخل بنى عديدة ، موضوعية ومعرفية ، في تشكيله . فهناك مستتبعات الصراعات بين الأجيال النقدية المختلفة ، واختلاف المرجعيات التكوينية لكل منها ، ونوعية الرأسمال الرمزي الذي تتوفر عليه كل فئة من النقاد ، ودائرة السلطة والنفوذ التي يكتب للناقد الاستثمار فيها ، وارتباطات هذا الرأسمال الرمزي بأنواع أخرى من رأس المال ، اضافة بالطبع إلى الصور العقلية ومباديء الرؤية والتقسيم التي تتخالف باختلاف الأفراد والمجموعات داخل هذا الحقل . فضلاً عن التحالفات وتبادلات المنافع والتقاطعات الفكرية التي يتم توظيفها في اطار التحلقات والمجاميع العلمية والمواقف من الأكاديميا ، والإستراتيجيات والأفعال التي يميل الناقد ، بوصفه فاعلاً اجتماعياً ، إلى اعتمادها . بوسعنا تصور الساحة الفكرية النقدية إذن كميدان للّعب ، بالمعنى البوردوي للّعبة[٥٦] ينخرط فيه لاعبون يحوزون أقداراً

---

(٥٥) انظر :

- سالم ، علي : بيار بورديو ، قراءة تحليلية لنصوص مختارة : الحقلان المدرسي والسياسي(١) . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٦ ، ع٢٤ ، ابريل-مايو ١٩٩٥ ، ص٨٩ .

وانظر أيضاً :

- الكور ، عبدالجليل : مدخل . ضمن :
- بورديو ، بيير - فاكون ، ج . د . : أسئلة علم الاجتماع ، في علم الإجتماع الإنعكاسي . ترجمة : عبدالجليل الكور ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١٩ .

(٥٦) يقدم علي سالم مفهوم اللعبة عند بورديو بوصفها «عبارة عن نوع من العلاقات أو نوع من علاقات التجاذب بين عناصر حيث المنافسة والتعاون والتناقض والهيمنة . وتقوم هذه العناصر ضمن هذه العلاقات بأدوار أو بنشاطات ووظائف . ولدى كل عنصر وضعٌ ومصادر واستعدادات ومعارف ومعتقدات وممارسات معينة . ويبني هذا النوع من العلاقات على قواعد محددة لها صفة ==

متفاوتة من رأس المال الثقافي (المعرفة النقدية أو الخبرة في هذه الحالة) ، ويتنافسون تحت طائلة عقد ضمني يقبلون به ، ويجرون على أساس منه استثماراتهم في اللعبة . فهؤلاء اللاعبون يهتمون باحتكار ما في رصيدهم وتأمين أكبر قدر من المردودية لتثميراتهم وهوامش أرباحهم ، من خلال احتكار حق التحدث والتصرف باسم سلطة النقد ومشروعية المعرفة .

ومثلها مثل أي لعبة ، ستفترض الساحة النقدية وجود غنائم وأهداف ومنافع ومصالح يرغب الأفراد أو الجماعات في تحقيقها أو الحصول عليها . وفضلاً عن ذلك ، فهناك منافسة ومباديء تنظيمية تحكم المجريات وتحدد التكتيكات والبدائل والمحظورات . إن كل طرف من أطراف اللعبة في ظل ميزان القوى الذي جرى اقراره ، أو في ظل نظام قوي يتم السعي لإقراره ، يضطلع بأدوار ونشاطات مصاغة ضمن استراتيجيات وممارسات تكفل الحفاظ على امتياز معين وتوسيع مدى النفوذ في دائرة هذا الإمتياز ، أو في دائرة امتيازات أخرى . وفي هذه الحالة ، فإن الإنتاج النقدي الذي يصدر عن طرف منخرط في هذه اللعبة لا يتحدد من خلال قراءة معرفية خالصة ومستقلة عن الأوضاع في ساحة التنافس ، بل كثيراً ما تتأثر اعادة انتاج الأفكار والنظريات بالوضع الذي يحتله الناقد القاريء ، أو من يمثلهم ، في مجال ما من مجالات المنافسة .

وإذا تسنى الإصغاء لبورديو جيداً ، فإن اعادة تكوين السياق الحاف بقراءة دريدا في الفكر النقدي العربي ، من زاوية علاقته بمنطق الحقل النقدي ستحيل إلى مستويات متعددة ، إلى درجة يصعب وصفها ، من المكونات الموضوعية وشبه الذاتية (المتصلة بالهابيتوس) حيث يتم القيام ، أولاً ، بتحليل البنى الموضوعية أو العلاقات بين الأوضاع المحتلة داخل الحقل النقدي من قبل الفاعلين الاجتماعيين (النقاد والمفكرين) الذين هم في وضع منافسة (أوضاع

== القسر ويوضع ضمن حقل محدد ، وهو غير منعزل عن أنواع أخرى من العلاقات» راجع :

- سالم ، علي : «بيار بورديو (٣) ، اللعبة الاجتماعية : المعتقد المهيمن والمعتقد الجديد ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج ٧ ، ع ٢٦ ، فبراير-مارس ١٩٩٦ ، ص١٨ .

من مثل : علاقات الأجيال ، فوارق الأصول الاجتماعية للنقاد ، فوارق أصول المرجعيات التكوينية : تكوين نقدي جديد . بنيوي . ظاهراتي . تراثي . حديث . وفوارق الوضع العلمي : انتماء إلى الأكاديميا . ثقافة جماهيرية . انحياز إلى الجانب الإبداعي أو الجانب المعرفي ، فوارق التواصل الثقافي : ثقافة انجلوسكسونية أو ثقافة لاتينية . . . الخ) . ثم ، في خطوة تالية ، يتم فحص الشروط الاقتصادية والاجتماعية أو الحظوظ والاحتمالات الموضوعية أو الميكانيزمات المادية التي تتيح لهؤلاء النقاد أن يعيدوا انتاج النصوص التفكيكية انتاجاً يتصل بوتائر ، تتراخى أو تشتد ، تتعلق بأوضاعهم ضمن اللعبة (مثل : الإقامة في بيئة علمية وطنية أو على سبيل الإعارة ، في البلاد العربية أو خارجها ، في الأوطان أو المنافي ، وجود جهة داعمة أو كافلة أو الاعتماد الذاتي ، مواكبة الباحث للوسائل البحثية الجديدة : انترنت ، كتب الكترونية ، اتصال عن بعد أو تعذر ذلك ، ووجود تسهيلات للنشر والانتاج أو الافتقار إلى ذلك . . . الخ) . ومن ناحية ثالثة ، فإن الإصغاء لبورديو سيستوجب الالتفات إلى البنى الذاتية لعناصر الساحة النقدية وفاعليها من النقاد والمفكرين ، أي إلى نُظُم الأفكار التي تسود في بيئاتهم ، والتهيؤات العامة لتوليد التصورات في ميادين الفكر والعمل لديهم ، والاستعدادات المكتسبة في محيطهم ، واستبطاناتهم للظروف الموضوعية بوصف ذلك كله مجموعاً في الهابيتوس الذي يشكل ، توسطاً بين العلاقات الموضوعية والسلوكات الفردية ، أو كما ينقل بيير أنصار عن بورديو : «مركز الالتقاء الهندسي للحتميات وتحديد الاحتمالات والحظوظ المعيوشة للمستقبل الموضوعي والمشروع الذاتي الطابع»[٥٧] .

غني عن البيان أن مثل هذا التتبع يخرج عن طاقة هذا البحث في المساق الذي وضع فيه ، وهو جهد ربما احتاج إلى فرق من الباحثين وامكانيات يعز

---

(٥٧) أنصار ، بيير : العلوم الاجتماعية المعاصرة . ترجمة : نخلة فريفر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٣٧ ، وهو ينقل عن بورديو في : Le sens pratique ، باريس ، مينوي ، ١٩٨٠ ، ص٨٨-٨٩ .

توفيرها في الحدود المتواطأ عليها في هذا المقام . ولكن استحضار المنظور البوردوي والاستيحاء من خطوطه الرئيسة يظل مفيداً للبحث في المجمل العام وللزوادة النظرية التي يفزع إليها وهلة المعالجة والتحليل . وقد قالوا قديماً ، محقين : ما لا يُدرك كله لا يُترك جُله .

إن أهمية الوجهة النظرية التي ينطلق منها بيير بورديو ماثلة في حقيقة أن مثل هذه التنظيرات تجعل المرء مستيقظاً ، طوال الوقت ، إلى أن قراءة دريدا وبقية التفكيكيين ، في الفكر النقدي العربي ، انما تتم من زاوية «لعبة» تحكم الحقل النقدي العربي والمواقع التي تقبع فيها الأطراف الممثلة لعناصره من النقاد والمفكرين . وإن هذه اللعبة تنطوي على منطقها الخاص وقواعدها الحاكمة للمنافسات والصراعات التي تتجه إلى اعادة انتاج وتوزيع رأس المال الثقافي بين مختلف الأطراف داخل بنية الحقل . هناك إذن لعبة ، وسلطة ، وتأثير ، وميكانيزمات ، واستراتيجيات ، وأوراق محددة ، ورأس مال ، واحتمالات موضوعية وقواعد مضمرة ، وميزان قوي . يقول علي سالم في معرض تقريب فكرة الحقل الثقافي عند بيير بورديو : «يحاول الفاعلون ، في اطار اللعبة ، وفي اطار من المنافسة أو الصراع ومن ميزان القوى ، لعب أوراق محددة أو تحقيق استراتيجيات (تتعلق بالحجم الإجمالي للأوراق وببنية هذه الأوراق وبالحجم الإجمالي لبنية رأس المال أو بالاحتمالات الموضوعية أو الحظوظ) بهدف الحفاظ على رأس مالهم وزيادته وأوراقهم ، أي توافقاً مع قواعد مضمرة للّعبة ومع ضرورات إعادة إنتاج للّعبة والألعاب ، أو بهدف احداث تحولات جزئية أو كلية في قواعد اللعبة بحيث يغيّرون مثلاً من القيمة النسبية للأوراق ومن نسبية التبادل بين مختلف أنواع رأس المال من خلال استراتيجيات تهدف إلى التقليل من قيمة نوع رأس المال الذي ترتكز عليه قوة منافسيهم أو أعدائهم وإلى اعطاء قيمة إلى نوع رأس المال الذي يملكونه بشكل خاص» .(٥٨)

---

(٥٨) سالم ، علي : «بيار بورديو (٥) ، استراتيجيات اعادة الإنتاج ، منطق الحقول والرأسمال الثقافي» . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج ٧ ، ع٢٨ ، ١٩٩٦ ، ص١٢٩ .

نموذج إدوارد سعيد :

من الوجهة التقعيدية العلمية يخضع انجاز عمليات السفر بالمفهوم ، كما تخضع عمليات هجرة النظرية لمؤثرات شتى . وتبرز المعطيات الجديدة بوصفها أثراً عن مفعولات سياقات عديدة . فهناك طبيعة المنطلقات المعرفية للفكرة المنتقلة في علاقتها بجهازها الاصطلاحي ، وهناك ما يتصل بمقتضيات الأداء والتداول والرواج اللغوي حيث تتدخل عوامل متنوعة في تشكيل أدوات النظرية وتحويلها بما يناسب متطلبات اللغة الجديدة من دقة تركيب ، وضوابط ايقاع ، ومقومات رشاقة ودقة في الأداء الدلالي . وهناك ما يتصل بطريقة استعادة المفهوم وظيفياً ، وحدود التصرف والنجاح في «تبيئة» المفهوم ، وإخصابه ، والهجرة به من حقل معرفي إلى حقل آخر ، والقدرة على منحه صلاحيات نظرية تعيد خلقه وإغنائه واعمال الابتكار فيه ، تضييقاً أو توسيعاً ، أو ابتكار بدائله من خلال الطاقة التفسيرية التي يجري بها الاشتغال على المفهوم النموذج لحظة تعقله وتجريب ايقاعه ومسراه في الفضاء المختلف الجديد ، واستبار امكان تناسجه داخل بيئة جديدة من السياقات والمفاهيم والموضوعات .

يقدم إدوارد سعيد تصميماً إطارياً لحركة زرع النظريات والأفكار ونقلها وتداولها في دراسته الشهيرة «عندما تسافر النظرية» .

وهو اطار مكون من أربع مراحل يمكن تلخيصها كالتالي : مجموعة الظروف الأصلية التي رافقت ميلاد الفكرة ودخولها ميدان الخطاب ، المسافة المقطوعة أو الممر الذي تجتازه الفكرة عبر ضغط السياقات المختلفة خلال انتقالها من نقطة معينة إلى زمان ومكان تصبح فيهما واضحة البروز ، شروط القبول وأشكال المقاومة في البيئة الجديدة . تغيير الفكرة المكيّفة أو المدمجة جزئياً أو كلياً وفق استعمالاتها الجديدة وموقعها الجديد في زمان ومكان جديدين .(٥٩)

وبمراعاة توزع المؤثرات بين العام والخاص ، واستهداء بإطارات إدوارد سعيد ،

---

(٥٩) سعيد ، إدوارد : عندما تسافر النظرية . ترجمة : مصطفى كمال ، مجلة الحكمة ، المغرب ، س١ ، ع٢ ، يوليو ، ١٩٨٦ ، ص١٣٩-١٤٠ .

يمكن استحضار بعض المكونات المرشحة للتدخل بهذا القدر أو ذاك ، في كيفيات انتقال الكلمات المفتاحية للتفكيك إلى كتابات النقاد العرب .

سيتم عرض هذه المكونات بالتطرق إلى مجموع الظروف التي رافقت تبلور الأطروحات التفكيكية ودخولها ضمن حيز نظر الدوائر البحثية المختصة بالفلسفة والنظرية . ووسيلة البحث في ذلك تقديم بعض القراءات التي حاولت أن تشير إلى ألوان من المؤثرات الممكنة ، دون أن يعني هذا التقديم أن الأطروحة تتبنى ضرورة ، كل ما ورد في هذه القراءات .

يعاين حسن حنفي التفكيك بوصفه حركة مراجعة من الفكر الأوربي لنفسه . وإنه ليرى أنها تعبير عن روح الثقافة المضادة . «ففي عنفوان المد الإستعماري الأوربي والنزعة العرقية ظهرت المذاهب التركيبية الشامخة . في حين يظهر التفكيك في عصر تحرر الأطراف من الاستعمار وتفسخ المركز ...... وكما ارتبطت الميتافيزيقيا بالروح القومية وبالعنصرية تعلن الأطراف نهاية الميتافيزيقيا»(٦٠) .

أما تيري ايجلتون ، الناقد الأنجلوسكسوني ذو النزعة الماركسية ، فيدرج التفكيك في عداد التعابير الناتجة من مزيج الابتهاج وخيبة الأمل ، والتحرر والتبدد ، والكرنفال والكارثة ، في إثر حركة الطلاب الفرنسية (مايو ١٩٦٨) . وهو يرى أن تحطيم بنيات اللغة انما مثل تعويضاً رمزياً عن العجز الذي حال دون تحطيم بنيات سلطة الدولة . «إن الكتابة ، أو القراءة- بوصفها كتابة - ، هي آخر ملاذ غير مستعمر يمكن للمثقف أن يلعب فيه ، متذوقاً ترف الدال ومغفلاً تماماً ما قد يجري في قصر الأليزيه أو مصانع شركة رينو»(٦١) . ويمضي ايجلتون في تحليل ظروف تبلور التفكيك عاقداً المقارنات الرمزية على طريقته الخاصة :

---

(٦٠) حنفي ، حسن : مقدمة في علم الاستغراب . الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٦٠٧ .

(٦١) ايجلتون ، تيري : مقدمة في نظرية الأدب ، ترجمة ، أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٧١ .

«كانت (البنية الكلية) التي حددتها على أنها العدو بنية خاصة تاريخياً : هي الدولة المسلحة القمعية للرأسمالية الاحتكارية المتأخرة ، والسياسات الستالينية التي تظاهرت بأنها تتصدى لهذه الدولة لكنها كانت متواطئة بعمق مع حكامها»(٦٢) . إن التفكيك وما بعد البنيوية هما نتاج هذه الظروف المضطربة ، عند تيري ايجلتون ، وهي ظروف غير مفصولة ، على مستوى أضيق ، عن انتقال كتّاب ما بعد البنيوية الفرنسيين ممن تجمّعوا في الصحيفة الأدبية الطليعية «تِلْ كِلْ» Tel Quel من الماويّة المكافحة إلى المناهضة الصاخبة للشيوعية(٦٣) .

ويستهل هابرماس قراءته لدريدا بربط أفكار الأخير بـ «حسّه الشمولي بالوضع التاريخي ، في فرنسا ١٩٦٨م» . ويهتم حين الاقتباس من نصوص دريدا في «هوامش الفلسفة»(٦٤) بإثبات تواريخ كتابة هذه النصوص مذكّراً بأنها أنجزت في الفترة التي بلغ فيها تمرد الطلبة ذروته(٦٥) . أما محمد الشيخ فيداخل بين صعود فلسفة الاختلاف (أفكار فوكو و دولوز ودريدا) وأحداث ثورة الطلبة ملاحظاً «أن من أعظم القيم الثقافية التي أعطتها ثورة ماي ٦٨ ، بعداً جديداً ، قيمة الاختلاف»(٦٦) . و «ان الاختلاف هنا هو قبل كل شيء رفض لمصير خلقته الحضارة المادية الصناعية وبشكل أعمى ، إنه رفض لحداثة أبدعها عقل بوليسي»(٦٧) . لقد كان لتلك الأحداث أثر كبير في تكوين وعي حاد بمفهوم الإختلاف ، كما يرى المؤلف . وقد كان المزاج مواتياً لنصرة هرقليطس على

---

(٦٢) إيجلتون ، تيري : المرجع السابق ، ص١٧٣ .

(٦٣) إيجلتون ، تيري : المرجع السابق ، ص١٧٨ .

(٦٤) Derrida, Jacques: Margins of Philosophy. Trans: Bass. Alan, The Harvester Press, 1982

(٦٥) هابرماس ، يورغن : القول الفلسفي للحداثة . ترجمة : فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٥٥ .

(٦٦) الشيخ ، محمد : المثقف والسلطة ، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٩٤ .

(٦٧) المرجع السابق ، ص ٢٧-٢٨ .

بارميندس[٦٨] . وهذا ما يفسر أيضاً «التحامل على سلطة البنية» وارتفاع المقولة الشعارية : «لا يمكن اعادة التجصيص ، فالبنية فاسدة»[٦٩] .

في منحى آخر ، كانت قراءات متعددة أخرى تلح على الربط بين أطروحات دريدا وأصوله اليهودية . وقد أصدرت سوزان هاندلمان في ١٩٨٢ كتاباً بعنوان ذي دلالة موحية «قتلة موسى . انبثاق التفسير الحاخامي في النظرية الحديثة»[٧٠] . وهي ترى فيه أن عدداً من النقاد والمفكرين الغربيين المحدثين ، ومن ضمنهم دريدا صاحب الأصل اليهودي ، ينبغي أن يفهموا في سياق التفسير الحاخامي ، أي التفسير الذي اتبعه حاخامات اليهود في قراءة التوراة والتلمود والذي نتج عنه موروث تفسيري ضخم ومعقد بمادته وأدواته يعرف بـ «المداراش» . وفي هذا التفسير يقف المفسر موقفاً متعالياً على النص الذي يفسره حتى وإن كان نصاً مقدساً[٧١] . هذه الإشارة التي أوردها البازعي مع

---

(٦٨) هرقليطس فيلسوف يوناني وضع تصوراً للوجود عماده التغير والتكثّر وتحليل الفوارق بين الأشياء وهو صاحب المقولة المشهورة «لايمكنك أن تضع قدمك في النهر الواحد مرتين» أما بارمينيدس فهو فيلسوف يوناني أيضاً حاول تشكيل فكر هرقليطس وأتى بتفسير صارم للوجود والأشياء وبتصور للحقيقة يقوم على التجانس وعدم القابلية للإنقسام . للمزيد حول آراء الإثنين يمكن الرجوع إلى :

- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ترجمة : فؤاد كامل وآخرون ، دار القلم ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع ، ص ١٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٤٦٤ .

(٦٩) الشيخ ، محمد : المثقف والسلطة مرجع سابق ، ص ٨٩ .

(٧٠) Handelman, Susan: The Sillers of Moses. The emrgence of ralslsinie intrpretation in modern literaryailany state U of New York b. ,1982.

(٧١) الرويلي ، ميجان -البازعي ، سعد : دليل الناقد الأدبي . إضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً ، منشورات العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٠٠-١٠١ . ولمزيد من التفصيل حول الأصول الأتيمولوجية والمعاني التداولية للمداراش يمكن الرجوع إلى :

- السعدي ، غازي : الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود . دار الجيل للنشر عمّان ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٧٣-٧٤ .

زميله ميجان الرويلي في دليلهما ، يوسّعها البازعي بعد ذلك ، فيما يشعر بانطلاق منظوراته الرؤيوية منها ، في بحث بعنوان «ما وراء المنهج . تحيزات النقد الأدبي الغربي»(٧٢) . يرى فيه أن أطروحات التفكيك تمثل محصلة نقدية فلسفية للتراث التفسيري للتوراة وللتراث القبّالي Kabbalistic(٧٣) . وهو يشايع سوزان هاندلمان ، مرة أخرى ، حين يؤكد على «الرؤية اليهودية» ، الكامنة وراء قراءات دريدا اليهودي المهاجر من الجزائر لأعمال وإبداعات الشاعر الفرنسي إدموند جابيس ، اليهودي المهاجر من مصر قائلاً : «أما مصدر هذه الرؤية التي يعبر عنها دريدا في تعليقه على قصائد جابيه فهي الأرضية المشتركة لتجربة الشتات والرحيل الدائم نحو مكان آخر دون حلم بالعودة ، أي دون حنين للمعنى والحقيقة والبنية الميتافيزيقية التي تمنح الاطمئنان»(٧٤) . ولا يكتفي البازعي بذلك بل يكون عالة على هاندلمان ، من جديد ، حين يستشهد بتأكيداتها على الصلة بين الموروث الديني اليهودي وأفكار دريدا من خلال مفهومين أساسيين : مفهوم الإله ومفهوم النص أو الكتاب ، لينتهي بعد ذلك إلى الاستنتاج المؤطر لطبيعة المفاهيم التفكيكية المتبلورة في أحضان التراث التلمودي - المداراشي كما يعاين : «كثيرة هي الأشياء التي تتضح هنا ، أو تبدأ في اتخاذ مواقعها بشكل صحيح . اللغة المنتشرة في كل مكان ، وشبكة

---

(٧٢) البازعي ، سعد : ما وراء المنهج . تحيزات النقد الأدبي الغربي . بحث ضمن أعمال ندوة اشكالية التحيز . القاهرة ، ١٩٩٢ . والإحالة في جميع الإشارات التالية حول هذا البحث إلى نص مرقون تم الحصول عليه من الباحث نفسه .

(٧٣) حول القبّالاه يمكن الرجوع إلى دراسة عبدالوهاب المسيري : القبّالاه . جذور التطرف اليهودي . مجلة المجتمع ، الكويت ، ع ١٢٨١ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص ٢٠-٢٧ .

(٧٤) البازعي ، سعد : المصدر السابق ، ص ٤٦ . ويمكن قراءة ما كتبه دريد عن جابيس في كتاب : إدمون جابيس وأسئلة الكتابة ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي ، منشورات دار ما بعد الحداثة ، فاس ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠٦-١٣٦ . والدراسة الأصلية منشورة في كتاب دريدا الشهير «الكتابة والاختلاف» .

النصوص التي تشير إلى بعضها ، وتتوالد من بعضها ، وضرورة أن يدرك الإنسان أنه لا مخرج من تلك الشبكة (دريدا ، ١٩٧٩ : ٨٤) ، أنه هو ليس سوى كلمة في نص . هذه العدمية النيتشوية التقويضية وهي تبتلع النقد الأدبي ، تبدأ في البروز بوضوح ، وتعلن عن بعض مضامينها الحقيقية»(٧٥) .

والحق أن القراءات التي تقرأ دريدا من زاوية العلاقة بين الإستراتيجيات التفكيكية التي يتبعها والإرث اليهودي التالد قراءات كثيرة وواسعة النطاق . فهابرماس يرى أن دريدا ، على خطى ليفيناس Levinas ، يستلهم التصور اليهودي بشكل جلي ، ولهذا السبب يظل متشبثاً بممارسة متبحرة في الكتاب المقدس مقدماً علم كتابة يطمح إلى نقد الميتافيزيقيا على أساس من منابع دينية(٧٦) . أما إيهاب حسن ، ناقد ما بعد الحداثة المعروف ، فيقول في أحد اللقاءات : «دريدا رجل ذو ذكاء حاد وهو إنسان رائع لا يسخر من أحد . وإذا أردنا أن نصفه من ناحية الفكر أظن أنه كابالاه يهودي ، ولكن كابالاه أبيض (يقصد متصوف على نظام الكابالاه اليهودي) لأنه استطاع تحويل تراث الكابالاه . كل جملة لتعني شيئاً جديداً يراه هو . وهذا ذكاء حاد استطاع به تحويل السيطرة اللفظية والوصول إلى لغة ساحرة ملغزة لكن بعد أن أوقف سحرها وفك طلاسمها»(٧٧) . وتجيء دراسة المصري أسامة خليل «قراءة عربية للبعد الكتابي العبراني في فكر جاك دريدا»(٧٨) لتسير في هذا الركاب حيث يذهب المؤلف إلى أن هناك سلسلة نموذجية غيبية مغلقة واختلافية متكررة في

---

(٧٥) البازعي ، سعد : المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٧٦) هابرماس ، يورغن : القول الفلسفي للحداثة . ترجمة : فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٦١ وانظر أيضاً ص٢٦٤ .

(٧٧) «تنكر لجذوره لينجح (٢-٢) . إيهاب حسن : ماذا حدث لأنف أبي الهول؟» . حوار صحفي أجراه : وجدي زيد ، مجلة الأهرام العربي ، س١ ، ع ١٠ ، ٣١ مايو ١٩٩٧ ، ص٧٤ .

(٧٨) الدراسة في الأصل محاضرة ألقيت بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة في ديسمبر ١٩٨٩ وقد نشرت بعد ذلك ضمن : مجلة أصول ، العدد ٢ ، مؤسسة أصول الثقافة ، القاهرة-باريس .

وعي دريدا هي : يهوه الآخر الخفي المختفي ، ثم كتابه المكسور المفقود ، ثم نسخه الموسوية المحفوظة في التابوت حيث تعمل هذه السلسلة الغيبية الاختلافية الكامنة في قرارة وعي دريدا العبري بوصفها نموذجاً لسلسلة دهرية مفتوحة من الكتابة البشرية اللاحقة(٧٩) . ويمكن خرط اشارات عديدة ترد عند عبدالوهاب المسيري(٨٠) وحسن حنفي(٨١) ومصطفى ناصف(٨٢) بوصفها منتظمة في سياق هذا النوع من القراءات التي تقرأ في ظروف ميلاد الأفكار الأساسية للتفكيك أصداء ذات رجع يهودي بعيد . ولربما احتاج الأمر إلى التأمل ، في موضع آخر من مواضع هذا البحث ، حول دلالة الخطوط التي تواتي مثل هذه القراءات في بيئة الاستقبال العربي لدريدا على وجه الخصوص .

في كل الأحوال ، تقود مواكبة الإطار الذي يضعه إدوارد سعيد لهجرة النظرية وانتقال المفاهيم إلى تأمل المسارات التي كتبت لأفكار دريدا وهي تسافر عبر ضغط السياقات والحدود الجغرافية . وقد يحسن التذكير أن التفكيك لم ينفتح على التداول الواسع عبر الأرض الفرنسية حيث أصدر دريدا كتبه الأولى ، وإنما واتت حظوظ الرواج دريدا حين استقبلت نصوصه في بيئات أخرى ، هي الولايات المتحدة الأمريكية واليابان على وجه التخصيص . ودريدا نفسه يبدو واعياً لهذه الحقيقة حين يقول : «هناك بالفعل عدد من الباحثين

---

(٧٩) ننقل ذلك عن :

– عطية ، أحمد عبدالحليم : التفكيك والاختلاف . جاك دريد والفكر العربي المعاصر . ضمن كتاب قضايا فكرية : الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين . المحرر : محمود أمين العالم ، الكتاب الخامس والسادس عشر ، يونيو-يوليو ١٩٩٥ ، ص١٧٦ .

(٨٠) المسيري ، عبدالوهاب : انفصال الدال عن المدلول وما بعد الحداثة (٢) : تراقص الدوال . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع ٢١٨ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٧ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٨١) حنفي ، حسن : مقدمة في علم الاستغراب . مرجع سابق ، ص ٦٠٦ .

(٨٢) ناصف ، مصطفى : خصام مع النقاد . النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص ٣٩١-٣٩٢ .

والفلاسفة الذين يعملون معي فيما يشبه التضامن أو الوفاق . إلا أن لدينا الإحساس بأن عملنا معاق هنا (في فرنسا) نوعاً ما . سيكون من المبالغة القول إنه محارب . ولكن مساحة تحركه محدودة ، خلافاً لما يلقاه من اصغاء واهتمام في البلدان الأخرى ، كالولايات المتحدة واليابان . ليس من المهم بالنسبة لـ (فيلسوف) أن يرى أعماله وهي تلقى الاهتمام والشّيوع فحسب ، بل يهمّه أكثر أن يراها وهي تقوم بإخصابها هي أيضاً ، بوضعها موضع العمل ، وتلقيحها بنتائج ما كانت منتظرة . هذا هو ما يحدث الآن لكتاباتنا هناك . أمّا الحصار الذي نواجهه في فرنسا فهو نابع ، بلا شك ، من طبيعة الثقافة الفرنسية ، بنيتها ، طُرقها في الإيصال ، مركزيتها الباريسية الخ»[٨٣] .

لقد غدا شائعاً أن دريدا يدين بالتداول الواسع لأفكاره إلى حوارييه من الأمريكان الذين ازدادت أعدادهم بسرعة كبيرة دفعت دريدا إلى تقسيم اقامته بين باريس وأمريكا خلال فترة الفصول الدراسية السنوية للجامعات[٨٤] . وهذا عبدالله الغذامي ، الذي استثمر في التفكيك من خلال التعويل على مرجعيات نصوص باللغة الإنجليزية ، يشير إلى الخاصة المهمة في سيرورة فكر دريدا قائلاً : «احتاج جاك دريدا أن يذهب إلى جامعة ييل ثم إلى آرفاين بكاليفورنيا إمعاناً منه بالتغلغل في الغرب وغرب الغرب لكي يكون في مقدمة السفينة وفي رأس المقدمة . ولو ظل على ما كان عليه في فرنسا ولم تستقبله جامعة ييل وتتشكل من حوله جماعة نقدية هناك ، لكان شأنه أقل وتأثيره أضعف»[٨٥] .

---

(٨٣) دريدا ، جاك : على سبيل التوضيح . في الاستنطاق والتفكيك . حوار مع كاظم جهاد ضمن :
– دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف ، ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٥٥ .

(٨٤) نوريس ، كريستوفر : التفكيكية ، النظرية والتطبيق . ترجمة : رعد عبدالجليل جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٩٧ .

(٨٥) الغذامي ، عبدالله : رحلة إلى جمهورية النظرية : مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي . الشركة السعودية للأبحاث والنشر ، جدة ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ٥٤ .

إن حقيقة أن تداولية واسعة قد كتبت لدريدا من خلال الهجرة التي عرفتها مفاهيمه إلى العالم الأنجلو أمريكي ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند التأمل في سياقات التحويل العربي للتفكيك . فالغذامي ، مثلاً يعتمد ، إلى حد كبير ، في تعريفه بالتفكيك أو التشريح خلال كتابه الأساس ، الخطيئة والتكفير ، على فنسنت ليتش وجوناثان كلر(٨٦) . ومجمل كتابات ميجان الرويلي في العرض والتعريف بالتفكيك واستراتيجياته تقبس من مصادر إنجليزية كذلك . وكذا الأمر فيما يتصل بعبدالله إبراهيم وجابر عصفور ومصطفى ناصف وسعيد الغانمي وسعد البازعي وغيرهم من المشرقيين .

لقد استطاع النص الأنجلوفوني المترجم أو المطوَّر عن جاك دريدا أن يفرض بؤرته في قلب الإنشغال العالمي بالتفكيك . وكانت مساحته في الاستثمار العربي لافتة ولا تقل أهمية عن التوظيفات التفكيكية العربية ذات المرجعية الفرنسية بحال من الأحوال . إن جاك دريدا الذي انتقل إلى العربية مع كاظم جهاد وفريد الزاهي ومنذر عياشي من خلال «أصل» فرنسي قد انتقل ، مع أسماء أخرى ، من خلال شروحات أو تطبيقات أنجلوفونية لها طوابعها ، ومساقاتها الخاصة ، وتحولاتها وحساسيتها . من هنا تنبع الأهمية المستوجبة لإعارة السياق الأنجلوأمريكي أو الأنجلوسكسوني مزيداً من الانتباه لجهة ما مارسه على دريدا وعلى التفكيك من شروط استقبال وأشكال مقاومة ساهمت في تكييف الكثير من المسائل وتحوير العديد من المنظورات وابراز بعض الجوانب

---

(٨٦) راجع الإحالات إلى الأول في الصفحات ١٣ ، ٤٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٢٧٩ ، ٣٢١ من «الخطيئة والتكفير» حيث يرجع الغذامي إلى كتاب ليتش: Deconstructive Criticism. Columbia University Press. New York 1983

كما تجد الإحالات إلى كلر في الصفحات ٤ ، ٥٨-٦٠ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ من «الخطيئة والتكفير» . وبعض هذه الإحالات منصرفة إلى كتاب كلر حول «الشعرية البنيوية» أما التي تعني المقام هنا فمنصرفة إلى كتابه :

On Deconstruction. Cornell university press. Ithaca, New York. 1982

واختزال جوانب أخرى وتوسيع فاعلية بعض المنطلقات والاستغناء عن تشغيل مجموعة من الاستهدافات وهكذا .

إن هذه التحولات ستقدم ، في لحظة تالية ، مقترحاتها التحويلية هي الأخرى ، والتي ستعمل في القراءة العربية لاستراتيجيات دريدا ومقتفي أثره . هذا ما يضفي جانباً من المبررات على المتابعة ، طويلة النَفَس بعض الشيء ، لنموذج إدوارد سعيد ذي المراحل الأربع حول سفر المفهوم وانتقال النظرية ، وهو ما يشارف البحث عبره ، في هذه الفسحة ، مدخلاً من مداخل سيرورة التعامل مع التفكيك في الفكر النقدي العربي .

في الحلقة الثانية من مسلسل هذا النموذج سيجري إذن الحديث عن الاستقبال الأمريكي لدريدا بوصف أراضي ما وراء الأطلسي مصباً للتيار التفكيكي القادم من باريس ، وهي الأراضي نفسها التي ستمثل منبعاً لمصب آخر هو المصب العربي في بعض تجلياته في لحظة عاقبة .

ثمة شبه اتفاق بين الدارسين على أن تغلغل التفكيك وانتشاره في الجامعات الأمريكية يرتبط بهيمنة النقد الجديد فترة طويلة من الزمن على أقسام الإنجليزية والدراسات الأدبية في عقود سابقة لثمانينات وتسعينات القرن العشرين . والآراء تختلف وتتباين في جهة انعقاد الصلة والطريقة التي مهد بها النقد الجديد لرواج التفكيك بعد اثبات هذه الصلة . فهابرماس يرى أن تسوية الفرق بين الخطاب العلمي والخطاب الفلسفي والخطاب الأدبي ، والانتصار لأولوية البلاغة على المنطق هي أمور «تقع في مركز الاستقبال المتحمس الذي عرفته كتابات دريدا في الكليات الأدبية في بعض الجامعات الأمريكية التي تحتل مراكز الصدارة»[٨٧] ، ويضيف : «من المؤكد اتساع استقبال دريدا - على خلفية هذا الشك المستوطن ، ولكن أيضاً على خلفية القطيعة مع (النقد الجديد) كحركة سادت خلال عقود عديدة وكانت مقتنعة باستقلال العمل الشعري ومرتبطة بالأقاويل العلمية للبنيوية . في مثل هذا السياق ، كانت فكرة

---

(٨٧) هابرماس ، يورغن : القول الفلسفي للحداثة . مرجع سابق ، ص٢٩٥ .

التفكيك تمتلك كل الفرص لتتوطد بقدر ما إن مقدماتها المعارضة تماماً ، كانت تقدم للنقد الأدبي مهمة ذات قيمة لا يطالها الشك»[٨٨] .

أما رامان سلدن فيرسم مشهد الصراع محتدم الأوار بين النقاد الأمريكيين وإرث النقد الجديد بالاستعانة بالماركسية في شكلها اللوكاتشي (نسبة إلى لوكاتش) تارة ، وبنقد فراي للنماذج الأسطورية تارة أخرى ، والنقد الموضوعاتي الفينومينولوجي مع جورج بوليه طوراً جديداً . ويضيف قائلاً : «ولكن ما يثير الدهشة هو أن دريدا قد هيمن على أفكار العديد من أقوى النقاد في أمريكا . ذلك لأن عدداً من هؤلاء النقاد متخصص في الرومانسية ولقد كان الرومانسيون منغمسين كل الإنغماس في تجارب الإشراق اللازمني ، أي «التجليات» التي تقع في لحظات متميزة من حياتهم ، محاولين استعادة هذه النقاط (البؤر) الزمنية في شعرهم ، وإشباع كلماتهم بحضورها المطلق ، غير أنهم ينعون ، في الوقت ذاته ، ضياع هذا (الحضور)»[٨٩] . ويلتقط سلدن هذه الثيمة : الحضور في علاقته بالغياب والترتيبات بينهما ويجعل منها معقداً للروابط التي تحكم انبثاق التفكيك الأمريكي من النقد الجديد وثورته عليه في آن واحد .

ومهما يكن من أمر فقد تحصل أن انتقال التفكيك من بيئة المنشأ في فرنسا ، بما رافق مرحلة الولادة من مؤثرات ، قد آذن بتحويرات جديدة وتداعيات عكست علاقات التقاطع والالتقاء أو الافتراق مع ما كان سائداً في بيئة الاستيطان الجديد بأمريكا . ولعل في ذلك ما يهيء المسرح للحديث عن سيرورات المفاتيح المفهومية للتفكيك في البيئة العربية ، والبحث بمجموعه ، كما سيتضح ، دائر حول هذه القضية بالتحديد .

---

(٨٨) هابرماس ، يورغن : القول الفلسفي للحداثة . المرجع السابق ، ص٢٩٦ .

(٨٩) سلدن ، رامان : النظرية الأدبية المعاصرة . ترجمة : جابر عصفور ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ .

النص بذاته ولذاته :

نموذج بول دي مان :

إن ما يتوجب صرف الانتباه إليه من منظور بول دي مان ، ليس هو معنى أو قيمة النص ، ولكن طريقته في انتاج المعنى والقيمة وسبل تلقيهما . إن هذه الطريقة التي يستخدم بها النص اللغة ، هي على درجة من التعقيد تدفع بدي مان إلى تطلب تخصص مستقل من البحث النقدي لدراسة امكانيتها ووصفها(٩٠) .

وعلى عكس المنافحة التي يبديها النظر الماركسي في نصرة العوامل الاجتماعية والتاريخية التي تتلبث خلف إنتاج النصوص ، فإن بول دي مان يصرف همّه لما يحدث في اللغة عند محاولة انتاج النص عبر احداث تشابك بين نمطية النظام النحوي ولا نمطية الوظائف البلاغية . إن هذا التوتر الكامن بين البلاغة والنحو هو المسؤول عن نسبية «الحقيقة» التي يمكن أن تدلي بها اللغة ، «لأنه ليس ثابتاً ، بداهة ، أن اللغة تعمل وفقاً لمباديء هي مباديء العالم الظاهراتي أو تشبه تلك المباديء . ولذلك فإنه ليس صحيحاً بداهة أن الأدب مصدر موثوق للمعلومات عن أي شيء إلا عن نفسه»(٩١) . إن من الحذق أن يتم التمييز هنا ، على نحو ما فعل سعيد الغانمي ، بين الدور الذي يؤديه المدخل البلاغي عند دي مان وذاك المألوف في النظر التقليدي عند سواه . فالبلاغة كما يراها دي مان «ليست هي الحيرة الممتدة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي حين ينشق الخطاب الواحد إلى خطابين ، بل هي أن لا نعرف أي الخطابين يطغى

---

(٩٠) أنظر :

- دي مان ، بول : المقاومة للنظرية . ضمن : نيوتن ، ك .م . : نظرية الأدب في القرن العشرين . ترجمة : عيسى علي العاكوب ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٦٧ .

(٩١) السابق ، ص١٦٩ .

على الآخـر»[٩٢] . إن تدخل دي مـان ، بناءً على مـا تقـدم ، انما تمّ ، إذن ، في مساحة التناقض غير القابل للرفع بين المعنى والتعبير . والاستنجاد بهذا المنظور في مجال تناول ترحلات المفاهيم وسفر النظريات سيفتح لبول دي مان على معالجة ابستمولوجية لهذا التناقض .

لقد كان كريستوفر نوريس محقاً إلى أبعد الحدود حين أشار إلى انطلاق كتابات بول دي مان من الدفاع عن استخدام الطرائق الابستمولوجية بوصفها الوسيلة الوحيدة الممكنة التي نتأمل بها ما يتعاكس على غايات تلك الطرائق الابستمولوجية نفسها[٩٣] .

إن هذا الاهتمام بالابستمولوجيا ، وهو اهتمام مبكر بدأ منذ مقالة بول دي مان حول «بلاغة الزمنية» كما يلاحظ وليم راي[٩٤] سيتيح لكتابات بول دي مان أن تؤسس تدخلاً قوياً تظهر مفاعيله في الأفكار حول القراءة واللغة والمعنى ضمن اسهاماته اللاحقة .

من الناحية الابستمولوجية ، فإن فعل «القراءة» عند بول دي مان هو

---

(٩٢) الغانمي ، سعيد : بول دي مان . تفكيك البلاغة/بلاغة التفكيك : مقدمة ضمن : دي مان ، بول : العمى والبصيرة . مقالات في بلاغة النقد المعاصر . ترجمة : سعيد الغانمي ، منشورات المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٦ .

(٩٣) أنظر :

- نوريس ، كريستوفر : التفكيكية ، النظرية والتطبيق . ترجمة : رعد عبدالجليل جواد : دار الحوار ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص١١١ .

(٩٤) أنظر :

- راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص٢١١ .

والمقالة المشار اليها موجودة ضمن :

Interpretion : Theory and Practice. ed. C. Singleton. Baltimore, The Johns Hopkins – University Press, 1969, p.171 -209.

المبتدى والمنتهى ، وهو الأرضية الأساس للحياة البشرية بأكملها كما يلاحظ جي هيلز ميلر[٩٥] ، إلا أن هذه الأرضية متعذرة التعريف ، أي أنه لا يمكن قراءة القراءة . فالقراءة عند دي مان مثلها مثل القانون الأخلاقي في ذاته عند كانط ، على الرغم من أنها تعلن عن نفسها على أنها الأساس المعياري إلا أنها تتلاشى في وجه الرؤية الابستمولوجية ولا يمكن أن تفهم مبدئياً[٩٦] . وهكذا ، فإن المرء يقوم بفعل قراءة مستمرة عند التعامل مع أي نص ، لكنه لا يستطيع أن يتعقل الفعل الذي يأتيه أو أن يضع أحكاماً اطلاقية بصدده ، أو صدد المؤثرات فيه . إن البؤرة التي يشخص اليها نظر دي مان ، في هذه الحالة ، هي بؤرة الإشكالية الكامنة في حقيقة أن التفكير والإدراك والشعور يحدثون ضمن حدود اللغة ولا يمكن للغة أن تعبر عما هو خارج اللغة ، ولا يمكنها أن تعرف فيما إذا يكون ذلك «الخارج» فكرة أو شيئاً أو روحاً عالية ، أو أرضية ما للغة ، أو فيما إذا هي لا شئ بشكل مطلق . فاللغة لا يمكن أن تساعد في تثبيت مرجعيتها» .[٩٧]

إن القراءة ، كما يمكن القول ، إذا توسل المرء تعبير والاس مارتن عن أفكار بول دي مان ، هي شرٌ لابد منه : فهي موجودة من أجل امكان اكتشاف الحقيقة في مكان آخر[٩٨] ، وفي هذا الضوء لا تكون أي قراءة اغلاقاً للمعنى ، ولا يمكن تصور النقد بوصفه عملية ناجزة تعطي معرفة . إذ هناك على الدوام

---

(٩٥) ميلر ، جي هيلز : أخلاقيات القراءة . ترجمة : سهيل نجم ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٧٠ .

(٩٦) المرجع السابق ، ص٧٦ ، وفي صدد المقارنة يعلق هيلز ميلر قائلا : «الاختلاف بين دي مان وكانط (وهو اختلاف تام) يكمن في أن كانط يمكن أن يملك الثقة في قابلية اللغة والعقل في أن تصيغ فهما للإستحالة غير اللغوية ، بينما عند دي مان تكون المسألة مسألة مواجهة حدود الإمكانية لفهم قوانين اللغة نفسها» . ص ٧٩-٨٠ .

(٩٧) السابق ، ص٨٠ .

(٩٨) مارتن ، والاس : ضمن : بول هيرنادي : ما هو النقد؟ . ترجمة : سلافة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٩٧ .

انتقالات من قراءة إلى قراءة . والتفاعل بين المعاني الحرفية والمعاني المجازية لا يتوقف عند أي مستوى من مستويات التفسير . فالنصوص المجازية تتطلب أن تفسرها نصوص حرفية ، والنصوص الحرفية ترحب بدورها بتفسيرات أخرى للكشف عن مجازيتها الكامنة وهذا ما يجعل عملية القراءة «لعبة افعوانية شيطانية (سكة حديد مرتفعة في مدينة الألعاب تتلوى وتنخفض وتجري فوقها عربات صغيرة) لم نختر امتطاءها في نقطة بداية ولا نستطيع الإفلات منها»(٩٩) .

إن هذه الأفعوانية التي لا يكتب لأي قراءة فرصة الإفلات منها ، مرتهنة بقناعة أساسية تحرك بحوث دي مان . وهذه القناعة هي «ان اللغة مجازية في المحل الأول وليست إشارية أو تعبيرية ، وأنه لا توجد لغة أصلية غير بلاغية ، مما يعني أن الإشارة دائماً تشوبها خاصية المجاز»(١٠٠) . والناقد الذي يُقْبِل على استثمار أي نص أو قراءته لا ينجو ، بسبب هذه الخاصية النصية العامة ، من الوقوع فيما يسميه بول دي مان : إساءة القراءة misreading فالمجاز يتدخل دائماً ، مما يؤدي إلى وصول الناقد إلى عكس ما يقصده . وهذا هو ما يؤكد عليه دي مان عبر فكرة «العمى والبصيرة» التي جعلها عَلَماً على واحد من أهم كتبه كما تقدم ، أي «ان النقاد لا يصلون إلى البصيرة النقدية إلا من خلال نوع من العمى النقدي . فهم يتبنون منهجاً أو نظرية تتضارب تماماً مع الاستبصارات التي تؤدي إليها »(١٠١) .

والحق إن الإلحاح على فكرة «إساءة القراءة» قد اقترنت ، لا عند دي مان فقط ، بل عند جماعة من النقاد الأمريكيين الذين تأثروا بدريدا أيضاً ، بالشكوك في امكان اغلاق التفسير والوصول إلى معنى النص عند نقطة معينة ،

---

(٩٩) السابق ، ص٢٦٤ .

(١٠٠) سلدن ، رامان : النظرية الأدبية المعاصرة . ترجمة : جابر عصفور ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة – باريس ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٥٧ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص١٥٥ .

وهكذا أصدر هارولد بلوم كتابه «خارطة لإساءة القراءة A Map of Misreading في ١٩٧٥[١٠٢] مانحاً لـ «إساءة القراءة» منزلة جديدة كلياً. غير أن بول دي مان قد سعى إلى تعزيز هذه المنزلة بإصرار لا سيما حين يؤكد في كتابه «مقاومة النظرية» The Resistance to Theory على أن العنصر البلاغي هو الذي يجعل كل مفهمة منهجية مستحيلة، وهو الذي يعرض العوائق التي ينبغي أن تواجهها كل نظرية أدبية[١٠٣]. وسواء كان التنظير الأدبي قراءة في نص ابداعي أو في نص نقدي سابق - كما في حالة القراءات العربية للتفكيك - فإن ما يمكن استيحائه من دي مان هو ان من المستحيل تخليص اللغة من التلوث الذي يصيبها جراء مجازيتها الأصلية. فالتلوث يظهر في خِدَع المعنى ومنعطفات التأويل، مسنوداً دائماً بانفلات استراتيجيات النص البلاغية من قبضة تحكم القاريء.

ان تطبيق درس بول دي مان على مسارات قراءة الفكر النقدي العربي للتفكيك يعني الانكباب على مقاربة المقاومات التي تبديها نصوص التفكيك، في تعقيداتها البلاغية، أمام محاولات النقاد العرب لتملك المعنى واصابة تماسك تفسيري ما من خلالها. والأمر، باستدعاء فكرة دي مان عن العمى والبصيرة، سيكون في هذه الحالة أقرب إلى متابعة تورطات منتظرة في مصيدة الإشارات النصية التي تزوغ من سيطرة الوعي. ولعل هذه هي خلاصة الطرائق النموذجية التي قدمها دي مان في قراءته لنصوص نقدية قرأت في نصوص نقدية وفكرية أخرى، مثل قراءة دي مان لقراءة دريدا في نصوص جان جاك روسو، ضمن قراءة في قراءات النقاد على امتداد كتابه «العمى والبصيرة».

---

(١٠٢) Bloom, Harold: A Map of Misreading. Oxford University Press, New York, Toronto, Melbourne, 1975.

(١٠٣) أنظر:

- زيما، بيير. ف. : التفكيكية. دراسة نقدية. ترجمة: أسامة الحاج. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص١١١.

وهذا ما يلاحظه خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس في معرض تعليقه على هذا الكتاب حين يقول : «وقد أفاد دي مان من اختلاف التعمية والحدس في فك الخطابات النقدية السابقة ، وهي «التيمة» أو الموضوع الحقيقي للكتاب ؛ فلقد كان اللجوء إلى النقد يستهدف دائماً منح المدلول لنص ما ، ولكن الذي يحدث هو أن النص يعتمد على تفسيراته مثلما تعتمد هذه التفسيرات على النص . فالتعمية أو الغموض درجتان للتفسير ، والنصوص تولد دائماً تاريخاً للقراءات الجزئية أو الخاطئة ، التي يمكن أن تكون نقاطها المعماة مفككة ، لكنها لا تكون غير مزيفة تزييفاً كاملاً : فالنقد والأزمة متحدان بواسطة الاشتقاق ، وأيضاً بواسطة طبيعة الفكر التفسيري»(١٠٤) .

إن قراءة تنطلق من فكرة خداع القصد ، على شاكلة ما يطرح بول دي مان ، من شأنها أن تضيء القراءات العربية للتفكيك عبر ضوء آخر مختلف عن تلك المداخل التي تعتمد على قراءة «النص في العالم» كما عند إدوارد سعيد ، أو النص ضمن علاقاته السياقية الخارجية مبدأً كما في أمثلة بورديو وألتوسير . فالمرء هنا ، يقف أمام انكشاف ابستمولوجي لشفافية القصد ، فالخداع يلازم كل عملية قصدية لأن الأمر نابع من طبيعة اللغة بعامة . والذي يرومه هذا المدخل في النظر إلى الأمور ، هو التواصل مع مرجعية هيدغرية ثم نيتشوية تظهر الانقطاع العميق بين الشفرة اللغوية والشفرة الأنطولوجية التفسيرية(١٠٥) ، ولكن من غير أن يعني ذلك نفي أي صلة للنص بخارجه ، أو استبعاد أي حقيقة

---

(١٠٤) إيفانكوس ، خوسيه ماريا بوثويلو : نظرية اللغة الأدبية . ترجمة : حامد أبو أحمد ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص١٦٩-١٧٠ . والمقصود باتحاد النقد والأزمة بواسطة الاشتقاق هو ارتدادهما إلى جذر واحد حيث النقد Criticism والأزمة Crisis .

(١٠٥) انظر : المرجع السابق ، ص١٦٧ .

تاريخية(106) .

نموذج جاك دريدا :

إذا كان مبلغ ما تنتهي إليه المنظورات المختلفة للترجمة هو تصنيفها على مدرج ينأى بها ، أو يدنيها ، من أحد قطبين متعاكسين ، هما قطب الوفاء أو قطب الخيانة ، وفاء النص المترجِم للنص المترجَم ، أو خيانته له ، وكان الوفاء هو الترجمة الحرفية ، على حين الخيانة هي الترجمة المعنوية ، إذا كان الأمر كذلك ، فإن رؤية دريدا للترجمة هي وعد بالانعتاق من سلطة هذه الثنائية .

ذلك أن الترجمة التي هي ، بحسب ما يقترح دوبوس ، «التعبير بلغة أخرى (أو اللغة الهدف) عما عبر عنه بأخرى ، لغة المصدر ، مع الاحتفاظ بالتكافؤات

---

(106) للتوسع ، انظر :

- راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط1 ، 1987 ، ص209-210 . وقد يحسن الاقتباس من المؤلف في هذا المقام إذ يقول : «وإذا قرأ المرء هذا التأجيل قراءة غير صحيحة ، أي طبقاً لقواعد الصدق الموضوعي التي يلغيها ، بدا كأنه أمر سلبي بل عدمي ، يؤكد انعدام المعنى غير المحدود . ويرى نقاد دي مان الذين لا يستطيعون قراءته إلا بهذا الأسلوب أن نظريته تنطوي بالضرورة على فقدان جميع القيم التي تستند إلى السلطة ، كالصدق والذات والمعرفة المشتركة ، بل الحقيقة التاريخية . أما إذا قرأنا مؤلفات دي مان في ضوء منطقها الخاص بها فإنها تؤكد وتطور ، بل تضمن قوة هذه القيم ، وإن كان ذلك بأسلوب يمكن أن يسميه المرء أسلوب المفارقة . فإذا أقر المرء بضديد الانزلاق في مفاهيم من مثل «الصدق» وأكد دائماً زيادة المعنى إزاء كل فكرة بسيطة استطاع المرء أن يضمن أن الصدق لن يُشوه أبداً عن طريق اخضاعه دون تمحيص لقصد واحد أو ربطه ببنية واحدة . إن العدمية الظاهرية عند دي مان انما هي سلاح ضد تجريد الناقد من حقوقه التأويلية : فهي تهدم مزاعم التقليد في امتلاك مثل هذه الحقوق - ومزاعم أولئك الذين يدعون مثل هذا الحق اعتماداً على التقليد - وذلك عن طريق اثبات أن الفعل الذي به نسيطر على المعنى انما هو في حد ذاته لا يخضع للسيطرة . فالعدمية بهذا المعنى قوة ايجابية .» ص209-210 .

الدلاليـة والأسلوبيـة»[١٠٧] تُبـقِي مظنة الوقـوع تحت سلطان فكرة المطابقـة ، واستدعاء المقارنة والمضاهاة بين نص أصل ونص فرع .

ويبـدو أنه لا منجـاة من الانزلاق إلى المقـايسـة والمقـارنة بين التـقـابلات والتناظرات في لغـتين أو أكـثر متـى جرى المصـادقة على النظر إلى التـرجـمـة بوصفها «احتكاكاً بين لغات» كما يمكن لمنظور لساني أن يفعل[١٠٨] .

إن دريدا يسـتـعـيـد التـأمل في التـرجـمـة من خـلال خطوة سـابقـة لوهلة الاحـتكاك بين لغـتين أو لغـات ومفـاعيل هذا الاحـتكاك . ذلك أن هذا التـصـور اللساني للترجمة يتصور المسائل كما لو أن هناك ماهيتين حاضرتين ، لكل منهما بنيتها وانتظامها الذاتي وقوانينها المستقلة . ومن هذه الوجهة -فيما يرى دريدا- تسقط مثل هذه المقاربة في التفكير الميتافيزيقي والنظر من خلال الثنائيات التي تحيل الترجمة إلى علاقة أصل بفرع أو طرف أول بطرف تالٍ ، وهكذا . . .

إن ما يريده دريدا بالتـحـديد هو ابطال التـراتب الثـابت بين الأزواج المتـقـابلة ، وكشف مسعى المطابقة بوصفه مسعى ميّز الميتافيزيقيا الغربية طوال تاريخها ، ان اللغة الواحدة ليست ماهية مكتملة تقف قبالة ماهية مكتملة أخرى هي اللغة المنقول إليها الأثر . ليست اللغة الواحدة (أو اللغة القومية كما يحب دريدا أن يعبر) هوية مغلقة بل تعدد هويات . وليس المعنى اللغوي الذي يؤديه أي انتظام للغة معنى قابل للتدقيق والبتّ على نحو قطعي ، بل هو معنى وزيادة ، أي معنى وفائض ، وظلال ، وآثار ، في حركة فرق دائم وسيرورة توليد لا يتناهى . من هنا فإن «الترجمة» تحدث في اللغة القومية نفسها قبل أن تحدث في احتكاك لغتين .

---

(١٠٧) نقلاً عن :

- بيل ، روجرت لندن : الترجمة وعملياتها : النظرية والتطبيق . ترجمة : محي الدين حميدي ، سلسلة كتاب الرياض ٧٢-٧٣ ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص٤٢ .

(١٠٨) انظر :

- مونان ، جورج : المسائل النظرية في الترجمة . ترجمة : لطيف زيتوني ، دار المنتخب العربي ، بيوت ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٥١-٥٢ .

انها هناك ، «لأنه توجد دائماً أكثر من لغة في لغة واحدة ، في ما يسمى لغة»[١٠٩] وحين يكتب دريدا تأملات أولية وملاحظات تمهيدية عن ترجمة ممكنة لكلمة التفكيك deconstruction إلى اليابانية فإنه يستعيد وهلة ما قبل احتكاك لسان فرنسي بلسان ياباني ليقول «ربما وَجَبَ ألا نبدأ بالاعتقاد - الأمر الذي سيكون مجرد سذاجة - بأن مفردة «التفكيك» تقابل في الفرنسية دلالة واضحة ولا مصدر فيها للّبس . هناك في لغتـ (ي) من قبل ، مشكلة ترجمة ، شائكة ، بين ما نهدف إليه هنا وهناك عبر هذه الكلمة ، واستخدام هذه الكلمة نفسها ومنبعها . لقد بات واضحاً ان الأشياء تتغير من سياق إلى آخر في الفرنسية ، نفسها بالذات»[١١٠] . ويضيف دريدا في موضع آخر «إن صعوبة تحديد مفردة التفكيك ، وبالتالي ترجمتها ، إنما تنبع من كون جميع المحمولات وجميع المفهومات التحديدية وجميع الدلالات المعجمية ، وحتى التمفصلات النحوية التي تبدو في لحظة معينة وهي تمنح نفسها لهذا التحديد وهذه الترجمة ، خاضعة هي الأخرى للتفكيك وقابلة له مباشرة أو مداورة ، الخ . . . وهذا يصح على كلمة «التفكيك» وعلى وحدتها ، مثلما على كل كلمة»[١١١] .

إن سؤال الترجمة - من وجهة دريدا - إذن هو سؤال «ما هو أكثر من لغة داخل ما يفترض أنه لغة واحدة»[١١٢] والترجمة في هذه الحال هي التفكيك مادام دريدا يصرح قائلاً : «اتفق لي أن أقول مرة : لو كان عليّ أن أجازف بتعريف للتفكيك ، فسأقول ببساطة : «أكثر من لغة»»[١١٣] .

---

(١٠٩) دريدا ، جاك : ضمن كتاب «لغات وتفكيكات في الثقافة العربية . لقاء الرباط مع جاك دريدا . ترجمة : عبدالكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٢٢١ .

(١١٠) دريدا ، جاك : رسالة إلى صديق ياباني (حول مفردة ومفهوم «التفكيك») . ضمن : الكتابة والاختلاف . ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٥٧ .

(١١١) السابق ، ص ٦٢ .

(١١٢) دريدا ، جاك : ضمن : لغات وتفكيكات ، مصدر سابق ، ص٢٢١ .

(١١٣) دريدا : السابق ، ص٢٢٢ .

من الواضح أن ها هنا ثواءً مفهومياً يحتضن التقديم الدريدي لـ «ترجمة» على صلة بإشكالات نظرية متعددة ، فهناك أولاً : المنظور الدريدي للمعنى . والذي بحسبه يبطل البحث عن معنى جوهري ، لأن مثل هذا المعنى «هو عبارة عن ماهية تتصف بوصف عقلي هو الهوية وبوصف وجودي هو الحضور»[١١٤] في حين أن المعنى عند دريدا صعب المنال لا يمكن تحديد مكانه ولا يمكن الزعم بوجود هوية محددة له أو تطابق ذاتي ، «فتتأجل هوية المعنى تأجيلاً مستمراً عن طريق استغلال الفروق التي تكونها . بيد أن هذا الاستغلال لا يمكن فهمه نظاماً مادام ليس مفهوماً ، بل الشيء الذي يجعل المفاهيم ممكنة»[١١٥] . إن المعنى ، بهذا الوصف ، هو امكان فحسب ، مدون في ارتباط يشير ضمنه إلى معنى آخر ، والى جميع المعاني من خلال استغلال منتظم للاختلافات[١١٦] . والترجمة لا تجد نفسها إلا مندرجة في دالة الفروق هذه مادامت المعاني تلازمها الفروق والأعراض والآثار ، وما دام أي سياق كان لا يستطيع أن يتنطع لحد دلالة النص ، وأي قرينة كانت لا تقوى على إلزام النص بتأويل بعينه . إن المشهد الذي يرسمه التفكيك في هذا الصدد هو ما عبر عنه طه عبدالرحمن ، محقاً ، حين وصف منظور دريدا للترجمة بالقول : «النص يجاوز المقامات لتوالي الدلالات كما يتجاوز نفسه في الترجمات لتوارد التأويلات ، حتى إنه لا وجود في نهاية المطاف إلا لسلسلة واحدة من المعاني لا تنقطع حلقاتها ولا ينتهي طولها ، إذ لا يفرِّق فيها بين ما للأصول وبين ما للنقول»[١١٧] . فالترجمة ، على

---

(١١٤) عبدالرحمن ، طه : فقه الفلسفة : ١- الفلسفة والترجمة . المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص١١٢ .

(١١٥) راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص١٦٤ .

(١١٦) انظر :

- دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف ص١١ ، نقلاً عن وليم راي ، ص١٦٤ .

(١١٧) عبدالرحمن ، طه : فقه الفلسفة : ١- الفلسفة والترجمة . مصدر سابق ، ص١١٣ .

ذلك ، لا مكان فيها لنشدان تقابلات كمية وحسابية وانتظامية بين لغة «الأصل» ولغة «النقل» لأن المعنى لا ينصاع ، بكل بساطة ، لهذا التصور النموذجي عن الأمانة والدقة المتطلب الوفاء بهما في الترجمة ذات المنحى الحرفي .

ثانياً : إن مفهوم الترجمة في حوض الاختلاف الدريدي هو مفهوم تحويلي أساساً ، أي أن دريدا يطلب انصاتاً . إلى الهنات والانزلاقات والتحويرات والتصرفات التي تهجع في النص المحوّل كاستراتيجية تتجه إلى الإخلال بأحكام القيمة التي تربط «جودة» الترجمة بدرجة مراعاتها للقيمة التواصلية لدلالية الصدق والكذب -كما تواطأت عليها المواضعات- قبل كل شئ . «وقد ساهم دريدا في هذا التنسيق بأن ساوى المعنى التأويلي المعين بالحقيقة النظرية العامة»(١١٨) .

إن اجتهادات دريدا في هذا الجانب ، بخلاف ما قد تتصوره معالجة مستعجلة ، لا تذهب إلى عكس التراتب إلا كخطوة تكتيكية مرحلية لإبقاء التوتر والتجاذب بين أطراف الثنائيات الضدية في حيوية مستمرة ولعب أبدي . ليست الترجمة وفاء ولا خيانة ، إنها ، إن كان لا بد من توصيف ، حركة الجذب المتبادل بين الإثنين . يقول دريدا «إن الأمر يتعلق بتوتر بين استراتيجية التحويل التي تنجزها اللغة المنقول إليها من جهة ، والأمانة التي تكاد تكون مقدسة من جهة أخرى . . . هذا التوتر يشتغل في كل ترجمة ، إنه الترجمة ذاتها . والترجمة «الجيدة» هي التي تنجح «أفضل من غيرها» في أن تقوم بأقصى ما يمكن للاستجابة إلى هذين المطلبين في آن . أقصى ما يمكن ، لأن انتظاماً يدخل دائماً في الاعتبار . فالترجمة الأقوى هي التي تجتهد ، وتنجح ، في إنجاز أكثر ما يمكن من المطلبين الإثنين والوفاء على الوجه الأفضل بالتعهدين معاً»(١١٩) .

---

(١١٨) راي ، وليم : المعنى الأدبي . مرجع سابق ، ص١٦٦ .

(١١٩) دريدا ، جاك : ضمن : لغات وتفكيكات . مرجع سابق ، ص٢٣٠-٢٣١ .

نموذج هارولد بلوم :

على الرغم من أن الصلة بين طروحات هارولد بلوم واستراتيجيات التفكيك الأنجلو أمريكي تظل عرضة لتأويلات متضاربة[١٢٠] ، إلا أن الشئ المؤكد هو أن أرضية مشتركة تتهيأ عبر المنافحة عن فكرة القراءة الخاطئة misreading التي

---

(١٢٠) فتيري ايجلتون ، مثلاً ، يُلمّح إلى التعارض «العنيف» بين نزعة بلوم الفردية الرومانسية وبين الروح العام لذهابات التفكيك ، ويقول : «دافع بلوم في الحقيقة عن قيمة «الصوت» والعبقرية الشعريين الفرديين ضد زملائه أتباع دريدا في ييل (هارتمان ، دي مان ، هيلليس ميللر) . وأمله هو أن ينتزع من بين براثن نقد تفكيكي يحترمه من نواح معينة ، أن ينتزع انسانية رومانسية تعيد اقرار المؤلف ، والقصد ، وسلطة الخيال» . انظر :

- ايجلتون ، تيري : مقدمة في نظرية الأدب . ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٢١٩ . ويهتم جان إيف تاديبه بتأكيد أن هارولد بلوم يدين اتجاهات التفكيك في جامعة ييل وجامعة جون هوبكنز بشكل صارم بعد أن انتسب إليها لمدة طويلة .

انظر :

- تاديبه ، جان إيف : النقد الأدبي في القرن العشرين . ترجمة : قاسم المقداد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٤٢١ . أما جمال العميدي فيعرض قراءات مختلفة لطبيعة العلاقة بين بلوم والتفكيك منوهاً إلى أن فرانك لنتريشا يصّر على «أن تصنيف بلوم ضمن ما يسمى التفكيك ، ليس إلا خداعاً للنفس» ، في حين أن كريستوفر نوريس يتبين مناطق اتفاق بين بلوم ودريدا ومناطق افتراق ، فأما الأولى فهي تتمثل في البدء من الفكرة التي تقول «إن التاريخ الأدبي ينبغي أن يتعامل مع النصوص في اطار علاقة تلك النصوص بعضها مع بعض ، وذلك من خلال الإزاحة المستمرة التي لا يمكن وصفها إلا في اطار المصطلحات البلاغية» ، كذلك يتفق بلوم ، والرواية ما تزال عن نوريس ، مع التفكيك في عدم ايمانه بالوهم الذي يعد الشاعر فيه «مبدعاً ذاتياً للمعنى» ، أما نقطة الافتراق بين بلوم والتفكيك ، كما يرى نوريس ، فتكمن في الصراع الدائم الذي يدخله الخَلَفُ لخلق «فجوة» بينه وبين السلف يستطيع من خلالها اثبات «حضوره الخيالي الخاص به» . بمعنى آخر «إن بلوم يريد وقف عملية التفكيك عند النقطة التي تستطيع عندها قياس منزلة الابداع الرفيع عند الشاعر على أساس ارادته المهيمنة على التعبير» . ==

ينطلق منها بلوم كما تنطلق منها اتجاهات التفكيك الأمريكي وخصوصاً بول دي مان وستانلي فيش . والواقع ، ان مجمل اجتهادات بلوم انما تقوم «على عناصر ثلاثة : تاريخية ، وأدبية ، وسايكولوجية . انه يصنع من العنصر التاريخاني نظريته الخاصة بالتأريخ الأدبي ، ويطور من العنصر الأدبي نظريته الهرمنيوطيقية المتمحورة حول سوء القراءة وسوء التقدير ، ويعالج عبر العنصر السايكولوجي نظرية العمل من خلال النسب التعديلية بوصفها (ميكانزمات) دفاعية للتغلب على قلق التأثير»(١٢١) .

وفي مقدمة كتابه «قلق التأثر . نظرية في الشعر»(١٢٢) يذكر هارولد بلوم أن أحد أهداف تنظيراته «هو ازاحة الغشاوة عن التأويلات المكرّسة فيما يتعلق

أنظر :

- العميدي ، جمال : الهرمنيوطيقاً والتفكيك : هارولد بلوم . . التناص أوسوء القراءة . جريدة الاتحاد ، ملحق الاتحاد الثقافي ، الإمارات ، الخميس ٢٠ أغسطس ١٩٩٨ ، ص٧ والدراسة نفسها ، كما يشير عادل عبدالله ، منشورة في مجلة الأقلام العراقية : انظر :

- عبدالله ، عادل : التفكيكية : إرادة الاختلاف وسلطة العقل . دار الحصاد ، دار الكلمة ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص١٧٠ ، وهو لا يعطي معلومات ببليوغرافية كاملة مكتفياً بالإشارة هكذا : مجلة الأقلام - ١ ، ٤ .

وبعد أن يشير بيير زيما إلى أنه من المستحيل تصنيف عمل هارولد بلوم ضمن جهود التفكيك يشير إلى تعليق بلوم الفكه على الموضوع «ففي مقابلة مع إيمري سالوزينسكي ، مثلاً ، يفسر (بلوم) مساهمته في الكتاب الجماعي Deconstruction and Criticism (1979) الذي يضم مقالات لدريدا ، وميلر ، وهارتمان ، ودومان ، وبلوم ، بقوله : «كان العنوان مزحة شخصية لا يفهمها أحد : كنت أريد أن أقول أن الأربعة هم التفكيكية وأنا النقد» . انظر :

- زيما ، بيير ف . : التفكيكية . مرجع سابق ، ص١٤٨ .

(١٢١) العميدي ، جمال : الهرمنيوطيقا والتفكيك . مرجع سابق ، ص٧ .

(١٢٢) بلوم ، هارولد : قلق التأثر : نظرية في الشعر . ترجمة : عابد اسماعيل ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

بكيفية مساهمة كاتب بتشكيل كاتب آخر»[١٢٣] ويمكن الاقتراب من الطريقة التي يدرس بها بلوم تأثر كاتب لاحق بسلف سابق من خلال استحضار عقدة أوديب في علم النفس الفرويدي ، فالشعراء الذين يدرسهم بلوم وهم شعراء الرومانسية البروتستانتية منذ سبنسر وميلتون (وبلوم ، للملاحظة ، تطورٌ لناقد جديد من جامعة ييل وزميل لومسات وكلينث بروكس ، وروبرت بن وارن الآباء المؤسسين للنقد الجديد في أمريكا كما يحرص روبرت كروسمان على التذكير)[١٢٤] . إن هؤلاء الشعراء الذين يدرسهم بلوم «ظلوا يعانون من وعيهم بكونهم متأخرين في الزمن ، ويخشون نتيجة لظهورهم المتأخر في التاريخ ، من أن يكون آباؤهم من الشعراء قد استنفذوا كل الهام متاح ، فيعانون كرهاً أوديبياً للأب أو رغبة يائسة في انكار الأبوة ، ويؤدي كبت مشاعرهم العدوانية إلى استراتيجيات دفاعية متباينة ، فلا توجد قصيدة تنهض بذاتها ، بل هي تتخلق دائماً في علاقة بغيرها .

ولذا كان الشاعر المتأخر في الزمن لابد له من الدخول في معركة نفسية لخلق مساحة تخيلية يتمكن معها من الكتابة اللاحقة»[١٢٥] ، وما ينطبق على الشاعر ينطبق على الناقد ، «يصبح النقد ، تبعاً لذلك ، تضادياً أيضاً ، كسلسلة من الانحرافات وراء أفعال فريدة من سوء الفهم الخلّاق» .[١٢٦] أو كما يوضّح بلوم ، في موضع آخر : «النقاد يكونون أقلّ أو أكثر قيمةً من نقاد آخرين فحسب تماماً كما أنّ الشعراء هم أقلّ أو أكثر قيمةً من شعراء آخرين . فكما أنّ الشاعر

---

(١٢٣) بلوم : المرجع السابق ، ص٩ .

(١٢٤) انظر :

- كروسمان ، روبرت : أهناك شئ كسوء التفسير؟ . ضمن : النقد والنظرية النقدية . جيرمي هوثورن ، ترجمة : عبدالرحمن محمد رضا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٢٠ .

(١٢٥) سلدن ، رامان : النظرية الأدبية المعاصرة . ترجمة جابر عصفور ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٦٠ .

(١٢٦) بلوم ، هارولد : قلق التأثر . مرجع سابق ، ص١٠٣ .

يجب أن يجد هويته من خلال ثغرة يجدها في السلف ، كذلك الأمر بالنسبة للناقد . الفرق هو أنّ للناقد أهلاً كثيرين . أسلافه هم الشعراء والنقاد»[١٢٧] .

لقد أُتيح لأفكار هارولد بلوم عن هذه التخييلات الدفاعية التي تمتزج بأي قراءة لاحقة على قراءة سابقة ، محدثة سوء الفهم ، أن توفر نظرية عامة لما يمكن اعتباره سلوكاً تكوينياً للقراءة والتفسير والتأريخ الأدبي[١٢٨] . وهكذا يغدو بالإمكان النظر إلى جهود النقاد العرب في قراءة التفكيك ، إذا ما اتخذنا بلوم في زمرة الأدلاء ، بوصفها مواجهات من أجل تحقيق الذاتي داخل اطار تاريخ من علاقات السيطرة والرغبة القلقة في التخلص من السيطرة .

وإذا ما استخدم المرء ألفاظ بلوم ، فإن قراءة النقاد العرب لدريدا والتفكيك ، هي نوع من اقتراف الذنب الضروري حتى يجسد القاريء طموحه نحو القوة ورغبته في اسباغ صيغة تنافسية يمرّ عبرها شكل استحواذه على النص الذي يقرؤه . فالنص المكتوب ، كما يفسره هارولد بلوم ، ليس تجميعاً لعلامات فوق الورقة ، بل ميدان معركة نفسية تقاتل فوقه قوى حقيقية من أجل الانتصار[١٢٩] .

ان كل ناقد هو في وضع الوجود بعد الحدث ، وما يقرؤه في نص النقد السابق الذي يتصدى له يتم ، في أفضل الأحوال ، عبر أشكال من المكافحة «من أجل اختيار ، من خلال القمع» ، كما يقول هارولد بلوم ، من آثار لغة سلفه ، «بمعنى أنه يقمع بعض الآثار ، ويتذكر بعضها الآخر . هذا التذكر هو

---

(١٢٧) بلوم : المرجع السابق ، ص١٠٥ .

(١٢٨) هول ، روبرت .سي : نظرية الاستقبال : مقدمة نظرية . ترجمة : رعد عبدالجليل جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص١٨٥ .

(١٢٩) انظر :

– بلوم ، هارولد : الشعر ، والتعديلية ، والكبت . ضمن : نظرية الأدب في القرن العشرين . تحرير :ك . م . نيوتن . ترجمة : عيسى علي الكاعوب ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٢٢٠ .

سوء فهم ، أو سوء تفسير ، لكنه بصرف النظر عن مبلغ قوة سوء الفهم هذا ، لا يمكن أن يحقق استقلال المعنى ، أو معنى حاضراً تماماً ، أي متحرراً من السياق»[١٣٠] .

إن الذي يحدث ، بحسب ما يشرح بلوم ، هو أن الناقد الذي ينقد على ناقد سابق يقدم نفسه بوصفه يبحث عن الحقيقة في النص النقدي الذي يقرؤه ، وهو يُقبِلُ ، من أجل المزيد من الإقناع ، مدججاً بترسانة من التقاليد والمعايير والأجهزة المفاهيمية كي تكتمل صورة البحث عن الحقيقة والمعنى الأعمق ، لكن هذا الناقد ، مع ذلك ، يبقى تحت سيطرة الرغبة والدوافع الغريزية ، والتفسير الذي يشرع في تكوينه ليس هو الأمر الأساسي الذي ينبغي أن تنصرف إليه أولوية الرصد ، لأن هذا التفسير ليس سوى المجاز الذي يكبت من خلاله الناقد قلق تأثره بالنص النقدي السابق له .

يريد بلوم بذلك أن يؤكد أن الناقد في كل استثماراته لنصوص أسلافه انما يبقى منشغلاً بتخيل أصله الخاص ، أو راوياً كذبة مقنّعة حول نفسه لنفسه ، وتنشأ قوة تفسيره عندما يقنع مثل هذا الكذب القاريء بأن أصله أعيد تخيله من خلال النص الأسبق[١٣١] .

من نافلة القول التذكير بأن مثل هذه النماذج التي تقدم ذكرها تنطوي على وفرة كبيرة من المناظير والإجراءات ، وهي من حيث كونها نماذج نظرية لا تدعي لنفسها رتبة النماذج المادية المستندة إلى معطيات تجريبية لموضوعاتها ، وإنما هي مصاغة من عناصر منتقاة في مجال الظاهرة المدروسة ، وفضيلتها أنها تقترح تعدداً في الفرضيات القابلة للتعديل والمراجعة والتنقيح بحسب ما يتيحه

---

(١٣٠) بلوم ، هارولد : من ضمن المرجع السابق ، ص٢٢١ .

(١٣١) أنظر (بتصرف) :

- بلوم ، هارولد : ضمن المرجع السابق ، ص٢٢٢ ، وهو يقول : «فالصورة الشعرية ، والمجاز ، والدفاع جميعاً أشكال للنسبة بين جهلٍ بشري يصنع الأشياء من نفسه ، ودمجٍ للذات يتحرك لتحويلنا إلى الأشياء التي صنعناها .»

الوصل الواعي بين معطياتها وفقاً لما يترجم قدرتها الإجرائية واسعافها التداولي فضلاً عن كفايتها التحليلية(١٣٢) .

ينتهي منطق العرض والتحليل السابقين إلى ملاحظة أن النماذج المتقدمة مرشحة لأداء دور المسابر المتعاضدة ، وفقاً للتوليفات التي تقتضيها الظاهرة المدروسة ، من أجل التقدم في دراسة الجهود العربية في قراءة التفكيك كاستراتيجية مطروحة في مجال الفكر النقدي ، وهذا يعني أن حضورها في المباحث المقبلة إنما يتخذ شكل الاستدعاءات من ذاكرة مرجعية تحفظ وتنسى وتنقّح وتعدّل دون أَنْ يمنع ذلك -كلما اقتضت الضرورة- من الجمع والمؤالفة أو الفرق والاختيار .

---

(١٣٢) وقد يحسن التنويه إلى أن المراد بالنماذج هاهنا يقترب مما يأخذ به غريماس وكورتيس من أنها سيمولاكرات Simulacres (البعض يترجمها بمماثلات أو أشباه) مؤسسة تتيح تمثيل مجموعة من الظواهر . وبتعبير آخر ، «هي بناءات مجردة وافتراضية يتم استخلاصها من النظرية في اطار المنهج الافتراضي - الاستنباطي ، وتنجز في نطاق لغات تمثيل ملائمة» . انظر :

- لكراري ، عبدالباسط : النمذجة وآفاق التنظير في الخطاب النقدي الحديث . مجلة فكر ونقد ، الدار البيضاء ، س١ ،ع٩ ، مايو ١٩٩٨ ، ص٦١-٧٤ ، ص٦٨-٦٩ . غاية ما يمكن قوله أن غريماس وكورتيس يشترطان في هذه النماذج أن تلبي مطابقة مزدوجة للنظرية من جهة وللمعطيات التجريبية من جهة أخرى بينما تعوّل هذه المباحث ، مقتفية إثر ريتشارد رورتي ، على الفاعلية الإجرائية والقدرة التوليدية والكفاية التفسيرية للنموذج . أي ان المحاولة ، التئاماً مع الحساسية الابستمولوجية الجديدة ، تذهب باتجاه اخراج مشروعية النماذج من المغالاة في المعيارية الضيقة إلى أفق يحتفظ للسبك النظري والمنطق المتماسك بكيانه النوعي الخاص .

الفصل الثاني

استراتيجيات التفكيك في

الفكر النقدي العربي

مادامت هذه الدراسة معنيةً بقراءة التفكيك الدريدي في الفكر النقدي العربي ، فإن السؤال الأبرز والأكثر الحاحاً بهذا الصدد هو : ما هي الاستراتيجيات التفكيكية في انتاج النقاد والمفكرين العرب ، وما المدى الذي بلغه التفكيك في هذا الانتاج؟

والسؤال الثاني الذي يمكن أن يطرح أيضاً ، ولعله لا يقل أهمية عن الأول ، هو : ما الأثر الذي تركه التفكيك في مناحي اجتهاد النقاد العرب ومفعولات تعاملهم مع النصوص والآثار؟

نريد أن نقول ، قبل ان تمضي الإجابة في سبيلها سرباً ، إن دراستنا لاستراتيجيات التفكيك عربياً ، ذاتُ طابع سبري واستكشافي ، وليست ذات طابع إحصائي . والسبب في ذلك يعود إلى غرض منهجي . فنحن نتطلع إلى الوقوف على الانتاج النقدي من خلال نموذجه الذهني الذي يشكل الرؤى والمقاربات (والتفكيك يمثل هنا هذا النموذج) أكثر من رغبتنا في انشاء مدونة نحصي فيها كل الآثار التفكيكية عبر كل سجلاتها وكل تواريخ ظهورها ، وإن كنا لن نهمل هذا الجانب اهمالاً كلياً في المقابل . وبهذا يكون توجه الدراسة استنباطياً وليس استقرائياً ، وتمثيلاً بالنماذج وليس احصاءً تتراكم فيه الأعداد ، وتحقيباً عَشرياً وليس تزميناً يومياً أو شهرياً أو سنوياً بالمعنى التطوري التعاقبي كما هو الشأن في الدراسات التاريخية .

وإذا كان هذا هكذا ، فإن الكم الكثير لا يشكل بالنسبة إلينا تأكيداً لحضور التفكيك في الفكر النقدي العربي ، كما إن قلة الكم لا تعد تأكيداً لغياب التفكيك في هذا الفكر . ولقد نعلم ، من وجهة أخرى ، أن دراسة الظاهرة شيء ، وتتبع مرات حدوثها عدداً وتكرار هذا الحدوث شيء آخر .

غياب التفكيك وحضوره في الفكر النقدي العربي .

يتراوح التفكيك ، غياباً وحضوراً ، بين ثلاث وجهات نظر :

- انعدام وجود التأثيرات البارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي .
- وجود تأثيرات بارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي .

- وجود تأثيرات متفاوتة للتفكيك في الفكر النقدي العربي .

أولاً : انعدام وجود التأثيرات البارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي :

لعل أبرز من يتبنى هذا الطرح جابر عصفور . وهو قد جهر بهذا الرأي في مواضع متعددة من كتاباته خصوصاً في أعقاب السجالية التي احتدمت بينه وبين عبدالعزيز حمودة إثر صدور كتاب الأخير «المرايا المحدبة . من البنيوية إلى التفكيك»[١] .

كان عبدالعزيز حمودة قد بنى كتابه ، في محور أساس من محاوره ، على قناعة مؤداها أن صخب النقاد ، في السنوات الخمس عشرة الأخيرة قبل صدور الكتاب في العالم العربي ، انما يخفي ، في الطوايا ، اغتراباً يتقنع بنقل البنيوية والتفكيك في حين لم يتحصل من هذه الممارسات سوى تزييف الحجوم الحقيقية لهؤلاء النقَلة على نحو ما يجري في الصور المكبرة داخل المرايا المحدبة التي تزيف واقعاً أقل حجماً وأكثر تواضعاً .

وقد اندفع جابر عصفور في الرد على ما جاء في كتاب حمودة عبر سلسلة من المقالات ، وكان من بين دفوعات وآراء جابر عصفور رأياً يتعلق بحدود حضور التفكيك ، باستراتيجياته ، وتطبيقاته ، ومصادره في المجال النقدي العربي .

---

(١) حمودة ، عبدالعزيز : المرايا المحدبة : من البنيوية إلى التفكيك . سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٨ . وقد صدر الكتاب في شهر أبريل من العام المذكور واحتدمت في إثر صدوره معركة نقدية ممتدة عبر صفحات جريدة أخبار الأدب المصرية (وجريدة الحياة اللندنية بشكل جزئي) ، وذلك خلال الفترة من أواخر مايو ١٩٩٨م إلى مارس ١٩٩٩م . وقد ساهم في المساجلات اضافة إلى جابر عصفور وعبدالعزيز حمودة مجموعة من الأسماء العربية أمثال محمد لطفي اليوسفي ، محمود أمين العالم ، محمد بدوي ، سعيد علوش ، فؤاد زكريا ، عبدالرزاق عيد ، حسن خضر ، يمنى العيد ، شوقي بغدادي وغيرهم ، الأمر الذي دفع بعضهم إلى تسمية هذه السجالات «معركة آخر القرن النقدية» .

يرى عصفور «أن التفكيك الذي يتجسد في كتابات دريدا على وجه الخصوص لم يجد، بعد، من يصدر عن مبادئه النظرية المحددة في النقد العربي المعاصر، وأن فلسفته النقضية لا تزال بعيدة عن التأثير الملموس حتى بالنظر إلى دائرة النقاد الأوروبيين أو الأمريكيين الذين ابتسر بعض النقاد العرب نصوصهم، وذلك لأسباب تتصل بشروط الأبنية الفكرية السائدة في علاقات الثقافة العربية»(٢).

وهو يعود إلى تأكيد ذلك في مقالة أخرى بقوله: «ما حدث من اقبال مغاربي نسبي، محدود جداً في النهاية، على ترجمة بعض كتابات دريدا، منذ أواخر الثمانينات، في موازاة ما سبقت إليه مجلة «فصول» المصرية بإسهامها الرائد، لا يدل على فارق جذري في عمليات استقبال هذه الفلسفة ما بين المغرب والمشرق العربيين، فكلا الجناحين لم يقترب اقتراباً حميماً من هذه الفلسفة بما يدخلها فعلياً في دائرة اهتمامات الخطاب الثقافي العام بتعدد قضاياه»(٣).

أما أسباب هذا التعارض الذي يقف عقبة أمام انتشار التفكيك في النطاق العربي فهي كامنة في «البنية العقلية الغالبة على الناقد العربي بهمومها الخاصة»، والمقصود بذلك، كما يلاحظ عصفور، هو انحياز الناقد العربي إلى الأفكار النسقية ذات العناصر المنتظمة ونفوره من الأفكار غير ذات المركز، أو العلة، أو المعنى الثابت(٤).

إن ضآلة حضور دريدا، وشحوب تأثير التفكيك في الثقافة العربية، هو ناتج، بصياغة أخرى أكثر تفصيلاً، عن تراجع الجامعات العربية وانصراف أغلب الأساتذة عن تطوير معارفهم، وخوف الكثير منهم من مغبة القمع نتيجة ترجمة

---

(٢) عصفور، جابر: حضور التفكيك. جريدة الحياة، لندن، ع١٣٤٤٣، الأربعاء ٢٩ ديسمبر ١٩٩٩م، ص١٧.

(٣) عصفور، جابر: انتشار دريدا. جريدة الحياة، لندن، ع١٣٥١١، الأربعاء ٨ مارس ٢٠٠٠م، ص١٩.

(٤) عصفور، جابر: حضور التفكيك. مرجع سابق، ص١٧.

فلسفات جذرية مثل تفكيك دريدا ، كما ان من أسباب ذلك عدم توافر المترجمين الأكفاء وعدم تشجيع المؤسسات التعليمية والثقافية ، اضافة إلى غلبة التيارات المحافظة على النقد العربي وتوجس الاتجاهات العقلانية الموجودة في الثقافة العربية من كل ما يربك مسلّماتها من مثل عملية النقض المستمرة التي تنبني عليها فلسفة دريدا[٥] .

وفي سبيل اسناد دعواه يحدد جابر عصفور الشروط أو المقاييس التي تتيح تأصيل حركة نقدية تفكيكية عربية من خلال ثلاثة جوانب ، يمكن التعبير عنها كما يلي :

١- تَمَثُّلَ المفاهيم الأساسية للتفكيك ، ويعني ذلك الإنطلاق من منظومة المبادىء النظرية الأساسية للتفكيك في شمولها الفلسفي وترابطاتها المعرفية وأصولها المنهجية وقواعدها الإجرائية .
٢- ترجمة الكتب التأسيسية للتفكيك ابتداءً بكتب دريدا الأولى وانتهاءً إلى أعماله الغزيرة في تتابعها المتوالي .
٣- تراكم التطبيقات التفكيكية العربية الجذرية ، الدالّة والمؤثرة على المستويين الكمي والكيفي ، بما يمكن أن يشكّل تياراً أو يصوغ تعاقداً بين مجموعة من النقاد .

ثانياً : وجود تأثيرات بارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي :

خلافاً للزاوية التي يعاين جابر عصفور منها وضع التفكيك في المحيط العربي ، يصر أحمد عبدالحليم عطية على بيان أثر جاك دريدا الذي «امتلأت بكتاباته ساحة الفكر العربي ، وشغلت به الثقافة العربية» ، وهو يؤكد رأيه فيقول : «لقد عرفت الثقافة العربية دريدا ، وترجم عدد من نصوصه ، وكثير من الدراسات حوله ، وشروح عليه للتعريف بفلسفته وتطبيق منهجه ، سواء في الفلسفة أو النقد الأدبي ، أو السوسيولوجيا . وقد نهض بهذا أسماء لامعة من

---

(٥) عصفور ، جابر : انتشار دريدا . مرجع سابق ، ص١٩ .

الباحثين ، وأساتذة الجامعات والمفكرون العرب من أقطار عربية كثيرة . بحيث يمكننا القول أن صاحب «هوامش الفلسفة» قد أصبح جزءاً من متن النص الفلسفي العربي المعاصر ، وانتقلت فلسفته إلى الحضور ، وتحولت أفكاره من المسكوت إلى المعلن عنه ، ومن اللامفكر فيه إلى المنقول منه»(٦) .

وبعد أن يفرغ عطية من الانشغال ببيان كيف عرفت مساهمات التفكيكيين طريقها إلى الفكر العربي ، وكيف تعامل المفكرون والنقاد العرب مع التفكيك ، وما هي المواقف التي تسجلت بهذا الصدد ، ينتهي إلى تقرير نتيجة قاطعة مصرحاً : «يمكن القول إن الكتّاب العرب لم يتركوا عملاً من أعمال دريدا إلا وتعرفوا عليه ولا جانباً من جوانب اهتمامه -خاصة المتأخرة- إلا وأعملوا فيه النظر قراءةً ودراسةً وترجمةً ونقداً . بحيث صار الآن مع ميشيل فوكو أكثر الفلاسفة المعاصرين استحواذاً على القاريء والمثقف العربي»(٧) .

وفي موطن التدليل على ما يذهب إليه ، يورد أحمد عبدالحليم عطية بعض مواضع الإهتمام التي شغلت من تعرضوا للتفكيك في ختام دراسته المطوّلة فيذكر من ذلك : اهتمام الباحثين العرب بالأصول الفلسفية التي نهل منها دريدا سواء لدى هيدجر ، أو نيتشه ، أو فرويد ، أو روسو وصولاً إلى أفلاطون . كما يشير إلى أثر الإعتناء بدريدا في اشاعة فكرة هدم الحدود بين الفلسفة والأدب . ويلفت النظر إلى ما صاحب الإهتمام العربي بالتفكيك من رواج موضوعات مثل «الكتابة» و «الأثر والدلالة» لدى بعض النقاد العرب ، كما يوجّه الضوء صوب القاموس الإصطلاحي في تداولات النقاد والمفكرين وما عرفه من دخول مصطلحات جديدة مثل «النقد المزدوج» لدى الخطيبي و«التأسيس في المختلف» عند مطاع صفدي و«خلخلة النص» لدى محمد

---

(٦) عطية ، أحمد عبدالحليم : التفكيك والإختلاف : جاك دريدا والفكر العربي المعاصر . ضمن : الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين ، كتاب قضايا فكرية . إشراف : محمود أمين العالم ، الكتاب الخامس والسادس عشر ، يونيو-يوليو ١٩٩٥ ، ص١٥٩ .

(٧) عطية ، أحمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص١٨١ .

أركون .

ومن ناحية أخرى يشير عطية ، استرسالاً في تعداد جوانب تأثير الاستثمارات التفكيكية في الفكر والنقد العربيين ، إلى اهتمام أصحاب فكر الإختلاف في العربية بقضايا ذات أصداء وترجيعات تفكيكية من مثل : قضية الهوية والذاتية بوصفها وحدة لمكونات وكيان لأجزاء ، وليس بوصفها نواة أولية أو وحدة أصلية ، وكذلك قضايا اعادة النظر في الفئات المهمّشة والثقافات المطمورة ونقد المركزية الأوروبية .. الخ .(٨)

ثالثاً : وجود تأثيرات متفاوتة التفكيك في الفكر النقدي العربي :

يصطف رأي محمد بدوي في مرتبة تكاد أن تكون وسطاً بين وجهة نظر جابر عصفور وما يذهب إليه عبدالحليم عطية . فهو يثبت وجود مفعولات للتفكيك تدل على اسهامه في رفد جنبات المشهد النقدي العربي وإن كان لا يسرف في اسباغ أحكام القيمة ، سلباً أو إيجاباً ، على أمثلة ومظاهر هذا الوجود . يقول بدوي ، في معرض التداخل ضمن السجاليات حول كتاب «المرايا المحدبة»» مبيناً مواضع اختلافه مع آراء جابر عصفور : «وسأختلف معه في رأيه الخاص بالتفكيك في الكتابة العربية ، فعلى عكس ما يرى هو ، فإنني أظن أن التفكيك موجود على أنحاء مختلفة في بعض الكتابات ، التفكيك الدريدي كأيديولوجيا لدى علي حرب ، الذي أصبحت أعرف ما سيقوله في أي قضية قبل قراءته . والتفكيك البارتي على نحو خلاّق في كتابة عبدالفتاح كيليطو ، والتفكيك الذي يعمل في خدمة رؤى أخرى في أعمال عدة»(٩) .

وامتداداً للرأي السابق قد يبدو بدوي مخالفاً لجانب آخر من الشروط التي

---

(٨) انظر :

- عطية ، أحمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص١٨٢-١٨٣ .

(٩) بدوي ، محمد : غواية القتل الرمزي : «المرايا ..» حكاية تخلط الحوادث وأسماء الأبطال بسوء نية . جريدة أخبار الأدب ، ع٢٩٥ ، ٧ مارس ١٩٩٩م ، ص١٤-١٥-٢٩ ، ص١٤ .

يضعها جابر عصفور كي يصح الحديث عن حضور التفكيك في التداول العربي ، وهو الشرط المتمثل في ضرورة انطلاق من يتعامل مع التفكيك من منظومة المباديء النظرية التفكيكية في شمولها وترابطها وأصولها وقواعدها . إذ من المبرر لدى بدوي أن «يلجأ بعض النقاد إلى وضع منجزات الآخر في سياق مغاير لما نشأت فيه . وعلى سبيل المثال قد يجد الناقد نفسه مضطراً إلى استخدام مفهوم الأيديولوجيا ، حتى ولو في صياغته الألتوسيرية ، مع مفاهيم تفكيكية ، برغم عداء دريدا لمفهوم الأيديولوجيا حتى بعد تعديل ألتوسير له ، ذلك أن الكتابة العربية مشدودة بقوة إلى هذا المشكل»(١٠) .

إن رأي محمد بدوي ، إذن ، يتوسط بين الرأيين السابقين له ، وهو يحاول أن يجد لتأثيرات التفكيك مساحة لا تقوم على التصور الأفلاطوني للنسخة بما هي محض تكرار للأصل ، أو لإعادة انتاج دريدا في الوسط العربي بما هو محافظة على أصول الكتابات المؤسِّسة بترابطاتها المعرفية واشكالياتها الحافة وعدتها الاصطلاحية . يقول محمد بدوي : إن «العلاقة بين الأصل والنسخة مناسبة لفحص مسار هذا الأصل والوقوف لدى نقاطه المفصلية . الأفكار هنا تقرأ من قبل واقع آخر ، هاجرت إليه لأنها استدعيت لتكون إجابة على أسئلة يطرحها من استدعوها»(١١) .

مناقشة الآراء السابقة :

إذا كان على المرء أن يلتفت إلى الدلالة المزدوجة التي يمكن أن تنطوي عليها الآراء السابقة ، فإن تلك الآراء لن تعكس ، حينها ، رؤى نظرية مجردة فقط ، معزولة عن شروط امكانها التي تتدخل في بناء وجهات النظر . إن ما يقتضي الإخضاع للفحص ، في هذه الحالة ، هو الدور الذي تؤديه مواقع أصحاب وجهات النظر الصراعية في تكوين آرائهم وبلورة ادلاءاتهم . يتعلق الأمر بأن

---

(١٠) بدوي ، محمد : فتنة القتل الرمزي . المرجع السابق ، ص٢٩ .

(١١) المرجع السابق ، ص١٤ .

يخضع الموقع الذي يشغله جابر عصفور أو أحمد عبدالحليم عطية أو محمد بدوي للتحليل النقدي نفسه الذي يمكن أن يتم اخضاع بناء موضوع النقاش (حضور التفكيك عربياً) له .

لقد جاءت الآراء الثلاثة السابقة داخل أجواء سجالية توجّه اتخاذ المواقف ، وتتحكم في استراتيجيات التعامل مع الإشكالات النظرية ، ورهانات الحلول ، واستهدافات التسلط الرمزي لدى كل طرف ، حيث يتصارع الجميع من أجل المحافظة على الوضع الذي يمثلونه في توزيع رأس المال الرمزي ، أو تغيير بنية هذا التوزيع وفقاً لما يخدم مواقع كل منهم في حقل القوى داخل المشهد النقدي .

يكتب جابر عصفور حول التفكيك «الذي لم يحضر إلى الساحة العربية» في غمرة سجالية محتدمة مع عبدالعزيز حمودة ، إذ كان الأخير قد انتهى في كتابه «المرايا المحدبة» إلى أن النسخة العربية للتجليات النقدية للحداثة الغربية لم تنجز ما هو أكثر من النقل المشوّه للنتائج الأخيرة للفكر الغربي ، ممثلاً في البنيوية والتفكيك دون أن تكون لها مقدماتها المنطقية أو القدرة على هز الجمود وتدمير التخلف وتحقيق الاستنارة .(١٢)

وكما يلاحظ شوقي بغدادي ، فإن عبدالعزيز حمودة كان يعد نفسه ، بمثل هذا الهجوم ، لمنازلة صعبة مع طائفة كبيرة من النقاد العرب «الذين سوف يغضبهم بالتأكيد تأليف كتاب يشكك في جهودهم ومراجعهم وتوجهاتهم» ، وهذا ما حدث فعلاً بعد صدور كتاب «المرايا المحدبة» إذ تصدى له هذا أو ذاك من المعترضين وفي طليعتهم الدكتور جابر عصفور الذي ورد اسمه في الكتاب المذكور أكثر من مرة شاهداً على الاضطراب الذي وقع فيه نقاد «الحداثة» منَظِّرين ومطَبِّقين وأشاعوه حولهم في فهمهم «البنيوية» خاصة ثم «التفكيكية»

(١٢) انظر :

- حمودة ، عبدالعزيز : المرايا المحدبة : من البنيوية إلى التفكيك . سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١١ .

وتبنيهم إياها مدرسة أدبية أساسية للنقد الأدبي العربي المحدث»[١٣] .

إن لفظة «خاصة» الملحقة بالبنيوية ، والدالة على أن فهم النقاد العرب للبنيوية «خاصة» هو قطب الرحى في السجال الذي سيدور ، هي ، ربما ، مفتاح استيعاب الطريقة التي سيبني بها جابر عصفور تدخلاته في الموضوع بعد ذلك .

لقد طرح جابر عصفور آراءه حول انتفاء حضور التفكيك ، للمرة الأولى ، بوضوح في مطالع ردٍ سيطول ويمتد على عدة حلقات بعد ذلك على ما كتبه عبدالعزيز حمودة جواباً عن ملاحظات كان عصفور قد أوردها قبلاً على كتاب «المرايا»[١٤] .

في المجمل كانت طروحات جابر عصفور ، في سلسلة ردوده ، ممهورة بطوابع حادة من العنف الرمزي ، «كما لو كان الدكتور حمودة كان يقصده هو شخصياً عندما انتقد في كتابه اتجاهات الحداثة ، وعلى رأسها البنيوية والتفكيكية في النقد الأدبي العربي المعاصر .» كما يلاحظ فؤاد زكريا[١٥] . ومادامت المقولات ، على نحو ما يتفق بيير بورديو مع دريدا وفوكو ، اشتقاقات عارضة ووسائل للسلطة الرمزية ذات فعالية تأسيسية ، وما دامت المعرفة متوجبة التفكيك[١٦] ،

---

(١٣) بغدادي ، شوقي : السجال بين الدكتورين «حمودة» و «عصفور» معركة خاسرة للطرفين . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٩١ ، ٧ فبراير ١٩٩٩م ، ص١٤ .

(١٤) انظر :

- عصفور ، جابر : حَشَفٌ وسوء كِيلَة : كتاب «المرايا المحدبة» سقطة علمية وإليكم الدليل الأول . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٨٠ ، ٢٢ فبراير ١٩٩٨ ، ص١٠-١٢ .

(١٥) زكريا ، فؤاد : انطباعات شخصية عن معركة غير مجدية . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٩٠ ، ٣١ يناير ١٩٩٩ ، ص١٤ .

(١٦) انظر :

- المدخل الذي كتبه ج .د . فاكونت ضمن : بورديو ، بيير - فاكونت ، ج . د . : أسئلة علم الاجتماع : في علم الاجتماع الانعكاسي . ترجمة : عبدالجليل الكور ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٣٢ .

فإن إثارة الأسئلة حول المسافة التي تفصل جابر عصفور عن الضرورات الخاصة المرتبطة بالمجال المدروس مهمة ودالة لأنها تتيح معاينة الكيفية التي يُسقط من خلالها جابر عصفور علاقته بالموضوع ، بغير وعي ، على رؤيته لمدى وجود التفكيك في المشهد الثقافي العربي .

ولئن صح أن ردود أفعال جابر إنما تنبع من جيشان منفعل ضد دعوى حمودة العريضة في محاولته لإنكار جهود البنيويين العرب واهدار منجزهم الذي تدشن عبر مجلة «فصول» والعديد من المظاهر والمؤتمرات والكتابات التي كان لعصفور القدح المعلى فيها ، وذلك الإنفعال هو ما لاحظه غير واحد من المتداخلين في معركة المرايا المحدبة[17] ، فإن المرء غير مضطر إلى المصادقة

(١٧) يرى محمود أمين العالم «أن هذه المعركة النقدية ليست أقل عنفاً وشراسة من تلك المعارك القديمة ، وإن كانت قذائفها من الكلمات الحادة الجارحة والحجج العاصفة القاصفة التي لا تسعى إلى حوار ، وإنما إلى الإدانة بل الإزاحة المطلقة للطرف الآخر علمياً وأخلاقياً! ولهذا اتسمت هذه المعركة الأدبية بحدة انفعالية ذاتية .» ينظر :

- العالم ، محمود أمين : على هامش معركة المرايا النقدية . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٨٨ ، ١٧ يناير ١٩٩٩ ، ص١٤ .

ويعلق شوقي بغدادي على منوال التطارح الذي اتبعه حمودة وعصفور فيقول : «أكاد أقول إن الأضرار التي نجمت عن طريقة النقاش وانحرافاته عن الموضوع الأساسي المطروح أفدح وأكثر بما لا يقاس من فوائده» ، ينظر :

- بغدادي ، شوقي : السجال بين الدكتورين «حمودة» و «عصفور» معركة خاسرة للطرفين! ، مرجع سابق ، ص١٤ .

ويشير فؤاد زكريا إلى وجود أمثلة عديدة في ردود جابر عصفور تتجاوز كثيراً الفعل نفسه في حدته وانفعاله وهو يعلق قائلاً : «الدكتور جابر كان يبالغ كثيراً عندما يعثر على هفوة في كتاب د . حمودة يمكن أن يقع فيها أي كاتب عن طريق السهو مثلاً . فهو يقيم الدنيا ولا يقعدها إذا وجد د . حمودة يكتب اسم أحد المؤلفين على أنه «نورثورب» وليس «نورثروب» ، وبعد ذلك يقف في وسط الشارع ويصرخ بأعلى صوته : انظروا! هل رأيتم مقدار الجهل وعدم التدقيق في هذا الكتاب؟» ينظر :

- زكريا ، فؤاد : انطباعات شخصية عن معركة غير مجدية . مرجع سابق ، ص١٤ .

الحرفية على ما قاله سعيد علوش، في معرض التعليق، حين قال: «لقد اتخذ الحوار مع جابر عصفور فرصة الرد المتعالي على مرايا عبدالعزيز حمودة، لأنها شوهت صورة الإعلام النقدي والأدبي لكاتب يكتب شهرياً بالعربي وأسبوعياً بالحياة ويتواجد في أقصى ما يمكن من الندوات والاحتفالات الثقافية، وهاهو قزم (المرايا المحدبة) يوقع عملاق (المرايا المتجاورة) أرضاً لا تحبل بالمألوف من المجاملات المعهودة في المنتديات والمجالس العليا»[١٨]، ولكن، وعلى الرغم من كل شيء، فإن العلاقة القائمة بين المواقع واتخاذ المواقف تلعب لعبتها داخل الحقل النقدي، ذلك «إن ما يصنع تاريخ الحقل هو الصراع بين المتحكمين والطامعين، بين حملة المنصب أو اللقب (كتّاب، فلاسفة، علماء، الخ) ومبارزيهم: فدخول الكتَّاب والمدارس والأعمال في مرحلة الشيخوخة هو نتاج صراع بين أولئك الذين مضى عليهم الزمن وبين الذين يكافحون في سبيل الاستمرار وهؤلاء الذين لا يستطيعون بدورهم أن يدخلوا لدائرة الضوء دون أن يطردوا للماضي كل الذين لديهم مصلحة في تأبيد الحاضر ووقف عجلة التاريخ»[١٩]. وفي هذا الضوء يمكن معاينة مواقف: جابر عصفور الذي يسحب التفكيك من دائرة الوهج كي تبقى المبارزة في ساحة البنيوية وحدها (وهي التي يستمد عصفور شطراً غير يسير من حضوره عبرها)، ومحمد بدوي الذي كتب بعض المحاولات المقتفية لآثار كيليطو «التفكيكية البارتية» ثم وقف به أدب المقام دون ذكرها حين راح يعدد أمثلة التفكيك في الكتابات العربية

---

(١٨) علوش، سعيد: مكر الحداثة السلفية بين «المرايا المتجاورة» . . . و«المرايا المحدبة». جريدة أخبار الأدب، القاهرة، ع٢٨٧، ١٠ يناير ١٩٩٩م، ص١٤. والاشارات في الاقتباس منصرفة إلى مجلة «العربي» التي تصدر بالكويت، وجريدة الحياة اللندنية، إضافة إلى كتاب الدكتور جابر عصفور «المرايا المتجاورة: دراسة في نقد طه حسين» الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٣.

(١٩) بورديو، بيير: أسباب عملية: إعادة النظر بالفلسفة. ترجمة: أنور مغيث، دار الأزمنة الحديثة، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٨٩.

مكتفياً بالمسكوت الضمني في القول «والتفكيك الذي يعمل في خدمة رؤى أخرى في أعمال عدة»[٢٠] ، ثم ، أخيراً ، عبدالعزيز حمودة الذي تبنى النقد الجديد في منتصف الستينات وابتعد عن الساحة حتى أوائل الثمانينات ، حيث صدرت مجلة فصول وتغيرت اتجاهات الخطاب النقدي دون مواكبة حمودة لذلك ، ثم عاد مزاحماً في أواخر التسعينات لينادي بلا مشروعية الخطاب المهيمن وبكونه نسخة مشوَّهة من اتجاهات هجرها أهلها في بلاد النشأة[٢١] . إن التبادلات الرمزية وفق هذه المواقع هي المسؤولة ، في التحليل

---

(٢٠) راجع العبارة ، وقد أَنِفَتْ الإشارة إليها في : بدوي ، محمد : غواية القتل الرمزي . مرجع سابق ، ص١٤ ، ويثبت صاحب البحث ، حصيلة حوارات شخصية مع بدوي ، رأي بدوي الذي يصدر عن قناعة بأنه يرى أن كتابته في دراساته الأخيرة تندرج ضمن أفق تفكيكي بارتي محاولة المزاوجة بين الاستراتيجيات التفكيكية وتوجهات بيير ماشيري وآخرين ، من اليسار الجديد ، وهو يرى أن رهان الكتابات الجديدة ربما تتعاظم حظوظه بالذهاب نحو التفكيك كأفق ، يعيد صياغة الوعد التحرري الواعي ، دون تحويل الممارسة النقضية إلى ايديولوجيا . ولعل من دراسات بدوي التي يراها محققة للـ «تفكيك في خدمة رؤى أخرى» ما يلي :

- بدوي ، محمد : الراعي والحملان : قراءة في الحمال والبنات . مجلة فصول ، القاهرة ، مج ١١ ، ع١ ، ربيع ١٩٩٤ ، ص١٣٩-١٧١ .
- بدوي ، محمد : موت الأحدب وقيامته . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١٣ ، ع٣ ، خريف ١٩٩٤ ، ص١٨٨-٢٠٠ .
- بدوي ، محمد : أمثولة العبد الأبق . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٥١ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٧ ، ص٢٨١-٢٩٨ .

(٢١) يصف محمد بدوي تحولات حمودة بالقول : «كتاب المرايا المحدبة بحث في النقد الأدبي ، لكنني أزعم أنه يقص لنا حكاية ، لها بداية وذروة ونهاية ، وهي حكاية المؤلف مع وظيفته كأستاذ للأدب :

- في سنة ١٩٦٥ عاد الدكتور حمودة من أمريكا متبنياً للنقد الجديد .
- من ٦٥-١٩٨٠ شغل بالتدريس والإدارة .
- بدءاً من الثمانينات صدرت مجلة «فصول» . تغير الخطاب النقدي . ==

الأخير، عن الضرب بسهم في محاولات جابر عصفور للدفاع عن رأس مال متحقق يستمد منه سلطته ومشروعيته المهيمنة، كما هي التي تقف وراء بلورة جانب من دوافع عبدالعزيز حمودة الثأرية إزاء مجايلين حققوا مشروعيتهم، على أرض الواقع بعد أن فاته القطار أو كاد. ثم هي المسؤولة، ولو في جزء منها، عن تساؤل محمد بدوي الممض، وهو الذي يمثل جيلاً تالياً جديداً، في ختام تعقيباته بما كان يختلج اختلاجاً بين سطوره طوال الوقت: «أليس دالاً أن الأستاذين المتحاورين لم يجرِ على ألسنتهما إسم واحد من غير جيلهما؟»(٢٢).

إن المواقف السابقة في هذه الحالة متوقعة ومنسجمة تماماً مع إطار الرؤية الذي يصوغ تجربة كل واحد من النقاد الثلاثة، فالمنتظر من ناقد تعمّد تكوينياً على تراث النقد الجديد (عبدالعزيز حمودة) هو أن يشجب رؤوس الأموال الجديدة التي تحقق سطوعها على حساب رصيده الرمزي (وهي البنيوية

== - لم يستطع فهم هذا الخطاب، شعور هو مزيج من الانبهار والعجز، في أحيان كثيرة كنت أنحي باللائمة على تدني معدل ذكائي، الفطري منه والمكتسب.

- سفره إلى أمريكا وانكباب على دراسة البنيوية والتفكيك.

- عودة إلى الوطن واليقين القاطع أن البنيويين والتفكيكيين لم يقدموا جديداً، فقط رأوا أنفسهم في مرايا محددة محدبة.

يمكن لنا - يواصل محمد بدوي - القول أن الحركة تتم على النحو التالي:

استقرار ويقين -خلل- محاولة لمجاوزة الخلل - عودة إلى اليقين.

حين عاد حمودة من الغرب كانت البنيوية تدخل محاقها، فيما كان التفكيك يفرض نفسه على الساحة الأمريكية، لذلك توهم آنذاك أن كتابة إيهاب حسن «جزء» من المزاج الأمريكي الخاص، من هنا لم تنفعه «قوقعة النقد الجديد» حين صحا على مدافع البنيوية، لعل هذا ما يفسر مشاعره الكاشفة عن الخلل، الذي كان لا بد من مجاوزته، استعادة للثقة المفقودة ربما، أو مزاحمة لزملائه ربما، أو لعله سعياً إلى موقع وظيفي .. الخ» انظر:

- بدوي، محمد: غواية القتل الرمزي. مرجع سابق، ص١٤.

(٢٢) بدوي، محمد: غواية القتل الرمزي. ص٢٨.

والتفكيك) وهذا ما كان في «المرايا المحدبة» ، والمتوقع من ناقد تألقت تجربته على خلفية الإسهام في المد البنيوي تنظيراً وترجمةً ونشراً وتطبيقاً (جابر عصفور) أن ينتقص مما قبل البنيوية ويتغافل عما بعدها حتى تبقى الهيمنة لاتجاهه ، أما محمد بدوي ، فهو مثل الجيل التالي ، الباحث عن مشروعية رمزية ، وبهذه الصفة فإن استشعاره سيكون على أشد درجات اليقظة لكل دبيب جديد ، وهكذا سيرى المحاولات التي في طور التشكل للتفكيك على الأرض العربية بوصفها كياناً ماثلاً ومرتسم الحضور .

أحمد عبدالحليم عطية ، الآخر ، لم يتخذ وجهة نظره بمنأى عن مواقع السجال والممكنات المعروضة بصورة لا واعية من أجل الظفر في صراعات توزيع رأس المال الرمزي ، والناظر في دراسته حول «جاك دريدا والفكر العربي المعاصر» سرعان ما يلحظ هذه السمة المحركة منذ المطالع ، إذ يشن عطية حرباً شعواء على المغربي سالم يفوت متهماً إياه بالادعاء أنه الوحيد الذي يهتم بالثورة المنهجية والتحول المعرفي المعاصر «وإن هذه المنهجية وهذا التحول المعرفي لا يجد قبولاً لدى غيره ، بل صداً لدى الكثيرين سواه ، ويسعى كي يجد صدى لمثل اهتماماته لدى أحد أعلام الفكر الفلسفي العربي المعاصر فلا يظفر بها»[٢٣] . وسواء تحققت الدقة أم لم تتحقق فيما ينسبه المصري عبدالحليم عطية للمغربي يفوت إلا أن المرء لا يتمالك دفع ما قد يجول ، في الإثر ، من اصطباغ وجهة النظر السالفة بألوان من التأثرات بالشروط الحافة بحقل التنافس وفضاءات التموقع : (مشتغل بالفلسفة ازاء مشتغل منافس آخر ، منتم إلى اقليم بمحاذاة منتم إلى اقليم آخر ، رهان على تملك المعرفة بمقابلة رهان مماثل مناقض . .الخ) .

لقد أوحت مطالع دراسة عبدالحليم عطية للقاريء بأن هذا الإنكار على سالم يفوت قد ارتمى في القلب من محاولة عطية لإثبات عكس الزعم الذي تصوره ، وذلك عبر تقديم الأسانيد الإثباتية الكافية ، على أن دريدا ، كنموذج

---

(٢٣) عطية ، أحمد عبدالحليم : التفكيك والإختلاف : جاك دريدا والفكر العربي المعاصر . مرجع سابق ، ص١٥٩ .

من نماذج الفكر المعاصر ، قد انتقل إلى الفضاء العربي ، وقد ثبت شيوع تداوله بما يقتضي « اعادة النظر في هذه الملاحظة ، فأغلب مؤلفات «دوسوسير» و«بشلار» و«فوكو» و«دريدا» قد ترجمت ، وعرفت ، ودرست في العربية ، بل إن الفكر العربي نفسه تعامل مع هذا التحول ، وتمثل كافة جوانب الجدة والطرافة فيه »[٢٤]!

على ان مما يعزز هذا الشعور ، بالنَفَسِ الصراعي في بناء عطية لموضوعه ، هو عودته ، قرب خاتمة مقاربته إلى النقد على سالم يفوت بالقول : « نجد المتابعة واللهاث خلف هذه التيارات تسابقاً في الحداثة واعلاناً للعصرية وكأن التفكير في الفكر الغربي ومتابعة أحدث تياراته فريضة اسلامية ، أو قل هو الفريضة الغائبة عند المثقف والكاتب والقاريء العربي . فمنذ اشارة سالم يافوت (هكذا!) والترجمات تتتابع والدراسات تتوالى تعرض لكل ما يتعلق بالتفكيك والاختلاف»[٢٥] .

وفي تعليقة كاشفة ومهمة أخرى يقول المصري أحمد عبدالحليم عطية : «لم يرَ يافوت من جهد فؤاد زكريا سوى كتابيه «نيتشه» و «الجذور الفلسفية للبنائية» ، وانه لم يشر إلى دور نيتشه في نقد الميتافيزيقا الغربية وفلسفة الحداثة التي ظهرت لدى هيدجر ثم فوكو ودولوز ودريدا . ورغم ادعاء الباحث المغربي أن الأساتذة المصريين لم يصلوا بعد إلى الحداثة وما بعد الحداثة مثل الباحثين المغاربة ، فإننا نكتفي هنا بالإشارة إلى ملاحظته مرجئين مناقشة موقفه من التحول المعرفي المعاصر وجهوده في نقل فوكو - الذي كان زكريا ابراهيم يقوم بتدريس فلسفته لطلابه المغاربة عام ١٩٧٤ - إلى دراستنا عن حفريات المعرفة ، أو ميشيل فوكو في الفكر العربي المعاصر»[٢٦] .

يتحوصل مما تقدم ردّ وجهات النظر الثلاث حول تأثيرات التفكيك في

---

(٢٤) عطية ، أحمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص١٥٩ .

(٢٥) عطية ، أحمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص١٨٢ .

(٢٦) عطية ، أحمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص١٨٤ .

المحيط العربي إلى نسبيتها، وشروط امكانها، والأدوار التي تؤديها مواقع القائلين بها في بلورتها وتكوينها. ولقد يتبقى في صدد هذه الآراء المتقدمة أن تجري الإشارة، في خاتمة المناقشة إلى الجوانب الثلاثة التي يقترحها جابر عصفور لقياس حضور التفكيك من عدمه في الحقل النقدي العربي وهي: تَمَثّل المفاهيم الأساسية للتفكيك، وترجمة الكتب التأسيسية للتفكيك، وتراكم التطبيقات التفكيكية العربية على المستويين الكمي والكيفي.

لا شك، أن قياس مدى تحقق درجة لائقة من الإنجاز، فيما يتعلق بالرائزين الأول والثالث هو بعض مما ينتظر أن تجيب عليه دراسة بعنوان «قراءة دريدا في الفكر النقدي العربي»، ولعله من بعض انشغالات الصفحات التالية من البحث. أما فيما يتعلق بالرائز الأوسط الذي عبّر عنه جابر عصفور بالقول: «الأهم من ذلك أنه لا توجد لدينا إلى الآن، حركة نشطة لترجمة أعمال دريدا، توازي ما يحدث على امتداد العالم كله، أو تكافؤه، فإلى اليوم لا تزال كتب دريدا الأساسية غير متاحة في اللغة العربية، ابتداءً بكتبه الثلاثة التأسيسية الأولى (عن الكتابة والإختلاف، ودراسة الكتابة، والصوت والظاهرة) التي صدرت سنة ١٩٦٧، وليس انتهاءً بما كتبه عن «هوامش الفلسفة» أو «مالارميه» ١٩٧٢، أو «غلاس» ١٩٧٤، أو «خربشة» ١٩٧٨، أو «كارت بوستال» ١٩٧٩ ... إلى آخر أعماله الغزيرة في تتابعها الذي لم ينته إلى العام الماضي. وأتصور أن هذه الملاحظة تقودنا إلى فهم السبب في هشاشة وضآلة ما كتب عن فلسفة دريدا باللغة العربية إلى اليوم، وعدم تأسيس مواقف نقدية معمقة من مجالات تفكيكه، وشيوع صور سوء الفهم أو الجهالة الفاضحة، إلا في ما ندر»[٢٧]، أما عن هذا الرائز فبالطبع لا يسع المرء ترديد الزعم الذي يعلنه أحمد عبدالحليم عطية من أن أغلب مؤلفات دريدا قد ترجمت، وأن الفكر العربي تمثل كافة جوانب الجدة والطرافة فيها. ولكن السؤال يغدو مطروحاً بقوة فيما إذا كان على المرء أن يصادق على صوابية هذا

---

(٢٧) عصفور، جابر: انتشار دريدا. مرجع سابق، ص١٩.

المقياس الذي يربط تأثير التفكيك في الوسط العربي بشرط ترجمة كل أعمال دريدا في تتابعها الغزير!

ويبدو أن جابر عصفور، نفسه، وهو الذي يقترح هذا المقياس يتناقض مع لوازمه في موضع آخر! ففي معرض المقارنة يضاهي عصفور حضور التفكيك «الضئيل عربياً» بحضور البنيوية الذي يرى أنه كان مصحوباً بأصداء قوية وأنه قد «أسهم في حدوث تغيير جذري في الكتابة النقدية العربية، وقلب بعضها رأساً على عقب»(٢٨).

إن الملاحظة التي تستدعي نفسها هنا هي ملاحظة متعلقة بموقع حضور البنيوية عربياً من تحقيق المقياس الآنف: هل حدثت بالفعل ترجمة لكل الكتب البنيوية التأسيسية في تتاليها الغزير، على نحوٍ يحول دون الضآلة والهشاشة وشيوع صور عدم الفهم؟

لا تسعف الأثبات البيبليوغرافية في المكتبة العربية، حد العلم، سوى للقول إن رومان ياكبسون، وهو من أهم الأسماء التي ارتبطت بالبنيوية في اللغة والأدب، لم تترجم له سوى خمس دراسات متفرقة جمعتها دار توبقال للنشر في كتاب وحيد(٢٩)، رغم أن ياكبسون توفي في عام ١٩٨٢، وترك قرابة ثلاثمائة وأربعة وسبعين كتاباً ومقالاً، فضلاً عن مائة من النصوص المختلفة في موضوعاتها موزّعة بين مقدمات ومقالات صحفية وقصائد شعرية(٣٠). وكذا الأمر مع ميشيل ريفاتير الذي لم يترجَم له إلى العربية إلا كتاب وحيد صادر

---

(٢٨) عصفور، جابر: حضور التفكيك. مرجع سابق، ص١٧.

(٢٩) ياكبسون، رومان: قضايا الشعرية. ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨.

(٣٠) انظر:

- بركة، فاطمة الطبال: في الذكرى العاشرة لوفاته: عودة إلى رومان جاكبسون عميد الألسنية البنيوية. جريدة الحياة، لندن، ع ١٠٨٣٠، ٤ أكتوبر ١٩٩٢، ص١٦.

في العام ١٩٧٨[٣١] ، رغم أنه صاحب الاتجاه البنيوي في الأسلوبيات ، وله ما يزيد على العشرة كتب ، والأربعين دراسة سوى العروض والردود وبقية الآثار[٣٢] ، بل إن كتاب لوسين غولدمان الأهم « الإله المختفي»[٣٣] ، لم يترجم حتى الآن إلى العربية رغم أن كل النقاد العرب الذين تعاطوا مع البنيوية

---

(٣١) ريفاتير ، ميشيل : دلائليات الشعر . ترجمة : محمد معتصم . كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٧ .

(٣٢) للإلمام بمؤلفات ريفاتير يمكن الرجوع إلى توطئة الترجمة العربية للمرجع السابق ، دلائليات الشعر ، صXVIII-XVI .

(٣٣) - Goldmann, Lucien: The Hidden God: A Study of TragicVision in the Pensees of Pascal and the Tragedies of Racine. trans: Philip Thody, New York, Humanities Press, 1964.

وقد لا يكون على المرء تثريب من جراء ايراد الاقتباس المطول التالي ، والمنقول عن جابر عصفور ، لما له من دلالة متصلة بتناقض جابر مع مقياسه ، يقول جابر عصفور : «ولكن علينا أن نتحدث عن هذا النوع من الشيوع بطريقة مغايرة على المستوى العربي لاستقبال كتابات لوسيان جولدمان ، خصوصاً أننا لن نجد حركة ترجمة إلى اللغة العربية موازية أو مكافئة لترجمته إلى اللغة الإنجليزية أو غيرها من لغات العالم المتقدم للأسف . لقد ظل الأمر لا يعدو ترجمة مجموعة من المقالات القليلة لجولدمان في الأغلب ، ولم يجاوز ذلك إلى كتبه الأساسية أو كتب البنيوية التوليدية بوجه عام . وإذا أضفنا تأخر التعرف العربي على أفكار جولدمان وكتبه ، إلى جانب ضآلة ما ترجم له إلى الآن ، وجدنا أنفسنا ازاء مظهر فعلي من مظاهر تخلف الثقافة العربية المعاصرة في متابعة ما يحدث في العالم من حولها ، ومن ثم عجزها عن الإسهام الفاعل في جانب مهم من جوانب المعرفة النقدية العالمية . ودليل ذلك أنه في مقابل ترجمة تسعة كتب لجولدمان إلى الإنجليزية من سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٨٠ لم يترجم إلى اللغة العربية كتاب واحد في هذه الفترة التي تمتد إلى ستة عشر عاماً ، والكتاب الوحيد الذي ترجم لجولدمان إلى الآن هو الكتاب الذي ترجمه بدرالدين عردوكي عن علم اجتماع الرواية سنة ١٩٩٢ بعد عقد كامل على وجه التقريب من شحوب الأضواء عن جولدمان .»
انتهى الإقتباس وهو منقول من :

- عصفور ، جابر : نظريات معاصرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ، ١٩٩٨ ، ص٩٤-٩٥ .

التوليدية يفترض فيهم أن يكونوا عيالاً عليه ، أقله من أجل تمثّل المفاهيم الأساسية في شمولها الفلسفي وترابطاتها المعرفية و أصولها المنهجية وقواعدها الإجرائية .

إن المرء ليأسف ، حقاً ، لكون ما تُرجم من مؤلفات أقطاب التفكيك لا يتجاوز الثمانية أو السبعة كتب ، بخلاف الدراسات والمقالات ، ولكن أليس هذا هو جزء من واقع حال المواكبة التي لا يقوَ على أكثر منها الفكر النقدي العربي في معطياته الراهنة . أليس حال المصادر التفكيكية ، في انتقالها العربي ، أسعد حظاً ، نوعاً ما ، من حال الشقيقة الكبرى : البنيوية ؟

قراءة التفكيك عربياً على مدارج الزمن :

تتوجه العناية فيما سيلي من تتبعات إلى استكشاف شبكات ومراحل وتجليات انتقال التفكيك إلى بيئات الفكر النقدي في الساحة العربية من خلال الترجمة والتعريف والمعارضة والاستثمار ، وذلك من منطلق مدرج زمني يستوعب حركة الهجرة والانتقال منذ الارهاصات البسيطة الأولى وصولاً إلى آخر ما يتجلى في جنبات المشهد ، على امتداد فترة تبدأ من مطالع العقد السبعيني من القرن العشرين وتتصل خلال العقود الأخيرة الثلاثةالتالية .

إن هذه التتبعات تمثل ما يشبه المسح الأفقي للجهود المبذولة في قراءة التفكيك داخل الفكر النقدي العربي (وإن لم تقتصر على المسح المجرد ، بل تطعِّمه بالاستنتاجات والمقارنة والتحليل في الكثير من الأحيان) ممهدةً بذلك للمقاربات التي تختص بالتبئير على نماذج محددة من هذه القراءات في الفصل التالي .

١) العقد السبعيني (١٩٧٠-١٩٧٩) :

على الرغم من أن تواتر الإشارات الواضحة إلى أن العناية العربية بالتفكيك وجاك دريدا لم تلفت الانتباه إلا في الثمانينات من القرن العشرين إلا أن الإرهاصات الأولى لانتقال التفكيك إلى التداول العربي.قد تسجلت من خلال

اشارات سابقة بعض الشيء . فلمناسبة صدور الأعمال الشعرية الكاملة لبدر شاكر السياب ، دار العودة - بيروت ١٩٧١ كتبت خالدة سعيد دراسة حول الشاعر لاحظت فيها انه «لم يتخلص من سلطان ذاكرته ، ولم يبلغ ما يسميه جاك دريدا ، «قلق اللغة» ، هذا القلق الذي يهز البنية الداخلية أو البنية التحتية للغة (إن صح أن نستعير للغة هذا التعبير السوسيولوجي) ومنطقها الخاص[٣٤] .

وفي اشارة مبكرة عابرة ورد التعريف المقتضب بجاك دريدا ضمن دراسة منشورة في مجلة الطريق البيروتية بعنوان «الاتجاهات الشكلية الجديدة في النقد الفرنسي المعاصر . جماعة TEL QUEL»[٣٥] . وتبين الدراسة المذكورة أن جماعة «تِلْ كِلْ» قد ارتأت في سنة ١٩٦٨ نشر الكتاب الموحد «نظرية المجموع» Théorie d'Ensemble الذي يضم أهم مؤلفات «التِّلْكِلِيّينْ» المنشورة في الصحافة ، وهو مرفق بثبت بمؤلفات أعضاء الجماعة . وإن محرري الكتاب «كانوا قد وضعوا نصب أعينهم ثلاثة مؤلفات ذات أهمية مبدئية بالنسبة للآراء النظرية للجماعة . وهي مؤلفات الفيلسوف م . فوكو ونظري الأدب وعالم

---

(٣٤) نشرت هذه الدراسة بعنوان «الحركة والدائرة» ضمن :

- سعيد ، خالدة : حركية الإبداع : دراسات في الأدب العربي الحديث . دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ ، ص١٢٩-١٣٩ ، ص١٣٨ . ويمكن للمرء أن يلاحظ شكلاً من أشكال التراكب القلق الذي يمكن أن يثيره جمع اهتزاز المنطق الخاص للنص عند دريدا من جهة مع البنية اللغوية التحتية بالمعنى السوسيولوجي من جهة أخرى .

(٣٥) رجيفسكايا ، ناتاليا : الاتجاهات الشكلية الجديدة في النقد الفرنسي المعاصر . جماعة «TEL QUEL» . مجلة الطريق ، بيروت ، ع٢ ، فبراير ١٩٧٥ ، ص٣٣-٤٧ . وقد نشرت المجلة الدراسة دون الإشارة إلى من قام بالترجمة وإن كانت قد أثبتت في مطلع الدراسة ما يلي : «تنشر الطريق هذه الدراسة عن مجلة العلوم الإجتماعية التي تصدر عن أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفييتي ، ع٣-٧٤ ، وهي مجلة فصلية تصدر باللغات الروسية والفرنسية والانكليزية والاسبانية والبنغالية واليابانية» ص٣٣ .

الإشارات ر . بارت وعالِم اللغة - عالِم الإشارات ج . دريدا ، الذين وإن كانوا غرباء عن الجماعة ، يتمتعون بنفوذ كبير بين المثقفين الإنسانيين الذين اختاروا مناهج البحث البنيوية»(٣٦) . وجاء في موضع آخر من الدراسة نفسها اشارة معززة أخرى تبين أن دريدا هو أحد الملهمين الأيديولوجيين للجماعة بالإضافة إلى جاك لاكان ورولان بارت(٣٧) .

ولعل أوضح نقاط العلام في التأريخ لبدايات الحضور الدريدي عربياً هي ما قامت به مجلة الثقافة الجديدة المغربية حين قدمت ترجمة محمد البكري لنص دريدا المميز -والذي طارت به شهرته- «البنية ، اللعب ، العلامة في خطاب العلوم الإنسانية»(٣٨) المنشورة في مجلة الثقافة الجديدة المغربية(٣٩) . وهي تعد من بين أوائل المحاولات العربية للوقوف على نتاج دريدا وتعريبه وتوسيع امكانيات تداوله . والملاحظ أن الأهمية الإستثنائية لنص دريدا السالف قد

---

(٣٦) رجيفسكايا ، ناتاليا : المرجع السابق ، ص٣٧ .

(٣٧) رجيفسكايا ، ناتاليا : المرجع السابق ، ص٣٩ .

(٣٨) ألقى دريدا هذا النص في أكتوبر ١٩٦٦ ضمن أعمال مؤتمر «لغات النقد وعلوم الإنسان» الذي نظمه مركز الدراسات الإنسانية في جامعة جون هوبكنز الأمريكية وقد نشر بعد ذلك ضمن أعمال المؤتمر ، انظر :

- The Structuralist Controveresy: The Language of Criticism and The Sciences of Man. Baltimore, Johns Hopkins University Press, 1970.

وأما من جهة دريدا فقد نشر هذه الدراسة ضمن :

- Derrida, Jacques: Writing And Difference. Trans.: Alan Bass, Routledge, London, 1978.

مع ملاحظة أن الإحالة هنا على الترجمة الانجليزية لكتاب دريدا ، وتحديداً على الطبعة الثانية الصادرة عن روتلدج في ١٩٩٠ ص٢٧٨-٢٩٣ .

(٣٩) انظر :

- دريدا ، جاك : البنية ، الدليل ، اللعبة ، في حديث العلوم الانسانية . ترجمة : محمد البكري ، مجلة الثقافة الجديدة ، المحمدية ، س٣ ، ع١٠-١١ ، ١٩٧٨ ، ص١٣٧-١٥٤ .

فرضت نفسها على التعاطي العربي مع المتن التفكيكي حتى لقد ترجم هذا النص -تحديداً- إلى العربية ثلاث مرات عبر ثلاث محاولات مختلفة . واللافت في ذلك أن محاولتين من أصل هذه المحاولات الثلاث قد صافحت القاريء العربي من خلال دوريات نقدية وفكرية مغربية ، فإلى جانب صنيع محمد البكري الذي تقدمت الإشارة إليه أنجز محمد بولعيش ترجمة أخرى للنص نشرت في مجلة «بيت الحكمة» ، وهي دورية مغربية متخصصة في الترجمات ضمن ميدان العلوم الإنسانية(٤٠) . أما الترجمة الثالثة فهي للناقد المصري جابر عصفور(٤١) .

في أجواء هذه الإرهاصات المحتشمة والخافتة ، إذا تم استثناء صنيع محمد البكري والثقافة الجديدة منها ، يحاول بعض الباحثين العرب التنقيب ، والتدليل على وجود حساسية نقدية تدل على توظيفات واعية للإستراتيجيات التفكيكية في الخطاب النقدي العربي خلال العقد السبعيني من القرن العشرين . هذا هو ما يفعله علي الشرع ، مثلاً ، حين يذهب إلى أن أدونيس

---

(٤٠) راجع :

- دريدا ، جاك : «البنية والعلامة واللعبة في خطاب العلوم الانسانية ، ترجمة : محمد بولعيش ، مجلة بيت الحكمة ، الدار البيضاء ، س١ ، ع٤ ، يناير ١٩٨٧ ، ص٩٣-١١٢ .

(٤١) انظر :

- دريدا ، جاك : البنية ، اللعب ، العلامة في خطاب العلوم الانسانية . ترجمة : جابر عصفور ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج١١ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٣ ، ص٢٣٠-٢٥٠ . وتمتاز الترجمة الأخيرة عن سابقتيها بوجود مقدمة للمترجم وبترجمة للحوارات والنقاشات التي أعقبت إلقاء دريدا للورقة ضمن مؤتمر جامعة جونز هوبكنز المشار إليه آنفاً . لقد تُرجمت هذه الحوارات التي ترجمها جابر عصفور من قِبَل مجلة الطليعة الأدبية العراقية في وقت أسبق ونشرت من دون نشر نص البحث الذي دارت التداخلات في أعقابه واكتفت المجلة المذكورة بالإشارة إلى أن نص البحث منشور في مجلة بيت الحكمة المغربية . ارجع إلى :

- «التفكيك : المركز واللعب» . مجلة الطليعة الأدبية ، بغداد ، ع٥-٦ ، ١٩٩٠ ، ص٦١-٦٤ .

يعتبر «المبشر للإتجاه التفكيكي في النقد العربي الحديث» ، وهو يقول «ان أدونيس استخدم مصطلح التفكيك استخداماً دالاً على تفهم سليم لحقيقة منهج الفكر التفكيكي ولحقيقة الجذور الفلسفية التي أوجدته . فقد سُئِلَ أدونيس ، في لقاء أجرته معه «البلاغ» سنة ١٩٧٣ ، السؤال التالي : إذن تعتقد أن تأسيس عصر جديد يفترض الإنفصال كلياً عن الماضي ، وأن التفكيك والتفتيت هما قاعدة كل ابداع . وأجاب أدونيس قائلاً : نشوء ثقافة جديدة يفترض نقد الموروث وتفكيكه . وعاد أدونيس للموضوع نفسه ليعالجه تحت عنوان ، بيان الحداثة ، ومما جاء عنده في هذا الصدد قوله : أن أعظم ما في الفكر الغربي اليوم هو تفكيك الغرب ، هيدغر هو المفكك الأعظم . لهذا أصف هيدغر بأنه غربي الولادة شرقي الأصل والتكوين»(٤٢) .

وفي سبيل تكريس أدونيس كبداية للتأثرات العربية بالتفكيك يورد علي الشرع العديد من الموافقات التي اتفق فيها رأي لأدونيس مع آراء للنقاد التفكيكيين حتى وان كان ذلك في وجهات عامة لا تثبت بها نسبة ولا يصح من خلالها تحقيق نسب ، فهو يقول مثلاً : «ويهدف أدونيس إلى النتيجة نفسها التي هدف إليها الناقد التفكيكي : باول دي مان وهي محاولة اكتشاف لحظة العمى في لحظة الإبصار . فأدونيس افترض أن الثقافة العربية الإسلامية قد طرحت أسئلة وانتهت إلى اجابات متوافقة ومنهجيتها الفكرية وطابعها العقائدي . والحداثة العربية ، برأي أدونيس ، لا بد أن تعيد طرح الأسئلة مجدداً متحاشية منهجية التفكير العربي الإسلامي ، علّها -أي الحداثة- تجد أجوبة جديدة . والملاحظ أن هذا الإفتراض هو عين ما يسمى لدى التفكيكيين بنقد المقولات الميتافيزيقية أو المسلمات التراثية في الحضارة الغربية»(٤٣) . ولعله من الواضح أن الاستشهاد السابق لا يخدم فكرة العمى والبصيرة عند دي مان ، أما

---

(٤٢) الشرع ، علي : التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب . مجلة دراسات ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية ، عمّان ، مج١٦ ، ع٣ ، ص١٩٦-٢١٦ ، ص٢٠٩ .

(٤٣) الشرع ، علي : المرجع السابق ، ص٢٠٩-٢١٠ .

الصلة بينه وبين نقد التمركز الميتافيزيقي في الفكر الغربي فهي أوهى من بيت العنكبوت .

على هذا المنوال تدرج القرائن الأخرى التي يحاول الشرع أن يجيِّرها لصالح فكرته ، فإذا وجد حديثاً عمومياً لأدونيس يتحدث فيه ، بروح شعرية ، عن كنس الرماد القديم من أجل أن تشتعل نار الجديد ، انتهى به ذلك إلى القول : «لقد تنبّه أدونيس ، كما تنبّه التفكيكيون إلى أن الخلاص من الأجوبة التراثية لا يمكن أن يتم إلا بالرجوع إلى التراث نفسه ، وبمحاولة تقويض أسس هذه الأجوبة»![٤٤] ، وإذا ألفى أدونيس يقول : «بما أن هذه الثقافة لا تزال سائدة حتى اليوم ، فإن إعلان نهايتها يتطابق مع نوع من العدمية ، غير أن هذه العدمية في المنظور الثوري ليست عدمية النهاية وانما هي وجودية البدء»[٤٥] رتب الشرع على ذلك ما يلي : «كلام أدونيس على العدمية والثورية الموجدة للحظة البدء لا يختلف كثيراً عما ذكره مللر Miller الناقد الأمريكي ، الذي رأى أن المنهجية التفكيكية تقوم في تعاملها مع التراث على أساس مبدأ المتطفل والمضيف ، أو على أساس قاعدة الإبن الذي يأكل جثة والده»[٤٦] .

وبالوسع القول ، بمناسبة محاولات الشرع الآنفة ، إنه قد لا يكون مستبعداً أن أدونيس قد اتصل ، بشكل ما من أشكال الإتصال ، ببعض طروحات التفكيك منذ أوائل السبعينات الميلادية من القرن العشرين ، وقد أشار البحث في موضع متقدم إلى ايراد خالدة سعيد ، زوجة أدونيس ، لاسم دريدا في غضون تقديم مجموعة شعرية للسياب ، إلا أن الاستشهادات التي أوردها علي الشرع فيها نصيب من التمحل وتحميل الأمور أكثر مما تحتمل ، فالمواضع التي

(٤٤) السابق ، ص٢١٠ .

(٤٥) السابق ، نفس الصفحة .

(٤٦) المرجع السابق ، ص٢١١ . ولا تختلف استشهادات الشرع الأخرى والتي تطلب في آراء أدونيس أصداءً تفكيكية عسيرة الإثبات عن الأمثلة المتقدمة من حيث آليات المقارنة والإستدعاء ، غير أن المقام يتلاءم مع التمثيل ويضيق عن الحصر .

تحدث فيها أدونيس عن «التفكيك» باللفظ قد خلت من الكثافة المفهومية التي تفترضها حمولة منهجية محددة ومنضبطة ، كما أن ثمة ما يُشعر بأن الحديث عن التفكيك كان مندرجاً في أفق «قبل دريدي» حيث يحضر هيدجر ويحضر التفكيك كـ«Destruction» وليس «Deconstruction» . أما المقارنات التي حاولت أن تربط بين آراء عَرَضية لأدونيس وبعض المعطيات التفكيكية التي سهر على بلورتها ، بدأب ، بول دي مان وميللر وغيرهما من أمثال مفارقات العمى والبصيرة وأفكار الضيافة وازدواجيات التطفل فقد تم الإشارة إلى تداعي الصلات المعقودة بينها قبلاً .

وكما ذهبت محاولات الشرع إلى تكريس أدونيس بوصفه مبشراً بالتفكيك ، على صعيد عربي ، سعت هذه المحاولات إلى اثبات أثر أدونيس «التفكيكي» على غيره من النقاد العرب بعد ذلك ، يقول الشرع : «ومن الدارسين أو النقاد الحداثيين العرب الذين استهوتهم المنهجية التفكيكية وخاضوا في قضاياها تحت اسم الحداثة ، خالدة سعيد ، ويمنى العيد ، وكمال أبوديب . ولقد كان لأدونيس أثر واضح في هؤلاء النقاد من حيث نوعية القضايا التي طرحوها ومن حيث منهجيتهم في معالجة هذه القضايا»(٤٧) ، ويخصص الشرع الشطر الأخير من دراسته لمناقشة «الأفكار التي قدمها أبوديب في المنهجية التفكيكية تحت اسم الحداثة»(٤٨) .

وعلى الرغم من أن الشرع يتلمس تأثرات كمال أبوديب بالتفكيك منذ مرحلة متزامنة مع دراسة الأخير المنشورة في مجلة «فصول» والمعنونة : «الحداثة / السلطة / النص»(٤٩) ، أي في العام ١٩٨٤ ، مما يعني ، في طرح الشرع ، أن هذه التأثرات قد تمت في العقد الثمانيني من القرن العشرين ، إلا أن لكمال أبوديب رأي آخر ، وهو الرأي الذي يدعو لمناقشة هذه الجزئية في حيز ما يتعلق

---

(٤٧) الشرع ، علي : التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب . ص٢١٢ .

(٤٨) الشرع ، علي : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤٩) أبوديب ، كمال : الحداثة ، السلطة ، النص . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٤ ، ع٣ ، ١٩٨٤ .

بالأشكال التي يمكن أن تكون الساحة العربية قد عرفتها في السبعينات من ارهاص التفكيك .

يقول كمال أبوديب : «حين طرحت مقولة التناقض باعتبارها جوهر الفن .. في دراسة عن أدونيس نشرت عام ١٩٧٦ ، وكنت قد كتبتها قبل ذلك بسنوات ، في هذا الوقت لم يكن أحد قد سمع برجل اسمه جاك دريدا لا في العالم العربي ولا في العالم الأنجلوأمريكي»(٥٠) . بل ان أبوديب يذهب في كتابه : «جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية» إلى ما هو أبعد حين يقول : «يعود انهيار المعنى في الثقافة الغربية فيما يبدو إلى زمن مالارميه . فقد حاول مالارميه تدمير العلاقات في اللغة من أجل تدمير المعنى وابراز الصوت والإيقاع وخلق عالم من الأصوات الجميلة . وقد ناقشت هذا التدمير للمعنى في دراستي للجرجاني في النصف الثاني من الستينات حين لم نكن بعد قد سمعنا باسم كاتب اسمه جاك دريدا»(٥١) .

ولعل هذا ما دعا جابر عصفور إلى التعليق : «لا أريد أن أجادل صديقي العزيز كمال أبوديب في تصوراته عن تحولاته النقدية ...... ولكن يبقى أن الانتقال من صيغة الثنائية البسيطة ، أو صيغة التناغم والتوحد إلى صيغ التعدد المتنافر ، أو التشظي المتجاور ، لا يعني الانتقال من بنيوية كلود ليفي شتراوس إلى نقضية جاك دريدا الذي يزعم صديقي العزيز أنه اكتشفها قبل أن يسمع أحد برجل اسمه جاك دريدا لا في العالم العربي ولا في العالم الأنغلوأمريكي . تؤكد ذلك القراءة المتأنية لكتابات كمال أبوديب التي اكتشفت التشظي مع انهيار الأنساق الكبرى في عالمنا العربي أولاً ، وعالمنا المعاصر ثانياً ، فاستبدلت بالبحث عن الوحدة البنيوية الثابتة نقائضها المتنافرة التي لا يتطابق فهمها

---

(٥٠) نقلاً عن :

- عصفور ، جابر : حضور التفكيك . مرجع سابق ، ص١٧ .

(٥١) أبوديب ، كمال : جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٦٣ .

بالضرورة وفلسفة جاك دريدا» .(٥٢)

إن حدود الدوائر المشتركة بين كمال أبوديب ودريدا هو ما سيكون أحد اهتمامات البحث في الفصل الثالث ولكن ما يمكن قوله ، لدى مناقشة الإرهاصات الأولى للتفكيك في مجال الفكر النقدي العربي ، هو أن محاولات الارتداد بالبواكير الأولى لإنشغالات كمال أبوديب بالتفكيك بحاجة إلى تمحيص وتقليب في وجوه الرصد التاريخي . وإذا كان علي الشرع يتغيّا إثبات توظيفات مبكرة لكمال أبوديب حاولت الإستثمار في التفكيك ، فإن ما يمكن أن يقال عن آليات الإستشهاد وطرائق الربط وعقد المقارنات ، في محاولات الشرع هذه ، هو عين ما قيل في صنيع الباحث وهلةَ أن حاول اثبات التبشير المبكر لأدونيس بالتفكيك في الساحة العرية .

يرى علي الشرع ان كمال أبوديب في دراسته التي تقدمت الإشارة إليها «الحداثة/ السلطة/النص» كان «قريباً جداً من توظيف معظم أفكار التفكيكيين دون أن يذكر التفكيكية ، أو يشير للمهتمين بها»(٥٣) . وهو يقرر ، في سبيل اثبات ذلك بأن «مصطلح الحداثة بالنسبة لأبوديب ، كما هو بالنسبة للحداثيين ، نظيراً تاماً لمصطلح التفكيكية» .(٥٤) وهكذا يسهل الانزلاق إلى تأليف أقوال عمومية لكمال أبوديب مع أشباه نظائر لها من مقولات ورؤى أقطاب التفكيك . فإذا كانت الحداثة (= التفكيك) هي «الصراع مع النموذج المحتوى الذي يتمتع بسلطة تمنع من مقاربته» عند كمال أبوديب ، فإن «هذا التصور للحداثة يتفق مع نموذج مللر Miller الذي وصف التفكيكية بأنها قوة عضلية توحي بتدمير النص الذي لا معين له ، وأنها في الوقت نفسه تعمد إلى بناء ما دمرته بشكل

---

(٥٢) عصفور ، جابر : حضور التفكيك . ص١٧ .

(٥٣) الشرع ، علي : التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب . مرجع سابق ، ص٢١٢ .

(٥٤) الشرع ، علي : السابق ، ص٢١٣ .

مختلف .»[٥٥] ثم إن كمال أبوديب يلتقي مع هارولد بلوم ، تبعاً لرأي الشرع ، لأن بلوم نفى السلطة المقدسة للنص . «وقد وجهت لهارولد بلوم بسبب هذا الرأي النقدي تهمة : خطيئة الناقد ، وهي التهمة نفسها التي يقف عندها كمال أبوديب ويحاول أن ينفيها بقوله : لكن تدمير القداسة في الحداثة ومقاربة الخطيئة يتخذان صورتين مختلفتين ، في كلتيهما رفض لمفهوم الخطيئة أصلاً ، أي رفض كل قيد على حرية الإنسان في البحث والإكتناه»[٥٦] .

وعلى هذه الشاكلة تمضي قرائن الشرع محاولة تصيّد الموافقات بين كمال أبوديب ودريدا مرة ، وبينه وبين بول دى مان مرة ، وبينه وبين جي هيلز ميللر ثالثة عبر مقارنات بين تعابير حمّالة أوجه ومنفتحة على دلالات متعددة .

٢) العقد الثمانيني (١٩٨٠ - ١٩٨٩م) :

اتضح مما تقدم بيانه أن سيرورة انتقال دريدا والتفكيك إلى حقول الفكر النقدي العربية ليست بدعاً في السيرورات المماثلة : ما يعاين أولاً هو ارهاصات وإلتماعات تتألق وتخبو ، وتتوارى وتعود دون أن تنتظم في مخرط واحد . هذا هو على الأقل ما ينبيء به المشهد السبعيني . أما العقد الثمانيني التالي فقد منح حركة الانتقال دينامية أبعد ، ومكّن للقراءة والتمثّل والإستثمار ظروفاً أفضل .

عرفت النصوص والمقولات التفكيكية طرقاً أوسع إلى القاريء العربي خلال تلك الفترة الزمنية ، وتعددت مظاهر النقل والتثمير والإستثمار لدى من استهوتهم أو لفتت انتباههم خطابات المفككين . ولعل المقتضيات المنهجية

---

(٥٥) الشرع ، علي : السابق ، ص٢١٣ وهو ينقل عن :

Miller, J. Hillis: " The Critic as Host " , Deconstration and Critism. Continum, New-York, 1979, P.7.

(٥٦) الشرع ، علي : السابق ، ص٢١٣ ، وهو ينقل قول كمال أبو ديب عن دراسته : الحداثة / السلطة / النص في مجلة فصول ، ص٥٩ .

تتطلب حصر المظاهر رغم تعددها ، وتنظيم التجليات رغم تشتتها ، وهذا ما يدعو إلى توزيع جنبات المشهد وتحديدها من أجل معاينة انتقال التفكيك وسفر استراتيجياته في اقبالها واستقبالها خلال هذه السنوات . من هنا سيوزع الإستعراض على أربعة محاور ، وهي :

I- فواتح التعامل العربي مع التفكيك في الميدان الفكري عبر اسهامات الخطيبي .

II- فواتح التعامل العربي مع التفكيك في ميدان النقد الأدبي عبر اسهامات الغذامي .

III- إسهام مجلة «فصول» في بواكير القراءة العربية للتفكيك .

IV- اسهامات جزئية أخرى .

I- فواتح التعامل العربي مع التفكيك عبر إسهامات الخطيبي :

في ١٩٨٠ افتتح عبدالكبير الخطيبي باب التعامل العربي الواسع مع التفكيك ، ففي ذلك العام صدرت ترجمات لثلاثة من كتبه دفعة واحدة[٥٧] . ومع أن اهتمام الخطيبي باستثمار الإستراتيجيات التفكيكية قد برز في لحظة أبكر من تلك المطالع ، إلا أن اعتماد التاريخ المذكور جاء انسجاماً مع محددات منهجية تتطلب ضبط المتن المدروس على نحو يحصر المادة في كتابات المؤلفين العرب التي نشرت بالعربية دون غيرها من اللغات ، ومعلوم أن مؤلفات الخطيبي

---

(٥٧) والكتب الثلاثة هي :

- الخطيبي ، عبدالكبير : النقد المزدوج . ترجمة جماعية ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .

- الخطيبي ، عبدالكبير : في الكتابة والتجربة . ترجمة : محمد برادة ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .

- الخطيبي ، عبدالكبير : الإسم العربي الجريح . ترجمة : محمد بنّيس ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .

وقد تجلت ذهابات الخطيبي التفكيكية في الكتابين الأول والثالث على وجهٍ أخص .

الأولى نشرت بالفرنسية ، لا يخرج من ذلك إلا نزراً يسيراً متبعثراً على أعمدة الصحف والدوريات .

لقد تكرّس التعامل مع الخطيبي ، في الفضاء العربي ، بوصفه أحد المفكرين الذين ساهموا في تنشيط الحوارات البنيوية وما بعد البنيوية في الأوساط الثقافية الفرنسية(٥٨) . واهتم غير واحد من الدارسين العرب الذين تعرضوا لأعماله بإبراز الشهادة التي سجلها رولان بارت في مقدمة كتاب : «الاسم العربي الجريح» بعنوان : «ما أدين به للخطيبي» ، أو ابراز نتف منها ، صنيع الكيلاني وأفاية(٥٩) ، كما عنى آخرون بإبراز عرض دريدا لأفكار الخطيبي ضمن كتاب الأول : أحادية اللغة لدى الآخر ، الصادر عن دار غاليليه بباريس ١٩٩٥م(٦٠) .

إن توارد مثل هذه المؤشرات يدل ، دلالة مميّزة ، على اندغام رؤى الخطيبي في حموة الجهود العربية التي اتصلت بالتفكيك واستثمار استراتيجيات

---

(٥٨) انظر :

- محفوظ ، أحمد : الجابري ، العروي ، الخطيبي : بعض أبرز تيارات ومحاور الفكر السياسي الاجتماعي في المغرب ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٧٨٣ ، السبت ٢٧ مايو ١٩٩٥ ، ص١٩ .

(٥٩) انظر :

- الكيلاني ، مصطفى : النقد والنقدي الفاعل في كتابات عبدالكبير الخطيبي . مجلة الآداب ، بيروت ، س٣٧ ، ع٥-٦ ، مايو- يونيو ١٩٨٩ ، ص٢٢-٣١ ، ص٢٥ .

والدراسة عبارة عن ورقة قدمت في الملتقى الثامن لابن رشيق في النقد الأدبي بالقيروان ، الذي انعقد في ١٢-١٤ مايو ١٩٨٩ .

وانظر كذلك :

- أفاية ، محمد نورالدين : المتخيل والتواصل : مفارقات العرب والغرب . دار المنتخب العربي ، بيروت ، ط١ ، ص١٤٧-١٤٨ .

(٦٠) داغر ، شربل : كتاب «أحادية اللغة لدى الآخر» : جاك دريدا يدافع عن التخالط والتلوث ، إلا في لغة يعتبرها وعداً مستمراً . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٢٣٧٣ ، الأحد ١٢ يناير ١٩٩٧ ، ص١٩ .

الإختلاف في الإنتاج الفكري والنقدي ، وإن عمل الخطيبي من هذه الوجهة «يعزز موقعنا في النقد الدريدي لميتافيزيقيا الواحد والهوية والعلامة» كما لاحظت ، محقّة ، كريستين بوسي - غلوكسمان[٦١] . وهو يحيل بوضوح على جاك دريدا في رصد الكيلاني[٦٢] ، و «يحمل شيئاً من التأمل الدريدي» كما يرى بختي بن عودة[٦٣] ، إلا أن مثل هذه الإحالات والاستفادات من التفكيك لا تحول دون تركّب مقاربات الخطيبي وتوظيفها لمعطيات مناظير متعددة . ينطبق هذا الوصف على كتب الخطيبي الثلاثة التي صدرت في مطالع الثمانينات المعنية هنا كما ينطبق على مجمل كتابات الخطيبي . ففي خاتمة ورقة قدمت ضمن ندوة لتقويم حصيلة ربع قرن من الفلسفة بالمغرب ، يتطرق عبدالسلام بنعبدالعالي لملاحظة كثيراً ما تُثار حول أعمال عبدالكبير الخطيبي ، ملاحظة تتعلق بعدم تقصي الأخير لأصول المفاهيم الموظفة ، وعزوفه الواضح عن اقتحام باب الشروح والتعليقات التي تتطلبها كل متابعة لتاريخ الفلسفة ، مما يضع أعماله في بابِ اللغو واللعب المجرد بالكلمات لدى بعض مستقبليه على الأقل[٦٤] ، تتصل هذه الملاحظة بما كان قد أشار إليه مصطفى الكيلاني[٦٥] من أن نتاج الخطيبي في «في الكتابة والتجربة» لا يستقر في منهج محدد ، وينتقل

---

(٦١) بوسي - غلوكسمان ، كريستين : الفتنة أو اختلاف الحبّ ، الذي لا يمكن تذويبه . ترجمة : كاظم جهاد ، ضمن :

- الخطيبي ، عبدالكبير : المناضل الطبقي على الطريقة التاوية . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٦٢ .

(٦٢) الكيلاني ، مصطفى : النقد والنقدي الفاعل . مرجع سابق ، ص٢٦ .

(٦٣) بن عودة ، بختي : في ضيافة الخطيبي - الكتابة الأخرى . مجلة الكرمل ، نيقوسيا ، ع٤٠-٤١ ، ١٩٩١ ، ص٢٩٩ .

(٦٤) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : التراث والهوية : دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب . دار توبقا للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص ٤٤-٤٥ .

(٦٥) الكيلاني ، مصطفى : النقد والنقدي الفاعل . ص٢٥ .

في كثير من الإضطراب بين مختلف المفاهيم النصية الجديدة وعلم الإجتماع الأدبي والثقافي وعلم النفس التحليلي ، وهو ملمح يتعمق في كتابة الخطيبي ، من وجهة نظر الكيلاني أيضاً ، بالإشارة إلى كتاب «الإسم العربي الجريح» كذلك ، حيث يمزج بين مراجع تختلف في الماهية والوجهة . ويتداخل المبحث الأنطولوجي مع الوسائل الإجرائية فيلتقي دي سوسير وليفي شتراوس ودريدا ونيتشه في سياقات مشتركة تخل بمبدأ الإختلاف ، ويتعايش هؤلاء وغيرهم في مجالات لا يمكن الإلتقاء فيها(٦٦) .

وقريب من هذا النقدالذي يمس اللغة المفاهيمية ، نقد يدلي به محمد نورالدين أفاية فيما يختص بتوظيف الخطيبي لإستراتيجيات الإختلاف والتفكيك في محاولاته (التي يستثني منها «الإسم العربي الجريح») . يقول أفاية عن الخطيبي : «إن أغلب نصوصه الأخرى تظهره وكأنه صدى لبعض الأساتذة الفرنسيين . . . أما على مستوى الفكر النظري ، فإن المرء المتعود على قراءة فلاسفة الإختلاف ليلاحظ على كتاباته اجتراراً للأفكار ، وخفة ظاهرة في المفهوم ، وذلك بالرغم من التجائه إلى الكلمات الفرنسية الضخمة التي لا تعمل ، في كثير من الأحيان ، إلا على إضاعة فرص التواصل بين النص والقاريء»(٦٧) .

وإزاء مثل هذه الإيرادات لا يخلو الأمر من استقبال آخر لعلاقة الخطيبي بالمفهوم ، استقبال دافع عن تحولات الخطيبي وعدم تقيده بطريقة منهجية واحدة في التحليل ، واندفع بعض هؤلاء المستقبلين ، بحماس ظاهر ، ليقرر أن استخدام الخطيبي لمصطلح واحد يرقى إلى مستوى المنهج أحياناً ، وإن استخدام مصطلح نقدي مركزي مثل «التداخل السيميولوجي» الذي طرحه ياكبسون جعل كتاب «النقد المزدوج» يتملك مجال تحليله إثر التوسعة التي أدخلها الخطيبي على

---

(٦٦) السابق ، ص٢٨ .

(٦٧) أفاية ، محمد نورالدين : المتخيل والتواصل . مرجع سابق ، ص١٥٩ .

المصطلح» بإبداع يكاد يكون معجزاً»[٦٨] .

بين هذا وذاك من الآراء المتقاطبة حول وجهتي نظر في اللغة المفاهيمية للخطيبي، كانت الخطوط العريضة لإنشغالاته تنشر رؤية مختلفة للقارىء العربي من خلال اتجاهها نحو تفكيك مفاهيم الكلية والأصل والهوية والحقيقة والوحدة والعلامة . وكان الخطيبي، رغم قلة عنايته بالإحالة يهتم بالتنصيص على إفادته من دريدا في العديد من مواضع كتاب «النقد المزدوج» على الخصوص[٦٩] .

ومهما يكن من أمر فإن التأثير الأبعد لكتابة الخطيبي المصبوغة بمناخ التفكيك ضمن نطاق التداول العربي، كان يتمثل في شق مجرى من بعدها للعديد من الكتابات العربية التي ستتراسل مع الخطيبي ومع مرجعياته وجمالياته التعبيرية، لا سيما وأن عبدالكبير الخطيبي ينتج كتابة عابرة للأجناس، والشعري فيها منشبك، أيما انشباك، مع الفكري كما يلاحظ محمد الزاهيري حين يقول : «إن عملاً كعمل الخطيبي لا يمكن أن يخضع لقراءة من نمط تقليدي . ذلك أن نصوصه تعهد إلى استراتيجية كتابة تحدد شعرية خاصة وتسير، حتى عبر الفكر، في اتجاه القصيدة . من هنا أمكن الكلام لديه عن «فكر شعري» . فكر يقوم على تضافر بعدي الفكر والكتابة والتحامهما نهائياً . وهو نفسه ما يدعوه الخطيبي بـ «الفكر الآخر» الذي ينتج أواليات اختلافه في عناصر كتابته ذاتها، بدل أن يحول هذا الإختلاف، كما

(٦٨) بنّيس، محمد : ملاحظات (مقدمة المترجم لكتاب الاسم العربي الجريح)، ضمن :

- الخطيبي، عبدالكبير : الاسم العربي الجريح . دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص٨ .

(٦٩) راجع :

- الخطيبي، عبدالكبير : النقد المزدوج . مرجع سابق، الصفحات ٥٠-٥٧-٦١-٨٥-١٢٧ .

يفعل بعضهم ، إلى مجرد شعار ومطالبة ودعوة»(٧٠) .

وعلى غرار هذه الكتابة المهجوسة بالشعر ، والتي نافح عنها قبلاً هيدجر ودريدا ، ستأتي في إثر «النقد المزدوج» و «الاسم العربي الجريح» التماعات من الكتابات العربية ذاتها في هذا المجرى ، كتابات تنتج أوليات الإختلاف في الكتابة ذاتها وينتجها الخطيبي ولفيف من المحتفين به ترجمةً وحواراً وتناصاً من أمثال : كاظم جهاد ومحمد بنّيس والمعطي قبّال ومحمد الزاهيري وفريد الزاهي وعبدالوهاب المؤدب وبختي بن عودة ومحمد البلغيثي وغيرهم .

ولعل من أوائل الآثار التي ستعرفها العربية ، ترجمةً ، على هذا الطريق هو عمل الخطيبي نفسه « الذاكرة الموشومة» الذي سيترجمه بطرس الحلاق خلال النصف الأول من العقد الثمانيني ، في العام ١٩٨٤ تحديداً (٧١) .

لقد دشّن الخطيبي بهذه الإصدارات والنصوص فسحة اختبارية مهمة سمحت بتدفق بعض مذخورات التفكيك إلى الحقول العربية عبر لعبة مفتوحة على انفساح الحدود بين الأجناس ، وخلخلة المعابر في انتقال المعنى ، لعبة

---

(٧٠) انظر الإقتباس ضمن :

- جهاد ، كاظم : عبدالكبير الخطيبي في مدينته «الجديدة» . تكريم متعدد الأصوات لعاشق اللسانين . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، الأثنين ٦ أغسطس ١٩٩٠ . ص٤٠-٤١ . والمقتطف من قول الزاهيري ورد ضمن مداخلة له حول الخطيبي والكتابة ، أُلقيت ضمن ملتقى المجلس البلدي لمدينة الجديدة المغربية لتكريم الخطيبي والذي عقد بالجديدة بتاريخ ١١-١٢ يوليو ١٩٩٠ بمشاركة عدد من الكتاب العرب والفرنسيين .

(٧١) الخطيبي ، عبدالكبير : الذاكرة الموشومة . ترجمة : بطرس الحلاق . المؤسسة العربية للدراسات والنشر- سمير ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٤ . (دار الرابطة ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٨) . وهذا هو أول عمل أدبي يصدره الخطيبي ، حيث صدر بالفرنسية عن دار بونويل عام ١٩٧١ ، وهو في واقع الأمر سيرة ذاتية كتبها الخطيبي في سن مبكرة ليعرض حقب التحولات العامة والشخصية التي مر بها ، وقد استرعت هذه السيرة الأنظار في ميسمها الخاص بين الوفاء لطفولة ومناخ وهواء وبين ضرورة خرق اللغة المستوردة المفروضة التي طبعت جميع مراحل التلقين .

قوتها كامنة في إشكالية العلاقة بين المعرفي والجمالي ضمن النسيج الكتابي متعدد الطبقات . والخطيبي يعتبر كتبه ، في ذلك ، «بمثابة «شواخص» محض نصوص : لن أجرؤ على الحديث عن مؤلف – يقول الخطيبي – أدافع عن قوى حياة بمنحها أشكالاً فنية . أحاول خدمة هذه الطاقات بقولبتها في شكل جمالي . هذا هو الذي يهمني وهو يحرر طاقة كثيرة»(٧٢) .

II- فواتح التعامل العربي مع التفكيك في ميدان النقد الأدبي عبر اسهامات الغذامي :

وتعزيزاً لإمكانات التأشير على العام ١٩٨٥م بوصفه علامة ملحوظة في التدليل على تزايد الاهتمام العربي بقراءة دريدا ومحاولات توظيف استراتيجيات التفكيك والإلتفات إلى حضورها الشاخص في الحقول الفكرية والنقدية ، يمكن الإشارة إلى الأصداء التي أثارها صدور كتاب الناقد السعودي عبدالله الغذامي «الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية Deconstruction»(٧٣) ، وهو أول كتاب عربي يحمل في ثنايا عنونته مصطلح الـ Deconstruction أو التفكيك رغم أن الغذامي الذي يترجم المصطلح بـ«التشريحية» سيوضح أنه لا يقصد بالمصطلح ما يريده دريدا منه لاحقاً .

يشكل إصدار «الخطيئة والتكفير» نقطة انطلاق للحظة خاصة في الحالة الثقافية السعودية في المستوى الأول ، و الإقليمية والعربية في مستوىً تال . لقد هز الكتاب المسلمات بعنف محدثاً دوياً ملحوظاً في أوساط التلقي ، كاسراً أفاق

---

(٧٢) بن عودة ، بختي : ظاهرة الكتابة في النقد الجديد : مقاربة تأويلية (الخطيبي نموذجاً) . بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الحديث بجامعة وهران ، الجزائر ، ١٩٩٤/٩٣م ، ص ١٨٣ . وهو ينقل عن :

Khatibi, Abdelkebir: Ouvrage Collectif. Dar-al-asas Okad, Rabat, 1990, p.p. 140.

(٧٣) الغذامي ، عبدالله : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية Deconstruction . النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط١ ، ١٩٨٥ .

توقعها حتى ليذكر الغذامي أن مجموع ما تحصل في أرشيفه من كتابات حول كتابه الآنف قد قارب المائة والتسعون تناولاً(٧٤) ، وهو يتابع مفعولات تلك الإنطلاقة فيقول : «أنا أعتقد أنه في السنوات العشر الماضية صار الناس يتحدثون عن البنيوية وعن ما بعد البنيوية ، منذ ١٩٨٥ وإلى الآن صار الناس يتحدثون عن مصطلحات التشريحية ، وموت المؤلف . . . الخ ، الذي يفهم والذي لا يفهم ، الذي معها ، والذي ضدها ، فكان هذا جزء من الذي يمكن أن نسميه بـ»تسويق الثقافة» ، وفعلاً جرى تسويق الثقافة ، فالكتب التي ظهرت في تلك الفترة ، بيعت بأرقام خيالية والمقالات والبحوث التي كتبت في تلك الفترة استهلكت على مستوى عريض جداً . كمثال : أنا لا أجد كتاباً من كتبي اليوم ، يباع مثل كتابي «الخطيئة والتكفير» بعد صدوره في العام ١٩٨٥ ، بيعت منه أرقام خيالية لم أحلم بها ، ولا أتصور أن تحدث»(٧٥) ، ولعل ملمح الجدّة والعدة المفهومية غير المعهودة في كتابات نقدية عربية سابقة هو ما دعا فاضل ثامر إلى إكساب كتاب « الخطيئة والتكفير» ريادة عربية في مجاله بوصفه « أول دراسة نقدية عربية تعلن انتماءها لمنهج القراءة التفكيكية من وجهة نظره»(٧٦) . أما معجب الزهراني فيؤكد على الدور الحاسم الذي لعبه الكتاب ، في دائرته الإقليمية ، من منطلق كونه «أول وأهم محاولة جادة لطرح القضايا الجمالية المتعلقة بالنص الأدبي إنجازاً وتلقياً ومن منظور حديث وجديد تماماً على الخطاب النقدي التقليدي السائد في هذه المنطقة إلى وقت قريب» . ويضيف : «هذا

---

(٧٤) انظر : مشروعه النقدي يتكوكب حول عشر سنوات وعشرة كتب .د . عبدالله الغذامي : انتقلت نقلة نوعية من النقد الأدبي إلى النقد الأدبي الثقافي . حوار أجراه عبدالله السمطي ، جريدة الرياض ، الرياض ، الخميس ٣ اكتوبر ١٩٩٦ ، العدد ١٠٣٢٨ ، السنة٣٣ ، ص٢٤ .

(٧٥) الغذامي ، عبدالله : السابق ، ص٢٤ .

(٧٦) ثامر ، فاضل : اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي الحديث . المركز الثقافي العربي ، بيروت- الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٤٢ ، وقد ناقشنا هذا الرأي في موضع آخر من البحث .

الكتاب هو حسب علمي، أول انجاز نقدي في الجزيرة العربية يسعى إلى التعريف بالاتجاهات النقدية الألسنية الحديثة ويعمل على استثمارها نظرياً ومنهجياً في قراءة جديدة ومجددة»(٧٧) ، ويشايع محمد جمال باروت معجب الزهراني فيما ذهب إليه حول الدور التأسيسي الذي لعبه «الخطيئة والتكفير» في انتاج « أول وأهم» محاولة لتأسيس النظرية واستثمارها نظرياً وتطبيقياً في المتن النقدي السعودي خصوصاً وفي منطقة الخليج العربي عموماً، وفي المتن النقدي العربي الحديث كذلك(٧٨) . ولعل دراسة تقارب الموضوع من زاوية التأريخ للأفكار، أو من زاوية تعنى بشؤون الاستقبال المنبثقة عن العلاقة بين النصوص والتاريخ، على نحو ما يفعل ياوس ومن في إثره(٧٩) ، كفيلة بأن توقفنا على المزيد من التعميق لدلالات ومفعولات «الخطيئة والتكفير» في الأوساط الثقافية المحيطة، غير أن هذا مما يخرج عن مشمولات ما نتوسم معالجته هنا.

إن ما يعنينا، في المقام الأول، من «الخطيئة والتكفير» هو البعد الذي يمثّله هذا الكتاب في التجربة الممتدة لصاحبه، وتالياً دور هذا الكتاب في توليد آليات واتجاهات قراءة الغذامي لدريدا والتفكيك، وأوجه استفادته من الاستراتيجيات والمقترحات التي دخلت في حيز الفكر النقدي مع دريدا أو مع

---

(٧٧) الزهراني، معجب: النقد الجمالي في النقد الألسني. قراءة لجماليات الإبداع وجماليات التلقي كما يطرحها كتاب «الخطيئة والتكفير» للدكتور عبدالله الغذامي. بحث مقدم إلى الملتقى الأدبي الرابع لمجلس التعاون لدول الخليج العربية: «النقد الأدبي في دول مجلس التعاون»، الكويت من ١٢ إلى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥، ص٥.

(٧٨) باروت، محمد جمال: الشاعرية: نظرية عامة لـ «الأدب» أم نظرية محدودة لـ«النص»؟. تعقيب على بحث معجب الزهراني السالف، الملتقى الأدبي الرابع لمجلس التعاون لدول الخليج العربية: «النقد الأدبي في دول مجلس التعاون»، الكويت من ١٢ إلى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥، ص٢.

(٧٩) لمزيد من الإحاطة فيما يتصل بهذه النقطة قد يحسن الاطلاع على:

– هول، روبرت سي: نظرية الاستقبال: مقدمة نظرية. ترجمة: رعد عبدالجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ص٧١-١٠٨.

الممارسات التفكيكية الأنجلو أمريكية التي تهيأت مع نقاد ييل وغيرهم .

لقد انتبه غير باحث من الباحثين في مشروع الغذامي ومؤلفاته إلى قيام «الخطيئة والتكفير» كمحور أساسي تتقاطب من حوله اجتهادات الغذامي وانجازاته في مختلف المراحل . ونكتفي ، للتمثيل ، بما يقوله واحد من أكثر النقاد تراسلاً مع كتابات الغذامي ، وهو معجب الزهراني ، وما يقوله الغذامي نفسه . يعزو الزهراني أهمية «الخطيئة والتكفير» في سياق كتابات المؤلف إلى أن «الكتب اللاحقة عليه منبثقة عنه ومتممة أو معمقة لما ورد فيه من اجتهادات واطروحات»(٨٠) . ويبدو الغذامي مصادقاً على هذا الرأي حين يقرر أن جميع كتبه التالية للكتب المذكورة المنشورة قبل صدور «المرأة واللغة» داخلة في إطار «الخطيئة والتكفير» لأنها جزء من مشروع الكتاب . وهو كتاب يمكن إعادة تصوره في ألف ومائتين من الصفحات ، بعد ضم هذه الكتب إليه ، بدلا من الثلاثمائة وخمسين صفحة أو نحوها التي عليها الإصدار الأول»(٨١) ، بل أن الغذامي يؤكد على أن المدخل النظري ، الذي يمثل أساساً للفكر الذي يحيط بهذه الأعمال جميعها ، هو مدخل واحد له مجموعة أنساق وصفات واحدة ، وهو يَعُد «ثقافة الأسئلة»(٨٢) و«الموقف من الحداثة»(٨٣) على الأخص ، بمثابة حواش وهوامش على « الخطيئة والتكفير»(٨٤) .

يتيح لنا ذلك أن نؤمّن بؤرة تركيز أولى تحدّ جهد الغذامي وترسم تخوم مجاله الحيوي للحركة ، وهو المجال الذي تنطرح فيه علاقة الغذامي بدريدا

---

(٨٠) الزهراني ، معجب : النقد الجمالي الألسني . مرجع سابق ، ص١٥ .

(٨١) الغذامي ، عبدالله : مشروعه النقدي يتكوكب حول عشر سنوات . . . (حوار) مرجع سابق ، ص٢٤ .

(٨٢) الغذامي ، عبدالله : ثقافة الأسئلة : مقالات في النقد والنظرية . كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط١ ، ١٩٩٢ .

(٨٣) الغذامي ، عبدالله : الموقف من الحداثة : ومسائل أخرى . دار البلاد ، جده ، ط١-١٩٨٧ .

(٨٤) الغذامي ، عبدالله : مشروعه يتكوكب . . . مرجع سابق ، ص٢٤ .

والتفكيك . ثم إن إشارات عديدة تقودنا إلى نتر الأعناق جهة «المرأة واللغة» مباشرة بوصفه بؤرة التركيز الأخرى التي تؤطر جهد المؤلف ، وتبلور القطب الذي تنتهي حركة مجاله إليه فيما أصدر حتى الآن على الأقل ، وهو تصور نشارك فيه معجب الزهراني حين يقول بعد أن قرأ الكتاب : «ما أن قرأته حتى أدركت إنه قد يكون له من الشأن في خطابنا الثقافي المحلي ما كان لـ «الخطيئة والتكفير» الذي مر على صدوره عقد ونصف العقد تقريباً»(٨٥) . ولقد أثار «المرأة واللغة» ، في حيز التلقي ، كتابات وردود أفعال عديدة لا تزال توارداتها تتوالى . وانقسم المتلقين حوله : أيمثل قطعاً معرفياً ، ولو على مستوى المجاز ، مع مجمل انتاج الغذامي السابق كما يذهب إلى ذلك حمد المرزوقي؟(٨٦) أم هو تحول Transformation يوسع أفق التلقي مع الحفاظ على الخصوصية السابقة وصقلها كما يذهب محمد خير البقاعي؟(٨٧) .

وإذا اقتنعنا بالمتصور الذي يتعامل مع نشاط نقل المفاهيم والأفكار والنظريات إلى لغة جديدة بوصفه ترويضاً يوسع من آفاق هذه اللغة ويمرّنها على قول ما لم تتعود التعبير عنه ، فإننا سنصادف في محاولة عبدالله الغذامي «لعرض» أفكار دريدا في «الخطيئة والتكفير» نموذجاً لما يصاحب هذا النشاط التحويلي من تحوير وتطوير وتغيير وتكييف . وأغلب الظن أن من سيقرأ كتاب الغذامي في سياقه الزمني سيفاجأ بالحشد المفاهيمي الكاسح والعدة النظرية الباذخة يهدران هديراً عالياً في آلة الكتاب إذ يبدو الغذامي في «الخطيئة

---

(٨٥) الزهراني ، معجب : «المرأة واللغة . الحقائق التي نسينا انها كانت أوهاماً!» . ج١ ، جريدة الجزيرة ، السعودية ، الأحد ٢٩ ديسمبر ١٩٩٦ ، العدد ٨٨٥٨ ، ص٢٥ .

(٨٦) المرزوقي ، حمد : الفصيح والعامي في استقراء تجليات الغذامي . جريدة الجزيرة ، السعودية ، ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ ، العدد ٨٨١٣ ، ص٢١ .

(٨٧) البقاعي ، محمد خير : تحول وانفتاح لا قطيعة وانغلاق : أسرار التحول . جريدة الجزيرة ، السعودية ، ٩ يناير ١٩٩٧ ، العدد ٨٨٦٩ ، ص٢٠ .

والتكفير» متلقفاً لآخر النتاج المعرفي ، عارضاً لأجد مبتكرات الحداثة وما بعدها في مختلف المجالات والاتجاهات .

تتقدم عروض الغذامي للمتصورات والمفاهيم على خلفية من الأخذ بالحجة الشعرية كنمط من أنماط الأداء الفلسفي الدال باعتبار أن المجاز متلابس مع اللغة ، وأن اللغات الشارحة مهما تلفعت بالحيدة والبراءة ومباشرة الأداء فإنها لا محالة واقعة في التصوير والتشبيه وتقريب النظير بالنظير ، ومن هنا فلا مشاحة في تفسير المتصور النظري بلغة شاعرية ، ولا أنفة من اشتباك الاصطلاحي بالمنزاح عن المعيار والتقعيدي بالتخييلي . وإننا إذا نظرنا إلى ما يعرضه الغذامي حول التفكيك دون استحضار هذه الخلفيات الماتحة لفي مظنة زلل لا تحمد عقباه . فالغذامي يفسح للديناميات الجمالية كي تلعب في نصه وفق ثقة أقل بتقييد الإشارة . إنه يقدم نص متعة فيما هو يصوغ خطاباً معرفياً يميل إلى التماسك . ونصه لذلك نص متوتر دائماً ، من حيث هو يريد الإفادة وزيادة ، ويروم الأداء والتحسين الذي يغلف ذلك الأداء . وكما أن رولان بارت مثار اجهاد لمن يستقي منه نقدياً بعقلية الضبط والربط والتحديد ، فإن الغذامي يشارف الحالة نفسها لدواع ومبررات لا تبتعد كثيراً عن المقتضيات التي أفضت ببارت إلى كتابة من هذا النوع (هناك على الدوام مناوشة للحدود الأجناسية بين أنواع الكتابة ، واطلاق للطاقة الإشارية في اللغة ، مع ميل إلى تشغيلات فائقة للتناص وإفساح في المجال لسلطات القراءة) . فإذا أضفنا إلى ذلك كله السمات التي عليها كلمات التفكيك المفتاحية وأشباه المفاهيم أو المفاهيم المضادة للمفاهيم في لغة دريدا ودي مان وسواهما ، على نحو ما مر معنا ، فإن التلابسات والتداخلات التي تعرض في قراءة الغذامي لاستراتيجيات التفكيك طبيعية ، وواردة ، ومتوقعة .

لقد كان عبدالله الغذامي من أوائل من أشاعوا مصطلح «التشريح» كترجمة عربية للمصطلح الدريدي : Deconstruction . وقد صدّر كتابه الأم : «الخطيئة والتكفير» بما يشير إلى ذلك في العنوان الفرعي . إلا أن هذه التسمية لم يكتب لها التداول في الوسط النقدي كما كتب لمقترحات أخرى بصدد الـ

Deconstruction[٨٨] ، والحق أن عبدالله الغذامي لا يكتم تردده قبل الاطمئنان إلى «التشريحية» بوصفها الترجمة الأقرب للـ Deconstruction من وجهة نظره ، يقول : «احترت في تعريب هذا المصطلح ولم أر أحداً من العرب تعرض له من قبل (على حد اطلاعي) وفكرت له بكلمات مثل (النقض/الفك) ولكن وجدتهما يحملان دلالات سلبية تسيء إلى الفكرة . ثم فكرت باستخدام كلمة (التحليلية) من مصدر (حلّ) أي نقض ولكنني خشيت أن تلتبس مع (حلّل) أي درس بتفصيل ، واستقر رأيي أخيراً على كلمة (التشريحية أو تشريح النص)»[٨٩] .

بالإمكان النظر إلى مجمل المهاد النظري الذي يتحرك على خلفية منه مشروع الغذامي النقدي بوصفه توليفاً ، تحت مظلة النصوصية ، من ثلاثة مشارب : مشرب بنيوي ، وآخر سيميولوجي وثالث تفكيكي . والحركة التي بها يتداخل الغذامي ويتخارج مع مقترحات كلٌ تتوفر على دينامية متحولة وموّارة ، تأخذ وتدع ، وتغيّر وتبدّل ، وتبقي وتذر متعاملة مع المفهوم بروح قلقة وشكّاكة ومستعدة لإعادات النظر . هكذا تطفو مفاهيم وتعود وتنزلق لتطفو من جديد أو تغور في القيعان السحيقة مخلفةً مناخاً متسمحاً متخففاً من ربقة الحدود المغلقة والانضباطات المحسومة المريحة المستريحة .

إنه يستدعي المفهوم وسط فضاء اشكالي ، يراوغ تخومه ، ويختبر استنباتات متغايرة ممكنة له . وقد يحمل عليه اليوم ما لم يره فيه بالأمس . وقد يكون بداءً فيحل بالمفهوم ما لم يتراءى في المقاربة الآنفة له . والغذامي في ذلك كله صادرٌ

---

(٨٨) ولعل عبدالملك مرتاض هو الوحيد الذي شايع الغذامي على مقترحه في بعض ما كتب ومن ذلك كتابه : بنية الخطاب الشعري . دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية . دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ . وقد أصدر بعد ما ذكر آنفاً كتابه : أ-ي . دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة «أين ليلاي» لمحمد العيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٩٢ . وكتابه الآخر : تحليل الخطاب السردي . معالجة تفكيكية سيمائية مركّبة لرواية «زقاق المدق» . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٩٥ .

(٨٩) الغذامي ، عبدالله : الخطيئة . . . هامش ص٥٠ .

عن مآتٍ فلسفية تتراوح بين الأداء الاستدلالي الصارم والأداء الشعري الإستعاريّ .[٩٠] وإن المدقق في لغة الغذامي عبر مراحل متعاقبة توثقها كتبه ليجد هذه الحوارية بين مقتضيات الخطاب العلمي الممنهج الذي يعرض عدته وإجراءاته ليختبر التطبيق عليها في لحظة تالية متداخلاً مع الهدير الخلاّق للروح الحرّى التي تتغيا تدشين صراع تأويلاتها الخاص مع المفهوم وحدوده ومواضعاته السالفة . لقد حدد نيتشه مهمة الفلسفة عندما كتب : «ينبغي أن يتوقف الفلاسفة عن قبول المفاهيم التي تعطى لهم ، فيكتفون بتنظيفها وتلميعها ، بل يتعين عليهم أن يبدأوا بفبركتها ، بخلقها ، بطرحها ، وبإقناع الناس باللجوء إليها»[٩١] ، وقد سار في إثر نيتشه مشهد فكري كامل دشنه هيدغر ثم فلاسفة الاختلاف من بعده عماده التجاسر على سلطة المفهوم ومناوشة الذهنية التي تميل إلى اغلاق المصطلح وتحديد الأفكار الثاوية خلفه . ومن الواضح أن الغذامي ينحاز إلى الوقوف تحت هذه المظلة غالباً .

ومن هذا المنطلق ربما غدت أغلب المحاولات التي حاولت أن ترى في عبدالله الغذامي نسخة عربية من دريدا بعد دوي «الخطيئة والتكفير» مجانبة للصواب وللّمح الجوهري في مشروع عبدالله الغذامي الذي سرعان ما تحول إلى إيكو في مرحلة تالية ثم إلى إدوارد سعيد وكلنر بعد ذلك .

(٩٠) حول أصناف الكتابة الفلسفية وأساليبها راجع :

- الشيخ ، محمد- الطائري ، ياسر : «مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة : حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر» . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٦٣-٧٢ ، وفيها يقسمان أساليب الأداء الفلسفي إلى خطاب استدلالي منطقي رياضي ، وخطاب تأملي ذاتي ، وخطاب شعري استعاري ، وخطاب شذري متحرر ، وخطاب حواري مبني على تقنيات المناظرة أو آداب المراسلة . كما يمكن الرجوع إلى مقاربة أعمق وأكثر استفاضة في كتاب الحسين الزاوي «الفلسفة الواصفة . مقارنة لأشكال التعبير الفلسفي المعاصر» . مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

(٩١) المقولة السابقة لنيتشه في Posthumes ، أعمال فلسفية .XIغاليمار ، ١٨٨٤-١٨٨٥ ، ص٢١٥-٢١٦ . وقد نقلناها عن : دولوز ، جيل- غتاري ، فيلكس : ماهي الفلسفة . ترجمة : جورج سعد ، دار عويدات الدولية ، بيروت-باريس ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص١٥ .

III- اسهام مجلة « فصول» في بواكير القراءة العربية للتفكيك :

لقد تهيأ لجلة «فصول» أن تؤدي دوراً بارزاً في مسار النقد داخل الفضاء العربي في العقدين الأخيرين من القرن العشرين . وبملاحظة ما استطاعت هذه الدورية أن تفرضه من مصداقية واستقطاب لأهم الأقلام الإختصاصية ، يمكن القول إن مجلة «فصول» تتوفر على ما يرشحها لأن تكون مسبراً نموذجياً لاختبار حالة التعامل مع استراتيجيات التفكيك ومقولاته النظرية في المشهد النقدي المصري والعربي أيضاً .

لقد انتظمت خطة صدور المجلة على أساس من التركيز على معالجة موضوعات أساسية يستفرد كل موضوع منها بعدد أو أكثر . وتعطي شهادة جابر عصفور التالية فكرة عن التوجه العام الذي هيمن على المجلة منذ صدورها حين يقول : «كان من الطبيعي أن نركّز على الموضوعات التي كانت حديثة ، أو تبدو غريبة على الوعي الأدبي العام ، في مطالع الثمانينات . وكانت البنيوية وما بعد البنيوية ونظريات الإستقبال كالهرمنيوطيقا والسميوطيقا والنقد النسائي موضوعات جاذبة ، شدتنا إليها بوصفها نظريات جديدة ، نحرص على تقديمها للقاريء العربي حرصنا على وصل هذا القاريء بمنجزات العالم الجديد»[٩٢] . وفي أجواء هذا الانجذاب والانشداد ، ظهرت محاولة باكرة للتعريف بالتفكيك في المجلة من خلال مساهمة فريال جبوري غزول في عرض ومراجعة كتاب إدوارد سعيد «العالم والنص والناقد»[٩٣] .

وعلى الرغم من حرارة نبرة الإعجاب الذي أبدته غزول تجاه إدوارد سعيد يومها ، إلا أن استعراضها التعريفي للتفكيك كان متوازناً ، بشكل ملحوظ ، وهو ربما تعدى ، في حيطته واحترازه ، ما كان إدوارد سعيد قد أبداه من لياقة وحنكة

---

(٩٢) عصفور ، جابر : مفتتح . مجلة فصول ، القاهرة ، مج ١٣ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٥ ، ص٥ .

(٩٣) غزول ، فريال جبوري : إدوارد سعيد : العالم والنص والناقد . مجلة فصول ، القاهرة ، مج ٤ ، ع١ ، اكتوبر- نوفمبر-ديسمبر ١٩٨٣ ، ص١٨٥-١٩٧ .

في ديبلوماسية التعبير أوان تناوله لدريدا[٩٤] . بل إن الكاتبة لا تتردد في الدعوة إلى استثمار استراتيجيات التفكيك في قراءة التراث الإبداعي العربي ، وهي تقول : «أريد أن أعلق على ما يقول دريدا ، لا بالدفاع ولا بالإدانة وإنما بتقريبه إلى أذهان القارىء ، بالرجوع إلى مفهوم الأضداد الذي عالجه النقاد العرب ، حيث نجد كلمات لها معان معاكسة ، فدريدا يرى في النص ككل ، نوعاً من أنواع التناقض الإبداعي والأضداد ، لقد قيل أن بعض قصائد المتنبي في المديح ليست إلا ذمّاً ، أي أنها يمكن أن تُقرأ كهجاء ؛ ألا يمكننا في هذه الحالة أن نستفيد من مفاهيم التفكيك في قراءة مزدوجة لشعر المتنبي؟»[٩٥] .

والواقع أن فريال جبوري غزول لا تكتفي بأن تعرض الخطوط العامة لمعاينة إدوارد سعيد للتفكيك مع التعليق عليها ، إنها ، إضافة إلى ذلك ، تهتم ببناء السياق الذي شكّل القراءات الأمريكية ، مثل قراءة سعيد تجاه التفكيك ، واصفة التنافس الأكاديمي بين نقاد ييل ونقاد هارفرد ونقاد كولومبيا ، وإلى الزمرة الأخيرة ينتمي إدوارد سعيد . إن هذه الحركة لبناء السياق تتضح في المقدمات والمداخل التمهيدية لمقالة فريال جبوري غزول والتي تتابع فيها ، قبل عرض الكتاب ، المساجلات التي دارت في ١٩٨٢-١٩٨٣ على صفحات المجلات الأمريكية حول التفكيك مشيرة إلى آراء لـ «ولتر جاكسن بيت» و«بول دي

---

(٩٤) من المعهود في اقترابات إدوارد سعيد النقدية حول التفكيك أن يوجه جام غضبه ومرمى سهامه نحو من يعتبرهم أتباعاً أرثوذكسيين أو تلاميذاً صغاراً في مدرسة دريدا ، أو في أفضل الأحوال نحو نقاد جامعة ييل ، متحرفاً لقتال ، على ما يبدو ، ومستعيضاً بهؤلاء عن مواجهة مباشرة مع جاك دريدا . لاحظ أمثلة في هذا الصدد مما تعرضه فريال جبوري غزول من آراء إدوارد سعيد (المرجع السابق ص ١٩٣-١٩٤) . مع ملاحظة أن معالجات أخيرة لسعيد تخلت تماماً عن هذه الديبلوماسية لا سيما مع صعود نجمه واتساع قاعدة مريديه وحدوث ما هو معهود من غيره وتنافس بين الأقران والمتعاصرين .

(٩٥) المرجع السابق ، ص١٩٤ .

مان» و«بربارة جونسون» وملخصة لهذه الآراء .[٩٦]

سمية سعد التي نشرت محاولة تالية في «فصول» للتعريف بالتفكيك استناداً إلى تناول كتب أجنبية ناقشت الموضوع ، كانت أكثر وفاءً لمهمة العرض منها لمهمة المراجعة . وعلى الرغم من تصدّيها لكتاب يتوجه مباشرة ، وفي كل مادته ، لمقاربة اتجاهات التفكيك وجذورها وانتساباتها وآفاقها إلا أن محاولتها التزمت بصرامة العرض والتقديم لآراء المؤلف ليس إلا ، ولولا أنها قد ذكرت في مقدمة سريعة أن كتاب كريستوفر نوريس الذي تعرضه يتناول «أحدث تيارات الفكر النقدي الحديث وهو التفكيك»[٩٧] ، لكان في وسع المرء أن يقرر ، مطمئناً ، بأن عرضها الذي يقع في خمس صفحات لم يتضمن حكم قيمة واحد يتعلق بما تعرضه في هذا المجال!

كانت سمية سعد حريصة على احياء مناقبية العرض الأمين والترجمة الشفافة ، تبعاً لما جرى عليه التقليد ، وهلة تصدّيها للتعريف بهذا الكتاب الصادر بالإنجليزية . وقد دفعتها هذه الروح إلى التحوّط ومقاومة رغبات الاجتهاد في اقتراح مقابلات مصطلحية عربية لبعض الكلمات المفتاحية التي تتصل باستيراتيجيات التفكيك . فهي قد اكتفت بكتابة لفظة Differance بالإنجليزية للدلالة على الكلمة المفتاحية التي اخترعها دريدا من أجل بيان المعنى المزدوج الدال على الاختلاف والتأجيل والذي يُظن أن كلمة Difference المعهودة لا تؤديه . لقد تكررت هذه الكلمة بلفظها وهجائها الأجنبي في سياقات متعددة

(٩٦) غزول ، فريال جبوري : المصدر السابق ، ص١٨٧-١٨٨ . وأما احالات الناقدة فتجدها في :

- Bate, W. Jackson: "The Crisis of English Studies". Harvard Magazine, Sep./Oct., 1982, p.46-53.

- Lardner, James:"War of the Words". In The Washington Post, March, 1983.

وللإستزاده حول آراء التفكيك تحيل المؤلفة القارىء إلى :

- Culler, Jonathan: "The Pursuit of Signs. Ithaca. NY, Cornell University Press, 1981.

(٩٧) سعد ، سمية : عرض كتاب التفكيك : النظرية والتطبيق . تأليف : كريستوفر نوريس . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٤ ، ع٤ ، يوليو-أغسطس-سبتمبر ١٩٨٤ ، ص٢٣٠ .

من المقال دون أن تقدم الكاتبة ، إلى جانبها ، أي مقترح عربي مقابل . وكذلك الأمر مع لفظة Aporia التي أوردتها سمية سعد بنفس الكيفية السابقة غضون المقال . وفي الجملة أتت عبارات من مثل «وفي رأي الكاتب» ، «ويعتقد الكاتب» ، «ويرى الكاتب . . .» ، «ويؤكد الكاتب . . .» في مفتتح فقرات عدة من المقالة لتعزز من الجو العام لحرفية العرض وعزوف الكاتبة ، عن قصد ، دون إبراز آرائها ومواقفها مما تعرض(٩٨) .

وفي أثر العرضين السالفين لفريال جبوري غزول وسمية سعد شهدت مجلة «فصول» خطوات أرحب وأكثر أهمية باتجاه التعريف بالتفكيك وتوسيع رقعة التعامل معه . وكانت خطوة ترجمة بعض النصوص التفكيكية ، أو الاجتهادات المتماسة مع هذه النصوص ، بمثابة قفزة نوعية ملحوظة لجهة تنامي حضور هذه

(٩٨) يمكن التنبيه إلى أن الكاتبة كانت قد ترجمت اسم كتاب دريدا «Speech and Phenomena» إلى : «القول والظواهر» وعلى الرغم من ظهور اجتهادات مختلفة مع مترجمين وعارضين آخرين لترجمة Speech في اسم ذلك الكتاب بـ «الكلام» كما عند : ابراهيم ، عبدالله : التفكيك : الأصول والمقولات . دار عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٣٥ ، أو بـ «الصوت» كما عند : أوبرال ، فرنسوا وسعد ، جورج : معجم الفلاسفة الميسر ، دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٤٩ ، ورغم وجود وجه لترجمة Speech بـ «القول» كما فعلت الكاتبة إلا أن العدول عن ذلك أولى لأن كلمة «قول» التبست في التداول العربي المعاصر ، لدى البعض ، بـ «discource» التي يترجمها بعضهم بالخطاب ، ولعل هذا هو الاختيار الذي استقرت عليه فاطمة الجيوشي حين ترجمت كتاب هابرماس

- Habermas, Jürgen: The Philosophical Discourse of Modernity: Twelve lectures, trans.: Frederick Lawrence, Cambridge, Polity Press, 1987.

عن الفرنسية وجعلت العنوان العربي هو «القول الفلسفي للحداثة» ، والكتاب صادر عن وزارة الثقافة بالجمهورية العربية السورية ، ط١ ، ١٩٩٥ .

إن موضوع الملاحظة التي يعني بها هذا الهامش لا ينصرف أساساً إلى ما تقدم مما يسع الإجتهاد فيه ، بقدر ما تتصوب الإشارة جهة وهم الكاتبة في الجزء الثاني من العنونة التي اقترحتها : «القول والظواهر» حيث تفيد Phenomena الظاهرة وليست الظواهر) .

الإستراتيجيات في مشمولات الدرس النقدي العربي . هنا جاءت ، على التوالي ، مساهمة نهاد صليحة في ترجمة ثلاثة فصول من كتاب «التفسير ، والتفكيك ، والأيديولوجية»[(٩٩)] ، ومساهمة هدى شكري عياد في ترجمة نص من أحد كتب دريدا نفسه[(١٠٠)] . وسنتخذ مساهمة نهاد صليحة بوصفها مثالاً على هذا التنامي .

تقف بالقاريء مساهمة نهاد صليحة (١٩٨٥م) في ترجمة فصول ثلاثة من كتاب صادر قبل سنة واحدة فقط من تاريخ العرض (١٩٨٤) على مبلغ المواكبة التي تمثلت في اختيارات مجلة فصول واهتماماتها بوصل القاريء العربي بجديد الدرس النقدي في الخارطة العالمية ، وقد كان بالوسع رؤية جانب من ذلك قبلاً في مؤشرات قراءة فريال جبوري غزول لحركة السياق النقدي الأمريكي بمختلف ألوان استجاباته تجاه التفكيك . إن نهاد صليحة لا تكتفي بترجمة الفصول الثلاثة : الأيديولوجية والمعارضة ، والأيديولوجية الخفية ، والماركسية والأيديولوجية السائدة[(١٠١)] ، بل إنها ترفق الترجمة بمقدمة ضافية تموضع من خلالها جهد المؤلف في اطار موقفه الفكري الليبرالي-الراديكالي الذي يتعاطف ضمنياً مع بعض تطبيقات المنهج الماركسي في النقد ، وتعلن

(٩٩ انظر :

- بتلر ، كريستوفر : التفسير ، والتفكيك ، والايديولوجيا . ترجمة وتقديم : نهاد صليحة ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج٥ ، ع٣ ، أبريل- مايو- يونيو ١٩٨٥ ، ص٧٩-٩٦ .

(١٠٠) انظر :

- دريدا ، جاك : الاختلاف المرجأ . ترجمة : هدى شكري عيّاد ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج٦ ، ع٣ ، أبريل-مايو- يونيو ١٩٨٦ ، ص٥٢-٦٧ . والنص مأخوذ من دريدا في :

- Derrida, Jacques: Speech and Phenomena. Trans.: David B. Allison, Evanston, North Western University Press, 1973, p. 129-160.

(١٠١) الفصول المذكورة تمثل الصفحات من ٩٤ إلى ١٢٠ من كتاب كريستوفر بتلر :

- Butler, Christopher: Interpretation, Deconstruction and Ideology. Clarinton Press, Oxford, 1984.

غضون هذه المقدمة عن أملها في تقديم ترجمة كاملة لكتاب بتلر الآنف «في المستقبل القريب»(١٠٢) .

ربما كان من العسير الإشاحة ، عند هذه النقطة ، عن الدلالات التي يمكن أن يلح عليها اختيار من هذا النوع ، والمقصود معاينة التفكيك من وجهة منظور كالمنظور الذي يمثله طرح كريستوفر بتلر في فضاء ثقافي عربي شهد حتى وقت قريب هيمنة شبه كاسحة لأدبيات النقد الماركسي . ان حجم المرجعية التي تحضر بها كتابات تروتسكي وإرنست فشر وجورج لوكاش وفردريك جيمسون وتيري إيجلتون ضمن المدونة الكلية للفصول المترجمة كافياً لفرز مؤشرات حول طابع المقاربة التي سيجترحها المؤلف وتعنى المترجمة بتوصيلها للقاريء العربي .

لقد استطاعت المناهج الاجتماعية أن تتسنم ذروة الهرم النقدي في الساحة المصرية خلال العقد الستيني من هذا القرن(١٠٣) . وإذا كانت مرحلة السبعينات تمثل ، بالنسبة للنقد في مصر ، مرحلة انتقالية يرى بعض الباحثين أنها تعبر عن «تقلص الحركة الثقافية» وعن «الفراغ النقدي الكبير» نتيجة تحولات سياسية

(١٠٢) كريستوفر بتلر : التفسير ، والتفكيك ، والايديولوجيا . ترجمة وتقديم : نهاد صليحة ، مصدر سابق ، ص٨١ . والأرجح ، بعد ما بُذل من تقصيات أن أمل الكاتبة في نشر ترجمة عربية للكتاب المذكور لم يتحقق إذ انها عدلت عن ذلك فيما يبدو ونشرت الفصول الثلاثة التي ترجمتها في كتاب بعنوان «التفسير والتفكيك والأيديولوجية ودراسات أخرى» ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م ، شاركها في ترجمة مواده سناء صليعة وسارة عناني ، وقد ضم الكتاب اضافة إلى فصول بتلر دراسات مترجمة لبيتر بروك وتيري ايجلتون وآخرين .

(١٠٣) لمطالعة تفصيلية في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى دراسة بعنوان : «الواقع النقدي في مصر : مساره واتجاهاته» لصبري حافظ وهي منشورة ضمن :

– حافظ ، صبري : أفق الخطاب النقدي : دراسات نظرية وقراءات تطبيقية . دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٣٣-١٤٦ .

كما يحسن الرجوع أيضاً ، إلى :

– البحراوي ، سيد : البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث . دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣ ، خصوصاً الصفحات ١٠٣-١١٧ .

غريبة(١٠٤)، فإن مرحلة الثمانينات، التي مثلت مجلة «فصول» أحد ارهاصاتها وتجلياتها لم تقطع مع الإرث الستيني في ساحة النقد تماماً، واستمر معها الاقتراب الاجتماعي من الأدب، رغم وضوح اقبالها على المناهج النصية الجديدة.

كانت تركيبة توفيقية جديدة في طريقها إلى التكوّن. وهي التركيبة التي لم يستوعب مزاجها نقاد الضفتين معاً، ضفة النصية الخالصة الممثلة في أشياع النقد الجديد، وضفة الاجتماعية الملتزمة بكشف الرسائل الأيديولوجية التي يتضمنها النص من واقع انتاجه التاريخي والتي يمثلها أتباع النقد الاجتماعي. إن صوت الضفة الأولى يأتي للمرء مع عبدالعزيز حمودة الذي يقول: «أراد البنيويون العرب، وجُلّهم إلى يسار الوسط، امساك العصا من منتصفها وتحقيق معادلة خاصة بهم .... هذه المحاولة لإمساك العصا من منتصفها من جانب النقاد الحداثيين العرب، تجعل النسخة العربية من البنيوية في ظل هذا الربط الذي يؤكدونه جميعاً وبلا استثناء بين الداخل والخارج، لا تختلف عن الواقعية الإشتراكية»(١٠٥). أما اعتراض الضفة الثانية فنستمع إليه من خلال صوت سيد البحراوي الذي يتحدث، في معرض الشجب، عن نقد مجلة فصول بوصفه «نقداً جديداً» قائلاً: «من المهم أن نشير إلى أن الاتجاه السائد بين نقاد هذا «النقد الجديد» كان هو اتجاه الجمع بين أكثر من منهج في ذات الوقت أو الانتقال بسهولة من منهج لآخر حسب مقتضى الحال (أو ما يتصور أنه جديد في ساحة النقد الأوروبي). ولعل الأمثلة أكثر من أن تحصى لنقاد انتقلوا من الواقعية إلى البنيوية إلى الأسلوبية ثم إلى التفكيكية في مدى لا يزيد عن عقد من الزمان، وآخرون انتقلوا من المنهج الاجتماعي إلى البنيوية ثم إلى

---

(١٠٤) انظر:

- حافظ، صبري، أفق الخطاب النقدي. المرجع السابق، ص١٤٣.

(١٠٥) حمودة، عبدالعزيز: المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة ٢٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٩٨، ص٦١-٦٢.

التفكيكية ، وفريق ثالث انتقل من المنهج النفسي إلى البنيوية ومنه إلى التفكيكية . . إلخ . غير أن الأكثر خطورة في هذه التحولات ، هو أنه أيّاً كان الشعار المرفوع على المستوى النظري ، فإن الممارسة التطبيقية للناقد ، تكشف عن بعد كامل -تقريباً- عن هذا الشعار»[١٠٦] .

يُهيَّأ للمتتبع أن ما يغيب عن رصد الاعتراضين السابقين هو أن تحولات الفضاءات النقدية العربية لا تعد مفصولة ، بحال ، عن تحولات كبرى مماثلة عرفها الفضاء النقدي العالمي . والأمر ، من هذه الزاوية ، يحتاج إلى تؤدة في قراءة دلالات التواكب ، من منطلق عقلاني واقعي ومباشر . هذا على الأقل هو ما يمكن استيحاءه من جابر عصفور ، أحد أهم من تدخلوا في صياغة خطط واستراتيجيات «فصول» ، حين يعرض لنا آراء إديث كيرزويل حول الدور الذي أدته البنيوية في تزويد اليسار الماركسي بآليات فكرية لمواجهة قصورات معالجته للواقع الاجتماعي مع التخفيف من نزعته الراديكالية ودون الإجبار على التخلي الكامل عن نزعة اليسار الإنسانية . إن جابر عصفور يعلق على منظور المؤلفة السالف واصفاً إياه بالقول : «إن هذا المنظور جدير بالتأمل ، وجدير بأن يدفعنا إلى التفكير في التجليات العربية للبنيوية من حيث ظهورها وذيوعها والخصومات التي أثارتها والدعاوى التي طرحتها في آن»[١٠٧] . ويبدو أن عصفور كان قريباً من هذا التأمل الذي دعا إليه حين استرجع أحداث القرن العشرين النقدية وعلاقات التواصل التي تابع فيها اللاحق جهد السابق مبيناً انقسام البنيوية على نفسها ما بين بنيوية لغوية شكلية وبنيوية توليدية منطلقة من الماركسية ، ومؤكداً على أن التعددية هي ما يميز المشهد النقدي في كل مكان في الوقت الحالي ، «وهي تعددية تسعى إلى تأكيد حضورها الذي يستبدل بالوحدة

(١٠٦) البحراوي ، سيد : البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث . مرجع سابق ، ص١١٠-١١١ .

(١٠٧) عصفور ، جابر : تعريف بهذا الكتاب (مقدمة للمترجم) ضمن :

- كيرزويل ، إديث : عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة : جابر عصفور ، عيون للنشر ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص٧ .

المصمتة (كالبنية المغلقة) التنوع الذي يتيح لكل الأطراف الإسهام في المشهد النقدي . أما التتابع الزمني الذي انطوى على تحولات المصطلح النقدي ، في علاقته بالأدب ، داخل هذا المشهد ، وفي إلحاحه المتعاقب على دوال : العمل ثم النص ثم الكتابة ثم الخطاب ، فهو التتابع الذي بدأ بتأكيد البعد الواحد ، وانتهى بتأكيد التنوع الذي لا يعرف مركزية الأصل الواحد في الخطاب الأدبي أو النقدي»(١٠٨) .

تندغم مجلة «فصول» ، بسلاسة ، ضمن مشهد هذه التحولات ، وفي ضوء ذلك يمكن تفسير النَفَس اليساري الواضح في الزاوية التي يتأمن من خلالها العبور إلى منجزات الدرس النقدي الأجد . إن مناظير من مثل مناظير لوسيان غولدمان وألتوسير وبيير ماشيري وفردريك جيمسون وحتى إدوارد سعيد ستغدو مسعفة في الاستجابة إلى طبيعة التوليفة الانعطافية التي سيتطلبها التحول النقدي . هكذا سَيَرْشَح التفكيك ، أول ما يَرْشَح من خلال عرض لأحد كتب سعيد ، ثم ترجمة لفصول من كتاب كريستوفر بتلر ، وعمّا قليل اعتراض ضمن مقالة مثقلة بالمرجعيات الماركسية والماركسية الجديدة على دريدا بقلم كمال أبوديب(١٠٩) .

(١٠٨) عصفور ، جابر : آفاق العصر . دار المدى للثقافة والنشر ، نيقوسيا - دمشق - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٢٢٥ .

(١٠٩) أبو ديب ، كمال : الأدب والأيديولوجيا . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٥ ، ع٤ ، يوليو-أغسطس-سبتمبر ١٩٨٥ ، ص٥١-٨٩ . والاعتراض يرد في ص٧٦ وقصاراه إنه إذا كانت مقولة الوحدة في العمل الفني مقولة أيديولوجية ، فإن المقولة المناهضة التي ترفض الوحدة وتنادي باللاتبنين هي أيضاً مقولة أيديولوجية لا تقل عن المقولة الأولى . وعلى هذا الأساس ، فإن مقولة التناقض عند دريدا هي مقولة أيديولوجية ، ومسعى أتباع دريدا من مثل بربارة جونسون وبول دي مان وجيفري هارتمان وهارولد بلوم لإدراك التناقض الذي يتخلل بنية العمل الأدبي هو مسعى أيديولوجي . وأبوديب يخص بلوم بالتأكيد على أن «جهده النقدي كله يصدر عن أيديولوجيا طاغية ؛ أيديولوجيا تنسب لعملية التأثير والتأثر - التي تمتلك طبيعة القانون الذي لا حول ولا قوة لنا بإزائه - قيمة ==

إن نهاد صليحة ، باختيارها الترجمي لبتلر ، تكون قد وضعت بيدقة في الخانة المناسبة لمسار اللعبة تماماً ، لأن منظور بتلر يلبي ، بنحو دقيق ، حاجة المثقف النقدي العربي الجديد ، الذي يعز عليه التخلي عن مرجعيته الالتزامية العتيدة وهو يتطلع في نفس الآن إلى اغراءات الدرس الأحدث الذي يشغل دوائر النقد العالمية . ستتأرخ الانعطافة إذن ، بهذه التفضيلات المزجية التي جعلت من الناقد العربي مكرراً للحالة التي أصابت المثقف الفرنسي ، في لحظة مشابهة ، والتي وصفت مناخها العام اديث كيرزويل حين قالت إن : «مناقشة الحقائق والظواهر الاجتماعية بواسطة المصطلحات اللغوية التي يتضمنها قبول الخطاب البنيوي قد أصبحت هي القاعدة بين المثقفين الباريسيين»[١١٠] .

ومع أن كريستوفر بتلر ، أستاذ الأدب الانجليزي بجامعة أكسفورد يتحدر من تقليد أنجلوسكسوني مخالف للرؤى الفرنسية ، إلا أنه في هذه القاعدة ، على الأقل ، سيتطابق في الموقف مع تفضيلات النقاد الباريسيين الذين «رضعوا الماركسية مع ما رضعوه من أمهاتهم» كما يقول ريمون آرون[١١١] . إن الهاجس الأساس الذي يحكم قراءة بتلر هو محاولة استيعاب التفكيك ، كآلية واستيراتيجيات في التعامل مع النصوص ، لتعضيد منظور نقدي ماركسي جديد يأخذ بما يسميه «نموذج المعارضة» . وهو نموذج يطرحه بتلر للتعبير عن نوع من المواجهة يحدث بين النص (الذي يفترض فيه أن يعبر عن أيديولوجية برجوازية) والمفسر الذي يحاول أن يفكك تعارضات النص ومعانيه الخفية لبيان التناقض الداخلي في منطق الأيديولوجية السائدة ، بما يدعم ، في التحليل الأخير ، النظرية الماركسية ورؤيتها لوعي البرجوازية الزائف . ومن هنا يتضح

= جمالية محددة : هي قيمة توليدية تطويرية ، بمعنى أنها تنقل شخصية الفنان وتكوينه الفني من مرحلة بدائية إلى مرحلة أكثر تطوراً وأهمية : أي أعظم قيمة» . وسيناقش موقف أبوديب الشامل من التفكيك في موضعه من هذا البحث .

(١١٠) كيرزويل ، إديث : عصر البنيوية . مرجع سابق ، ص٢٥٩ .

(١١١) كيرزويل : المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

المنزع البرغماتي الذي يتسلط على تعامل بتلر مع التفكيك . «إن منهج «التفكيك» - كما تقدمت الإشارة - هو أنسب منهج يتيح للمفسر اكتشاف التناقضات الخفية في النص . ولذلك ، فلا غرابة في أن نجد أن أعمق القراءات النقدية الماركسية حديثاً قد تأثرت بهذا المنهج . إن التفسير «التفكيكي» للنص ، أي كشف تناقضاته الفكرية الداخلية ، هو أنسب منهج للمفسر الذي يبحث في النص عن العناصر التي تناقض الأيديولوجية البرجوازية التي تبدو وكأنها تهيمن عليه تماماً وتتصارع معها»(١١٢) . هذا هو ما يقوله كريستوفر بتلر فيما تترجمه عنه نهاد صليحة . والمقال بجملته ، بعد ذلك ، متكرس من أجل استعادة الدور الحيوي للأيديولوجيا في التفسير . وهو الدور الذي ماطل في قبول مشروعيته النقاد الجدد من قبل . إن كريستوفر بتلر لا يدخر وسعاً في تصويب الانتقادات للنقد الجديد لهذا السبب ، وعند هذا المفصل بالتحديد ، تبرز أهمية جديدة للتفكيك من وجهة نظر الكاتب . إن التفكيك سيمثل ، في هذه الحالة ، حلقة الوصل التي تحل إشكالية الكاتب بين ميوله الليبرالية وأرضيته الماركسية . إن النقد الجديد تراءى بوصفه مقترحاً للمنظور الليبرالي لمعالجة مشكلات النصوص من زاوية اللغة وحقولها الدلالية . لكن هذا النقد دأب ، من ناحية أخرى ، على الإيحاء بأن القراءة الفاحصة للنص ينبغي أن تنحاز إلى العلمية بنبذ التطلعات الأيديولوجية من مقاصد العملية التفسيرية . وهو في هذه المحاولات يتناءى بدرجة حاسمة عن منظورات النقد الاجتماعي التي تُعمل جهدها من أجل اعادة التوظيف الحيوي للأيديولوجيا في التفسير . ثمة في التفكيك ما أغرى بتلر ، باتخاذه معبراً لتجسير الفجوة بين طرفي الإشكالية . إن قطار دريدا الذي ينطلق من اشتغال متلبث وطويل النَفَس على اللغة يقدم منطلقاً ليبرالياً في غير المسار الذي شقه النقد الجديد . وبتلر لذلك سيجسد الفرصة الأفضل للاستلهام عند هذا المنحنى . وسيجد «أن ذلك النوع من التفسير يخالف كل المخالفة طريق النقد الإنجليزي - الأمريكي ، التي تهدف

(١١٢) بتلر ، كريستوفر : التفسير ، والتفكيك ، والأيديولوجيا . مرجع سابق ، ص٩١ .

إلى إبراز عنصر الوحدة والترابط المنطقي في العمل الفني ، والتي تفترض - حتى في حالة بعض الأعمال المعقدة ، مثل قصيدة الأرض الخراب ، وأناشيد «إزرا باوند» - أن كل التناقضات والإشارات والإيحاءات ، ومناطق الغموض تخضع لنمط واحد متسق ينتظمها جميعاً . ومنهج التفسير التفكيكي يمكنه أن يحقق هدفاً آخر ؛ إذ إننا يمكننا توظيفه لا لاكتشاف التناقضات المهمة في داخل النص فحسب ، ولكن أيضاً لنكشف عن تفوقه على مناهج التفسير الأخرى ، التي ترفض أن تأخذ في الحسبان الدلالات السياسية للنص»[١١٣] .

إن كريستوفر بتلر على قناعة تامة بأن الماركسيين يعتقدون بأن أي محاولة لإقامة التفسير على أسس ليبرالية انسانية أو أخلاقية ، بعيداً عن التحليل السياسي ، تمثل محاولة هروب[١١٤] . ومن هنا ، فإن التفكيك ، بالكيفية التي يقرؤه بها بتلر ، يعد «لقية» عزيزة يمكنها أن تعيد تجديد دماء النقد الماركسي من خلال «نموذج المعارضة» الذي يكرر نفس حركة الصراع بين محاولة الطبقة المسيطرة اضفاء صيغة الشرعية على أيديولوجيتها ومعارضة الوعي النقدي لهذه المحاولة . إن نموذجاً من هذا النوع قمين باستلال خلاصة الليبرالية على مستوى الدرس النقدي وتعبئتها في قنانٍ ماركسية قادرة على المنافسة والإطاحة بالتفسيرات التي لا تلقي للأيديولوجيا بالاً ضمن مناهجها ومناظيرها .

وفي سبيل اكتمال هذا المشروع سيقرر بتلر أن يخوض النضال على جبهتين . في الجبهة الأولى سيقاتل ضد ضرب من التفكيك لا يتناسب مع أهدافه ولا يخدم برنامجه العملي ، وفي الجبهة الثانية سيفتح التحقيقات حول شجرة انتساب التفكيك لينهي غربة الابن الضال رافعاً شعار «هذه بضاعتنا رُدت إلينا» .

هناك سؤال يطرح نفسه ، بغية توضيح منطق الحرب التي يشنها بتلر على بعض جوانب ما لا يريده من القراءات التفكيكية : ما الذي يزعج بتلر في

---

(١١٣) بتلر ، كريستوفر : التفسير ، والتفكيك ، والأيديولوجيا . ص٩٢ .

(١١٤) المصدر نفسه ، ص٩٤ .

المقترحات التفكيكية أكثر من غيره؟ ولماذا يعلن هذه الحرب الجزئية، وباسم ماذا، رغم أنه لا يكتم اعجابه بالإمكانية التي يهيؤها التفكيك لتفسير النصوص؟.

إن عودة للفارق المهم الذي يقيمه بول دي مان بين تفكيكه وتفكيك دريدا قد تكون مسعفةً للتعامل مع مثل هذه الأسئلة. يقول دي مان: «سوف أبقى أميناً لعبارتي التي تقول «إن النص يقوم بتفكيك ذاته، وهو تفكيكي بصورة ذاتية» أكثر من كونه يُفَكَّك بوساطة التدخل الفلسفي من خارج النص. إن الفرق بيني وبين دريدا هو أن نص دريدا نص لامع متألق، قاطع، قوي جداً بحيث إن ما يحدث في نص دريدا يحدث ما بين دريدا ونصه. إنه لا يحتاج روسو، لا يحتاج أي شخص على الإطلاق؟ أنا أحتاج إليهم بشدة لأنني لا أمتلك فكرة خاصة بي»(١١٥). هذه العبارة الأخيرة، على وجه التحديد، هي ما يبني كريستوفر بتلر كل معاينته على نقيضها تماماً. فعدم وجود فكرة خاصة للمفسر تظهر بمجرد شروعه في التفسير هي، بالضبط، مثار اعتراض الكاتب على النقد الجديد وسواه من منظورات النقد التي تجعل للنص الكلمة العليا في تحديد الدلالة وبناء المعنى دون أن تلقي كبير بال للمؤلف أو القارىء. وإذا كان تفكيك دريدا يفسح المجال لدور المفسر في كشف الأيديولوجيا السائدة داخل بنى النص وتفكيك بول دي مان، أو غيره، لا يفعل ذلك وإنما يتكيء على أن النص يفكك نفسه بنفسه وأن القارىء لا حول له ولا طول، فإن هذه الصياغات الأخيرة من التفكيك مرفوضة عند بتلر لأنها تسلب المتلقي قدرته على انجاز تفسير نقدي واع يتخذ موقعاً متعالياً من النص للكشف عن تعارضاته

---

(١١٥) دي مان، بول: ضمن محاورة أجراها ستيفانو روسو ونشرت في ١٩٨٦، Critical inquiry ، No 12

أما الترجمة العربية للحوار فقد نشرت ضمن:

- صالح، فخري (ترجمة، وتحرير): النقد والمجتمع. دار الفارس للنشر، عمّان، ط١، ١٩٩٥، ص٥٢.

الخفية التي لا يقولها مباشرة . من هذا المنطلق يعارض الكاتب استراتيجيات رولان بارت في كتابه S/Z(١١٦) حول الفرضيات الأيديولوجية بالقول : «نحن نتفق معه في أن النص يستخدم أنظمة شفرية تعكس أيديولوجية معينة ضمناً ، ولكننا قد نختلف معه في أن القاريء ينخدع بها دائماً ، ويتقبلها ضمناً دون مناقشة . فالقاريء يمكنه في يسر أن يتخذ موقفاً متعالياً منها ، ويطبق عليها معيار صدق المحاكاة للواقع»(١١٧) . وتبلغ شدة الحاح الفكرة الخاصة بقدرة المفسر على قول كل ما يخفق النص في قوله مبلغها من أفكار بتلر حين يتعقب آخرين حاولوا الإفادة من بارت أو مناخات أفكاره في هذا الصدد . فهو يعلق على ما فعله كل من فيسك وهارتلي في معالجتهما النقدية للبرنامج الإخباري الذي تذيعه محطة التلفزيون البريطانية التجارية أ .ت .ن . (شبكة التلفزيون المستقلة Independent Television Network) بعنوان «الأخبار في العاشرة»(١١٨) بالقول : «وهما يكشفان أيضاً أن كثيراً من النظم الشفرية التي نستخدمها في الاتصال لا يمكن الثقة بها معرفياً لامتزاجها بالتقاليد الأدبية . ولكن يجب أن نوضح هنا أن انعدام الثقة المعرفية في صحة الشفرات المستخدمة لا ينبع من داخل النص (فالبرنامج الإخباري المنتقد مثلاً يمكن الدفاع عنه بوصفه صادقاً مع الواقع) . إن الثقة في صحة النظم الشفرية المستخدمة من وجهة النظر المعرفية تهتز عندما يتغير الإطار الأصلي للنص ، أي عندما نضع النص في سياق نظرية أيديولوجية مخالفة»(١١٩) . وهو يعود ، مرة أخرى ، في وهلة مناقشته لويدوسون وستيجانت وبيتر بروك للتأكيد بأن «الأصح هنا أن نقول إن المفسر -لا النص- هو الذي سيكشف هذه التناقضات ؛ لأن النص نفسه لا

(١١٦) Barthes, Roland: /Z, R. Miller, Hill & Wang, New York, 1975. -

(١١٧) بتلر ، كريستوفر : التفسير ، والتفكيك . ص٨٥ .

(١١٨) Fiske, J. & Hartley, J. : ReadingTelevision, London, 1978.

(١١٩) بتلر ، كريستوفر : التفسير ، والتفكيك . ص٨٩ .

يستطيع أن يتحدث مباشرة عن دلالاته»[١٢٠] .

لقد اقتضت حاجة إنعاش المنظورات الماركسية في النقد أن يُقبِل كريستوفر بتلر على التفكيك بكثير من الاندفاع البرغماتي ، وأن يضخم بعض المقولات ويستغني عن مقولات أخرى محدثاً نموذجه الخاص الذي يَقبَل الانخراط ، عن طيبة خاطر ، في مخرطة الآلة الماركسية لتفسير النصوص . وقد يكون الكائن الذي تولّد عن هذا الخلق أبتراً أو مختلاً أو متناسقاً ، غير أنه لن يكون ، في كل الأحوال ، مقطوع الصلة بضواغط اللحظة الأيديولوجية التي أنجبته من رحم مخاضات ماركسية مضنية وفي سياق إجهاضات عسيرة متوالية .

هل علينا أن نلتمس دلالات مفارقةٍ ما بين قلق أشواط المخاض واطمئنان لحظات القدرة على الكلام؟ إن هذه المفارقةَ هي التي يحضِّرها لنا كريستوفر بتلر حين يطرح على التفكيك ، فجأة ، سؤاله الاستنكاري : ألم نُرَبِّكَ فينا وليداً ولبثتَ فينا من عُمُرِكَ سنين؟[١٢١] . فالحق أن بتلر لا يتورع عن القول إن «التفسير التفكيكي للنص ، أي كشف تناقضاته الفكرية الداخلية ، وهو أنسب منهج للمفسر الذي يبحث في النص عن العناصر التي تناقض الأيديولوجية البرجوازية التي تبدو وكأنها تهيمن عليه تماماً ويتصارع معها . وكان «بيير ماشيري» هو رائد هذا النوع من التفسير»[١٢٢] .

بالطبع ، تقبل العلاقة بين التفكيك والماركسية ، تفاسير وقراءات

---

(١٢٠) السابق ، ص٩٣ .

(١٢١) قرآن كريم : سورة الشعراء ، آية ١٨ . والإشارة هنا من قبيل استحضار تناص السياقات الاستنكارية ونزول الكلام على مقتضى المقام في الحالين ليس إلاّ بطبيعة الحال .

(١٢٢) بتلر ، كريستوفر : مرجع سابق ، ص٩١ .

متعددة[١٢٣] . ولعل من بين أكثرها ايقاظاً للانتباه المحاولة التي ما فتيء الكثير من الماركسيين يحاولونها بنحوٍ أو آخر من خلال اصطناع أفق تفكيكي أكبر يتسع لدخول محاولات تجديدية ماركسية في إهابه كمحاولة بيير ماشيري أو محاولة لويس ألتوسير أو غيرهما . وسنجد أن لهذا النمط من القراءة نقاط حضوره في اعادات الإنتاج العربية للتفكيك حالما نتقدم في صفحات هذا البحث . والتساؤل الذي نطرحه الآن هو عن موقع ، نهاد صليحة ، بهذه الترجمة ، ضمن المحاولات العربية لقراءة التفكيك .

يقتضي الأمر أن نقول إن مقدمة صليحة للنص المترجم تكاد تخلو من الحماسات الأيديولوجية التي يخفق النص في إخفائها أحياناً وهي تركز ، بالكثير من العناية ، على مفاصل دقيقة من قراءة كريستوفر بتلر ، هي بالضبط المفاصل التي تنطوي على قابلية اخراج هذه القراءة من سياسات المنافحة الأيديولوجية عالية الصوت . إنها تضغط مخارج الحروف على تأكيدات بتلر حول نسبية التفسير وعلى ان كل تفسير له هدف برغماتي في نهاية الأمر[١٢٤] . وهي تنوّه بأن «بتلر يميل إلى رأي جاك دريدا» . وتلفت إلى أن ذلك

---

(١٢٣) لأخذ فكرة عن بعض هذه القراءات يمكن الرجوع إلى :

- Norris, Christopher: Deconstruction: Theory & Practice. Methuen, London, 1983.

- ايجلتون ، تيري : مقدمة في نظرية الأدب . ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٥٥-١٨١ .

وهناك ترجمة عربية ثانية للكتاب بعنوان : نظرية الأدب . ترجمة : ثائر ديب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ ، يمكن الرجوع إلى الصفحات ٢١٩-٢٥٦ منه .

- زيما ، بيير : التفكيكية : دراسة نقدية . ترجمة : أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٦٣-١٧٧ .

سوبر ، كيت : «الماركسية والتفكيكية» . ضمن كتاب : مابعد الماركسية . إعداد وتقديم : فالح عبدالجبار ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق-بيروت-نيقوسيا ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١١٥-١٣٣ .

(١٢٤) صليحة ، نهاد : تقديم لنص كريستوفر بتلر «التفسير ، والتفكيك .....» . مرجع سابق ، ص٧٩ .

يمثل منزعاً ليبرالياً يتفق مع «مبدأ المناظرة والمناقشة الحرة غير المقيدة، التي لا تفترض مسبقاً نتيجة نهائية»، ولا تترك المقام ينقضي دون أن تخلص إلى نتيجة أخيرة تقلب طاولة التداول حول جهد بتلر رأساً على عقب حين تقول: «وهكذا يطبق بطلر منهج النقد التفكيكي على التفسير الماركسي للأدب، ويرصد الدور الذي تلعبه الأيديولوجية فيه»(١٢٥). وبغض النظر عن مدى قابلية قراءة بتلر للتفسيرات المتعددة في موقفها من التفكيك والنقد الماركسي، إلا أن الجدير بالنظر هنا هو الدلالة التي تبرزها محاولة نهاد صليحة في الترجمة والتقديم لهذا النص ضمن سياق القراءات العربية للتفكيك. وهي دلالة لا تبعد كثيراً عن الدلالات التي تؤشر إلى منعطف انتقالي يومض ببعض الحلول والمخارج التي قد تؤكدها محاولات تالية أو تطمس التماعاتها تماماً. ومن أسف أن نهاد صليحة لم تتبع هذه المحاولة بمحاولات كثيرة في الطريق نفسه، المتعلق بالتفكيك، حتى يتهيأ لنا بلورة أفضل لموقع محاولتها من سياق القراءات التي نعنى بها، وعلى الأرجح، إن ترجمتها الكاملة لكتاب بتلر، التي وعدت بها سابقاً، لم ترَ النور بعد. وهو أمر يحضّنا على التعامل مع جهدها داخل اطار يتجاوز الفردي إلى الجماعي ويتماوج مع أفكار موت المؤلف وأن اللغة هي التي تترجم وتتمرن على قول ما لم تفكر فيه من قبل(١٢٦). إن محاولة نهاد صليحة منطوية على أمشاج أمثولة للحظة التي مثلتها مجلة «فصول»، وقت نشر المساهمة، كما مثلتها العديد من المحاولات العربية للتعرف على المنجز النقدي الجديد وتنسيبه إلى أُطر التراكم المعرفي السابق والخلوص إلى قوام توليفي مناسب يضبط ويوازن ويكشف عن شروط امكان التمثلات.

ولعل محاولة أخرى لصليحة تعزز من تماسك هذا الاستنتاج بنحوٍ أو آخر. فقد تناولت الكاتبة التفكيك ضمن دراسة تالية في فصول نشرت تحتَ عنوان:

---

(١٢٥) صليحة، نهاد: السابق، ص٨١.

(١٢٦) ارجع إلى تفصيل الخلفية النظرية لهذه الطروح في تناولنا لنموذج عبدالسلام بنعبدالعالي في موضعه من هذا البحث.

«المسرح بين النظرية الدرامية والنظرة الفلسفية»(١٢٧) ، وخلالها استعرضت الكاتبة التفكيك ، على سبيل الرصد التوضيحي ، ضمن ما استعرضت من اتجاهات النظر إلى الأدب في القرن العشرين . لقد تميزت هذه الدراسة باقتصاد واضح في اطلاق أحكام القيمة ، بما يناسب مقام العرض والتبسيط ، إلا أن هذه السمة لا تعني ، مع ذلك ، انتفاء لحظات التقييم والصدور عن موقف نقدي له مسافته الضرورية مما يعرض ، هكذا نلتقط في معالجة نهاد صليحة ما يعبر عن ميول تصنيفية ترى في التفكيك نمطاً سلبياً وآخر ايجابياً ، «وتنحو التفكيكية في صورتها الإيجابية نحو منهج (دريدا) ، فتوظف منهجها لدحض الأيديولوجيا الظاهرة السائدة في النص ، وذلك عن طريق كشف تناقضاتها وزيف منطقها ...... أما التفكيكية في صورتها السلبية فتتجه إلى تأكيد استحالة التواصل عن طريق اللغة ، وإلى النظر إلى الأدب والنقد بوصفهما لعبة لغوية تنتفي عنها صفة الجدية .»(١٢٨) . والكاتبة تستوعب جوانب السلب والإيجاب في التفكيك ضمن صورة نهائية شاملة تقرأ التفكيك بوصفه تعبيراً طبيعياً عن التشكيل المهيمن لوعي اللحظة الحضارية في القرن العشرين ، فتقول في خاتمة تناولها للتفكيك : «التفكيكية» تلخص في اتجاهاتها الإيجابية والسلبية وعي القرن العشرين بنسبية المعنى الكاملة ، وبخداع اللغة ، وسطوتها على الفكر ، وبأهمية الإنسان في اعطاء التفسير ، وبتأثير الأيديولوجيا على فهم العالم والتعبير عنه وتفسيره ، وكذلك بأهمية التحليل اللغوي الدقيق للمعاني والألفاظ ؛ وهي في هذا كله تعد ابنة القرن العشرين بحق ، ونتاجه الطبيعي»(١٢٩) .

---

(١٢٧) صليحة ، نهاد : المسرح بين النظرية الدرامية والنظرة الفلسفية . مجلة فصول ، مج٥ ، ع٤ ، يوليو-أغسطس-سبتمبر ١٩٨٥ ، ص١٣٤-١٥٨ .

(١٢٨) صليحة ، نهاد : المسرح بين النظرية الدرامية والنظرة الفلسفية ، المرجع السابق ، ص١٤٨ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ص١٤٨-١٤٩ .

IV- اسهامات جزئية أخرى :

إذا كانت الإسهامات التي اختطّها الخطيبي والجهودات التي داومت عليها مجلة «فصول» قد مثلت نقاط علام في معابر انتقال التفكيك، ومسالك التفاعل مع نصوصه، واقتفاء آثاره خلال النصف الأول من ثمانينات القرن العشرين، فإن المشهد لم يُعدم من تموجات صور أخرى شكلت بعضاً من أمارات انتشار التفكيك في الأجواء، ووشوك تقوّمه كـ «حالة» متفردة وخاصة من بين رهانات وبدائل نقدية أخرى كانت موجودة في الساحة، أو هي آخذة في التشكّل واستكمال المقوّمات.

في عام ١٩٨١ نشر كاظم جهاد ترجمة لدراسة دريدا «مسرح القسوة وحدود التمثيل»(١٣٠) وهي إحدى دراسات «الكتابة والاختلاف»(١٣١). وسيعاود جهاد ترجمة دريدا مرة أخرى حين ينشر أولى دراسات كتاب «الكتابة والإختلاف»، وهي دراسة «القوة والدلالة» و«ذلك في العام ١٩٨٥(١٣٢)، قبل أن يجمع هاتين الدراستين إلى دراسات أخرى لدريدا ويصدرها في كتاب كما سيرد لاحقاً. لقد مثّل كاظم جهاد أحد أهم مصبّات وروافد الإنتشار العربي لدريدا منذ ذلك التاريخ، وهو قد أظهر حساسية عالية، رهيفة الاستشعارات لما يجري داخل أنساق نصوص دريدا، بقيعانها، وتلولها، ورمالها المتحركة، وحدودها الآخذة في الإرتحال والعفاء والتشكل، كل ذلك عبر لغة شاعرة، وتَشرُّبٍ لإيقاع الفكر والأدب الفرنسيّين وصولاً إلى المعادلة الصعبة: «أن تتكلم

---

(١٣٠) دريدا، جاك: مسرح القسوة وحدود التمثيل. ترجمة: كاظم جهاد، مجلة مواقف، لندن، ع٤٣، ١٩٨١.

(١٣١) - Derrida, Jacques: "The Theater of Cruelty and the Closure of Representation" In: Writing And Difference. trans., Alan Bass, Routledge & Kegan Paul, London, 1978, P.P. 232-250.

(١٣٢) دريدا، جاك: القوة والدلالة. ترجمة: كاظم جهاد، مجلة الكرمل، نيقوسيا، ع١٧، ١٩٨٥. وهي منشورة في الصفحات ٣-٣٠ من النسخة الإنجليزية من كتاب دريدا المشار إليه آنفاً.

بالفرنسية كعربي ،حاملاً ، قبل أي شيء ، ودائماً ، دعابتك اليونانية» كما يقول كاظم جهاد[١٣٣] .

كان كاظم جهاد يتحدث الفرنسية كعربي (والفرنسية الدريدية خصوصاً) حين اجتهد في مجاراة دريدا في حديثه عن اختلاف مُرجَأ أو مؤجل بتحويل حرف «e» في المفردة La différence إلى «a» هكذا : La différance ، والثانية تنطق كما الأولى لكنها تُباينها كتابةً . والذي أحدثه كاظم جهاد هو ايجاد مقابل عربي للفظة اخترعها دريدا على هذا النحو : اخـ (ت) ـلاف . داعياً القاريء إلى أن يتعرّف ، داخل كلمة «الإختلاف» نفسها ، وبعد وضع حرف «التاء» بين قوسين على فعل «الإخلاف» : اخلاف الهوية موعدها مع ذاتها وإحالتها إلى «الآخر» باستمرار[١٣٤] . وسيأتي بيان أهمية اجتهاد كاظم جهاد ، الذي يصطف إلى جانب خمسة عشر محاولة عربية مختلفة أخرى من أجل

---

(١٣٣) المقتطف : مقتطع من كلمة لكاظم جهاد قُرِئَت في ملتقى «الجديدة» لتكريم عبدالكبير الخطيبي في ١٢ يوليو ١٩٩٩ ، وقد نشرها جهاد في مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، الأثنين ، ٦ أغسطس ١٩٩٠ ، ص٤١ .

ولعل مما يتصل بالسياق أن يجري التذكير بأن كاظم جهاد ، الذي يعيش في فرنسا هو شاعر أساساً وله عدد من الدواوين الشعرية ، والترجمات لأعمال الشعراء الفرنسيين إلى العربية أمثال رامبو ، ورينيه شار ، وسان جون بيرس وغيرهم ، وهو يجيد ، إلى جانب العربية لغته الأم ، الفرنسية والإسبانية والألمانية ، والأخيرة تتخلل نصوص دريدا الذي يشتغل وفق مرجعيات هيدغرية ونيتشوية بكثافة .

للمزيد حول كاظم جهاد واسهاماته وآرائه ، يمكن الرجوع إلى الحوار التالي :

-.مواجهة مع كاظم جهاد . حوار أجراه : حازم هاشم ، مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات ، بيروت - عمّان ، س٣ ، ع١٠ ، ربيع ١٩٩٦ ، ص٢٨-٣٠ .

(١٣٤) انظر :

- جهاد ، كاظم : مقدمة المترجم ضمن : دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف . ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٣١ .

نقل differance إلى العربية ، في موضعه من هذا البحث .

ومن الإسهامات الجزئية الأخرى التي اندغمت بصور حضور التفكيك في مطالع الثمانينات المشار إليها ترجمة لحوار كان كريستيان ديكامب قد أجراه مع جاك دريدا في جريدة اللوموند بتاريخ ٣١ يناير ١٩٨٢ ، وقد نشر ، دون اثبات اسم المترجم ، في مجلة الفكر العربي المعاصر عقب نشره بالفرنسية مباشرة[١٣٥] . وقد جاء في مقدمة الحوار تعريفاً مقتضباً بجاك دريدا ، بوصفه فيلسوفاً ، ورد فيه «يعتبر دريدا من كبار الفلاسفة الفرنسيين في عصرنا الحاضر . فهو بالإضافة إلى اضطلاعه بمهام التدريس في معهد التربية العالي في باريس ، يواصل أبحاثه حول فلسفة الكتابة ، فالنص بالنسبة إليه قبل أن يكون نسخاً للكلام هو «أثر» انطولوجي لابد من فك رموزه .»[١٣٦] .

كما كتب الأنثروبولوجي أحمد أبوزيد عرضاً تعريفياً بدريدا في مجلة

---

(١٣٥) دريدا ، جاك : حوار مع جاك دريدا . أجرى الحوار : كريستيان ديكامب ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ع١٨-١٩ ، فبراير -مارس ١٩٨٢ ، ص٢٥٢-٢٥٦ . وقد ترجم معجب الزهراني نفس هذا الحوار في مجلة النص الجديد ، بعد أربعة عشر عاماً من نشر الحديث بالعربية للمرة الأولى ، وجاء في بيان معجب الزهراني لأهمية هذا الحوار وأسباب الحرص على ترجمته إلى العربية قوله : «ولا نحسبه قد ترجم إلى العربية سابقاً» .

انظر :

- من حوار مع جاك دريدا . ترجمة : معجب الزهراني ، مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص٢٨٢-٢٩٥ .

ولعل المتتبع يلحظ اختلال التسارعات التي تتحكم في حركة انتقال دريدا إلى العربية ما بين خبو ونشاط ، إذ على حين يجد مثل هذا الحوار طريقه إلى النشر في العربية بعد قرابة الشهر من نشره في فرنسا لأول مرة فإنه ينشر ، دون علم بالنشر الأول ، للمرة الثانية بعد مضي ما يناهز العقد ونصف العقد .

(١٣٦) المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

العربي الكويتية وذلك في عام ١٩٨٣م(١٣٧) ، ورغم أمارات الإنزعاج التي يمكن أن تتخفى وراء سطور أنثروبولوجي كان من أكثر المشتغلين على ليفي شتراوس عربياً إلا أن عرض أحمد أبوزيد جاء محايداً في جملته ولم يطفر من ذلك إلا عبارة أو عبارتين يشف عبرهما التماس الحرج بين دريدا وشتراوس عن اختلاجات الكاتب . وقد أنهى أحمد أبوزيد مقالته بإيراد رأي لسيلفر لوترانجيه يلمح إلى عدمية دريدا وعقم الإتجاه التفكيكي وتداعي دعاويه ، ثم علق أبوزيد : «ولكن هل هذا يعني أنه قد قُضِيَ تماماً على هذه الحركة الوليدة أو أن القضاء عليها أصبح وشيكاً؟ وهل يعني القضاء عليها الحكم بالإفلاس على الفكر الفرنسي المعاصر الذي وقع في شرك التحليلات اللغوية العقيمة؟ الإجابة عن هذا السؤال تتطلب الرجوع إلى أسس البنائية كما وضعها ليفي ستروس ومن قبله دوسوسير لمعرفة مدى ما طرأ من تغيرات»(١٣٨) .

ولعل ختام ما يمكن التطرق لصلته بسياق الإسهامات العربية التي وسعت من آفاق التفكيك ، أو نُظر إليها بوصفها كذلك عند طائفة من النقاد ، هي الإسهامات التي قدمها محمد عابد الجابري منذ صدور «الخطاب العربي المعاصر . دراسة تحليلية نقدية» في عام ١٩٨٢م(١٣٩) .

على الرغم من أن محمد عابد الجابري قد حدد ما يشرع فيه من رؤى على النحو التالي : «لم نكن ، قبل البدء في العمل ، قد حددنا نموذجاً معيناً نقتديه ، فلا كانت ولا فرويد ولا باشلار ولا فوكو ولا ماركس ولا دريدا ولا غير هؤلاء كان بالنسبة لنا مثالاً يحتذى دون غيره . لقد تركنا المادة التي تعاملنا معها تشاركنا الاختيار . لقد كنا حريصين على احترام موضوعنا فلم نترك أية سلطة

---

(١٣٧) أبوزيد ، أحمد : جاك دريدا فيلسوف فرنسا المشاغب . مجلة العربي ، الكويت ، ع٢٩١ ، فبراير ١٩٨٣ ، ص٤٦-٤٩ .

(١٣٨) المرجع السابق ، ص٤٩ .

(١٣٩) الجابري ، محمد عابد : الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ . (ط٢ ، ١٩٨٥) .

مرجعية تمارس هيمنتها عليه ، بل فضّلنا أن يمارس هو بعض الهيمنة على جميع السلطات المرجعية التي تشد إليها المفاهيم التي نوظفها»(١٤٠) . إلا أن الدارسين لم يعفوا جهود الجابري من التجيير تحت مظلة الأجهزة المفاهيمية لهذا المفكر أو ذاك ، وكان دريدا وأفق الممارسات التفكيكية من بين المرجعيات التي ترددت ، بتواتر ، في قراءات العارضين للجابري وكتاباته . فقد عدَّ سيار الجميل الجابري متبعاً للمنهج التفكيكي في كتابه «الخطاب العربي المعاصر» ووصف هذا التفكيك بأنه من نوع النقد الذي يفكك ثم يعيد البناء من جديد(١٤١) . هذا في حين التفت باحثون آخرون إلى التلوين الباشلاردي أو الطابع الفوكوي في كتابات الجابري(١٤٢) .

وقد يمكن عزو مثل هذا التعدد في الميول نحو تصنيف جهود الجابري إلى ما تبديه نصوصه من مقاومة ازاء رغبات الحصر والتحديد التي تسيطر على استهدافات الدارسين في أحيان كثيرة . فإلى موسوعية الجابري هنالك دائماً سعة ميادين التراث الذي يطرق مواضيعه وقضاياه ، وبعد غور الاختصاصات التي ترفد شبكة الباحث النظرية ، وطموح المرامي التي يتوخاها ناقد العقل . وإذا كان الجابري يحدد تداخل العناصر التي تشكل الأساس المنهجي لرؤاه في

---

(١٤٠) الجابري ، محمد عابد : الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية . دار الطليعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٣ .

(١٤١) الجميل ، سيار : نقد ابستمولوجية «الخطاب العربي المعاصر» . مجلة المستقبل العربي ،بيروت ، س١٠ ، ع١٠٥ ، نوفمبر ١٩٨٧ ، ص١٤٧ .

(١٤٢) راجع آراء محمد وقيدي وسالم يفوت ضمن ندوة «نقد العقل العربي في مشروع الجابري» . المنشورة في :

- الجابري ، محمد عابد : التراث والحداثة : دراسات ومناقشات . المركز الثقافي العربي ، بيروت–الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٢٦٥ – ٣٢٣ .

والندوة منشورة تحت نفس العنوان ، لأول مرة ، في مجلة الوحدة المغربية ، س٣ ، ع٢٦ – ٢٧ ، نوفمبر ١٩٨٦م كما جاء في إشارات الكتاب .

المزاوجة بين المنهج البنيوي والمنهج التاريخي والطرح الإيديولوجي الواعي(١٤٣)، فإن استراتيجياته الخاصة في الاستثمار ضمن حقل المفاهيم - أو ما يفضل تسميته بالتَبْيِئَة - قد مثلت على الدوام بؤرة توليد للأسئلة والإشكاليات، ومفرق اختلاف للناظرين في انتاجه. إن الجابري يريد لاستفادته من الآخرين أن تبقى محصورة في دائرة «ما يبقى في ذهن الإنسان بعد أن ينسى كل شيء». وهو في سبيل ذلك يتحرر ما أمكن من عقلية الاستشهاد وطلب السند وتعضيد الدعوى بالإحالات ونحوها. وإذا كان لا ينكر بأنه قرأ لأهم الأسماء الفلسفية التي تشغل دوائر الفكر، فإنه يتبع هذا الاعتراف بالقول «أشعر أنني تلميذ لهم جميعاً. وقد تعلمت منهم جميعاً. وأهم شيء تعلمته منهم هو ما نسيته من آرائهم وتقريراتهم وطرق عملهم. إن هذا الذي نسيته هو الذي استعمله وأوظفه فيما أكتب. وبما أن الأمر يتعلق بمنسي، أو بشيء صار جزءاً من لا شعوري المعرفي، فإنه ليس بإمكاني قط أن أعطيه إسماً يربطه بهذا الأب أو ذاك»(١٤٤). إن ما لم يعطِه الجابري نسباً أو اسماً قد أعطاه غيره هذه الصفة بالنيابة على أية حال. والمتمعن في آثار النقاد على كتابات الجابري سيلحظ إنهم يتقاذفون هذه الكتابات ويبذلون أقصى الوسع في قولبتها ضمن هذا الاتجاه أو ذاك من اتجاهات الدرس الأبستمولوجي، أو هذا المنحى أو ضديده من مناحي الأركيولوجيا، أو هذه الاستراتيجية أو الأخرى من استراتيجيات التفكيك، وما كأيٍ من ذلك مجهودات الجابري التي تتلفع ببرغماتية واضحة تقع في نواة مفهومِ التبيئة وتحول دون أن تخلص كتابته لمعطيات منهجية مسبقة تقسر المفهوم قسراً على استنساخ محدودات الماضي دون الخروج على ذلك قيد أنملة. إن المفهوم بإجرائيته، والأداة النظرية بمدى قابليتها للتطويع والتشكيل والفاعلية في المجال الجديد الذي تنقل إليه، والجابري صريح بهذا الصدد: «إذا وجدت مفهوماً من المفاهيم الرياضية أو الفيزيائية أو السوسيولوجية أو في التحليل

(١٤٣) الجابري، محمد عابد: التراث والحداثة. المرجع السابق، ص٢٦٩.

(١٤٤) الجابري، محمد عابد: مرجع سابق، ص٣٢٢.

النفسي وتوقعت إجرائيته بالنسبة لموضوعي، فإني أستعمله. وقد نبهت مراراً على أن هذا لا يعني أنني أتقيد بجميع المؤطرات التي كانت وراء هذا المفهوم، فأنا أحترم الموضوع، موضوع البحث وأحاول بكل جهدي تجنب السقوط تحت اغراء المفاهيم الجاهزة»[١٤٥].

يسد مثل هذا الدفاع الباب على فرضيات مفضلة يلجأ إليها بعض الباحثين، عادة، مثل القول بوجود سلط معرفية متناقضة مستدعاة ضمن خطاب واحد وما إلى التقائها من سبيل[١٤٦]، أو النقد على أصحاب المشاريع عبر ملاحظة أن الواحد منهم قد وظف مفهوماً معيناً كتب فيه فلان وفلان، لم يشر إلا إلى أحدهما وتجاوز الآخر أو سكت عنه[١٤٧]، أو الإيراد على جهد توظيف المفهوم من منطلق أن اقتران ذلك المفهوم بهذا الباحث إنما يتأسس على طمس حقيقة كون المفهوم قد عرف واستخدم بواسطة باحث آخر قبل ذلك[١٤٨]. مثل هذه المرانات التكتيكية تطفح بها الكتابة حول الجابري وإن كانت لا تقدم دفعاً حقيقياً لإمكانات الحوار وتوسيع مدى التطارح بعيداً عن السجالية قريبة المأخذ. ما الذي نفيده من هذا الدأب لحشر الكينونة الجديدة، الطريّة، الممعنة في النمو ضمن نمذجات سابقة؟ وما الذي يعود بالجدوى من قياس الشاهد على الغائب، أو قياس الجابري على دريدا أو ستروس أو لالاند أو

(١٤٥) الجابري، محمد عابد: المرجع السابق، ص٢٨٤.

(١٤٦) راجع مثلاً نقود كمال عبداللطيف على الجابري ضمن المرجع السابق، ص٢٩٧.

(١٤٧) لاحظ مثلاً نقد محمود عبدالفضيل على الجابري من باب أن الأخير قد استخدم مفهوم «المتخيل الاجتماعي» لكنه لم يورد أي إشارات تغني المفهوم بالنظر إلى كتابات كاستورياديس وليبور في فرنسا في هذا المجال. والملاحظة واردة ضمن: ندوة العقل السياسي العربي. مجلة المستقبل العربي، بيروت، س١٤، ع١٤٠، أكتوبر ١٩٩٠، ص١٣٠.

(١٤٨) من ذلك نقد طرابيشي على الجابري لكونه اشتهر بامتلاك حقوق تعبير: «العقل العربي» مع أنه قد سُبِق إلى استخدام هذا التعبير، انظر:

- طرابيشي، جورج: نظرية العقل. دار الساقي، بيروت-لندن، ط١، ١٩٩٦، ص١١.

ماكس فيبر ، مادامت هذه الطريقة لا تقدم لنا في النهاية معطيات كاشفة بخصوص انتاج الجابري نفسه أو الكيفية التي أعطت بها المفاهيم خصوصيتها داخل التطبيق الجديد؟

إن تكرار مثل هذه الممارسات ازاء نصوص الجابري يترك الانطباع بأن مثل هذه المواقف هي ، في التحليل الأخير ، حصيلة الإختلاف في طبيعة الرصد النظري لسيرورة انتقال المفهوم وهجرة النظرية والشروط الحافة بذلك السفر . لكن هذه المحاولات لا تقول ذلك صراحة ولا تكاد تسفر عن اختلاف الأرضية التي تقف عليها مع أرضية «التبيئة» التي يقترحها الجابري .

٣) العقد التسعيني (١٩٩٠-٢٠٠٠م) :

تمثل حقبة التسعينات الميلادية من القرن العشرين ذروة ملموسة في تصاعد الاهتمام العربي بقراءة دريدا والافادة من استراتيجياته واجرائيات تعامله مع النصوص والآثار . فقد تعددت ، خلال هذه الفترة ، المظاهر الدالة على اشتداد وتائر التراسل مع التفكيك في الساحة العربية ، كماً وكيفاً . وبرزت أسماء عربية جديدة لم يكتب لها أن تدلي بدلوها ، على صعيد النشر ، حول التفكيك خلال العشرية السابقة . ولعل نفس المقتضيات المنهجية التي حدت بنا إلى حصر أهم مظاهر النقل والتثمير في محاور معدودة أبان الحديث حول الثمانينات هي التي تدعونا ، الوهلة ، إلى عرض حركة التفكيك في المشهد العربي التسعيني عبر أربعة محاور ، وهي :

I - اسهام الترجمات في اثراء القراءة العربية للتفكيك .

II- اسهام الدوريات في اثراء القراءة العربية للتفكيك .

III- اسهام الكتابات الإبداعية في اشاعة مفعولات التفكيك .

IV- اسهام المتابعات الإعلامية ومظاهر الرواج في نشر مظلة التفكيك .

V- اسهامات جزئية أخرى .

I- إسهام الترجمات في إثراء القراءة العربية للتفكيك :

لن تخرج هذه المحاولة لدراسة الترجمات العربية المختلفة لنصوص التفكيك ، من حيث التصنيف والتحليل ، عن صنيع دراسات سابقة استعانت ، وهلة تمثلها لمسارات الترجمة وانتقال الأفكار ، بالنسق الثلاثي في تقسيم حركات المشهد ورد مختلف الاجتهادات والأفعال فيه إلى معاينة مستوعبة جامعة .(١٤٩) فقد انطلق عبدالسلام المسدي من منطلق توزيع ثلاثي

---

(١٤٩) بعد أن يعرض عدة أنماط من هيمنة الشكل الثلاثي على التمثلات المعرفية للباحثين في العلوم الانسانية (لسانيات الأداء : أنا je ، أنت tu ، هو il . اللسانيات الكلاسيكية : دال ، مدلول ، مرجع . التحليل النفسي البنيوي : واقعي ، خيالي ، رمزي . المثلث التداولي للسرد : راوي ، مروي ، مروى له . الجدل الهيغلي : القضية ، النقيضة ، الجامع بينهما . . . الخ) يلاحظ داني-روبير دوفور أن «الثالوث» قد تحول في الثقافة الغربية إلى صورة ترنسندنتالية ، وأنه غدا مقولة التحليل الكبرى ، والمحرك لتاريخ الإنسانية . وفي معرض بيان مرجعيات هذا النسق يتساءل ، ثم يجيب : «يتعلق الأمر باختصار في معرفة ما إذا كان الشكل الثالوثي للمسلمات الأساسية لعلومنا في اللغة ، له علاقة أم لا بالتعريفات الثالوثية اللاهوتية بصفة عامة ، وبالعقيدة المسيحية حول الكلمة (الإلهية) بصفة خاصة . هذا سؤال أجيب عنه دون لف ودوران ، بنعم» . إن حكاية الغرب الطويلة ، كما يستنتج دوفور ، هي حكاية مسيحية بالمعنى الدقيق للكلمة ، وتعظيم بلا حدود للثالوث ما دامت كل الحكايات التأسيسية للغة تستخدم الثالوث فعلياً ومشهدياً كبرهان للتمثل . وهو يسحب هذه الظلال إلى مشهد اللحظة الراهنة ، مهما بدا خفوت صوت الوازع الديني فيها ، يقول : «وفي حكاياتنا المعاصرة ، حكاياتنا التقنية-العلمية ، حيث الحديث عن كل شيء إلا عن الله وعن صوره المتعددة ، يبدو الثالوث وكأنه مفقود ، في حين رأينا إنه يحتل في الواقع الموضع الأفضل ، موضع المسلّمة الذي لا يقبل المنازعة ، موضع الأساس . إن انكار الحقيقة الدينية الذي يميز عصرنا التقني هذا ، قد انتهى إذن بوضع الثالوث في الموقع الأرقى» . راجع : دوفور ، داني-روبير : البنيوية : الطية والثالوث . ترجمة : محمد الرفرافي ، مجلة العرب والفكر العالمي ، بيروت-باريس ، ع٩ ، شتاء ١٩٩٠ ، ص٤-٢٦ .

وبالطبع فإن مثل هذه القراءة التي يأتيها دوفور مرشحة للمراجعة والمنازعة ، وهي غير محصنة ضد النقد واعادة النظر ، لا سيما إذا اضطلعت بذلك دراسة عاكفة ومتخصصة ، والمؤلف نفسه ==

لمتجهات العينات النموذجية التي رآها مؤهلة لـ «تقديم صورة تمثيلية لمدى اتساع رقعة الاهتمام بقضية البنيوية بين مختلف حلقات الوطن العربي ، وتقديم صورة نموذجية للحقول المعرفية التي استجاب روّادها لجاذبية الفكر البنيوي ، وفي نفس الوقت تقديم لوحة اختبارية ترسم ببعض الأمانة أصناف المواقع التي انتصب عليها الفكر المعاصر في لقائه بهذه المعضلة» . وقد جاء هذا التوزيع الثلاثي بحسب منطق القضية والنقيضة وجدلية التأليف بينهما(١٥٠) . أما عبده عبود ، في دراسته حول دور الترجمة في تطوير النقد العربي الحديث باتخاذ نظرية التلقي نموذجاً ، فقد بنى تصوره لعمليات الترجمة ونقل الأفكار على أساس تصميم ثلاثي أيضاً ، حدّه الأول هو جهد الاحاطة بالفكر النقدي الأجنبي في لغته الأصلية وسياقه التاريخي وأسسه النظرية ، وحدّه الأوسط هو تقديم هذا الفكر للقراء العرب من خلال العرض والترجمة ، ثم الحد الثالث هو الحوار مع هذا الفكر واستخدامه بشكل تطبيقي من أجل توضيح ما بينه والفكر السائد في الساحة التي نقل إليها من اختلاف وتطابق ومن أجل معرفة مدى صلاحية ذلك الفكر المنقول وجدواه(١٥١) . ويدرس حسن حنفي حركة الترجمة الفلسفية

== يدعو ، في موضع آخر من مقالته إلى ألاّ يعتم هذا الشكل الترنسندنتالي للثالوث المسيحي على الحالات الأخرى للثالوث الطبيعي الذي يبني كينونتنا في العالم ، إلا أن لفت النظر إلى وجهة قراءة من هذا النوع الذي يقدمه دوفور قد يكون مفيداً ومما يستدعيه السياق عند الحديث عن استثمارات الفكر النقدي العربي لنصوص الآخر الغربي . أما منزع هذا البحث ، في هذه الجزئية ، فهو برغماتي تماماً ، أي أنه يتوسل النسق الثلاثي كمقولة تحليلية مؤقته (مادام لا يتوافر على ما هو أفضل منها .) ، أو كفرضية اجرائية مدار التحقق من نجاعتها يكمن في الخصوبة التحليلية التي يمكن أن تقدمها ، دون أن يخلو الأمر من الإلتفاتة العابرة ، أقله ، إلى وجاهة التأمل فيما يطرحه داني-روبير دوفور .

(١٥٠) انظر : - المسدي ، عبدالسلام : قضية البنيوية : دراسة ونماذج . منشورات دار أمية ، تونس ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٥-٦ .

(١٥١) انظر : - عبود ، عبده : هجرة النصوص : دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٢٢-٢٢٦ .

من اليونانية والسريانية إلى العربية ، بدءاً من عصر المأمون ، فينتهي رصده إلى تصنيف آثار هذه الجهود وفق توزيع ثلاثي الأبعاد ، فهناك نقلات ثلاث : «الأولى أولوية النقل على الابداع عندما كان النقل هو الأساس وكان نقل المصطلح الفلسفي والتعليق والشرح والتلخيص هي نواحي الإبداع القائمة على النقل (إسحق بن حنين) . والثانية توازي النقل والإبداع عندما كان المترجمون يؤلفون تأليفاً مستقلاً ويبدأون حركة التأليف قبل ظهور المؤلفين الخلص (الكندي) . والثالثة أولوية الابداع على النقل عندما كثر التأليف على يد مؤلفين غير ناقلين وكان النقل ملحقاً بالابداع وأحد روافده ، فكان التأليف هو الأصل والنقل هو الفرع (ابن سينا)»[١٥٢] .

يمكن لحركة الترجمة في مشهد التعامل العربي مع نصوص جاك دريدا أن تتركح على ركائز ثلاث ، نستعيد عبرها ذلك التقسيم الثلاثي بنقلاته المتعاقبة . فقد كان نقل بعض النصوص والدراسات التفكيكية المتفرقة هو الأساس في البداية (مع بعض العرض والتعليق والتعريف بما هو ألصق بنواحي النقل واستحضار الملامح) ، ثم في عطفة تالية تنامت محاولات الحوار والأخذ والرد مع هذه الاستراتيجيات والمفاهيم الجديدة ، وشهدت الساحة العربية نوعاً من الأصداء والاعتراضات والاستثمارات التي توازت مع استمرارية جهود النقل والترجمة التعريفية بنصوص دريدا أو الترجمة للنصوص النقدية التي عارضت دريدا ونقدت على التفكيك ، وكذلك فإن هذه المرحلة شهدت توسعاً في نقل الآثار التفكيكية لما عرف بـ «الدريدانية الأمريكية» التي دشنها نقاد جامعة ييل على الأخص .

وفي مرحلة أجد برزت مؤشرات الذهاب نحو ترجيح أولوية الإبداع ، أوافساح المجال للاستثمارات العربية التي تفيد من دريدا وتبني على مفاهيمه واستراتيجياته ، نظرياً وتطبيقياً ، في أعمال النقاد والمفكرين العرب .

---

(١٥٢) حنفي ، حسن : من النقل إلى الابداع . المجلد الأول : النقل(٢) النص (الترجمة – المصطلح – التعليق) . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص١٦ .

إن المرحلة الأولى كانت ممثلة ، كما مر بنا وهلة التطرق لحقبتي السبعينات والثمانينات ، بمجموعة من الترجمات التي قدمها محمد البكري(١٥٣) ، وهدى شكري عياد(١٥٤) ، وكاظم جهاد(١٥٥) ، ومحمد بولعيش(١٥٦) ، والصديق بوعلام(١٥٧) ، وغيرهم . وهؤلاء المتقدمون قصدوا إلى ترجمة دريدا مباشرة ، لكن قطاعاً آخر من ممثلي هذه المرحلة (مرحلة النقل) لم يكن لهم مثل هذا التوجه إلى النصوص التفكيكية المباشرة إلا أنهم ، مع ذلك ، قد اندرجوا ضمن هذه الفئة لما قدموه من عرض أو تعريف من خلال مراجعات للكتب ، صنيع سمية سعد في عرضها لأحد كتب كريستوفر نوريس(١٥٨) ، وفريال جبوري غزول في عرضها لنقودات إدوارد سعيد على التفكيك(١٥٩) ، ونهاد صليحة في

---

(١٥٣) دريدا ، جاك : البنية ، الدليل ، اللعبة في حديث العلوم الانسانية . ترجمة : محمد البكري ، مجلة الثقافة الجديدة ، المغرب ، س٣ ، ع١٠-١١ ، ١٩٧٨ ، ص١٣٧-١٥٤ .

(١٥٤) دريدا ، جاك : الاختلاف المرجأ . ترجمة : هدى شكري عياد ، مجلة فصول ، مج٦ ، ع٣ ، أبريل-يونيو ١٩٨٦ ، ص٥٢-٦٧ .

(١٥٥) دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف . ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ . وكنا قد أشرنا إلى أن الكتاب العربي المسمى بـ : «الكتابة والاختلاف» ليس هو كتاب دريدا المعنون بنفس التسمية ، وإنما هو مجموعة من الدراسات المتفرقة لدريدا والتي كان كاظم جهاد قد بدأ في نشرها منذ ١٩٨١ .

(١٥٦) دريدا ، جاك : البنية والعلامة واللعبة في خطاب العلوم الانسانية . مجلة بيت الحكمة ، المغرب ، س١ ، ع٤ ، يناير ١٩٨٧ ، ص٩٣-١١٢ .

(١٥٧) دريدا ، جاك : الكوجيتو وتاريخ الجنون . ترجمة : الصديق بوعلام ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع٥٨-٥٩ ، نوفمبر-ديسمبر ١٩٨٨ ، ص٦٥-٧٣ .

(١٥٨) نوريس ، كريستوفر : التفكيك النظرية والتطبيق . (عرض كتاب) . عرض : سمية سعد ، مجلة فصول ، مج٤ ، ع٤ ، يوليو-سبتمبر ١٩٨٤ ، ص٢٣٠-٢٣٤ .

(١٥٩) سعيد ، إدوارد : العالم والنص والناقد (عرض كتاب) . عرض : فريال جبوري غزول ، مجلة فصول ، مج٤ ، ع١ ، أكتوبر-ديسمبر ١٩٨٣ ، ص١٨٥-١٩٧ .

عرضها لموقف كريستوفر بتلر من التفكيك عبر ترجمة فصولٍ ثلاثة من كتابه «التفسير ، والتفكيك ، والايديولوجية»[(١٦٠)] .

لقد عرفت تسعينات المئوية الفائتة جهداً ملموساً (ولا نقول كافياً) لترجمة دريدا والأدبيات التفكيكية الأخرى . وبرزت ، بالقياس إلى الثمانينات ، مجموعة من المساهمات الترجمية التي تصدت لترجمة كتب كاملة مرة ، أو ترجمة دراسات ومقالات وحوارات متفرقة مرة أخرى .

كان حظ كتب دريدا من الترجمات محتشماً بعض الشيء فإثر ترجمة مجموعة من الدراسات المتفرقة التي جمعها كاظم جهاد ضمن كتاب «الكتابة والاختلاف» في الثمانينات ، صدر لدريدا بالعربية كتاباً مكتملاً واحداً خلال التسعينات هو كتاب «أطياف ماركس»[(١٦١)] ، اضافة إلى مجموعة من الحوارات ترجمها فريد الزاهي في كتاب «مواقع»[(١٦٢)] ، ودراسة مطولة ومهمة من كتاب «التشتيت» ترجمها كاظم جهاد ، وهي بعنوان «صيدلية أفلاطون»[(١٦٣)] ، وأخيراً ، أعمال اللقاء الذي جمع دريدا بمجموعة من المفكرين العرب والأجانب والذي نشر تحت عنوان «لغات وتفكيكات في الثقافة العربية»[(١٦٤)] .

على أن هذه الحشمة التي يمكن لحظها بصدد ترجمة الكتب الأساسية الكاملة لدريدا لا تقول كل شيء ولا يكتمل بها المشهد ، فهناك من جانب آخر تدفق في مظاهر ترجمية أخرى يمكن أن توازن الصورة ، أو على الأقل تقف بنا ،

---

(١٦٠) بتلر ، كريستوفر : التفسير والتفكيك والايديولوجية . ترجمة وتقديم : نهاد صليحة ، مجلة فصول ، مج٥ ، ع٣ ، أبريل-يونيو ١٩٨٥ ، ص٧٩-٩٦ .

(١٦١) دريدا ، جاك : أطياف ماركس . ترجمة : منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري- المركز الثقافي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٥ .

(١٦٢) دريدا ، جاك : مواقع . ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ .

(١٦٣) دريدا ، جاك : صيدلية أفلاطون . ترجمة : كاظم جهاد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٩٨ .

(١٦٤) لقاء الرباط مع جاك دريدا : لغات وتفكيكات في الثقافة العربية . ترجمة : عبدالكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨ .

بشكل أكثر إحاطة ، على أطياف دريدا الشاخصة الغائبة .

فقد ترجم جورج أبي صالح ، في العام ١٩٩٠ وعبر مجلة العرب والفكر العالمي ، «أفكار حول جهنم» لجاك دريدا(١٦٥) ، وفي العام نفسه قام فريق الترجمة بمعهد الإنماء القومي الذي يصدر المجلة نفسها بترجمة دراسة دريدا الهامة «توقيع ، حدث ، سياق»(١٦٦) .

وفي العام ١٩٩٣ نقل بختي بن عودة نصاً لدريدا كتب بمناسبة رحيل الفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير ، وهو بعنوان «قراءة لغياب ألتوسير . العالم غير مناسب»(١٦٧) .

أما العام ١٩٩٥ فقد شهد ترجمة محمد بنيس لنص بعنوان «ما الشعر؟»(١٦٨) .

وفي العام ١٩٩٦ ترجم كل من إدريس كثير وعزالدين الخطابي نصوصاً ممزوجة لجاك دريدا وموريس بلانشو جاءت منشورة بالعربية تحت عنوان «الوجود المكتوب : الدال المقروء في غيابه»(١٦٩) ، وفي نفس العام ترجم عبدالعزيز بن عرفة نصاً لدريدا نشر بالعربية تحت عنوان «المهماز : أساليب نيتشه : المرأة .

---

(١٦٥) دريدا ، جاك : أفكار حول جهنم . ترجمة : جورج أبي صالح ، مجلة العرب والفكر العالمي ، ع١٢ ، خريف ١٩٩٠ ، ص١٢١-١٤٣ .

(١٦٦) دريدا ، جاك : توقيع ، حدث ، سياق . ترجمة : فريق مركز الإنماء القومي ، مجلة العرب والفكر العالمي ، ع ١٥ ، ربيع ١١٩٠ ، ص٨٢-١٠١ .

(١٦٧) دريدا ، جاك : قراءة لغياب ألتوسير : العالم غير مناسب . ترجمة : بختي بن عودة ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٥ ، ع١٩ ، اغسطس-سبتمبر ١٩٩٣ ، ص١٠-١٣ .

(١٦٨) دريدا ،جاك : ما الشعر؟ . ترجمة : محمد بنيس ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٨٢٧ ، الأثنين ١٠ يوليو ١٩٩٥ ، ص١١ .

(١٦٩) دريدا ،جاك : الوجود المكتوب : الدال المقروء في غيابه . ترجمة : إدريس كثير عز الدين الخطابي ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع٢٧ ، أبريل-مايو ، ١٩٩٦ ، ص٣٥-٣٦ .

أشرعة فراشة ضخمة»[١٧٠] .

وفي العام التالي ، ترجم عبدالسلام بنعبدالعالي نصاً نشره بعنوان «الفكر الفرنسي وأشكال الخلخلة»[١٧١] .

وفي العام ٢٠٠٠ نشرت مجلة ابداع القاهرية نصاً لدريدا ترجمته كاميليا صبحي بعنوان إلى «موميا أبو جمال» .[١٧٢]

وغني عن البيان أن البيانات المقدمة آنفاً إنما تقتصر على الاشارة إلى نصوص دريدا ، نفسه ، المكتوبة ، المترجمة إلى العربية خلال الفترة التي نعرض لها بالدرس ويخرج عن حدود الحصر ها هنا حوارات دريدا ونصوص التفكيكيين الآخرين والكتب التي تناولت دريدا أو تناولت التفكيك بمدح ، أو قدح ، أو شرح . وكل هذه النماذج كانت ترفد الترجمة وتسهم في نقل دريدا نقلاً يتفاوت ، دقة وابداعية ، ما بين مرحلة ومرحلة من المراحل الثلاث التي أشرنا لها عند الحديث عن حركة الترجمة في مشهد التعامل العربي مع نصوص جاك دريدا وأدبيات التفكيك قبلاً .

لقد كانت هذه النماذج تخوض نوعاً من المرانات المتكررة لتمثل المعنى ، واعادة تشكيله ، وحصره ، والامساك به . ولم تكن المهمة سهلة في كل الأحوال ، يشهد على ذلك اخفاق محاولات الترجمة أحياناً ، وتأدّيها على نحو يعوزه التشذيب والمراجعة واعادة النظر في أحيان أخرى .

فمن الأول (= اخفاق الرغبة في ترجمة دريدا) ما عرض لمجموعة من

---

(١٧٠) دريدا ، جاك : المهماز . أساليب نيتشه : المرأة أشرعة فراشة ضخمة . ترجمة : عبدالعزز بن عرفة ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع٢٦ ، فبراير-مارس١٩٩٦ ، ص٦-١٠ .

(١٧١) دريدا ، جاك : الفكر الفرنسي وأشكال الخلخلة . ترجمة : عبدالسلام بنعبدالعالي ، مجلة فكر ونقد ، الرباط ، س١ ، ع٢ ، اكتوبر ١٩٩٧ ، ص١١٥-١١٦ .

(١٧٢) دريدا ، جاك : إلى موميا أبو جمال . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢٠٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠ ، ص٨-١٢ ، هذه الترجمة إلى الترجمات المستعرضة الأخرى لاستمام الإفادة رغم خروجها عن حد الحصر الزمني لما نحن بصدده .

المترجمين العراقيين جاءوا في إثر ابتسام عباس . ومن الأداء الذي افتقر إلى تحسينات تأتي من بعده محاولات صبري محمد حسن في ترجمة كتاب كريستوفر نوريس «التفكيكية النظرية والممارسة»(١٧٣) .

في المثال الأول تصدّت العراقية ابتسام عباس لترجمة كتاب «الفلسفة والأدب» الذي حرره : أ . فيلبس كريفتز(١٧٤) ، وهو كتاب تضمن ثلاث عشرة محاضرة ، أحدها لجاك دريدا ، وقد ألقيت محاضرة دريدا «ازاء القانون»(١٧٥) ، أول مرة بترجمتها الانجليزية التي أعدها بول فولكس ، إلا أن محرر هذا الكتاب ، تضامناً مع الناشر في المؤاخذات التي تبدت على الترجمة الانجليزية ، قرر الاكتفاء بنشر المحاضرة في الكتاب من خلال مقاطع من الأصل الفرنسي .

لقد شرعت ابتسام عباس في ترجمة كتاب «الفلسفة والأدب» إلى العربية ، واستغرقها الأمر أكثر من عامين من الكتابة حتى خرجت ترجمتها

---

(١٧٣) نوريس ، كريستوفر : التفكيكية النظرية والممارسة . ترجمة : صبري محمد حسن ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٩ .

(١٧٤) كريفيثز ، أ . فيلبس : الفلسفة والأدب . ترجمة : ابتسام عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .

وقد ظهر أصل الكتاب بالانجليزية بعنوان Philosophy and Literature تحت رقم المجلد السادس عشر في سلسلة محاضرات المعهد الملكي للفلسفة The Royal Institute of Philosophy في جامعة كمبردج ، وظهر في منشورات مطابع الجامعة ، ١٩٨٤ ، على إنه في الأصل محاضرات المعهد المذكور للسنة الأكاديمية ١٩٨١-١٩٨٢ ، وقد بوشر بتحريره وطبعه سنة ١٩٨٣ .

(١٧٥) وهي عبارة عن بحث فلسفي في واحد من أهم أعمال كافكا kafka . وقد ظهر بالألمانية تحت عنوان Vor dem Gesetz وترجمه دريدا إلى الفرنسية بعنوان Devant la loi ، وعرف بالإنجليزية بعنوان Before the Law .

للكتاب بوصفها «مأثرة» كما يلاحظ عبدالأمير الأعسم[176] ، إلا أن هذه «المأثرة» لم تستطع أن تنجح في تقديم دريدا ضمن أضمومة الكتاب . يقول الأعسم : «وفي الترجمة التي بين أيدينا ، تكرر هذا الإشكال الذي أشار إليه محرر الأصل الانجليزي بخصوص محاضرة الأستاذ دريدا ، فلم تستطع السيدة ابتسام عباس ترجمتها عن الفرنسية كما ينبغي لنص صعب لكتابات دريدا ، ولم تفد معاونة الآنسة شفيقة مطر في اصلاح النص المترجم ، واعتذر غير واحد من المعنيين بالترجمة عن الفرنسية بالمساهمة الجادة لاستكمال الكتاب في تقديم نص عربي دقيق لمحاضرة الأستاذ دريدا ، تعاوناً مع السيدة المترجمة من ناحية ، وتنفيذاً للدقة العلمية المطلوبة في ترجمة كاملة للكتاب . وكما حدث للدكتور فولكس في الترجمة الإنجليزية ، والرجوع عن نشرها بنشر النص الفرنسي لمحاضرة دريدا ، فقد رأيتُ بعد اعادة فحص مراجعة الكتاب التنازل عن رأيي في ترجمة المحاضرة إلى العربية ، ولم أرَ ضمها للكتاب بنصها الفرنسي ، كما فعل Griftiths ، فحذفناها بالكامل ، على الرغم من أهمية موضوعها في البحث الفلسفي»[177] .

إن عبدالأمير الأعسم الذي ارتأى ، ازاء الصعوبات التي عرضت في ترجمة دريدا ، حذف مساهمته الفلسفية من الكتاب بكاملها اكتفى بتعريف من فقرة واحدة بدريدا ومنهجه جاء فيه : «تجد دريدا يبحث دائماً في تفتيت النص

---

(١٧٦) انظر :

مقدمة عبدالأمير الأعسم الذي راجع الكتاب ص١١ حيث يدلي بالشهادة التالية : «فأقول في حقّها أنّها عملت في ترجمته أكثر من عامين ، وكتبته وأعادت كتابته طالبة قربه من الكمال . إن ترجمتها للكتاب مأثرة لها لا ينكرها إلا جاحد ويشهد عملها الذي راجَعتُه مرتين ، ترصيناً للنص مرة ، وتدقيقاً في وحدة المصطلح والتعريب ، فوجدت السيدة المترجمة تتحلى بروح يقل نظيرها في الأدباء الشباب المتطلعين إلى الفلسفة» .

(١٧٧) كريفيثز ، أ . فيلبس : الفلسفة والأدب . ص٩ ، والاقتباس من تقديم الكتاب لعبدالأمير الأعسم .

والاستغراق فيه لإعادة بنائه بصورة مجهرية لتفاصيل أجزائه . من هنا ، فقط ، أستطيع أن أزعم أن بحث الأستاذ دريدا الذي لا يضمه هذا الكتاب نص صعب ، لم يسعف الحظ قراء العربية ، كقراء الانجليزية ، الاطلاع عليه ، وظلّ حبيس فرنسيته الرصينة»[١٧٨] . ولعل دريدا ، في المجمل العام ، لم يظل حبيس فرنسيته الرصينة اليوم ، بل انه يستقبل استقبال الفاتحين على الشاطيء الآخر من الأطلسي[١٧٩] ، فيما لازالت العوائق تحول دون أن يتحدث دريدا العربية بمهارة كافية .

ومن الجَمجَمات الأولى التي تحدث بها دريدا بالعربية ، أو تحدث بها التفكيك : ترجمة صبري محمد حسن لكتاب كريستوفر نوريس «التفكيكية . النظرية والممارسة»[١٨٠] ، فقد تتبع مثالب هذه الترجمة محمد بن عبدالله آل عبداللطيف منتهياً إلى القول : «إن هذه الاخطاء في ترجمة ثلث الكتاب الأول فقط وغيرها مما لم نستطع عرضه فككت فقرات ظهر كتاب كريستوفر نوريس عن التفكيكية وبعثرتها في أجواء من الفهم الخاطيء وأحالتها إلى ترجمة

---

(١٧٨) المرجع السابق ، ص١٠ . ويلفت النظر أن الأعسم ، بخلاف القراءات المشتهرة ، يرى أن عمل دريدا هو هدم من أجل البناء ، أو عمل على التفتيت بغية اعادة البناء .

(١٧٩) في مقالة بعنوان «سياسة دريدا» ، يقول مارك ليلا : «دريدا كثيراً مايُسأل عن نجاحه في أميركا ويجيب دائماً بالنكته نفسها : «إن التفكيك هو أميركا» . ويبدو أنه يعني بذلك أن لدى أميركا شيئا من الجذوة الديمقراطية اللامتمركزة التي يحاول أن يعيد انتاجها في فكره هو» ، ويعلق ليلا بخبث : «لعله مقبل على تحقيق شيء ما هنا لأنه إذا لم يكن التفكيك أميركا فقد أصبح بكل تأكيد نزعة أميركية» . أنظر :

- ليلا ، مارك : سياسة دريدا : نقد فلسفة التفكيك الفرنسية . مجلة أبواب ، بيروت-لندن ، ع١٨ ، خريف ١٩٩٨ ، ص٩-٣٠ ، ص٢٨ ، والمقالة منشورة في المجلة دون ذكر اسم المترجم ، علماً بأنها مترجمة عن «نيويورك ريفيو أوف بوكس» ، ع١١ ، ٢٥ يونيو ١٩٩٨ .

(١٨٠) نوريس ، كريستوفر : التفكيكية : النظرية والممارسة . ترجمة : صبري محمد حسن ، دار المريخ ، ط١ ، ١٩٨٩ .

انعدمت فيها موازين الفهم في نص جديد هلامي أقل ما يقال عنه أنه عديم المحتوى والفائدة أيضا . ولو تعلم المترجم ولو قليلاً من الرصانة العلمية والرزانة الاسلوبية التي عالج بها الكاتب الأصلي نصوص الآخرين التي أوردها أو ترجمها في كتابه لربما أعطى هذا الكتاب الجميل والهام ما يستحقه من اهتمام واحترام ، ولكن للأسف فقد تعرض هذا المؤلف المهم إلى تعسف وظلم طمسا معالمه وأخفيا جميع مساحات الجمال فيه»[١٨١] .

والمرء قد يلمح مبلغ الحدة في تقريرات آل عبداللطيف إلا أن المآخذ والنقودات التي أوردها تترك الانطباع ، فعلاً ، بما يعتور هذه الترجمة من أخطاء وقصورات . ولعل من أبرز ما أخذه آل عبداللطيف على صبري محمد حسن أنه كان يخطيء في ترجمة التعابير الإصطلاحية Idioms عامداً إلى النقل الحرفي لها دون الوعي بخاصية هذه التعابير ، كما أخذ عليه الخطأ في ترجمة عناوين بعض الكتب المشتهرة التي ترد في الترجمة ، هذا فضلا عن سوء فهم المترجم للغة العربية التي يبتكر فيها اشتقاقات طريفة كما يرى آل عبداللطيف . وإضافة إلى هذا وذاك فإن الأمر لا يخلو -كما يلاحظ آل عبداللطيف- من اخلال المترجم بالأمانة العلمية في دقة النقل والتوثيق ، مع الحذف أو الاضافة من المتن وإليه دون مسوغات ، وادماج الاقتباسات التي يعمد إليها نوريس في النص الأصلي دون الاشارة إلى ذلك .

ومن أمثلة التخليطات التي يقع فيها صبري عبدالمنعم ، فيما نحن بصدده :

- الغاء الاقتباسات أو دمجها ، يقول آل عبداللطيف : «وهو يلغي كيفما اتفق اقتباسات مباشرة (حرفية) وردت في الأصل ويدمجها في النص مثل ص٣٢ في الترجمة حيث يدمج اقتباساً لرولاند بارت ص١١ ، واقتباساً من دريدا ص٣٥ الأصل وص٨٨ الترجمة ، وأخر لبنتام ورد في ص٤٩ وترجم في ص١١٢ . أما ص١٠٩ فلا يكتفي بإدماج اقتباس المؤلف من دريدا الوارد في

---

(١٨١) آل عبداللطيف ، محمد بن عبدالله : اغتيال الأصل . ٣/٣ . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٤ ، ع١٠٦٢٢ ، ٢٤ يوليو ١٩٩٧ ، ص٢٣ .

ص٤٥ ، بل هو أيضاً يحذف توثيق الإقتباس وهو : (Derrida 1973, P.18) من الترجمة كلية»[١٨٢] .

- استشفاف حواشي المترجم الإضافية على الترجمة من مصادر أخرى بما يخالف اجتهادات المترجم في المتن : يقدم آل عبداللطيف ملاحظة بهذا الخصوص في قوله : «في الحاشية(٩) ص٥٦ ينقل المترجم اقتباساً مطولاً (صفحة ونصف) يشتمل على تعريف لكلمة (Grammatology) من كتاب هو على ما يبدو كتاب الدكتور الغذامي «الخطيئة والتكفير» ويذيله أيضاً بكلمة (المترجم) ، ويحيل إلى كتاب الغذامي فقط للاستزادة . وبالرغم من أن الحاشية جاءت في غير مكانها وفي سياق لم ترد فيه الكلمة الأصلية مطلقاً ، فهو يعرفها على أنها «فكرة النحوية» وهو هنا يخالف جميع ما سبق وأورده في متن الترجمة من تعاريف ومصطلحات لترجمة هذه الكلمة ، وكذلك ما سيسوقه لاحقاً ، فبينما هو يوردها في المقدمة على أنها «علم القواعد» يوردها بعد ذلك ص٧٢ كترجمة لعنوان مقالة دريدا (On Grammatology) على أنها «علم اللغة وعلم القواعد» وص٧٩ على أنها «مجال علم القواعد العامة» ، ثم ص٩١ بـ «علم القواعد» وهو لم يعرفها بـ«النحوية» في أي جزء من أجزاء الكتاب»[١٨٣] .

- وهم المترجم في معاني الكلمات التي يتأدى بها سياق النص الدريدي : ومن ذلك وهم المؤلف في معنى كلمة Genesis في بعض نصوص دريدا ، يقول آل عبداللطيف : «ثم لنأخذ المثال التالي والذي ورد في الاصل على شكل اقتباس مباشر من دريدا أي أن هذا ما قاله دريدا حرفياً ص٣٥ . تقول العبارة :

Rousseau's argument "twist about in a sort of oblique effort to act as if degeneration were not in the genesis..."

ويقول المترجم ، والكلام لمحمد بن عبدالله آل عبداللطيف ، ص٨٨ : «يقول دريدا أن جدل روسو يلتوي حول نفسه في جهد ملتو وغير مباشر وكأن التفسخ

---

(١٨٢) آل عبداللطيف ، محمد بن عبدالله : اغتيال الأصل . ٣/٣ . المرجع السابق ، ص٢٣ .

(١٨٣) السابق ، نفس الصفحة .

والحط من القدر لم يرد ذكرهما في سفر التكوين . .(كذا يرد الكلام وبدون علامات اقتباس ، فقد دمج كلام دريدا بما قاله المؤلف) . ويضيف آل عبداللطيف للكلمة (Genesis) معان متعددة مثل : «البدايات» و «الأصل» وهذا هو المقصود في النص السابق ، بينما هو يترجمها بـ«سفرالتكوين»! لمجرد أن هناك أحد أسفار إنجيل العهد القديم يسمى The Book of Genesis السفر الأول أو سفر التكوين ، وهذا ما اختلط على مترجمنا ، وشتان ما بين المعنيين ، وهذه الترجمة تخريج طريف حقاً . وهو يصر على نفس الترجمة ويكرر نفس الخطأ عندما يورد العنوان التالي لمقالة دريدا حول هوسرل عام ١٩٧٨ The Genesis and structure (الأصل ص٥١) ، ويترجمها هكذا : «سفر التكوين والبنائية» ص١١٧ مع أن المقصود هنا هو «الأصل والبنية» . كما إنه يترجم عبارة (The Genetic demand) ذات العلاقة بسابقتيها والواردة في أسفل ص٥٠ من الأصل هكذا : المطلب المأخوذ عن سفر التكوين !»[١٨٤]

ومع استمرار محاولات تعريب دريدا ، واتصال «مِران» اللغة على قول دريدا بالعربية ظهرت ترجمة أخرى لكتاب كريستوفر نوريس قدمها رعد عبدالجليل جواد[١٨٥] ، وبالرغم من ملاحظة أحمد عبدالحليم عطية في دراسته «التفكيك والاختلاف . جاك دريدا والفكر العربي المعاصر» التي تذهب إلى أن ترجمة رعد

---

(١٨٤) آل عبداللطيف ، محمد بن عبدالله : الترجمة واغتيال الأصل . ٣/١ . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٤ ، ع١٠٦٠١ ، ٣ يوليو ١٩٩٧ ، ص٣٤ .

(١٨٥) نوريس ، كريستوفر : التفكيك : النظرية والممارسة . دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٢ .

عبدالجليل أكثر دقة من ترجمة صبري عبدالمنعم(١٨٦) ، إلا أن المقارنة المتأنية بين الترجمتين بالمضاهاة مع النص الانجليزي قد تدفع إلى الإسترابة في مثل هذا الحكم الذي يطلقه أحمد عبدالحليم عطية .

فقد أسقط المترجمان ، تقديم ترنس هوكس للكتاب(١٨٧) . وأسقط رعد عبدالجليل مقدمة الكتاب بعد ذلك(١٨٨) ، كما غلب على ترجمات رعد الاغراب الناشيء عن عدم الألفة باللغة الفلسفية ، فهو مثلاً يترجم الفقرة التالية من الطبعة الإنجليزية :

"Kantianism without the transcendental subject" is a description often applied to structuralist thought by those who doubt its validity. Culler's line of argument domonstrates the force of this slogan, showing itself very much akin to the kantian philosophy of mind and reason"(١٨٩)

بالعربية هكذا : «إن الكانطية من دون موضوع الابهام ماهي إلا وصف يطبق

---

(١٨٦) عطية ، أحمد عبدالحليم : التفكيك والاختلاف : جاك دريدا والفكر العربي المعاصر . ضمن : الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين ، كتاب قضايا فكرية ، الكتاب الخامس والسادس عشر ، يونيو-يوليو ١٩٩٥ ، ص١٥٩-١٨٩ ، وهو يشير إلى ترجمة صبري محمد حسن لكتاب كريستوفر نوريس المشار إليه ثم يقول : «وهي ترجمة غير دقيقة على عكس من ترجمة رعد عبدالجليل جواد التي نشر جزءاً منها في مجلة «الثقافة الأجنبية العراقية» وصدرت عن دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ١٩٩٢ .

(١٨٧) انظر :

ماكتبه ترنس هوكس في ص VIII-VI من النسخة الإنجليزية

Norris, Christopher: deconstruction: Theory and Practice. Methuen, London & New York, Reprinted 1988.

(١٨٨) وتقع في الصفحات xi , xii , xiii من الطبعة الإنجليزية .

(١٨٩) نوريس : الطبعة الإنجليزية ، ص٣-٤ .

غالباً على الفكر البنيوي من قبل أولئك المتشككين في قدرتها ، وتظهر مناقشات كوللر بوضوح قوة هذا الشعار حيث تتبدى مماثلة للفلسفة الكانطية القائمة على العقل والسبب»(١٩٠) .

ولعله واضحاً أن transcendental لا يمكن ترجمتها ، بأي حال ، بالإبهام كما فعل جواد ، فالمعروف أن بعض الاجتهادات العربية تترجمها بـ «التعالي» ، والبعض الآخر يترجمها بـ«التسامي» ، ويذهب بعض ثالث إلى إبقاء الأصل بعد التعريب فيكتبها هكذا : ترنسندنتال ولكن لم يقل أحد ، فيما نعلم ، بأن هذه المفردة تتناظر مع مفردة ابهام . ومن جهة أخرى فإن ترجمة reason بالسبب في محاولة جواد تنبو عن السياق لدى من يمتلك احاطة ولو يسيرة بفلسفة كانط رغم أن السبب هو أحد المعاني التي تقترحها القواميس لكلمة reason .

في معبر آخر ، يقع رعد عبدالجليل جواد في الابهام وعدم الدقة والسبب هو أنه يعمد إلى ترجمة matrix بـ«مواد» وليس «مصفوفة» كما هو متداول وأوفق للسياق ، فيقول : «والهدف الرئيسي لمنهج كوللر البنيوي تقديم نوعية من المواد المنظمة للملاحظات التي يمكن أن تبدو معتمدة على النزعات الذاتية للناقد أو براعته»(١٩١) هذا في حين أن النص الانجليزي يرد على النحو التالي :

"Culler's main claim for the structuralist approach is that it offers a kind of regulative matrix for perceptions that might otherwise seem merely dependent on the critic's personal flair or virtuosity"(١٩٢)

والذي يغلب على الظن هو أن المترجم وَهَمَ فجعل matrix هي matter التي تعني مادة في حين أن المصفوفة أو الـ matrix في الرياضيات أقرب إلى السياق هنا ، إذ تتميز المصفوفة الرياضية بوجود انتظام ذاتي يتغير تبعاً لحركة العناصر العددية داخل المصفوفة ، وهذا بالطبع ، أقرب إلى طبيعة التصور البنيوي للبنية .

---

(١٩٠) نوريس : ترجمة : رعد عبدالجليل جواد ، ص٩ .

(١٩١) ترجمة : رعد عبدالجليل لكتاب نوريس ص٨ .

(١٩٢) نوريس ، الطبعة الانجليزية ، ص٢ .

وعلى الرغم من أن صبري محمد حسن يترجم كلمة matrix غضون ترجمته للفقرة السابقة بـ«قالب» ، وكلمة قالب هي احدى المحتملات القاموسية لـmatrix(١٩٣) إلا أن المصفوفة أكثر ملاءمة في هذا المقام .

ويقتضي المقام ، قبل أن نغادر هذه الجزئية ، أن نشير إلى أن ترجمة صبري محمد حسن للفقرة السابقة تبدو ، في مجملها ، أكثر توافقاً مع الفقرة التي كتبها كريستوفر نوريس ، يقول صبري عبدالمنعم «وتقوم دعوى كولر في أساسها على إن نظرية البنائية تقدم قالباً تنظيمياً للادراكات التي قد تبدو بغير هذا القالب مجرد ادراكات تعتمد على حاسة التمييز الشخصية عند الناقد نفسه(١٩٤) ، وأنت ترى ، بالمضاهاة مع ترجمة رعد عبدالجليل جواد ، أن المعنى متخالف بجلاء بين الترجمتين ، وترجمة صبري أقرب إلى النص الأصلي بالنظر إلى انه يثبت القيد الموجود في العبارة حين يشير إلى توقف تنظيم الادراكات على ما تقدمه البنيوية من تنظيم (في شكل مصفوفة أو قالب) يعصم من أن يتحول النقد إلى لمسات انطباعية ، فعبارة «بغير هذا القالب» التي يثبتها صبري مهمة لتوصيل المعنى الأكثر دقة ، أما عبارة جواد فتخلط المعنى تماماً ، ولا يتبين القاريء إن كانت «المواد» المنظمة للملاحظات هي التي يمكن أن تبدو معتمدة على انطباعات الناقد أو أنها هي البديل الذي يحول دون الوقوع في هذه النزعات الذاتية .

وفي كل الأحوال فإن الأوشاب والهفوات ليست قصراً على ترجمة دون الأخرى ، فترجمة صبري مثلها مثل ترجمة جواد يعتورها خطل كثير ، والترجمتان كثيراً ما تختلفان ، إلى حد التدابر ، في تعريب الجمل وتأدية معنى

---

(١٩٣) أنظر :

- الكرمي ، حسن سعيد : معجم المغني الأكبر . مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٧٧٤ .

حيث يرد (إن matrix) تعني : أُم (في الطباعة) . قالب . حِواء = ما يحيط بالشئ ويحتويه = ضِمَام .

(١٩٤) نوريس : ترجمة : صبري محمد حسن ص٢٣ .

العبارات ، فمثلاً يقول نوريس :

"The text as a bearer of stable (if complicated) meanings"[١٩٥]

ويترجم رعد عبدالجليل جواد ما بين القوسين الكبيرين هكذا :(إن كانت معقدة)[١٩٦] ، وهو الصواب ، أما صبري محمد حسن فيترجم العبارة نفسها هكذا : (إن لم تكن معقدة)[١٩٧] ، والمرء يعجب من الخول الذي جعل المترجم يضع العبارة في سياق النفي هنا .

ومن أمثلة ذلك اختلاف المترجمين أمام الجملة التالية :

"On the one hand Culler appeals to what seems a loose extension of the linguist Noam Chomsky's argument"[١٩٨]

فصبري محمد حسن يترجمها على النحو التالي : «ويحتكم كولر من ناحية إلى مايرى فيه امتداداً سائباً ومائعاً لدعوى اللغوي ناعوم تشومسكي»[١٩٩] ، أما رعد عبدالجليل فيترجمها «ومن ناحية فإن كوللر يعترض على مايبدو استرسالاً مهلهلاً لمناقشات اللغوي نعوم تشومسكي»[٢٠٠] وظاهر أن بين الاحتكام إلى تشومسكي والاعتراض عليه مسافة تستحق التأمل .

وحتى لا نطيل في التتبع والاستقصاء نكتفي بمثال أخير يعمد فيه صبري إلى اختزال العبارة التي كتبها نوريس اختزالاً مخلاً ، بينما يبتعد جواد عن المعنى المراد ابتعاداً شديداً ، يقول نوريس :

---

(١٩٥) نوريس : الطبعة الانجليزية ، ص٣ .

(١٩٦) نوريس : ترجمة : جواد ، ص٨ .

(١٩٧) نوريس : ترجمة : صبري ، ص٢٤ .

(١٩٨) نوريس : الطبعة الانجليزية ، ص٢ .

(١٩٩) نوريس : ترجمة : صبري ، ص٢٣ .

(٢٠٠) نوريس : ترجمة : رعد عبدالجليل جواد ، ص٨ .

"Deconstruction is avowedly 'post - structuralist' in its refusal to accept the idea of structure as in any sens given or objectively 'there' in a text"(٢٠١)

وبمقابل هذه العبارة تكون ترجمة صبري محمد حسن على هذا النحو : «واقراراً فإن التفكيكية تجيء بعد البنائية كما هي في النص»(٢٠٢) ، أما رعد عبدالجليل جواد فيترجم نفس العبارة هكذا :

«ومن الواضح أن التفكيكية استتبعت البنيوية في رفضها لقبول فكرة البناء بأي معنى يقدم أو أن يكون كهدف موجود -هناك- في النص»(٢٠٣) .

إن القاريء لَيستبين أن الحذف الذي أحدثه صبري في ترجمة الجملة قد قضى على امكانية الفهم أو الإفادة ، إذ ما معنى أن تجيء التفكيكية بعد البنيوية كما هي في النص ؟! ، ثم إن «objectively there» أو «الموجودة هناك» عبارة مكتنزة فلسفياً ، ولها صلة حميمة بفكرة الـDasein عند هيدجر أي الوجود في العالم بالمعنى المكاني ، والمعنى الأنطولوجي(٢٠٤) ، وربط الوجود في العالم بالوجود في النص في هذه الجملة ينطوي على غور فلسفي لا يبدو أن الترجمة التي قدمها صبري تستشعره ، أو تشعر القاريء به ، لأن اللغة عند اتجاهات الاختلاف ، في إثر هيدغر ، هي التي تفتح لنا العالم ، وهي بيت الوجود ومسكن الكائن .

والذي يستحق الاشارة إليه ، سوى ما تقدم ، هو أن ترجمة رعد عبدالجليل جواد تعطي عكس المعنى المتحصل من سياق اتجاه من اتجاهات ما بعد البنيوية ، يخالف البنيوية في التصور ، ويرفض فكرة البنية التي يقوم عليها التصور البنيوي

---

(٢٠١) نوريس : الطبعة الإنجليزية ، ص٣ .

(٢٠٢) نوريس : ترجمة : صبري محمد حسن ، ص٢٥ .

(٢٠٣) نوريس : ترجمة : رعد عبدالجليل ، ص٩ .

(٢٠٤) للتوسع في الموضوع يمكن الرجوع إلى : بدوي ، عبدالرحمن : موسوعة الفلسفة ، ٢٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص٦٠٠-٦٠٥ .

في كل شكل من أشكالها ، فهو بهذا الاعتبار يقف بالضد من البنيوية ، ويناكف تصور الأشياء على أساس انتظامها ضمن أسيجة قارة ومغلقة ومزودة بقوانين التحكم الذاتي . إن عبارة جواد تدخل في روع القاريء أن التفكيك ليس إلا متابعة للبنيوية في فكرة مؤداها أن العالم والأشياء والنصوص كلها محكومة ببنية أو مجموعة بنيات ، ونحسب أن هذا مخالف البتة لما يفهم من العبارة الانجليزية لنوريس .

على أن مناقشة اسهامات الترجمة في اثراء القراءة العربية لدريدا قد لا تكتمل بالتمثيل لترجمة المؤلفات والنصوص الكاملة فحسب ، إذ هناك الجزئي إلى جانب الكل الكامل دائماً ، والمفرد بإزاء الجمع أبداً ، ومن هنا فإننا في التعريجة التالية سندلف صوب «مصطلحات» التفكيك أو «كلماته المفتاحية» لنرى تمثيلاً من صنيع قراءات الفكر النقدي العربي في اجتهادات تحويلها وتعريبها .

ولنبادر ، أولاً ، إلى القول ، عند هذه النقطة ، بأن بعض المحاولات اجتهدت في التدقيق أمام بعض الاشكالات التي تعرض في هذا الجانب . فقد رام يوسف وغليسي تحليل «مصطلح» التفكيك Deconstruction والاجتهادات العربية المختلفة لترجمته .

وقد ذهب وغليسي إلى أن العراقي سامي محمد هو أول من وضع مصطلح «التفكيكية» مقابلاً للمصطلح الأجنبي Deconstruction ، وذلك في العام ١٩٨٠[(٢٠٥)] . ثم استعرض الباحث المحاولات العربية المختلفة لوضع مقابل عربي لمفردة Deconstruction ، فلاحظ أن عبدالله الغذامي وعبدالملك مرتاض قد

---

(٢٠٥) انظر :

- وغليسي ، يوسف : التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر . مجلة قوافل ، الرياض ، س٥ ، مج٥ ، ع٩ ، ١٩٧٧ ، ص٥٣-٦٦ ، ص٦١ . وهو يشير إلى ترجمة سامي محمد لدراسة ليوتيل إيبل المعنونة بـ «نقد بعض ملامح المنهج البنيوي في النقد الأدبي» ، مجلة الأقلام ، بغداد ، س١٥ ، ع١١ ، أغسطس ١٩٨٠ ، ص٢١٧ .

استخدما «التشريحية» ، وإن سعيد علوش قد استخدم «التفكيك» ، وكذلك كاظم جهاد ، ثم جاء عبدالملك مرتاض ليعوض اختياره الأول بمصطلح «التقويض»[٢٠٦] ، وقد جاراه في ذلك ميجان الرويلي وسعد البازعي ، وأضاف محمد صالح الشنطي مصطلحاً جديداً هو «النقضية»[٢٠٧] .

ويخلص وغليسي إلى نتيجة يقول فيها : «إن مواجهة الخطاب النقدي العربي المعاصر لمصطلح Deconstruction بهذا الكم المعتبر من الوحدات الاصطلاحية (التفكيك ، التفكيكية ، التقويض ، التقويضية ، التشريحية ، التحليلية ، البنيوية ، النقض) وربما وحدات أخرى لا علم لنا بها! لا يمكن أن يعني إلا أن المصطلح لا يزال ، في حده ومفهومه ، مكتنفاً بكثير من الغموض والافتعال ، وأنه لم يُفهم على حقيقته (الدريدية) ، بقدر ما كان انتاجاً نقدياً محلياً ولكنه مغلف ببهارج أجنبية!»[٢٠٨] .

وبعيداً عن هذه النتيجة «المتحمسة» ، يمكننا أن نشير إلى أن الثواء النظري الذي ينبعث منه «المفهوم» الدريدي ، لا يقع بضمن المحددات النظرية المتداولة

---

(٢٠٦) حول المراحل والتقلبات المختلفة التي مرت بها اجتهادات عبدالملك مرتاض في ايجاد مقابل لـ Deconstruction يمكن الرجوع إلى :

- البنكي ، محمد أحمد : عبدالملك مرتاض ومصطلحه المضطرب . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٩٦٣ ، ٩ يناير ٢٠٠٠م ، ص١٣ .

(٢٠٧) انظر للتوسع :

- وغليسي ، يوسف : المرجع السابق ، ولقد يحسن هاهنا أن نستدرك على التقصيات السابقة فنضيف أن عبدالوهاب المسيري وضع «الانزلاقية» مقابلاً للـ Deconstruction في بعض كتبه ، وسنتوسع حول قراءة المسيري للتفكيك في الفصل الثالث ، كما أن شكري عزيز ماضي قد ترجم Deconstruction بـ«اللابناء» في كتابه «من اشكاليات النقد العربي الجديد» . انظر :

- ماضي ، شكري عزيز : من اشكاليات النقد العربي الجديد . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١٧٤ .

(٢٠٨) وغليسي ، يوسف : التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر . مرجع سابق ، ص٦٣ .

والشائعة التي تنطلق من امكان المطابقة بين الدال والمدلول . ومن هنا فإن أي تسمية تعطى لهذه المفاهيم (أعني أي حصر لها في اسم أو مصطلح) ترتهن بقصور لا يمكن تفاديه . إن كل مفهوم من مفاهيم دريدا هو جذر مشترك لكل التعارضات المفاهيمية التي تشرخ اللغة . ومن هذا المنظور فإن مفهوم الـ Deconstruction شأنه شأن مفهوم الـ Differance وهو ، كما يقول دريدا : «ليس مفهوماً بنيوياً ، ولا هو ببساطة مفهوم تكويني . إن هذا البديل نفسه سيكون من انتاج المغايرة نفسها . بل أستطيع أن أزعم ... بأنها ليست بكل بساطة مفهوماً»(٢٠٩) .

وللتدقيق في آليات النقل الاصطلاحي والاستعارة المفاهيمية ضمن الكتابات العربية التي تتعامل مع التفكيك يلزمنا أن نستحضر أولاً أن التفكيك ينتمي إلى تحول فلسفي له موقفه المراوغ ازاء سلطة المفهوم(٢١٠) ، وهو تحول يقع في المشهد ما بعد الكانطي مستلهماً صنيع هيدغر الذي يضع المفهوم في مساحة الاختلاف بين الكينونة والكائن لا في متوسط المسافة بين الذات والموضوع كما كان الأمر قبل ذلك(٢١١) ، ومن هنا فإن بعض القراءات العربية التي تحاول محاصرة بعض الكلمات المفتاحية في استراتيجيات دريدا ، مثلاً ، محاولة فرض معنى وحيد لها عبر مصاولات سجالية برهانية انما تخسر الإنضواء تحت هذا البعد المعرفي شديد الوغول في التفكيك وثواءاته النظرية .

إن المفهوم ، كما تحكي تواريخ العلوم والأفكار ، لا يعرش الا على أرضية متعينة معروفة الحدود . ولكن التفكيك لا يتوفر على مثل هذه الأرضية ولا

---

(٢٠٩) دريدا ، جاك : مواقع . ترجمة : فريد الزاهي . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص١٥ .

(٢١٠) وهو تحول أكد عليه نيتشه دائماً واتسعت دائرة تكريسه بعد نيتشه ، راجع نقولات جيل دولوز وفيليكس غتاري عن نيتشه بهذا الصدد في : ما هي الفلسفة؟ . ترجمة : جورج سعد ، دار عويدات الدولية ، بيروت-باريس ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص١٥-١٨ .

(٢١١) انظر : المصدر السابق ، ص١٠٠-١٠١ .

يدّعي علمية الإجراء ودقة الحدّ ، فهو ، إذن ، لا يصلح لإستنبات «المفهوم» . إنه استراتيجية متحولة مترحلة تدخل في حروب مع كل ما حولها (حتى تشكلاتها واشتغالاتها السابقة) ، وهو من حيث هذه الطبيعة لا ينتج مفهوماً وإنما مفتاحاً ، قيمته من قيمة اشتغاله وفاعلية هذا الاشتغال . إن التفكيك ليس علماً بقدر ما هو استراتيجية ، وهو ليس بناءً منطقياً متماسكاً بقدر ما هو هدم وتقويض وبنينة مستمرة لا تكف ولا تهدأ . وعلى حين أن المفهوم محدود بأثبات قارة ومتصورات متعارف عليها فإن الكلمة المفتاحية مخترقة بتقاطعات وآثار وتناصات تفسح للمعاني وظلال المعاني وظلال الظلال ، وتسمح بأداء مزدوج المستويات الدلالية يرجيء كل اغلاق .

إن للتعامل مع الأجهزة المفاهيمية والأدوات الخاصة بنظرية من النظريات مستويان ، مستوىً يروم الضبط وتوضيح الحد والنص على المشمولات الداخلة تحت سلطان المصطلح والأبعاد الخارجة عنه ، ومستوىً آخر يستريب في إمكان الحّد ، ويميل إلى إعمال حركة هدم وبناء داخل الأجهزة النظرية تفتح حدودها وتتسامح مع تحولات تخومها وتشكلاتها . ولكل مستوىً من المستويين معقوليته الخاصة .

من هنا فإن «المفاهيم» التي تتحرك في فضاءات مثل هذه الطروح ، طروح الاختلاف ، هي دائماً مفاهيم من المستوى الثاني ، أعني مفاهيم زئبقية متفلتة وعصية على الحدّ . أنها فحسب أشباه مفاهيم ، إن لم نقل أنها مفاهيم مضادة . ومن هنا ، جزئياً ، يمكن تفسير صعوبة المحاولات العربية في ايجاد مقابلات للكلمات المفتاحية الدريدية . فالمصطلح انما يبنى على مفهوم قار ، ومتعين المشمولات . والمصطلح الذي لا يمتلك مثل هذه الأرضية يفقد ، بالتبعية ، جانباً من مواصفات المصطلح ، وسنمثل ما دمنا بصدد اسهامات الترجمة في اثراء القراءة العربية للتفكيك بمثال واحد هو صنيع النقاد والمفكرين العرب في التعامل مع مفردة differance التي اخترعها دريدا للتعبير عن الاختلاف مع التأجيل في وقت واحد .

إن المصطلح الذي نقف عنده ليس مصطلحاً! وهذه هي أولى اشكالاته! إنه

اقـتـراح يقـدمـه دريدا من خـلال الكلمـة المفـتـاحـيـة differance . واللفظة differance نفسـها ليست مستلة من القواميس ولا توجد بهذا الهجاء في أي لسـان ، لكن دريدا اخترعـهـا اختـراعـاً ووضـعـهـا بحذاء لفظة difference التي تعني : اختلاف أو تفارق مستفيداً في صناعة اللفظة الجديدة من أمرين : أولهما قابليتها لتضمن معنيين لفعلين مختلفين أحدهما بمعنى الاختلاف والآخر بمعنى الارجاء . وثاني الأمرين هو الافادة من تلاعب هذه اللفظة الجديدة بثنائية الصوت والكتابة ، حيث تلفظ differance بنفس الطريقة الفونيتيكية التي تلفظ بها لفظة الاختـلاف الدارجة (بحرف الـ e عوض الـ a) ولا يستبين التمييز أو الفارق الا بالاحتكام إلى المكتوب وحده ، فكأنما حضور الصوت في هذه الحالة هو حضور ناقص وغير مكتمل بخلاف ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن لأول خاطر ، ومثل هذه اللعبة ليست مجانية وهي من صميم الأفكار التي يتفرد بها دريدا في معالجاته العميقة التي باتت عَلَماً عليه .

إن الذي تريد هذه الدراسة أن تسلط الضوء عليه هو الكيفيات المختلفة التي انتقل بها «المصطلح» differance إلى اللغة العربية والنهوج التي توسلها الكتاب والمترجمون العرب في تحقيق تبيئة عربية لهذا المصطلح أو الكلمة المفتاحية ، ولنتقدم في الأمر خطوة نقترح القاء نظرة على الجدول التالي :

جدول يبين الترجمات العربية المختلفة للكلمة المفتاحية differance عند دريدا

الترجمة	المترجم	المصدر	الملاحظات
الإرجاء	جابر عصفور	حضور الكتابة ، جريدة الحياة ، ٢١ نوفمبر ١٩٩٣ ع ١١٢٣٩	differance ترد في المقال مرة كـ «ارجاء» ومرة أخرى كـ «اختلاف»
الإختلاف	جابر عصفور	١- حضور الكتابة ، السابق . ٢- مقدمة ترجمة جابر لـ«البنية ، العلامة ، اللعب» مجلة فصول ، مج١١ ، ع٤ ، شتاء ٩٣	
الـ(إ)(ت)خـ(ت)لـ(ا)ف	الحسين سحبان	ترجمة سحبان لـ :دريدا : الـ (إ)(ت)خـ(ت)لـ(ا)ف . مجلة الحكمة .ع١ ، خريف ١٩٩٢ المغرب .	هناك ذكر وتخريجات للأسباب التي حدت بالمترجم إلى اختيار هذا التركيب في المقال ص٢٩ يحسن الرجوع له
المغايرة	فريد الزاهي	دريدا : مواقع . حوارات . دار توبقال ، ١٩٩٢	الزاهي يجعل الإختلاف difference ، والمغايرة بـ (a)
الإختلـ (ا)ف	إدريس كثير - عزالدين الخطابي	سارة كوفمان ، روجي لابورت مدخل إلى فلسفة جاك دريدا ، ١٩٩١	المترجمان يجعلان الإختلـ(ا)ف بـ (a) والإختلاف للأخرى .
المباينة	عبدالسلام بنعبدالعالي	أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، توبقال ، ١٩٩١ ، ص٧٨ .	الإختلاف différence
الإختلاف المرجأ	هدى شكري عياد	مجلة فصول ، ابريل-يونيو ١٩٨٦	الإختلاف difference

Differance	سمية سعد	عرض كتاب نوريس : التفكيك ، مجلة فصول ، مج٤ ،ع٤ يوليو-سبتمبر ١٩٨٤	تورد العارضة المصطلح كما هو دون تعريب .
الديفيرانس	سمير مسعود	آن جيفرسون وديفيد روبي : النظرية الأدبية الحديثة ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٩٢	لا توجد إشارة لـ difference
الإختلاف	عبدالمقصود عبدالكريم	ديفيد بوشبندر : نظرية الأدب المعاصر ، ١٩٩٦	الأخرى أيضاً : الإختلاف ، دون تمييز
فرق التأجيل	يوئيل يوسف عزيز	وليم راى ، المعنى الأدبي ، ١٩٨٧	الأخرى : الإختلاف
الإختلاف(a+)	بختي بن عودة	كتابات معاصرة ، ع ٥١ ، ١٩٩٢	
الفارق	فاطمة الجيوشي	هابرماس :القول الفلسفي للحداثة ، ٩٥	الفرق : difference
«الإختلاف والإرجاء»	محمد عناني	المصطلحات الأدبية الحديثة ، ١٩٩٦	الإختلاف
الإخـ(تـ)ـلاف	كاظم جهاد	دريدا ، الكتابة والإختلاف ١٩٨٨	
الفرق	محمد بنيس	عبدالكبير الخطيبي ، الاسم العربي الجريح ، دار العودة ، ١٩٨٠	
المباينة	سعيد علوش	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ١٩٨٥	اما الإختلاف فهو difference
الاخترجلاف	عبدالوهاب المسيري	اليهودية وما بعد الحداثة ، مجلة اسلامية المعرفة ، خريف ١٩٩٧	

في ترجمته لكتاب دريدا : مواقع ، الصادر عن دار توبقال ، ١٩٩٢ ترجم فريد الزاهي الـ differance بـ «المغايرة» مفضلاً ابقاء لفظ الاختلاف لترجمة اللفظة المعتادة difference[٢١٢] .

أما هدى شكري عياد فقد ترجمت الـ differance بالاختلاف المرجأ[٢١٣] مفضلة ترك لفظ الاختلاف للّفظة الأخرى . وكان يوئيل يوسف عزيز قد ترجم المصطلح الذي نحن بصدده بلفظ مركب هو «فرق التأجيل» غضون ترجمته لكتاب وليم راي عن «المعنى الأدبي . من الظاهراتية إلى التفكيكية»[٢١٤] . وجاء عبدالمقصود عبدالكريم في ترجمته لكتاب ديفيد بوشبندر : نظرية الأدب المعاصر ، ١٩٩٦ ليترجم differance بـ «الاختلاف»[٢١٥] . ولعل أشهر الترجمات وأكثرها ذيوعاً هي ترجمة كاظم جهاد للـ differance على هذا النحو : الاخـ (ت) ـلاف مفيداً من امكان اهمال التاء أو اعمالها ، وفي حالة الاهمال يصبح اللفظ إخلاف وهو قريب الصلة بإرجاء كما إن إعمالها في حالة الإعمال يعطي المعنى الآخر وهو المغايرة ، وكانت هذه المحاولة في ١٩٨٦ غضون ترجمة كاظم جهاد لبعض فصول كتاب دريدا «الكتابة والاختلاف» وبعض الدراسات الأخرى والتي ظهرت في العربية تحت هذا الاسم «الكتابة والاختلاف» وهي صادرة عن دار توبقال مع ان الكتاب العربي هو غير الاصدار الفرنسي الذي يحمل نفس الاسم لجاك دريدا[٢١٦] .

---

(٢١٢) دريدا ، جاك : مواقع . ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ .

(٢١٣) دريدا ، جاك : الاختلاف المرجأ . ترجمة : هدى شكري عياد ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج٦ ، ع٣ ، ١٩٨٦ .

(٢١٤) راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ .

(٢١٥) بوشبندر ، ديفيد : نظرية الأدب المعاصر . ترجمة : عبدالمقصود عبدالكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .

(٢١٦) دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف . ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ .

وجاء الحسين سحبان في ترجمته لفصل من كتاب «هوامش الفلسفة» لدريدا فترجم الـ diferance ، مفيداً من لعبة الأقواس التي استهوته فيما يبدو ، هكذا [الـ (إ) (ت) خـ (ت) لـ (ا) ف] ومعللاً ذلك بالقول انه يقترح هذا الرسم الكتابي العربي الغريب لترجمة الكلمة لكي يمكن من مجرد ادراكها البصري ، الاستحضار الآني لمختلف الدلالات التي تحيل عليها مفردة الاختلاف عند دريدا ، وهو يضيف ان الحروف الموضوعة بين أقواس في هذا الرسم الكتابي يمكن استخدامها بالتناوب للحصول على مختلف الدلالات المشتقة من الجذر : خ .ل .ف : اختلاف ، تخلف ، خلف ، اخلاف ، تخالف ، خلاف . وهو يدعو إلى أن يكون أساس تمايز هذه الدلالات في الكلمة العربية هو التاء والألف بينما الأساس في الفرنسية هو a و e[٢١٧] .

أما إدريس كثير وعزالدين الخطابي في ترجمتهما لكتاب سارة كوفمان وروجي لابورت : مدخل إلى فلسفة جاك دريدا ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٩٩١ فقد عمدا إلى فكرة الأقواس أيضاً ولكن ترجما الكلمة المفتاحية هكذا : الاختلـ (ا) ف[٢١٨] .

وهناك محاولات أخرى حاولت أن تتعامل مع الـ differance فترجمتها بالإرجاء مثالها صنيع جابر عصفور في مقالة بعنوان : «حضور الكتابة»[٢١٩] ، كما أن محمد عناني في كتابه «المصطلحات الأدبية الحديثة» ، ٦٩٩١ ترجم هذه الكلمة بلفظين مقترنين بالواو العاطفة هكذا «الاختلاف والإرجاء»[٢٢٠] .

أما بختي بن عودة فقد ترجم الـ differance هكذا : « الاختلاف (a+)»

---

(٢١٧) دريدا ، جاك : الـ (إ) خ(ت) لـ(ا)ف . ترجمة : الحسين سحبان ، مجلة الحكمة ، المغرب ، ع١ ، خريف ١٩٩٢م .

(٢١٨) كوفمان ، سارة - لابورت ، روجي : مدخل إلى فلسفة جاك دريدا . ترجمة : ادريس كثير وعز الدين الخطابي ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ .

(٢١٩) عصفور ، جابر : حضور الكتابة ، مرجع سابق .

(٢٢٠) عناني ، محمد : المصطلحات الأدبية الحديثة . مكتبة لبنان-لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .

وذلك في مجلة كتابات معاصرة ، ع١٥ ، ١٩٩٢[٢٢١] .

وجاءت سمية سعد فاكتفت بنقل المصطلح بحروفه الأصلية كما هي داخل الكتابة العربية وكتبت differance مطلقة من أي مقابل عربي في كل موضع اعتازت إلى استخدام «المصطلح» فيه[٢٢٢] .

وشبيه بهذا الصنيع ما فعله سمير مسعود في ترجمته لكتاب آن جيفرسون وديفيد روبي : النظرية الأدبية الحديثة ، ٢٩٩١ حيث كان ينقل نفس اللفظ بحروف عربية فيكتب : الديفيرانس كلما قابله difference[٣٢٣] .

وهناك ترجمات أخرى اختارت لفظ الفرق أو الفارق كمقابل عربي لـdifferance . وقد اختار الأولى محمد بنيس في ترجمته لكتاب عبدالكبير الخطيبي الاسم العربي الجريح ، اما : الفارق فهو اختيار فاطمة الجيوشي في ترجمتها لكتاب يورغن هابرماس : القول الفلسفي للحداثة ، ١٩٩٥ ، وهي قد اقامت تفريقاً في المقابلات العربية لـ difference و differance فأقامت الفرق مقابلاً للأولى وجعلت الفارق مقابلاً للثانية[٢٢٤] .

ويتبقى بعد ذلك اجتهاد آخر ، أتاه سعيد علوش أولاً في كتابه : معجم

---

(٢٢١) بن عودة ، بختي : موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٤ ، ع١٥ ، أغسطس-سبتمبر ١٩٩٢ ، ص٣٤-٣٩ .

(٢٢٢) سعد ، سمية : عرض كتاب : التفكيك النظرية والتطبيق . مرجع سابق .

(٢٢٣) جفرسون ، آن : البنيوية وما بعد البنيوية . ضمن كتاب : النظرية الأدبية الحديثة : تقديم مقارن . تحرير :آن جيفرسون وديفيد روبي ، ترجمة : سمير مسعود ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢ .

(٢٢٤) انظر :

- الخطيبي ، عبدالكبير : الاسم العربي الجريح . ترجمة : محمد بنيس ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .

- هابرماس ، يورغن : القول الفلسفي للحداثة . ترجمة : فاطمة الجيوشي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ .

المصطلحات الأدبية المعاصرة حيث ترجم differance بـ «المباينة» وجعل الاختلاف مقابلاً للفظة الأخرى الدارجة(٢٢٥) . وكذلك ذهب إلى ترجمة differance بنفس المنحى من الاجتهاد عبدالسلام بنعبد العالي في كتابه : أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، ١٩٩١ ، فاختار المباينة للكلمة المفتاحية التي نحن بصددها مفيداً من الحقل الدلالي للبين في العربية حيث يعني الاختلاف من ناحية وهو يعنى البعد والفراق من ناحية أخرى(٢٢٦) .

وربما كانت آخر الاجتهادت التي نعرض لها هي محاولة عبدالوهاب المسيري الذي انتهى إلى وضع «الاخترجلاف» مقابلاً لـ «diiffreance» على أساس النحت من كلمتي «اختلاف» و «ارجاء»!(٢٢٧) .

ما الذي يمكن استنتاجه من هذه الاختلافات في ترجمة مفردة differance؟ وما الترجمة الأصوب بين هذه الترجمات؟ إننا ، في هذه الوهلة ، نقترح الكف عن نشدان صواب أوحد يقصي الإمكانات الأخرى ، أي كما يقول عبدالسلام بنعبدالعالي «إن الترجمة الحقة هي بين الترجمتين ، إنها في لعبة إختلافهما»(٢٢٨) ، وفي أفق الذهاب نحو امكانات تحويل النصوص عبر لعبة الاختلاف بينها يمكننا التوافق مع معقولية مغايرة لتعقل الأمر بحسبان أن

---

(٢٢٥) علوش ، سعيد : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . دار الكتاب اللبناني-سوشبريس ، بيروت- الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٥ .

(٢٢٦) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : أسس الفكر الفلسفي المعاصر أو مجاوزة الميتافيزيقا . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ .

(٢٢٧) انظر :

- المسيري ، عبدالوهاب : اليهودية وما بعد الحداثة : رؤية معرفية . مجلة اسلامية المعرفة ، ماليزيا ، س٣ ، ع١٠ ، خريف ١٩٩٧ ، ص٩٣-١٢٢ .

(٢٢٨) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة (إلى العربية خصوصاً) ، في بعض مسائلها المتصلة بالمنهج والدلالات : جهد ثقافي ما بين خيانة . . وخيانة مضاعفة . جريدة الحياة ، لندن ، ٢٤ مايو ١٩٩٤ ، ص١٧ .

الترجمة هي تمرين تحويلي بين اللغات ، وأن «الأرجح أن يرى العاقل في كل ذلك عبارة عن تمرين على قول الآخر وفكره ، على نحو ما يتمرن المرء على كيس الرمل ، تقوية لعضلاته ، وحفاظاً على لياقته البدنية . فإذا صح هذا التشبيه ، فالترجمة لا تعدو كونها ، من حيث غايتها الرئيسة ، تمريناً على حسن الاستعداد الفكري واللياقة الذهنية»(٢٢٩) .

II- اسهام الدوريات في اثراء القراءة العربية للتفكيك :

يستطيع المتتبع أن يلحظ أن شطراً غير قليل من فضل انتشار وتداول الأدبيات التفكيكية في الفكر النقدي العربي انما يعود إلى الدور الذي أدته المجلات والدوريات النقدية والفكرية المختصة والتي اعتنت بتعزيز مسعى مجلة فصول المصرية في التعريف بالتفكيك ونقل آثار دريدا ، بل إنها ، من بعض الجوانب على الأقل ، تجاوزت دور «فصول» فيما نحن بصدده فاهتمت بنقل حوارات مختلفة لدريدا ، وتعريب بعض ما كتب عنه ، وبعض ما أنتجته «الدريدانية» الأمريكية .

والواقع أن هذه الدوريات ، بتصديها لمثل هذه المهام ، انما كانت تكرر ظاهرة خاصة عرفها تاريخ الأدب والحركة النقدية في السياق العالمي ، ولحظها بعض المعتنين بتاريخ الأفكار النقدية حتى لقد كتب جوناثان كلر دراسة مهمة في مجلة « تاريخ الأدب الجديد» تنوّه بالظاهرة التي عرفها تاريخ أفكار النقد منذ ان استغل النقاد الجدد مع رانسوم ، ومن جاء بعده ، هذه الدوريات لتحقيق ما اعتبره ريتشارد فوستر ، كما ينقل كلر ، « النجاح الأكثر خرقاً للعادة في كل الثورات الأدبية» ، ويضيف كلر أنه منذ ذلك التاريخ احتلت الدوريات الأدبية دورها في تحولات النظرية ، ويلفت كلر النظر إلى أن تتبع قوائم الأعمال المهمة عالمياً (وهو يورد أمثلة) يكشف بجلاء عن الدور الذي تأدى عبر انسياب وتداول

---

(٢٢٩) قبيسي ، حسن : لغتنا والترجمة : بحث في العلة وتسكينها . مجلة الفكر العربي ، بيروت ، س١٥ ، ع٧٥ ، شتاء ١٩٩٤ ، ص٦-٤٠ .

تلك المجلات منذ ذلك التاريخ[٢٣٠] .

يمكن القول أن الدوريات النقدية والفكرية العربية المتخصصة قد أسهمت في تعميق الاهتمام بدريدا والتفكيك عبر أكثر من شكل من أشكال الترجمة والتوظيف . وقد أدت الملفات الخاصة ، في مستوى أول ، دوراً بارزاً في هذا الصدد ، فقد نشرت مجلة الطليعة الأدبية العراقية ، ١٩٩٠ ، ملفاً تعريفياً حول التفكيك تضمن مدخلاً ومساهمات غلب عليها طابع الترجمة لناصر الحلاوي وسعيد الغانمي وسهيل نجم وعبدالله إبراهيم حيث ترجمت نماذج من كتابات دريدا وستانلي فيش وهيلز ميلر اضافة إلى ترجمة المحاورات التي أعقبت تقديم دريدا لبحثه الهام «البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الانسانية» في المناظرة الأمريكية الشهيرة حول البنيوية ١٩٦٦ . وقد حرصت المجلة على إثبات أنها أولى المجلات العربية التي تخصص مثل هذا الملف للتعريف بالتفكيك[٢٣١] .

---

(٢٣٠) نورد الإفادات السابقة ملخصة بتصرف من :

- Culler, Jonathan: New History and European Theory. New Literary History, 1994, Issue No.25, P.P.869-879.

وكلر الذي يتساءل في بداية مقالته الآنفة : ما الذي يمكن قوله حول دور المجلات في تطوير دراسات الأدب؟ يلاحظ أن رينيه ويلك عندما كتب «تاريخ النقد الأدبي» لم يَعِرْ المجلات اهتماماً وهلة الحديث عن مؤثرات التطور في النقد الأدبي الأمريكي . والواقع أن دور المجلات في التطوير هو ما جاء جوناثان كلر ليدافع عنه في هذه المقالة التي كتبها بمناسبة مرور خمسة وعشرون عاماً على ظهور العدد الأول من مجلة «تاريخ الأدب الجديد» . ويمكن لمن أراد التوسع في تتبع دور هذه الدوريات التي يتناولها كلر أن يعود إلى :

- Janssens, G.A.M: The American Literary Review, The Hague, 1968.

(٢٣١) ينظر : الطليعة الأدبية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ع ٥-٦ ، ١٩٩٠ . ص٥٥-٨٠ .

ويلاحظ أن دراسة : هيلز ميلر : قراءة اللامقروئية عند بول دي مان ، ترجمة سهيل نجم ، ص٧٢-٧٦ تمثل الفصل الثالث من كتاب أخلاق القراءة الذي ترجمه سهيل نجم ونشره كاملاً بعد ذلك ==

في العام ١٩٩٣ خصصت مجلة «فصول» باب «آفاق نقدية» ضمن عددها الشتائي لدريدا والتفكيك حيث نشرت دراسة مطولة لكاظم جهاد بعنوان : «مدخل إلى قراءة دريدا»[٢٣٢] . إضافة إلى ترجمة عربية ثالثة لدراسة دريدا «البنية ، العلامة ، اللعب ، في خطاب العلوم الإنسانية» أنجزها وقدم لها جابر عصفور ، وتولى مراجعة البحث على النص الفرنسي هدى وصفي[٢٣٣] . وقد كانت الدراسة التي وقعها كاظم جهاد نوعاً من أنواع الاشارة إلى اتصال جهود كاظم جهاد في قراءة دريدا ونقله إلى العربية رغم مضي خمس سنوات على وعده للقاريء العربي بإصدار ترجمة قريبة لـ«صيدلية أفلاطون» يوم أن قدم للمكتبة العربية مجموعة الدراسات المعنونة بـ«الكتابة والاختلاف» في

= عن دار الكنوز ببيروت ١٩٩٧ . ولقد جاء في ترجمة المجلة لنقاشات المتداخلين حول بحث «البنية والعلامة واللعب» أن المجلة لم تقم بنشر البحث لأنه قد نشر في مجلة «بيت الحكمة» المغربية قبلاً ، ولعله أمر يدل على مبلغ تراسل الجهود في تشكيل أفق التفكيك في الفكر النقدي العربي ، لكن المجلة ، من جهة أخرى ، قد وهمت في تحديد تاريخ القاء هذا البحث فذكرت أن المناظرة حول البنيوية قد عقدت في «وقت مبكر من السبعينيات» مع أنها أشارت إلى أن هذا البحث قد ضمنه دريدا «لاحقاً» في كتابه الكتابة والاختلاف . والثابت أن «الكتابة والاختلاف» قد صدر في العام ١٩٦٧ ، لا في السبعينات كما يفهم من اشارات المجلة ، كما أن المؤتمر المشار إليه كان قد عقد في أكتوبر ١٩٦٦ بعنوان «لغات النقد في علوم الانسان» وذلك بتنظيم من مركز الدراسات الإنسانية في جامعة جونز هوبكنز الأمريكية .

(٢٣٢) جهاد ،كاظم : مدخل إلى قراءة دريدا–في الفلسفة الغربية بما هي صيدلية أفلاطونية . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١١ ،ع٤ ، شتاء ١٩٩٣ ، ص١٩٥-٢٢٩ .

(٢٣٣) دريدا ، جاك : البنية ، العلامة ، اللعب ، في خطاب العلوم الانسانية . ترجمة : جابر عصفور ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج١١ ،ع٤ ، شتاء ١٩٩٣ ، ص٢٣٠-٢٥٠ .

١٩٨٨[٢٣٤] . أما ترجمة جابر عصفور لدراسة دريدا الشهيرة فقد عكست بشكل لافت أثر «مران» اللغة على استدخال المفاهيم والنظريات إلى بنيتها ونسيجها حيث جاءت هذه الترجمة متجاوزة لهنّات الترجمات السابقة ومتلافية للعديد من استشكالاتها[٢٣٥] .

ومن ضمن سلسلة الملفات المخصصة لدريدا وأفكار الاختلاف التي نشير إليها في هذا الصعيد ، قدمت مجلة «كتابات معاصرة» ، ملفاً بعنوان «جاك

---

(٢٣٤) وعد كاظم جهاد بترجمة قريبة للـ«صيدلية» في تقديمه لكتاب «الكتابة والاختلاف» ، انظر ذلك في :

- دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف ، ترجمة كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٣٤ . وقد تحقق هذا الوعد «القريب» بعد عشر سنوات كاملة حين أصدر جهاد الترجمة المذكورة . انظر :

- دريدا ، جاك : صيدلية أفلاطون . ترجمة : كاظم جهاد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٨ .

وقد لا يلام كاظم جهاد ، الكاتب الذي يعيش حياة المنفى ، في ذلك ، بقدر ما يعكس الأمر مبلغ العوائق النشرية التي تعترض انسياب جهود النقل والترجمة إلى السياق العربي .

(٢٣٥) من الطريف أن عبدالرحمن محمد رضا يترجم عنوان دراسة دريدا التي ترجمها عصفور بـ «البنية ، العلامة ، اللعب» هكذا : «البناء ، الرمز ، المسرحية» وهو يكرر ترجمة اللعب بـ «المسرحية» غير متفطن إلى سياق ما يترجمه فيقدم للقارىء ، مثلاً ، الجملة التالية : «النص الروسوي-حزين ، سلبي ، حنين ، آثم-والذي يتجه دائماً إلى حضور ، ضائعاً كان أم مستحيلاً ، من أصل غير موجود ، ومن النوع النيتشوي ، والتأكيد المرح للمسرحية الحرة في العالم بدون الحقيقة وبدون الأصل»! ولا يكاد القارىء ، بالطبع ، يعلم ما المقصود بـ «المسرحية الحرة في العالم بدون الحقيقة وبدون الأصل»! في هذا السياق . انظر :

- رايت ، ايين : التأريخ ، وعلم التفسير (التفسيرية) والتفكيكية (أو التشريحية) . ضمن :

- هو ثورن ، جيرمي : النقد والنظرية النقدية . ترجمة : عبدالرحمن محمد رضا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص١٣٤ .

دريدا : التفكيكية والاختلاف» (١٩٩٥)[٢٣٦] .

في واحدة من اسهامات عبدالعزيز بن عرفة ضمن هذا الملف آثر الكاتب أن يتحدث عن الأسلوب عند دريدا[٢٣٧] بوصفه كياناً مرتبطاً على نحوٍ حاسم بمنظور دريدا لطبيعة المفاهيم وحدود اشتغالها ، وهي حدود تخلط العناصر بين الأجناس ، وتُدخل الفلسفة في الأدب ، ومن هنا يتكرس المقال للتبئير على استبار هذه النقطة عبر تتبع استراتيجيات التعامل مع المفاهيم والملفوظات عند

---

(٢٣٦) صدر العدد المشار إليه في سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ ، وقد تضمن الاسهامات التالية حول دريدا ، والتفكيك ، والتطبيق بضوء من ذلك :

- لحوّد ، الياس : الريادي والهامشي ، تفكيكية المختلف . ص٤-٥ .
- بن عرفة ، عبدالعزيز : دريدا في سطور ، موجز لتفكيكية الاختلاف .ص٦ .
- بن عرفة ، عبدالعزيز : جاك دريدا ، أسلوب وكتابة . نواقيس المختلف ، ص٧-١١ .
- الحسناوي ، مصطفى : دريدا : الترجمة - الكتابة ، النص الشبح والنص الأيقونة . ص١٢-١٤ .
- البكاري ، كمال : الهدم ، الحفر ، التفكيك : نيتشه ، فوكو ، دريدا (طريق العود الأبدي) . ص١٥-١٨ .
- دريدا ، جاك : الإمضاء واسم الأخر : يجب أن يسهر جنونٌ ما على الفكر . حوار أجراه : فرانسوا أوزوالد ، ترجمه : محمد ميلاد ، ص١٩-٢٩ .
- شداق ، بوشعيب : رواية الكلية المستحيلة «حجارة بوبيللو» والتفكيك . ص٣٠-٣٥ .
- حامد ، الهادي : لا معنى الجسد ، الفلسفة الأفلاطونية والجسد الدريدي . ص١١٣-١١٧ .
- بومسهولي ، عبدالعزيز : الجسد . رؤية واكتشاف المختلف . ص٣٦-٤٢ .

وبالنسبة للإحالات الببليوغرافية للعدد فهي : كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع ٢٥ ، سبتمبر- أكتوبر ، ١٩٩٥ .

(٢٣٧) انظر :

- بن عرفة ، عبدالعزيز : جاك دريدا أسلوب وكتابة : نواقيس المختلف . كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، مج٧ ، ع٢٥ ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٥ ، ص٧-١١ .

دريدا وخصوصاً في «البطاقة البريدية»(٢٣٨) ، و«نواقيس»(٢٣٩) ، وكمثال اجرائي للفعل التفكيكي في معالجة «المفهوم» يعرض بن عرفة قراءة دريدا لنصوص من جان جاك روسو اعتماداً على أحد مفاهيمه ، وهو مفهوم الإضافة أو التكملة (Supplement) ، بما يكتنف هذا المفهوم من تبديد لبذور المعنى وتشتيت لاستنباتاتها . ثم يتعرض الكاتب لصنيع دريدا مع مفاهيم أخرى في «البطاقة البريدية» و «نواقيس» حيث يلعب دريدا على الاشتقاقات والمعاني المتحصلة من الاختلاف البريدي ، ومن الاسم العلم والتوقيع ، والكاتب يتخذ من تعامل دريدا مع انتثارات اسمه الشخصي مثالاً مسعفاً للتوضيح(٢٤٠) . ويتصادى مع هذا الاهتمام بإبراز نظرة دريدا إلى الاسم الشخصي محاولة أخرى ، نشرت ضمن نفس الملف ، حاولت ، في جانب منها ، أن تضيء المواقع التي يشغلها الاسم والامضاء في ممارسات تفكيك النصوص . تلكم هي المحاورة المطولة التي أجراها فرانسوا إوزوالد مع دريدا وترجمها إلى العربية ، التونسي محمد ميلاد

---

(٢٣٨) انظر :

- Derrida, Jaques: The Post Card: From Socrates to Freud and Beyond. trans.: Alan Bass, Chicago, The University of Chicago Press, 1987.

(٢٣٩) - Derrida, Jacques: Glas, trans.: John P. Leavey and Richard Rand, Lincolin, Nebraska, Universi of Nebraska Press, 1986.

(٢٤٠) ينطلق دريدا من نفي التفريق بين المؤلف والنص إذ لا وجود لخارج لا يصل إليه النص ، وبالتالي فإن المؤلف نفسه افراز عائم في النص ، هكذا ينطلق ميجان الرويلي ، لتتبع المواضع التي يلعب فيها دريدا على تقصي ايحاءات اسماء الأعلام الذين ينقد نصوصهم دريدا ويستدخل توقيعاتهم وأسماءهم العَلَمية في نسيج اللعبة . أنظر :

– ميجان الرويلي : قضايا نقدية ما بعد بنيوية . النادي الأدبي بالرياض ، الرياض . ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٦٧-١٦٨ و ص١٧٨ .

تحت عنوان «الإمضاء واسم الآخر . يجب أن يسهر جنونٌ ما على الفكر»(٢٤١) ، وفيها يسأل المحاور دريدا عن سبب تغييره لاسمه من جاكي Jackie إلى جاك ، كما يسأله عن اسمه الآخر إيلي Elie غير المسجل في سجلات الحالة المدنية(٢٤٢) .

ضمن نفس الملف المشار إليه يقدم المغربي مصطفى الحسناوي مساهمة مميزة بعنوان «دريدا : الترجمة - الكتابة . النص الشبح والنص الأيقونة» ، وهو يصرف هذه المقالة لتتبع ما تمثله الترجمة في استراتيجيات التفكيك الدريدي(٢٤٣) ، حيث «يكتسب فعل الترجمة أهمية خطيرة واستثنائية ، لأنه ليس علاقة لغوية - نصية محضة ، ولكنه انخراط أونطولوجي عميق في فاعلية الاختراق/العبور . كيف نخترق/ نعبر ، دون محو هويتنا ، ويقيننا

---

(٢٤١) دريدا ، جاك : الإمضاء واسم الآخر : يجب أن يسهر جنونٌ ما على الفكر . حوار أجراه : فرنسوا إوالد . ترجمه : محمد ميلاد ، مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، مج٧ ، ع٢٥ ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٥ ، ص١٩-٢٩ . وقد أعاد محمد ميلاد نشر الحوار ضمن كتابه : مسارات فلسفية ، دار الحوار ، اللاذقية ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

(٢٤٢) المرجع السابق ، ص٢١ ، ونقتطف من تعليق دريدا قوله : «تطرح عليّ هنا سؤالاً خطيراً في الواقع . نعم قد غيرت إسمي عندما بدأت النشر ، في فترة دخول فضاء الشرعية الأدبية أو الفلسفية إجمالاً ، التي كنت أنظر إلى أجوائها على طريقتي . رأيت أن اسم (جاكي) لم يكن اسماً ممكناً لكاتب ، واخترت نصف اسم مستعار تقريباً ، قريب من الاسم الحقيقي بالتأكيد لكنه فرنسي ومسيحي وبسيط ، فكان أن محوت العديد من الأشياء أكثر من أن أعبّر بكلمتين (قد يجب مرة أخرى بصورة نهائية تحليل الظروف التي تختار فيها أحياناً طائفة معينة - الطائفة اليهودية في الجزائر - في الثلاثينيات اسماء أمريكية واسماء لنجوم أو أبطال في السينما مثل ويليام وجاكي ، الخ) . لكنني لم امس لقبي (دريدا) أبداً الذي استحسنه كثيراً ، ألا ترى ذلك؟ إنه يرن في داخلي - لكنه يرن مثل اسم لأحد غيري في النهاية وهو قليل الوجود» .

(٢٤٣) يمكن الرجوع إلى ما تقدم حول هذا الجانب في الفصل الأول من هذه الأطروحة تحت عنوان : نموذج دريدا .

الكينوني»[٢٤٤] .

يبرز الحسناوي في مقالته أن الترجمة عند دريدا مرتبطة أشد الارتباط بفكرته عن الحِداد ، فـ«إن العلاقة بين النص الأصل والنص المترجَم علاقة حِدادية (من الحِداد) بامتياز ، تنشرط عبرها حياة الثاني بموت الأول . كل ترجمة أساسية ومنصتة بعمق لألغاز النص وتجاويفه السفلية ، حِداد باذخ ، يحتفل في محل الموت بالكينونة الموعودة للنص المترجَم»[٢٤٥] . وكما ترتبط الترجمة بالحِداد فإنها ، في ضوء آخر ، ترتبط عند دريدا بفكرة الاستدانة endettement (وهذه الفكرة ، ينبغي أن نلاحظ ، يستثمرها دريدا بأشكال متعددة في كتاباته المختلفة) ، والحسناوي يبدو منصتاً برهافة لهذا المنظور الهام الذي يحكم الترجمة في الأفق الذي تندرج عند دريدا فيه . «إنه الأمر الذي يقود إلى القول بأن كل ترجمة محكومة بالاستدانة endettement ، منذورة بالضرورة للتعامل الاستراتيجي والاقتصادي مع الدَّين la dette إنها دَيَنْ متغير لا ثابت . لا يمكن لهذا الدَّين الاشتغال ، دون الذهاب بعنف/ بعشق/بعمق ، ضد ايقاع ما يدين به وله : أي النص - الأصل»[٢٤٦] .

إن مصطفى الحسناوي ، من جهة أخرى ، أحد الأسماء التي ستعنى بدريدا ، وستستلهم استراتيجياته في كتابات ابداعية متعددة ، وهو من هذه الزاوية يدخل في اهاب الظاهرة التي يشير إليها هذا البحث كمجلى من مجليات الأصداء العربية لدريدا في الفكر النقدي العربي ، عنينا ظاهرة تمثل بعض نماذج الكتابة الابداعية العربية لمقولات دريدا وأفكار التفكيك في

---

(٢٤٤) الحسناوي ، مصطفى : دريدا : الترجمة ، الكتابة . النص الشبح والنص الأيقونة . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع٢٥ ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٥ ، ص١٢ .

(٢٤٥) السابق ، نفس الصفحة .

(٢٤٦) المرجع السابق ، ص١٤ ، ولعل الملاحظة المتقدمة هي التي تتيح لمصطفى الحسناوي أن يكشف الستار عن ترابط الترجمة والتأويل داخل كل قراءة دريدية للنصوص ، حيث يصير خطاب المؤول خطاباً حول الترجمة ، أو مجابهة دائمة ومقاومة للتعذر على الترجمة intraductibilite .

نصوص الأدب . هذا ، على الأقل ما يطرحه علينا الحسناوي في كتاباته المجموعة ضمن «خرائطية الكتابة» حيث يحضر دريدا وتهيمن أجواء التفكيك على حركة الدليل داخل عالم النص(٢٤٧) .

وفي اطار عناية الدوريات العربية بتقديم ملفات حول تفكيك جاك دريدا أيضاً قدمت مجلة «النص الجديد» ، التي تصدر في نيقوسيا ، ملفاً بعنوان» [Deconstruction التشريحية-التقويضية-التفكيكية]» ، وذلك في عددها الخامس(١٩٩٦) . وقد شارك في هذا الملف مجموعة من النقاد السعوديين وهم : عبدالله الغذامي ، سعد البازعي ، ميجان الرويلي ، معجب الزهراني ، وسعيد السريحي . وقد تراوحت مواد هذا الملف بين التعريف (شأن دراسة ميجان الرويلي)(٢٤٨) من جهة ، وبذل الملاحظات والتعليقات (شأن مساهمة معجب الزهراني ،(٢٤٩) ومساهمة سعد البازعي(٢٥٠) من جهة أخرى) ، وكان للاستثمار التطبيقي أيضاً مساحته من جهة ثالثة(شأن مساهمة عبدالله الغذامي ،(٢٥١) ومساهمة سعيد السريحي(٢٥٢)) . وأخيراً كان هناك الحوار المطول الذي أجراه كريستيان ديكامب مع جاك دريدا والذي ترجمه

---

(٢٤٧) الحسناوي ، مصطفى : خرائطية الكتابة . منشورات كراس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

(٢٤٨) الرويلي ، ميجان : التقويضية . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص١٩١-٢٣٠ .

(٢٤٩) الزهراني ، معجب : ملاحظات حول التفكيك(ية) . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص٢٣١-٥٢ .

(٢٥٠) البازعي ، سعد : محور التقويض . . أم تقويض المحور . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص١٨٤-١٩٠ .

(٢٥١) الغذامي ، عبدالله : القاريء المختلف : «تشريح المفهوم» . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص٢٥٣-٢٦٨ .

(٢٥٢) السريحي ، سعيد : قاع التجربة . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ أبريل ١٩٩٦ ، ص ٢٦١-٢٨١ .

معجب الزهراني[(٢٥٣)] .

وقد كان هذا المحور عاكساً بجلاء لما يشبه «حالة» من المواقف التي كانت تتشكل حول التفكيك ، من مواقع مختلفة ، لدى النقاد السعوديين . كان عبدالله الغذامي قد غادر لحظة الدهشة بالتفكيك ، «ولو على نحو بارتي» ، يوم كتب «الخطيئة والتكفير» أو يوم عاش في سحر مفعولات هذا الكتاب وترجيعاته . وهو في محاولته لتشريح مفهوم «القاريء المختلف» انما يغذ الخطى صوب نظريات القراءة ، بالمعنى الذي ربما كان أقرب إلى امبيرتو إيكو منه إلى دريدا أو بارت (يحضر إيكو في مرجعيات الدراسة ولا يحضر دريدا ، بل إن الغذامي يشير في أحد هوامشه إلى هذا الاقبال على إيكو حين يقول «سنخصص مفهومات إيكو حول القاريء والقراءة بوقفة خاصة تأتي لاحقاً إن شاء الله»[(٢٥٤)]) .

أما مقاربة سعد البازعي فقد كانت متركزة على علاقة استراتيجيات التفكيك بسياق انبثاقها في الغرب ، وشروط هذا الانبثاق ، والكيفية التي قورب بها التفكيك في النقد العربي ، وهو ، كما هو متوقع ، ينقد على التلقي الذي يعتبره «سلبياً» للتفكيك في الوسط العربي ، «فما زال أكثرنا بريقاً أولئك الذين ينتزعون الأسماء والمفاهيم من سياقاتها ليضعونها في سياقات غريبة عنها تحولها إلى رموز تقول فيه ما لم ترد قوله ، بل عكس ما تريد قوله . . . . . . اننا لا ينبغي أن ننسى الثمن الذي ندفعه لقاء هذه الممارسات الأيديولوجية الجماعية : إنها تهميش للعمل الحقيقي الذي قام به المفكرون والنقاد الغربيون . وجهلنا بالتالي بالمرتكزات الرئيسية للثقافة الغربية وتحيزاتها الطبيعية الخاصة بها»[(٢٥٥)] .

---

(٢٥٣) دريدا جاك : من حوار مع جاك دريدا . حوار أجراه : كريستيان ديكامب . ترجمة : معجب الزهراني ، مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص٢٨٢-٢٩٥ .

(٢٥٤) الغذامي ، عبدالله : القاريء المختلف . مرجع سابق ، ص٢٦٨ .

(٢٥٥) البازعي ، سعد : محور التقويض . . أم تقويض المحور ، مرجع سابق ، ص١٩٠ .

وينطلق ميجان الرويلي في دراسته المعنونة بـ «التقويضية» من استعراض تبدو عليه روح من المنافحة الغيورة على التفكيك، والطموحة إلى التعريف به والذب عنه شأن مختلف كتابات ميجان الرويلي(٢٥٦)، وهو ينهي مقالته بالرصد

---

(٢٥٦) يجدر القول أن ميجان الرويلي ربما كان من أوائل العرب الذين عكفوا على انجاز أطروحة جامعية حول التفكيك فقد نال الرويلي الدكتوراه بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٦، عن أطروحته التي نوقشت في جامعة نيومكسيكو، وكانت الأطروحة بعنوان «التفكيك والدراما» Deconstruction and Drama، وأغلب كتاباته المنشورة بعد ذلك كانت حكراً على التفكيك: عرضاً أو تعريفاً أو تطبيقاً. ومن أهم ما نشر له، بالإنجليزية ما يلي:

- Al-Ruwaili, Maijan: A Single Voice on the line: Christopher Norris and the Politics of Deconstruction, King Saud University, College of Arts, Research Center, 52, King Saud University Press, First Edition, 1994.

ويتناول الرويلي في هذا البحث موقف كريستوفر نوريس من المفارقة التي تفرض نفسها أمام التفكيك دائماً من حيث كونه فكراً استجوابياً يكشف تهافت الميتافيزيقا من جهة ومن حيث هو مطالب، من الجهة الأخرى باتخاذ موقف أخلاقي أو سياسي. وهو يرى أن التفكيك في شكله الحالي لا يستطيع أن يصل إلى حل لهذا الاشكال.

- Al-Ruwaili, Maijan: Iago: "Favoritism" and Social Climbing in Othello, Journal of King Saud University, Vol.3, Arts (2), pp. 99-121.

وهو في هذه الدراسة يلتفت إلى ثيمات جمع الثروة في مسرحية عطيل لشكسبير من خلال شخصية أياجو.

ومن أهم ما قدمه ميجان الرويلي، في الحقل التفكيكي بالعربية، ما يلي:

– الرويلي، ميجان – البازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي. منشورات العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٥.

– الرويلي، ميجان: قضايا نقدية ما بعد بنيوية. النادي الأدبي بالرياض، الرياض، ط١، ١٩٩٦.

– الرويلي، ميجان: ثرثرة الحرية أم حرية الثرثرة. مجلة النص الجديد، نيقوسيا، ع٢، ١٩٩٤، ص٧٩-١٢٥.

==

من وجهة مغايرة تماماً للوجهة التي يهتم بها البازعي ، فإذا كان الأخير قد ركز حوصلته على القدر الذي يمكن أن يكتب للتفكيك في السياق الثقافي العربي ،

== - الرويلي ، ميجان : أسرار البلاغة بين الشمس والأذريونة . مجلة علامات ، جدة ، مج١ ، ع٤ ، يونيو ١٩٩٢ ، ص٧٠-١١٩ .

- الرويلي ، ميجان : الحيوان بين المرأة والبيان : قراءة في كتاب البيان والتبيين . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١٢ ، ع٣ ، خريف ١٩٩٣ ، ص٧٩-١٠٧ .

- الرويلي ، ميجان : في الجراماتولوجيا : في النحوية . جاك دريدا ، كاظم جهاد ، جابر عصفور . بحث مرقون على الطابعة الإلكترونية . (سبق للباحث أن نشره على حلقات في ملحق جريدة الرياض الأسبوعي) .

- الرويلي ، ميجان : العالم المتخصص بين قضيتين : النحو والصرف . بحث مرقون على الطابعة الإلكترونية . لم ينشر .

- الرويلي ، ميجان : رسالة مفتوحة . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٣ ، ١٩٩٥ ، ص٥٤-٦٤ .

ولقد دخل الرويلي معركة ذات صليل وغبار نقع مع جابر عصفور إثر كتابة الأخير مراجعة نقدية لكتاب «دليل الناقد الأدبي» ، انظر :

- عصفور ، جابر : دليل الناقد الأدبي المعاصر . مجلة العربي ، الكويت ، ع٤٤٨ ، مارس ١٩٩٦ ، ص٧٦-٨١ .

ولم تقتصر هذه المعركة على السجاليات حول ترجمة مصطلح الجراماتولوجيا بعلم الكتابة كما يرى جابر أو بالنحوية كما يرى ميجان ، بل امتد الأمر وراح الرويلي يتعقب جابر في ترجمته لرامان سلدن ، وكانت السجاليات حول الموضوع هي جانب من المفعولات التفكيكية التي يمكن ، لو اتيح التوسع ، أن تنضوي تحت محور اسهام الترجمات أو تحت محور التتبعات الاعلامية في مناحي قراءة الفكر العربي النقدي لدريدا خلال عقد التسعينات من القرن العشرين . انظر تعقبات الرويلي على جابر عصفور في :

- الرويلي ، ميجان : جيل النقاد العرب الحديث . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٣ ، ع١٠٤١٢ ، ص٣٠ .

وانظر ، لاستكمال الفائدة ، تداخل معجب الزهراني في الموضوع :

- الزهراني ، معجب : تدمير الذات في الآخر وأوهام «المعرفة» و «الترجمة» المثلى . جريدة الجزيرة ، الرياض ، ع٨٨٦٢ ، ٢ يناير ١٩٩٧ ، ص١٩ .

فإن ميجان الرويلي يبدو مهتماً بطرح التساؤلات نفسها ولكن على السياق الغربي ، يقول : «إزاء هذا الوضع الحتمي لابد أن نسأل : هل ما جاء به التقويض جديراً بما استقبلته به النخبة الفكرية الغربية؟ قد لا يكون الجواب من الوضوح بحيث نستطيع بسهولة أن نجيب سلباً أو نفياً . إذ أن استقبال التقويضية خاضع للخصوصيات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية ، وهذا ما أثبته استقراء استقبال التقويضية في أمريكا وبريطانيا ، فقد جاء هذا الاستقبال متسقاً تماماً مع الخصوصية الثقافية . . . . أما في العالم العربي ، فالتقويضية مازالت في بداية اشتغالها ولا غرابة بالتالي أن تثير الكثير من أشكال سوء الفهم»(٢٥٧) .

---

(٢٥٧) الرويلي ، ميجان : التقويضية . مرجع سابق ، ص٢٣٠ .

ولعلنا نذكر أن مما يدخل في سياق ملفات الدوريات العربية حول التفكيك ملفاً كانت قد أعدته مجلة مدارات التي تصدر في تونس وقد ضم أعمال ملتقى أشرف على تنظيمه بختي بن عودة حول جاك دريدا وشارك فيه لفيف من الباحثين المغاربة ولم أتمكن للأسف من الحصول على العدد . كما قدمت مجلة ابداع القاهرية ملفاً حول دريدا بمناسبة زيارة دريدا للقاهرة وقد ضم الملف المساهمات التالية :

- طلب ، حسن : دريدا في مصر . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٤-٥ .
- دريدا ، جاك : الإيمان والمعرفة مصدرا الدين . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٦-٧ .
- دريدا جاك : إلى مومياء «أبوجمال» . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٨-١٢ .
- الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وفلسفة التفكيك . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٢٠-٣٥ .
- عبدالحافظ ، مجدي : جاك دريدا بين مشوار الحياة والتفكيك . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠ ، ص١٣-١٩ .

==

يمكن للملفات السابقة أن تعطينا انطباعاً واضحاً عن تنامي اهتمام الدوريات العربية بقراءة التفكيك والتعريف بجاك دريدا . ولئن كان المقام هنا لا يتسع لاستقصاء الدراسات والمقالات التي تضمنتها الدوريات العربية التي مثلت هذا الاهتمام ، فإن المؤكد أن عقد التسعينات قد شهد مداً ملحوظاً على صعيد الدراسات المتعلقة بالتفكيك والفكر الاختلافي عموماً ، وتلك المرتبطة بجاك دريدا على وجه الخصوص .

ولعل مجلة «كتابات معاصرة» قد مثلت أكثر الدوريات العربية ، نشراً للتفكيك ، أقله على صعيد الكم . أما «فصول» فقد ترجّح بين ثناياها النقد التطبيقي الذي يستلهم ، ولو جزئياً ، ممارسات واستراتيجيات تفكيكية بهذا القدر أو ذاك . وقد احتفظت «الكرمل» بأداء نوعي يتميز بالعمق وهيمنة طرائق الأداء الشعري فيما تنشره حول التفكيك (وأغلبه لكاظم جهاد) ، وخلال هذا العقد (التسعيني) برزت «مجلة العرب والفكر العالمي» وشقيقتها الأكبر «الفكر العربي المعاصر» ، بوصفهما دوريتان تعنيان بالجديد في مسائل الفكر والفلسفة ، وذلك قبل أن يتوقف صدور الشقيقة الصغرى وتتعثر الشقيقة الأكبر .

في الغضون كانت هناك اسهامات متفاوته في دوريات من مثل علامات التي تصدر عن النادي الأدبي بجدة ، ومجلة القاهرة ، ودراسات عربية ، وكراس ، والنص الجديد ، والاختلاف والآداب ، ونزوى وأبواب . ولعلنا قد

== - دريدا ، جاك : اليسار هو الرغبة في تأكيد المستقبل . حوار أجراه توماس أشوير ، ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٣-٤ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٣٦-٥١ .

- دريدا ، جاك : عفواً أنا لم أقل ذلك بالضبط . حوار أجراه : بول برينان ، ترجمة : مايسة زكي . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٥٢-٥٣ .

- زكي ، مايسة : شعر المكان في «دريدا من جهة أخرى» . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٣-٤ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص٥٤-٦٠ .

- رودينسكو ، اليزابيث : دريدا : التحليل النفسي يقاوم . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، س١٨ ، ع ٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م ، ص١٢٥-١٢٦ .

أعربنا عن حضور هذه المجلات ومساهماتها في إثراء القراءة العربية للتفكيك عبر الاستناد إليها في الخلفية المرجعية ضمن مقاربات البحث .

III- اسهام الكتابات الابداعية في إشاعة مفعولات التفكيك :

إن مفعولاً مهماً من مفعولات استثمار التفكيك في الثقافة العربية يتجلى عبر انبثاث الرؤى التي تستلهم مقولاته في أنساق الكتابة الإبداعية وانسراب هذه اللوينات بين مفاصل كتابات يمكن أن تدرج تحت يافطة كتابة المتعة ، بما يكتنفها من متاهية وارجاء للمعنى واستحالة الارتهان للبناء التقليدي لمعمار النص .

إن هذه اللوينات ، ينبغي أن ننوه ، لا تقتصر مفعولاتها على الكتابات العربية ، لكنها قد سرت في أشكال مختلفة من الأدب والتفكير الفلسفي والمقالة السياسية والتحليل الاجتماعي . . إلخ . وهي تكاد ترقى إلى ما يشكل مزاج توجهات كاملة ، تمشي بحذاء دريدا ، أو بالموازاة أو التقاطع معه ، وتتجاوز طرح رولان بارت بخصوص متعة الكتابة ، يقول جان بودريار : «أكيد أن هناك متعة في فعل الكتابة ، ليست المتعة بالمعنى الذي تحدث عنه رولان بارت ، حيث هناك تلذذ بالدال على حساب المدلول ، بل المتعة هي متعة الدوائر ، بمعنى ايقاف اللغة قبل أن تكتسي دلالة ما ، أو توقيف العلامة قبل أن تصبح لها قوة دلالية ، مثلما هو الحال في الشذرات لِمَا يعلق المعنى . إنها متعة التوقيف والتأجيل»(٢٥٨)

ورغم صعوبة القبض على مجالي هذه الالتماعات في كتابة أدبية تخفي مرجعياتها وتموّه على القارىء ما استطاعت ، إلا أن هذا لم يمنع من تلمس النقاد لمظاهرها ، واستشعارهم لإيقاعها الذي يتردد في الأغوار . فعادل ظاهر مثلاً كتب عن الغاء «ميتافيزيقيا الحضور» في تجربة أدونيس الشعرية ، وعن «الرد

---

(٢٥٨) بودريار ، جان : مكان الكاتب بين لحظتي التجلي والاختفاء . حوار أجراه : المعطي قبال ، جريدة الحياة ، ع ١٠١٩٧ ، ٤ يناير ١٩٩١ ، ص١٢ .

الغراماتولوجي» للعالم من خلال اطلاق اللغة وتوليد معانيها بلا حدود ، يقول : «من هنا نفهم قول أدونيس ، «افتح باباً على الأرض أشعل نار الحضور» . هذه النار الأدونيسية هي ذاتها النار الهيراقليطية مشبعة بروح نيتشوية-دريدية . يذهب بنا أدونيس أكثر فأكثر في اتجاه الهواجس الفلسفية لعالم ما بعد الحداثة . إن الرد الغراماتولوجي grammatological reduction للعالم - تنصيص العالم - لا يمكن أن ينتهي بنا إلى النار الهيراقليطية»(٢٥٩) .

والناقد ، إذ يلاحظ أن المغامرة الأدونيسية تحمل تحت الجلد الكثير من الدلالات الفلسفية لعالم ما بعد الحداثة ، يمضي في معاينة تجربة أدونيس (خصوصاً في «أغاني مهيار الدمشقي») من الوجهة ذاتها فيقول : «إن الرد الغراماتولوجي للعالم ، لأنه يقوم على القدرة على إطلاق اللغة من اسارها وتوليد معان جديدة بلا حدود يجعل من اللعب الحر Free Play كل شيء . إنه انتقال ، بل قفزة من العقل إلى اللعب الميتافيزيائي المتسربل بالبراءة النيتشوية ، قفزة إلى حيث لا قرار Leap into groundlessness . إن أدونيس يقفز هنا من الخارج إلى الداخل ليعود من ثم فيواجه الخارج محصناً بالداخل» .(٢٦٠)

ومن وحي انسراب الأصداء نفسها تمثل لهذه الاستعادات في الكتابة الأدبية بالنص الذي كتبه محمد العلوي البلغيثي بعنوان «فاس مقام العابرين . دراسة في كتابة الاختلاف» .(٢٦١) حيث تصدر الكتابة حول مدينة فاس عن هاجس بتحويل الكتابة إلى ما هو أبعد من المعنى الحصري المتعارف ، وإلى مسار لاختراق الحدود بين الكتابة والمعمار ، هكذا يتحدث الكاتب ، طوال الوقت ،

---

(٢٥٩) أنظر :

-ظاهر ، عادل : بعض الدلالات الفلسفية للمغامرة الأدونيسية في الشعر . جريدة الحياة ، لندن ، ع ١١٤٣٨ ، ١٢ يونيو ١٩٩٤ ، ص١٧ .

(٢٦٠) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٦١) البلغيثي ، محمد العلوي : فاس مقام العابرين : دراسة في كتابة الاختلاف . ترجمة : محمد الشركي ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠ .

عن «فاس كمكان للكتابة والانخطاف : إنها اشكالية في غاية الأهمية لكشف الإواليات التي تنتج الكتابة بمجهودها الرامي إلى نقل أو تغيير شرائح من الفضاء مرئية أو محجوبة أو فتانة بنحو لا يقاوم»(٢٦٢) . وهكذا لا يجد عبدالكبير الخطيبي أن يقترح ، عند تقديمه للكتاب على القاريء سوى استراتيجية التيه بين المعاني المتكاثرة ، فـ «لاقتفاء خطو الكاتب ، قد يكون القاريء مدعواً أيضاً لأن يصير صديقاً ودوداً لمتاه هو متاهنا ومتاهكم ، وذلك بالضياع في أزقة فاس الضيقة ، كما لو كان يتعلّم ، تقريباً ، كيف يسير في اتجاهات عديدة في وقت واحد»(٢٦٣) .

لقد طرد افلاطون الشعراء من مدينته الفاضلة ثم جاء هيدغر فأعادهم إلى صلب الفلسفة ، لكن دريدا مضى في الشوط حتى آخره خالطاً الفلسفة بالأدب ، ومحتفياً بكل نزوع إلى مباغتة المعنى «غير النهائي أبداً» في كل ما لا نتوقعه ، «حيث تَنزلق المعاني ، أو تتقاطع ، أو تتبادل الأدوار كما في لعبة تنكرية ، وهو ما لا قدرة للفلسفة على تبيانه ولو أنها عليمة بوجوده(٢٦٤)» . ولعل مثل هذا التمدد المتبادل ، الفلسفة في مجال الأدب ، والأدب في مجال الفلسفة ، ليس مستغرباً البتة في ضوء مظلة التفكير الراهنة اليوم ، فإثر التحولات التي أحدثتها الإنعطافة الأنطولوجية منذ هيدغر صار للمخيلة-كما يلاحظ جورج كتورة- «دوراً حاسماً في كشف عملية المعرفة . إنها أداة لرؤية المختلف ، للكشف عما لا تراه الأنساق الأخرى . والاختلاف هذا صار همّ الفلسفة الحديثة ، فلسفة التفكيك التي تريد الوصول إلى ما يُحْجَبُ ، إلى ما لا يُكْشَفُ ، إلى ما لا تقوله الفلسفة نصاً ومعنى . فالمتخيل هو حدس

(١٦٢) البلغيثي : المرجع السابق ، ص٥٣ .

(٢٦٣) المرجع السابق ، ص٨ .

(٢٦٤) داغر ، شربل : افلاطون طرد الشعراء من «مدينته الفاضلة» وهايدغر أعادهم إلى صلب الفلسفة . جريدة الحياة ، لندن ، ع ١٠٦٨٤ ، ١٠ مايو ١٩٩٢ ، ص١٦ .

الاختلاف»[٢٦٥] . ويضيف كتورة : «التفكيك بلغة دريدا وأنصار الفلسفات اللسانية ، هو محاولة بعث المتخيل . إنه كشف عن اللامعقول في ما يقال ، عن المحجوب فيما يرى»[٢٦٦] .

من هنا يلاحظ بول دي مان ، محقاً ، أن من السهولة ، في ضوء هذا المنحى من الأفكار ، ادراك أن ذلك التمجيد الظاهر للناقد الفيلسوف باسم الحقيقة ما هو في الواقع إلا تمجيداً للشعر بوصفه المصدر الأول لهذه الحقيقة (ويورد دي مان أمثلة من حقل الفلسفة تمثل لتورط فلسفات باشلار وفتجنشتاين في تلابس الشعر بالفلسفة)[٢٦٧] .

لنستمع إلى ايقاع الفلسفة في الشعر مع عبدالكبير الخطيبي :

«محاكياً أسلوب الأقدمين
أشوّه عرفهم
مفسداً صوتهم أُفك الأصل
اللاّ - أصل يمارس في الأصل
المحاكاةُ تُلزم بالمسافة
لذا فأنا لا أرفض شيئاً بدون أن أمضغ الزَّنجبيل
أيها الأحمق الذي يجهل سر المحاكاة
تعلّم هذا تعلّم هذه المباديء الأربعة

---

(٢٦٥) كتورة ، جورج : عرض لكتاب المتخيل والتواصل ، جريدة الحياة ، ملحق تيارات ، ع ١١١٨٩ ، ٢ أكتوبر ١٩٩٣ ، ص٤ .

(٢٦٦) كتورة : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٦٧) أنظر :

- De Man, Paul: Semiology and Rhetoric. In: extual Strategies

-Perspectives In Post-structuralist Criticism. Ed. Josue V.Harari, Methuen & Co. Ltd, London, 1980, P121-140, P.138.

لوصل نصٍّ وفصلهِ :
طباق الضدَّين
وهشاشة الصُّورِ
وبلاغة الموسيقى والدقة الصارمة
هنا يكمن مربع النص
بتقليدك إياي تعرف اختلافك»[(٢٦٨)]

من الواضح أن النص السابق يتركنا بحضرة لغة شعرية تغزوها ثيمات الاختلاف بغزارة . من الواضح أيضاً أن الروح النقدية المتسائلة تستقي عناصرها من رؤى اختلافية فيما هي تبحث في الأصل والهوية . أسئلة الكينونة هذه على مرمى حجر من التفكيك ، والفتنة بالمزدوج ، واختبار المختلف اللامتطابق .

وقد أمعن عبدالكبير الخطيبي في هذا الأفق في كل كتاباته الإبداعية والفكرية بحيث يستعصي الفصل بين الجانبين ، واستعان ، في سبيل تعقيد اللعبة ، بتقنيات متعددة منها تعديد الخطاب داخل النص ، والتوليد المفاجيء للمعاني في مسار السرد مع تغييب الدلالة المتعالية ، والإفساح لتكاثر الدلالات النسبية ، واتباع تقنيات التقطيع السينمائي السريع مع تركيز اللغة الشعرية وبث الحوارية في الأرجاء[(٢٦٩)] .

---

(٢٦٨) الخطيبي ، عبدالكبير : المناضل الطبقي على الطريقة التاوية . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٣٥ .

(٢٦٩) للتوسع حول صلة الكتابة الخطيبية بالأدب والاختلاف ، يمكن الرجوع إلى :

- الزاهيري ، محمد : الخطيبي : فكر الاختلاف وكتابة الجسد . ضمن : عبدالكبير الخطيبي ، المناضل الطبقي . . . ، مرجع سابق ، ص٨٣-١١١ .
- بوسي-غلوكسمان ، كريستين : الفتنة أو اختلاف الحب الذي لا يمكن تذويبه . ترجمة : جهاد كاظم . ضمن : المناضل الطبقي . . . ، السابق ، ص٥٥-٨٢ .
- البياري ، معن : رواية عبدالكبير الخطيبي «صيف في ستكهولم» : سفر ذات مفتونة إلى مدينة تعانق الأرض والماء . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٠١٤ ، ١٩ أبريل ١٩٩٣ ، ص٢٠ .

ويمكننا ، من جهة أخرى ، عقد الصلات بين مجموعة من المظاهر الأسلوبية التي عرفتها الكتابة الإبداعية العربية الجديدة من ناحية والمقترحات الرؤيوية التي انبثقت مع التفكيك ، ففكرة تقسيم الفراغ الغرافيكي للورقة إلى متن وهامش كما في ديوان «ورقة البهاء» لمحمد بنيس(٢٧٠) ، و «الكتاب أمْس المكان الآن» لأدونيس(٢٧١) ، وفكرة الكتابة النقدية التي تتخلى عن الرصانة المألوفة وتعبر بصياغات مشبوبة وانديساحات حرة كما في كتابات كمال أبوديب الأخيرة(٢٧٢) ، وكما في بعض كتابات معجب الزهراني ، ومنها دراسته التي نوّهنا بها قبلاً(٢٧٣) ، هذه بعض مؤشرات على تعالق التفكيك بالكتابة الإبداعية بوصف ذلك ظاهرة من الظواهر التي تعيد من جديد طرح الأسئلة فائقة الأهمية حول علاقة النشاط النقدي في مقولاته وقيمه الجمالية بالخطاب الإبداعي ، ونحن نحسب أن التفكيك قد دفع بهذه الأسئلة إلى أقصى الزاوية الشائكة .

IV- اسهام المتابعات الاعلامية ومظاهر الرواج في نشر مظلة التفكيك :

ما دمنا بصدد الحديث عن انتقال دريدا إلى العربية فإن ثمة من التدفقات في المشهد ما لا يحسن التغافل عن مفعولاته ، عنيت الصور والتمثيلات التي يحضر بها دريدا بكثافة في السنوات الأخيرة عبر وسائل الإعلام والمتابعات الصحفية وغيرها من مظاهر الرواج الثقافي . فقد شهدت التسعينات كَلَفاً بدريدا عند فئات متباينة من المثقفين العرب تبدت آثاره من خلال النشريات والجرائد والصحف السيارة جنباً إلى جنب مع ما كنا قد أبرزناه من اهتمام الدوريات

---

(٢٧٠) بنيس ، محمد : ورقة البهاء : دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ .

(٢٧١) أدونيس : الكتاب أمس المكان الآن . دار الساقي ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٥ .

(٢٧٢) سيأتي الحديث عنها تفصيلاً في الفصل الثالث .

(٢٧٣) الزهراني ، معجب : حول التفكيكـ(ية) . مرجع سابق .

والمجلات المتخصصة .

لقد ترافق جانب من هذا الاهتمام الواسع مع زيارات دريدا إلى البلاد العربية والتي اعتبرت «أحداثاً» ثقافية في كل مرة .

في ١٩٨٩ ، وفي أعقاب نشر منتخبات دريدا التي ترجمها كاظم جهاد ضمن كتاب «الكتابة والإختلاف» قامت دار توبقال بالتنسيق مع المراكز الثقافية الفرنسية في المغرب بدعوة دريدا لإلقاء أربع محاضرات في كل من جامعتي الرباط وفاس في الفترة من ١٣ إلى ١٨ فبراير . وقد وصفت الصحف يومها هذه الزيارة «الحدث» بـ «التظاهرة الكبرى» ، وعلقت صحيفة اليوم السابع الصادرة في نيقوسيا على الزيارة بقولها : «كانت هذه الزيارة احتفالاً فلسفياً كبيراً تتبعه وشارك فيه جمهور من المثقفين المغاربة من مختلف المشارب والاهتمامات . حيث كانت ، أي الزيارة ، مناسبة لتجديد العلاقة مع الفلسفة وأسئلتها في زمن ساد الاعتقاد فيه بأن الفلسفة أصبحت تمثل خطاباً معزولاً ، في الواقع الثقافي العربي بخاصة»(٢٧٤) .

---

(٢٧٤) انظر :

- دريدا في المغرب : محاضرات في «سياسة الصداقة» . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، ع٢٥٥ ، الاثنين ٢٧ مارس ١٩٨٩ ، ص٢٣ .

والجدير بالذكر إن دريدا قدم محاضرتين خلال هذه الزيارة ألقاهما في الرباط وأعاد تقديمهما في فاس وكان عنوان المحاضرة الأولى «القومية والعالمية في الفلسفة» وقد تناول دريدا في هذه المحاضرة خطاب فيختته الموجه إلى الأمة الألمانية بوصفه خطاباً يتوفر على خصائص الربط بين ما هو قومي وما هو عالمي في فلسفة القرن التاسع عشر . وتبعاً لما تذكره «اليوم السابع» فـ «قد أثارت هذه المحاضرة الأولى جملة من المناقشات تركزت على مسألة الوضعية الدولية في الفلسفة الراهنة وتمييز الخطابات انطلاقاً من الأنموذج الألماني ، إضافةً إلى وضعية العمل الفلسفي في الثقافة العربية» .

وفي المحاضرة الثانية ، وهي بعنوان «سياسيات الصداقة» ، توجه دريدا إلى جمهور أوسع متناولاً مسألة تصور الصداقة في الفلسفة الغربية انطلاقاً من مقولة مونتين «يا أصدقائي لم يعد ثمة من صداقة» وهي عبارة تعرضت للهدم على يد نيتشه الذي كان يقول « يا أعدائي لم يعد ثمة عداوة» . ==

وينقل محمد بنيس صورة طريفة للاستقبال المحموم الذي حظي به دريدا يومها ، يقول : «كنت لأول مرة في حياتي أشاهد في الرباط وفاس فيلسوفاً من خارج المغرب يهز الجامعة والمعاهد العليا . جمهور من أساتذة وطلبة وكتاب ضاق عنه مدرج ابن خلدون . من بين الجمهور قادمون من مدن نائية قصد رؤية جاك دريدا والإنصات إلى محاضرته . أثناء إلقاء المحاضرة صمت فيه الانتباه وفيه المتعة . ثم مع طرح الأسئلة ظهر أشخاص في أحوال شطح وجنون . طلبة لا يحسنون التحدث بالفرنسية وهم مع ذلك مصرون على الحديث . آخرون يحملون محافظ مملؤة بكتب وطوابع ومسودات . طالب يفتح المحفظة ويقدم خبزة إلى جاك دريدا طالباً أن يتقاسمها معه . وأنا انظر إلى ما لا أصدق أو إلى ما لا أعرف . إلى مغرب مجهول . في عالم يسعى على الأرض ولا نراه . في مغرب يئن من العذاب وفي زمن لا ندري إلى أين ينقلنا . (يمكن الرجوع إلى ذلك في مقاله لمحمد بنيس إثر وفاة دريدا بعنوان « لقاءات مع جاك دريدا» ، نشرت بجريدة الحياة ، الجمعة ٢٢ اكتوبر ٢٠٠٤ ، العدد ١٥١٨٣) .

وبعد سنوات سبع من الزيارة الأولى قام جاك دريدا بزيارة أخرى إلى المغرب خلال يونيو ١٩٩٦ . وقد التف حوله في هذه الزيارة جمهور واسع من المثقفين والباحثين والطلبة ، وقد وصفت جريدة الاتحاد الاشتراكي ، في ملحقها الثقافي ، جانباً من أجواء الزيارة قائلة : «الساعة السابعة مساء من يوم الجمعة ١٣ يونيو ، هنا لقاء فكري هام من تنظيم المعهد الجامعي للبحث العلمي بتعاون مع السفارة الفرنسية والمعهد الدولي للفلسفة . مدرج المدرسة المحمدية

== وبين الصداقة والعداوة طرح دريدا شعار الثورة الفرنسية : «الحرية ، المساواة ، الديمقراطية» ليتوجه مباشرة نحو مفهوم الديمقرطية في علاقته بكل من الصداقة والأخوة بغاية تفكيك المفهوم السائد للديمقراطية في المجتمعات الغربية الحديثة .

وتذكر «اليوم السابع» ان من الأشياء التي أثارتها هذه المحاضرة أثناء النقاش مفهوم الصداقة في اللغة العربية باشتقاقه ومرادفاته حيث تبين أن هذا التحليل ، الذي لا ينطبق تماماً على اللغة العربية ، وانما يمثل دعوة للاشتغال على العربية في هذا الإتجاه .

للمهندسين بالرباط يمتليء عن آخره ، أساتذة باحثون ، كتّاب ، مثقفون وصحافيون جاؤوا للاستماع إلى محاضرة عن «تاريخ الكذب وتأملات في السياسة» . يحضر جاك دريدا الفيلسوف ، وعلى غير عادة أهلنا في استقبال المفكرين والمبدعين ، تتزاحم عدسات الكاميرات وأجهزة التسجيل على المنصة وينطلق تصفيق حار كأن الأمر يتعلق بنجم من نجوم العصر»(٢٧٥) .

---

(٢٧٥) بنعبد القادر ، محمد : جاك دريدا يحاضر في الرباط عن : تاريخ الكذب أو تأملات في السياسة . جريدة الاتحاد الاشتراكي ، المغرب ، ع٤٦٧ ، الجمعة ٢١ يونيو ١٩٩٦ ، ص٤-٥ .

وقد استلهم دريدا عنوان محاضرته من نيتشه في كتابه «أفول الأصنام» حيث كتب فردريك نيتشه فصلاً بعنوان «تاريخ خطأ» استعرض خلاله ما يرى انه تاريخ العالم الحقيقي ، أو بالأحرى البديل عن تحريف الحقيقة في التاريخ الرسمي المقدم . وعلى عادة دريدا ، فقد وضع تحت طائلة التساؤل ، في هذه المحاضرة مفاهيم : الحقيقة والتاريخ والمنطق والعقل والنظام والنسق وأخضع مفهوم الكذب لاستراتيجية التفكيك نفسها . ويتساءل دريدا عن مدى وجود مفهوم مرجع للكذب في الثقافة الغربية . ثم ينبه إلى أن مفهوم الكذب ، كما تنتهي تدقيقاته ، لا ينبغي أن يتصل بمحتوى القول ، وإنما هو يرتبط بالقصدية وحصول النية (أي الإدارة الجلية في التغليط و المخادعة) .

وفي عطفة ثانية يعرج دريدا على ما يحسبه المجال الأساسي للكذب قائلاً : انه مجال السياسة بامتياز . وهو يذكر بقول حنا أرندت : «ان الأكاذيب اعتبرت دائماً أدوات ضرورية ومشروعة ليس فقط لمهنة السياسي أو الديماغوجي ، ولكن أيضاً لرجل الدولة» . ويلاحظ دريدا ان الكذب في الحداثة وحدها قد بلغ حده المطلق وغدا كاملاً ونهائياً ، وأمام هذا الصعود نحو المطلق يدعو دريدا إلى التأمل فيما يقتضيه مفهوم الكذب المطلق من معرفة مطلقة ، وان هذا الكذب المطلق ليشكل الوجه الآخر لمعرفة مطلقة فيها يتلاشى الكذب السياسي التقليدي ليفسح المجال أمام نمط من الكذب يضطلع بإعادة كتابة التاريخ معززاً بتنامي ظاهرة جديدة تتعلق بالتحكم في الجماهير والوقائع والآراء ، وبصناعة الصور وتدبير السياسات الحكومية . ثم يستعرض دريدا أمثلة أخرى من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية ، واسرائيل ، وحرب الجزائر وحرب الخليج ، ويوغسلافيا ، ورواند ، والشيشان ، وكلها وقائع ارتبطت بجرائم ضد الإنسانية وبألوان من العنف و القمع أريد لها أن تختفي من الذاكرة وتنطوي آثارها بفعل آله التعتيم الحديثة وتقنيات الكذب السياسي المعاصر .

وقد كانت ثالث زيارات دريدا العربية هي زيارة قام بها إلى القاهرة[٢٧٦]. في منتصف فبراير من العام ٢٠٠٠م وقد استمرت أربعة أيام ، ألقى دريدا في اليوم الأول محاضرة عن «مستقبل التفكيك والعلوم الإنسانية في جامعة الغد» ، وترجمت المحاضرة إلى العربية ، وعرض بعدها فيلماً تسجيلياً عن جاك دريدا أنجزته المصرية المقيمة في فرنسا صفاء فتحي ،[٢٧٧] وقد عكست ردود

(٢٧٦) الواقع انه قد سبق هذه الزيارة توجيه دعوة إلى جاك دريدا للمشاركة في «المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي في منعطف القرن» والذي نظمته الجمعية المصرية للنقد الأدبي بالتعاون مع مركز الدراسات الإنسانية والمستقبليات وجامعة عين شمس بالقاهرة ، وقد اعتذر دريدا عن الحضور يومها .

علماً بأن المؤتمر عقد بالقاهرة في الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ اكتوبر ١٩٩٧ وقد كان من بين محاوره محوراً بعنوان «التفكيكية . واقعها ومستقبلها» ، وقد شارك في المؤتمر المذكور كريستوفر نوريس ، وهو أحد أهم شرّاح دريدا ، إضافة إلى مساهمات عربية اتخذت طابع التفكيك (شأن مساهمة ميجان الرويلي) ، ومن المفترض ، كما ترامت الأنباء ، أن أعمال هذا المؤتمر قد صدرت في ثلاثة أجزاء ، وإن تعذر على الباحث الحصول عليها .

ويذكر ان بعض الأنباء كانت قد أشارت إلى دعوة إحدى الجامعات الأردنية جاك دريدا للمشاركة في ملتقى أدبي عقد هناك في ديسمبر من العام ١٩٩٨ غير أن دريدا قد اعتذر أيضاً .

(٢٧٧) حول مجريات برنامج زيارة دريدا إلى القاهرة وأهم ما تخلله من أنشطة ومحاضرات ونقاشات يمكن الرجوع إلى ما يلي :

- يوسف ، مجدي : بعد المغرب ، القاهرة تستقبل فيلسوف «التفكيكية» بحفاوة وفضول . مجلة الوسط ، لندن ، ع٤٢٥ ، ٢٦ مارس ٢٠٠٠ ، ص٥٦-٥ .
- شعير ، محمد : اقرأوني أولاً . . ثم ناقشوني . هكذا تحدث جاك دريدا إلى المفكرين المصريين . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م ، ص٦-٧ .
- عبدالفتاح ، وائل : اكتشاف دريدا ، جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م ، ص١٧ .
- طلبة ، منى : تجربة شخصية مع التفكيكية . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م ، ص١٨-١٩ .
- مغيث ، أنور : التفكيك والمقاومة . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م ، ص٢٤ .
- المؤدب ، عبدالوهاب : رهينة الأمصار . جريدة أخبار الأدب ، ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ ==

أفعال المثقفين المصريين والعرب في هذه الزيارة ما يكشف عن اتساع حجم الانشغال العربي بدريدا ، ومحاولات المثقف العربي تقديم تأويلات وقراءات على مستويات شتى لما يمكن ، إذا صح الوصف ، ان ننعته بـ«ظاهرة دريدا» في الساحة العربية .

== فبراير ٢٠٠٠م ، ص٢٤ .

- أصلان ، ابراهيم : «التفكيكية» ومسائل أخرى . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٦ ، ع١١٥٧٤ ، ٢ مارس ٢٠٠٠م ، ص٣١ .
- القمحاوي ، عزت : أجراس دريدا . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٦ ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م .
- صالح ، أحمد عباس : جاك دريدا في القاهرة . جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ع٧٧٥٣ ، ١٨ فبراير ٢٠٠٠م ، ص٩ .
- كامل ، ناصر : المثقفون المصريون ارتبكوا أمامه والاحتفاء أصبح هزلياً . دريدا في القاهرة : استمعت إلى خطاب لم أفهم منه شيئاً وأنصحكم بالرجوع إلى ما كتبت إذا أردتم محاورتي . جريدة الرأي العام ، الكويت ، ٢٤ فبراير ٢٠٠٠م ، ص٢٦ .
- طلبة ، منى : الفيلسوف الفرنسي ولد في الجزائر وغادرها شاباً ولم يتعلم العربية . جاك دريدا : ثقافة التفكيك تختلف من بلد إلى آخر ، (مقدمة حوار أجرته طلبه مع دريدا) ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣٥٠ ، ص٦١ .
- مغيث ، أنور : المثقفون والسياسة ، حوار مع جاك دريدا ، (مقدمة مغيث لحوار أجراه مع دريدا في القاهرة) ، مجلة ابداع ، القاهرة ، ع٤-٥ ، أبريل- مايو ٢٠٠٠م- ص١٣٩-١٤٤ .

والجدير بالذكر أن أنور مغيث ومنى طلبة ، كما قد أعلن ، يشتغلان خلال العام ٢٠٠٠ ، بتكليف من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ، على ترجمة كتاب «حول الجراماتولوجيا» لجاك دريدا ، وقد نشرت منى طلبة فصلاً من ترجمتها للكتاب في مجلة أوان ، البحرين ، العدد ٣-٤ ، ٢٠٠٣م .

أما بخصوص صفاء فتحي ، التي ورد في المتن أنها قد انجزت فيلماً حول دريدا فتجد نص سيناريو الفيلم منشوراً بترجمة بشير السباعي في :

- فتحي ، صفاء : دريدا من جهة أخرى (سيناريو فيلم تسجيلي أخرجته صفاء فتحي) ، ترجمة : بشير السباعي . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٦ ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م ، ص١٩-٢٣ .

وللعلم فإن الفيلم من انتاج قناة ARTE وقد كان عرضه الأول خلال مارس ٢٠٠٠م متزامناً مع ==

ترى منى طلبة بأن هذه الزيارة قد «عرفت نجاحاً لا نظير له في التاريخ النشط للمجلس الأعلى للثقافة ، فكانت تتويجاً لجهود حقيقية بذلها العاملون في المجلس والمثقفون المصريون[278] ، وهي تضيف «لا شك أيضاً أن زيارة دريدا مصر كانت حدثاً ثقافياً مهماً ، إذ اكتظت قاعات المجلس وباحاته بالجمهور على غير توقع ، وطالت المناقشات مع المثقفين المصريين إلى حد خرج بها في معظم الأحيان عن المواعيد المقررة لانتهائها وتنوعت نبرات الخطاب ما بين الهجوم والتعاطف والاستفهام لدى المحاورين ، وما بين الغضب حيناً والرغبة القديرة والمسهبة أحياناً - من قبل الفيلسوف - في التعريف بفلسفته وكانت حلقات النقاش - في تقديري - خصبة ومفيدة ، وتطرقت إلى موضوعات مهمة ، وقد مثلت أجيالاً متفاوته وعدداً من التيارات الثقافية والاتجاهات السياسية المعادية للتفكيك ، أو العارفة به ، أو المتسائلة عن جدواه ، أو المدققة في تفاصيله»[279] .

ولعل مفعول هذه الحفاوة غير المتوقعة والإقبال الكبير من الجمهور المصري على محاضرات دريدا هو ما دفع جابر عصفور إلى ما يبدو أنه اعادة نظر ، وإن بشكل ما ، في وجهة نظره حول ضآلة الاهتمام بحضور التفكيك في الأوساط العربية ، كما قد مر بك في بداية هذا الفصل ، يقول مجدي يوسف معلقا : «كانت الجلسة الأولى في أكبر قاعات المجلس الأعلى للثقافة . وقبل أن تبدأ محاضرة دريدا التي كان موضوعها : التفكيك والعلوم الإنسانية في جامعة

== صدور كتاب«تصوير الكلمات» الذي ألفه بشكل مشترك جاك دريدا وصفاء فتحي .

وصفاء فتحي أديبة مصرية تقيم في فرنسا منذ العام ١٩٨١ ، وقد سبق لدريدا أن كتب مقدمة لمسرحيتها «إرهاب» التي تتخذ من مجريات الارهاب خلال الثورة الفرنسية سياقاً تاريخياً . وتنهمك صفاء فتحي بالاشتراك مع مؤلف هذا الكتاب وثلة من المهتمين حالياً في تأسيس جمعية عربية للدراسات التفكيكية من المؤمل أن تخرج إلى النور قريباً .

(٢٧٨) طلبة ، منى : الفيلسوف الفرنسي ولد في الجزائر وغادرها شاباً ولم يتعلم العربية . جاك دريدا : ثقافة التفكيك تختلف من بلد إلى آخر . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣٥٠٦ ، ٣ مارس ٢٠٠٠م ، ص١٦ .

(٢٧٩) طلبة ، منى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الغـد ، كـانت جـمـوع المثـقـفين تفـتـرش الأرض بعـد أن شـغلت كـل المقـاعـد ، واكتظت القاعة بالحضور ، بينما احتشدت في الخارج جموع لم تتمكن من دخول القاعة فأحدثت لغطاً أدى إلى تأخير موعد المحاضرة . اعتذر الدكتور جابر عصفور ، الأمين العام للمجلس الأعلى إلى الجمهور المتعطش للّقاء بـ «نقد ذاتي» مؤكداً انه لم يتوقع أن يكون الاقبال بهذه الغزارة على تفكيكية دريدا . واعترف عصفور بأنه كان يعتقد أن هذا النوع من الخطاب الفلسفي المركب لا يجذب سوى المتعمقين ، ففكر دريدا على درجة من التخصص والتعقيد . وحتى يتيح فرصة متابعة اللقاء أمام الواقفين خارج القاعة ، أعلن أن المحاضرة ، والمناقشات كافة ، ستذاع عبر مكبر الصوت»(٢٨٠) ، ويضيف مجدي يوسف في موضع آخر : «بالرغم من النقد الذاتي الذي قام به جابر عصفور ، والحل الذي اقترحه ونفذه بالفعل ، بقي التبرم والتململ سيد الموقف في الخارج ، حيث وقف مثقفون وجامعيون كانوا يفضلون المشاركة في حيوية التجربة المباشرة مع مفكر التفكيكية بدلاً من مجرد الاستماع عن بعد ، ولو في قاعات قريبة من القاعة الأم . هذا فضلاً عن حرمانهم من مناقشة المحاضر في أطروحاته والتحاور معه ، فحضورهم معه وحضوره معهم كأنه حضور وإن لم يكن كذلك»(٢٨١) .

إن «حضور التفكيك» في القاهرة ، والذي انعقد بدعوة من جابر عصفور بوصفه رئيساً للمجلس الأعلى للثقافة ، قد وضع فكرة «الحضور» في إطار تساؤل تفكيكي بالأساس ، حضور في علاقة إلتباسية بالغياب ، حضور طيفي ، مرآوي ، أشبه بحضور الأصداء التي هي الصوت وليست هو ، هكذا يكتب عزت القمحاوي في «أجراس دريدا» : «جاءت زيارة جاك دريدا مرآة وقف أمامها المشتغلون بالفكر في مصر ، ليتأملوا تاريخاً من الفوضى والكسل عانته الثقافة المصرية ، منذ فقدت الجامعة حيويتها . . الحضور الحاشد كان سعياً للفهم ، وبدا واضحاً أنه ليس بين الحاضرين من هو متخصص أو قارىء لكل

(٢٨٠) يوسف ، مجدي : بعد المغرب ، القاهرة تستقبل فيلسوف التفكيكية بحفاوة وفضول . مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٢٨١) السابق ، نفس الصفحة .

آثار هذا الرجل . وهو عيب لا يشين الحاضرين أنفسهم بقدر ما يشين نظاماً جامعياً تحول إلى نظام للتعليم الإلزامي ، فضاعت فرصة التخصص ، وأصبح على كل أستاذ أن يعرف شيئاً عن كل شيء من أجل الخطابة في التجمعات الكبيرة من طالبي رخصة محو الأمية»(٢٨٢) .

وقد كان محمد شعير أكثر مباشرة في وصف الصورة ، حين كتب في متابعته الإعلامية للـ«حدث» ، «جاء دريدا إلى مصر نجماً وأحاط به مثقفونا ليمطروه بالأسئلة ليعلن في يومه الأخير ما استطاع كتمانه في أيامه الثلاثة الأولى التي شهدت محاضراته : «أرجوكم . . اقرأوني .» . . . نجومية دريدا حولت مثقفينا إلى مجرد جمهور إذ بدت اللقاءات حسب تعبير دريدا نفسه أشبه «بطريقة تلفزيونية . . . أن تسألوني وأناأجيب» وعندما ملَّ الكثير من الأسئلة قال : «أحيلكم إلى كتاباتي حيث فيها الكثير من الإجابات لأسئلتكم» ولم ينسَ أن يعتذر بأدب بالغ « أنا متأسف لهذه الملاحظة ولكن على أية حال هذا هو احساسي» .(٢٨٣)

وينقل ناصر كمال ما يعزز ما ذكرناه سابقاً حين يقول : «دريدا بدا كنجم سينمائي والأضواء والميكرفونات والكاميرات تلاحقه ، وتتابعت أعداد غير مسبوقة من المثقفين الذين امتلأت بهم قاعات المجلس الأعلى للثقافة خلال وجوده . ولم يخفَ المسؤولون الثقافيون نشوتهم وزهوهم بذلك حتى أن الدكتور جابر عصفور أبدى دهشته قائلاً : «لم أكن أتصور أن جماهير التفكيكية كثيرة إلى هذا الحد!!» ووصف دريدا بأنه ، صاحب أخطر وأحدث اتجاه فلسفي في العالم كله ويعبر عن الجانب «الفرنكفوني» في الثقافة السائدة في العالم . الحيوية التي رافقت حضور دريدا كانت في ابراز وجوه غامضة ، مبهمة ، متناقضة ، اعتبرها بعض المثقفين عيداً ثقافياً ودليلاً على مواكبة الثقافة المصرية للفكر الإنساني العالمي في أحد أهم اتجاهاته الفلسفية ، ووصفها البعض بأنها

(٢٨٢) القمحاوى ، عزت : أجراس دريدا . مرجع سابق ، ص٩ .

(٢٨٣) شعير ، محمد : اقرأوني أولاً . ثم ناقشوني : هكذا تحدث جاك دريدا إلى المفكرين المصريين . مرجع سابق ، ص٦ .

أشبه بمولد شعبي جديد اسمه مولد سيدي دريدا»[٢٨٤] .

ولولا أن المقام يضيق عن الاسترسال لكان بالوسع تسجيل العديد من ردود الأفعال التي تدل على تزايد مؤشرات الرواج والاهتمام الفضولي واسع النطاق بدريدا خلال السنوات الأخيرة في الأوساط الثقافية العربية رغم الشكوى المستمرة من صعوبات الفهم والتمثل على هامش زيارات دريدا العربية في كل مرة[٢٨٥] .

---

(٢٨٤) كامل ، ناصر : المثقفون المصريون ارتبكوا أمامه والاحتفاء أصبح هزلياً . . . ، مرجع سابق ، ص٢٦ .

(٢٨٥) نتسمح في هذا الهامش بإيراد الاقتباس الفكه التالي ، على الرغم من طوله ، لما يسهم به من كشف لما نحن بصدده ، وهو مقتطع من مقالة كتبها الأديب المصري إبراهيم أصلان ، يقول فيها : «ما أن سمعت ، بعد لأي ، عن «التفكيكية» حتى اعتبرتها تسمية هزلية لموضوع يتسم بالجدية ، وإن كنت لا أعرفه . وقر ذلك في ذهني ، ونحيت الأمر جانباً . ومر وقت بدأ اسم «دريدا» يتردد أمامي وان على استحياء . وفي العام الماضي صادفت بمعرض الكتاب ترجمة سورية لكتابه «أطياف ماركس» فاقتنيته عاقداً العزم على عدم قراءته باعتبار أن الاحتفاظ بالأطياف يعد تعبيراً كافياً عن شيء للزمن الذي كان (أخبرتني الدكتورة منى طلبة أن الترجمة الصحيحة هي أشباح ماركس . مؤكد ، لو رأيته في هذا العنوان ما اشتريته) . وفي نفس المعرض عثرت لدريدا أيضاً على ترجمة مغربية لكتابه عن «الكتابة والاختلاف» اشتريته وشرعت في قراءته نظراً لجاذبية الموضوع ، وتوقفت من فوري ، مرجئاً ذلك إلى فرصة تتاح لي أن أطالعه فيها بالفرنسية ، صحيح انني لا أعرف منها حرفاً ، ولكنني حينها ، كما تصورت ، سوف أجد سببا معقولاً لعدم فهم ما أقرأ .

يشاء السميع العليم أن تمر الحوادث كلها من دون أن اربط اطلاقاً بين دريدا وبين التفكيكية (كيف ذلك؟ إذا كان لايوجد أدنى تشابه بين الاسمين ، وإذا كنت ، أيضاً ، سمعت بأحدهما من هنا ، بينما سمعت بالآخر من هناك؟) لذلك ، فقط ، كانت دهشتي كاملة من الرجل الذي جاء إلى القاهرة ليمضي الفترة كلها من (١٢-١٤ شباط «فبراير» ٢٠٠٠) في حديث متصل عن التفكيكية بدءاً من أطروحته حول «مستقبل التفكيك والعلوم الإنسانية» التي طالب فيها بجامعة غير خاضعة لسلطة ما ، وانتهاءً بعشرات الأسئلة والمداخلات المطولة حول نفس التفكيك . ==

ولعل مما يتصل بالإشارة إلى دور المتابعات الإعلامية ومظاهر الرواج في نشر مظلة من الاهتمام بالتفكيك داخل أفياء الفكر النقدي العربي ما سبق أن نوهنا

== لقد توجهت إلى مبنى المجلس الأعلى للثقافة حيث وجدت قاعاته وردهاته وسلالمه مزدحمة عن آخرها بالواقف والقاعد والمائل والذي يكتب ، والذي يقرأ والذي لا يفعل شيئاً من ذلك . وجوه ليست مألوفة تماماً لشيوخ وشباب ورجال ونساء وبنات أضفين على الجو ، لا تعرف كيف ، مذاقاً فرنسياً وتفكيكاً بالفعل . لا صوت إلا ما يأتي عبر السماعات المبثوثة في كل مكان . وأثناء عملية التجوال تعرفت ، في السماعة على صوت مفكرنا محمود أمين العالم مع أنه لم يكن يتحدث بالعربية ، استغربت منه هذه الفرنسية التي جعلتني أعرفه ، ثم عدت وتبينت أن الرجل قد تعرفه مهما كانت اللغة التي يتحدث بها .

وأنا لن أتحدث ، إطلاقاً عما سمعت ، لأنني في الحقيقة لم أسمع ما يعول عليه ، وإن احتفظت ذاكرتي ، أثناء عملية التفقد ، بعبارات عربية تقاذفتها سماعة هنا ، وأذن هناك من قبيل «الشذرة» و«اللامشروطية» و«التمفصل» و«القواعدية» و«الماضوية» و«التحقيب» وغيرها .

ولقد علمت من إحدى صديقات دريدا (وهي سيدة من أصل مغربي) أن الرجل لم يكن راضياً تماماً لأن المعرفة به لم تكن جيدة ، كما أن الكثير من المداخلات لم تكن مدروسة ، ووجدتني انبري لدفاع حار عن كل المداخلات التي لم أسمعها ، معتمداً على أن هذا الحشد غير المسبوق لم يذهب لشرب القهوة ، وهي لم تكن مجاناً على أية حال ، بل هو تعبير عن أن الناس ، وإن كانت لا تعرف ، فإنها تريد ، على الأقل أن تعرف .

أما وقد اتيح لي الآن الاطلاع على تسجيل كامل مترجم لكل ما دار (والتي أدعو الدكتور جابر عصفور إلى طبعها) فإنني لا أملك إلا القول بأن حلقات النقاش تناولت قضايا ، في جانب كبير منها ، غاية في الأهمية بفضل بعض المداخلات التي قام بها عدد من الأساتذة والشباب المعنيين بالفلسفة والبحث العلمي . سوء الفهم الذي جرى له أسباب مختلفة تماماً .

فإذا كنت قد أخبرتك ، مثلاً ، في فقرة سابقة كيف ظننت أن «التفكيكية» هي تسمية هزلية لمسألة جدية ، فإن البعض الآخر كان يظنها تسمية جدية ، لمسألة هزلية . مجرد خلاف منهجي كما ترى .» . انتهى الاقتباس من مقالة ابراهيم أصلان . انظر :

– أصلان ، ابراهيم : في «التفكيكية» ومسائل أخرى . جريدة الرياض ، الرياض ، ع١١٥٧٤ ، ٢ مارس ٢٠٠٠ ، ص٣١ .

إليه في بداية هذا الفصل حول السجاليات التي شارك فيها مجموعة من النقاد العرب إثر صدور كتاب عبدالعزيز حمودة «المرايا المحدبة» ، وهي السجاليات التي اعتبرها بعضهم «آخر معارك القرن النقدية» ، ولعلنا في خاتمة هذا التعرض للمظاهر الدالة على الرواج الذي حظي به دريدا واستراتيجيات التفكيك في الفكر النقدي العربي أن نشير ، استكمالاً للفائدة ، إلى جانب من هذه التتبعات الحافة بقراءات النقاد والمفكرين العرب والتي تراسلت وتداخلت أحياناً مع هذه القراءات مؤثرةً أو متأثرةً ، وكان لها بنحو يقل أو يكثر أثراً في إثراء جوانب مشهد القراءة العربية لدريدا و التفكيك .

تحت عنوان «استراتيجية جديدة لقراءة التراث العربي . التفكيكية بين النظرية والتطبيق» نشر عصام عبدالله في جريدة القبس الكويتية مراجعة لكتاب كريستوفر نوريس «التفكيكية بين النظرية والممارسة» بترجمة صبري محمد حسن[٢٨٦] ، ونشر كاظم جهاد في مجلة اليوم السابع ، التي تصدر في نيقوسيا ، مراجعة لكتاب «مجازات القراءة» (Allegories of Reading) لبول دي مان في طبعته الفرنسية عن منشورات «غاليله» في باريس[٢٨٧] ، كما نشر الياس حنا الياس مراجعة لترجمة كاظم جهاد لمنتخبات دريدا في مجلة «اليوم السابع» أيضاً[٢٨٨] ، ونشر محمد أحمد البنكي مقالة بعنوان : «أطياف دريدا في ترجمة إلى العربية : دفع علاقة النص بالواقع إلى أقصى المنطقة

(٢٨٦) عبدالله ، عصام : استراتيجية جديدة لقراءة التراث العربي : التفكيكية بين النظرية والتطبيق . جريدة القبس ، الكويت ، ع٧٥١٤ ، الخميس ١٩/٥/١٩٩٤ ، ص٣٦ .

(٢٨٧) جهاد ، كاظم : بول دي مان في «مجازات القراءة» : وإذا كان المجاز يحكم الأدب كله و . . . الفكر كله! . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، الأثنين ١٣ نوفمبر ، ١٩٨٩ ، ص٣٦-٣٧ .

(٢٨٨) الياس ، الياس حنا : جاك دريدا في رحاب كاظم جهاد : الترجمة ، أو كيف يتجاوز النص حداده! . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، ع٢٥٨ ، ١٧ أبريل ١٩٨٩م ، ص٣٩ .

الشائكة»[٢٨٩] ، وكذلك «مصطفى ناصف يخاصم دريدا»[٢٩٠] ، وأيضاً : «احتفاءً» بـ «منحة الموت» : دريدا بين موت ودين»[٢٩١] ، كما نشر مقالة بمناسبة صدور ترجمة سعيد الغانمي لكتاب بول دي مان «العمى والبصيرة» في جريدة الأيام البحرينية بعنوان «بول دي مان بترجمة سعيد الغانمي»[٢٩٢] ، ومقالة أخرى عنوانها «هل كان أحمد عبدالحليم عطية يقرأ دريدا فعلاً؟»[٢٩٣] ، وأخرى بعنوان : «عذابات دريدا في صحبة كمال أبوديب وعبدالعزيز حمودة : كيف يصنع العرب آخرهم النقدي؟»[٢٩٤] ، وأخيراً أيضاً دراسة في مجلة كلمات ، التي تصدرها أسرة الأدباء والكتاب في البحرين بعنوان : «الإختلاف المرجأ . منهج الغذامي بوصفه تفكيكاً»[٢٩٥] ، وقد نشر عبدالرحمن حمد

---

(٢٨٩) البنكي ، محمد أحمد : «أطياف دريدا» في ترجمة إلى العربية : دفع علاقة النص بالواقع إلى أقصى المنطقة الشائكة . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢١٨٨ ، الخميس ٢ مارس ١٩٩٥ ، ص٩ .

(٢٩٠) البنكي ، محمد أحمد : مصطفى ناصف يخاصم جاك دريدا . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣١٤٠ ، الأربعاء ٨ أكتوبر ١٩٩٧ ، ص١٠ .

(٢٩١) البنكي ، محمد أحمد : احتفاء بـ «منحة الموت» : دريدا بين موت ودين . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٢٣٧ ، الخميس ٢٠ أبريل ١٩٩٥م ، ص١٢ .

(٢٩٢) البنكي ، محمد أحمد : بول دي مان بترجمة سعيد الغانمي . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٤٢٤ ، ١٩ يوليو ١٩٩٨ ، ص١٦ .

(٢٩٣) البنكي ، محمد أحمد : هل كان عبدالحليم عطية يقرأ دريدا فعلاً؟ . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٢٧٨ ، الأثنين ٢٣ فبراير ١٩٩٨ ، ص١٧ .

(٢٩٤) البنكي ، محمد أحمد : عذابات دريدا في صحبة كمال أبوديب وعبدالعزيز حمودة : كيف يصنع العرب آخرهم النقدي؟ . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٣٦١ ، ١٧ مايو ١٩٩٨ ، ص١٣ .

(٢٩٥) البنكي ، محمد أحمد : الاختلاف المرجأ : منهج الغذامي بوصفه تفكيكاً . مجلة كلمات ، البحرين ، ع١٧ ، ١٩٩٢ .

المنصور مقالة بعنوان «موت التفكيكية»(٢٩٦) أهداها «إلى التفكيكي العنيد ميجان الرويلي ، ونشر الكاتب نفسه مقالة بعنوان «منطلق الملحق»(٢٩٧) ، والمقصود هنا بـ «الملحق» هو الكلمة المفتاحية Supplement عند دريدا .
وكتب وضاح شرارة تعليقاً على اضطلاع دريدا بالدفاع عن المناضل الأمريكي الأسود «موميا أبو جمال» وحقه في تعليق الحكم بالإعدام مقالة في جريدة الحياة تحت عنوان : «جاك دريدا . . محاميا عن موميا أبو جمال وخطيباً ساخراً»(٢٩٨) ، كما تناول حسونة المصباحي دريدا بإسهام تحت عنوان «الفرنسيون يحتفون بـ «كيركجارد ودريدا يلاحق الأشباح»(٢٩٩) ، وكتب شربل داغر مراجعة لكتاب دريدا «أطياف ماركس» عند صدوره بالفرنسية ، وذلك في جريدة الحياة اللندنية بعنوان «جاك دريدا : أطياف ماركس تخيّم فوق أوروبا»(٣٠٠) ، وهو نفسه قد قدم أيضاً مراجعة لكتاب دريدا «أحادية اللغة لدى الآخر» حين صدر الكتاب بالفرنسية ، وكانت المراجعة تحت عنوان : «كتاب أحادية اللغة لدى الآخر . جاك دريدا يدافع عن التخالط والتلوث . . إلا في لغة

---

(٢٩٦) المنصور ، عبدالرحمن حمد : موت التفكيكية . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٥ ، ع١٠٩٥١ ، ١٨ يونيو ١٩٩٨ ، ص٣٤ .

(٢٩٧) المنصور ، عبدالرحمن حمد : منطق الملحق . جريدة الرياض ، س٣٤ ، ع١٠٦١٥ ، ١٧ يوليو ١٩٩٧ ، ص٣٣ .

(٢٩٨) شرارة ، وضاح : جاك دريدا . . محامياً عن موميا أبوجمال وخطيباً ساخراً . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٨٩٣ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٥ ، ص١٩ . والمقالة كتبت تعليقاً على خبر تولي دريدا المحاماة عن موميا أبو جمال الذي ذكره حسن منيمنة في مقالة نشرت بجريدة الحياة تحت عنوان : «في قضية أبو جمال» ، وقد نشرت المقالة المذكورة في ٢٠ أغسطس ١٩٩٥ .

(٢٩٩) المصباحي ، حسونة : الفرنسيون يحتفون بـ «كيركجارد» ودريدا يلاحق الأشباح . جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ع٥٤٧٣ ، ١٩٩٣/١١/٢٢م ، ص٣٠ .

(٣٠٠) داغر ، شربل : جاك دريدا : أطياف ماركس تخيّم فوق أوروبا . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٢٣٢ ، ١٤ نوفمبر ١٩٩٣ ، ملحق «آفاق» ص أ .

يعتبرها وعداً مستمراً»[٣٠١] ، وقدم المعطي قبّال تناولاً لكتاب دريدا «في الضيافة عبر مقالة بعنوان «مجموعة كتابات فرنسية لدريدا وآخرون عن «الغريب» و «الضيافة» في المكان واللغة والوجدان»[٣٠٢] ، وتناولت حنان عاد نفس الكتاب «في الضيافة» الذي ألفه جاك دريدا وآن دوفور مانتيل في مقالة بعنوان «من هو الغريب؟»[٣٠٣] ، واستعرض أنور المرتجي نظرية الكتابة عند دريدا في مقالة بعنوان «متعة الكتابة» نشرتها مجلة «برهان التلقي» المغربية[٣٠٤] ، وفي اطار المراجعات قدم حسن الشامي مراجعة لدراسة دريدا «صيدلية أفلاطون» التي صدرت ، بترجمة إلى العربية ، في كتاب أصدره كاظم جهاد ، والمراجعة بعنوان : «صيدلية أفلاطون لجاك دريدا إلى العربية . الكتابة يصنعها الأبناء . . يتامى الكلام المتعالي»[٣٠٥] ، وبصدد المراجعات أيضاً نشر محمد نور الدين أفاية في أعقاب صدور ترجمة عبدالكبير الشرقاوي لكتاب «لقاء الرباط مع جاك دريدا . لغات وتفكيكات في الثقافة العربية» مراجعة بعنوان : «جاك دريدا وتفكيك أدوات النقد»[٣٠٦] ، وقدم حسام أبوأصبع مقالة بعنوان : «فضاء

---

(٣٠١) شربل ، داغر : كتاب أحادية اللغة لدى الآخر : جاك دريدا يدافع عن التخالط والتلوث . . إلا في لغة يعتبرها وعداً مستمراً . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٠١٢٣٧٣ ، الأحد ١٢ يناير ١٩٩٧ ، ص١٩ .

(٣٠٢) قبّال ، المعطي : مجموعة كتابات فرنسية لدريدا وآخرين عن «الغريب» و«الضيافة» في المكان واللغة والوجدان . جريدة الحياة ، ع١٢٧٤٠ ، ١٨ يناير ١٩٩٨ ، ص١٩ .

(٣٠٣) عاد ، حنان : من هو الغريب؟ . جريدة النهار ، بيروت ، الأربعاء ١ يوليو ١٩٩٨ ، ص٢١ .

(٣٠٤) المرتجي ، أنور : متعة الكتابة . مجلة برهان التلقي ، المغرب ، ع١ ، السبت ٢ يوليو ١٩٩٤ ، ص١١ .

(٣٠٥) الشامي ، حسن : صيدلية أفلاطون لجاك دريدا إلى العربية : الكتابة يصنعها الأبناء يتامى الكلام المتعالي . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٢٩٤٣ ، ١١ أغسطس ١٩٩٨ ، ص١٩ .

(٣٠٦) أفاية ، محمد نور الدين : جاك دريدا وتفكيك أدوات النقد . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣١١٣ ، ص رقم ج من ملحق تيارات .

التفكيك . التفكيك ممارسة سياسية لتقويض البنى السياسية»[٣٠٧] ، وقدم كذلك مقالة أخرى بعنوان «فضاء التفكيك . مركزية الصوت - مركزية العقل»[٣٠٨] ، وقدم نادر كاظم مقالة بعنوان : «المعنى من الظاهراتية إلى التفكيكية»[٣٠٩] ، وقدم محمد البنكي مقالة بعنوان «من اللوغوس إلى اللوغوسنتيزم . نظرة في نشاط الترجمة العربية»[٣١٠] ، وكتب محمد على الكردي مساهمة بعنوان «جاك دريدا وقضية الابتكار» في جريدة أخبار الأدب المصرية[٣١١] ، كما نشر كريم عبدالسلام مقالة بعنوان «نهاية النهايات بين أمل دنقل وجاك دريدا» في مجلة سطور المصرية[٣١٢] ، وفي «سطور» أيضاً نشر حسام نايل مقالة عنوانها «الحياة/الموت ، من نيتشه إلى دريدا . نبش القبور»[٣١٣] ، كما نشر أحمد مرسي متابعة على هامش حوار دريدا مع الكاتب

---

(٣٠٧) أبو أصبع ، حسام : فضاء التفكيك : التفكيك ممارسة سياسية لتقويض البنى السياسية . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٩٧٥ ، ٢٦ أبريل ١٩٩٧ ، ص١٢ .

(٣٠٨) أبو أصبع ، حسام : فضاء التفكيك : مركزية الصوت - مركزية العقل . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٩٦١ ، ٢ أبريل ١٩٩٧ ، ص١٠ .

(٣٠٩) كاظم نادر : المعنى من الظاهراتية إلى التفكيكية . جريدة الأيام ، ع٣٢٦٠ ، ٥ فبراير ١٩٩٨ ، ص١٧ .

(٣١٠) البنكي ، محمد أحمد : من اللوغوس إلى اللوغوسنتريزم . نظرة في نشاط الترجمة العربية . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٦٢٧١ ، يونيو ١٩٩٦ ، ص٦ .

(٣١١) الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وقضية الابتكار . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع١٤٠ ، الأحد ١٧ مارس ١٩٩٦ ، ص٢٥ .

(٣١٢) عبدالسلام ، كريم : نهاية النهايات بين امل دنقل وجاك دريدا . مجلة سطور ، القاهرة ، ع٤١ ، أبريل ٢٠٠٠م ص١٨-١٩ .

(٣١٣) نايل ، حسام : الحياة/الموت ، من نيتشه إلى دريدا : نبش القبور . مجلة سطور ، القاهرة ، ع٤٣ ، يونيو ٢٠٠٠ ، ص٩٤-٩٥ .

الأمريكي ميتشيل ستيفنسن والذي لخصه الأخير في مقال نشر بـ «نيويورك تايمز» ، وجاءت مساهمة أحمد مرسي تحت عنوان : «دريدا يتحدث عن موته وموت التفكيك»(٣١٤) ، كما نشر عبدالله جناحي مقالة من جزئين بعنوان : «دريدا مفككاً للميتافيزيقا»(٣١٥) .

لعل هذه التواردات العربية على حياض دريدا تؤشر ، حتى على افتراض

---

(٣١٤) مرسي ، أحمد : دريدا يتحدث عن موته وموت التفكيك . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٢ ، ع٣ ، مارس ١٩٩٤ ، ص١٣٧-١٤٢ .

(٣١٥) انظر :

- جناحي ، عبدالله : دريدا مفككاً للميتافيزيقا (١-٢) . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٤٠٩٨ ، ٢٣ مايو ٢٠٠٠م ، ص٢٦ .

وكذلك :

- جناحي ، عبدالله : دريدا مفككاً للميتافيزيقا (٢-٢) . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٤١٠٥ ، ٣٠ مايو ٢٠٠٠م . والمقالة في الأصل استعراض وتعليق على :
- مطواع ، محمد : ملاقة سلطة المعنى : دريدا مفككاً للميتافيزيقا . مجلة فكر ونقد ، الرباط ، ع٢٨ ، ٢٠٠٠م .

والجدير بالذكر أن المتابعات قد ترد أحياناً مغفلة من ذكر الأسماء ، وهي قد تتخذ شكل التعليق أو التقرير الإخباري ومن ذلك .

- «جديد دريدا . الدرجة الأقصى للتضحية» . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٢٣٧ ، ٢٠ أبريل ١٩٩٥ ، ص١٢ .
- «جاك دريدا في مؤتمر نقدي عربي» . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣١٣٣ ، ١ أكتوبر ١٩٩٧ ، ص١٠ .
- «حرب ثقافية بين بريطانيا وفرنسا» (تقرير حول منح دريدا الدكتوراه الفخرية من جامعة كامبردج) ، جريدة اخبار الخليج ، البحرين ، ٣١ أكتوبر ١٩٩٢ .
- «الكرمل من رام الله : دريدا ينقد التطرف اليهودي» . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٩٦٥ ، ١٦ أبريل ١٩٩٧ ، ص١٠ .

==

تفاوت حظها فيما تصدر عنه ، على مبلغ الرواج الذي كتب لدريدا في المشهد الثقافي العربي ، وهي قرائن حافة بالحضور التفكيكي العربي ، الذي يصح أن ننعته بالحضور الشاخص الغائب ، القوي الهش ، الواضح الملتبس . الدريدي بامتياز في نهاية الأمر .

٧- اسهامات جزئية أخرى :

لقد طوفنا عبر التمحورات السابقة في مساحة كبيرة من أرجاء المشهد الذي يحضر فيه دريدا في مشهد الفكر النقدي العربي خلال عقد التسعينات من القرن العشرين وشهدنا محاولات للتثمير ، وأخرى للسفر بالمفاهيم الدريدية واستراتيجيات التفكيك إلى سوح الكتابة بجميع دوحاتها ، ولا سيما الكتابة الأدبية والإبداعية ، كما سجلنا في المشهد حركة «حالة» حيوية من الانشغال

== كما اننا نود أن نلفت نظر القارىء إلى ان دخول مفعولات القراءة العربية لدريدا تحت مقاييس وشروط عوامل الرواج قد أسهم ، أحياناً ، في مجانية توظيف الإشارات الدالة على دريدا أو استراتيجياته ضمن سياق عناوين المقالات والدراسات توخياً لجذب القارىء ، ومن أمثلة ذلك :

- السمطي ، عبدالله : عندما يستوفي النص دلالاته : أركيولوجيا الجسد وشعرية التأجيل . مجلة إيقاعات ، القاهرة ، ع٢ ، ١٩٩٤ ، ص٧٦-٨٣ .

- غصيب ، هشام : العولمة والهوية : تفكيك الوهم على طريقة ماركس وليس على طريقة دريدا . جريدة الزمان ، لندن ، س٣ ، ع٥٩٨ ، ١٥-١٦ أبريل ٢٠٠٠م ، ص٩ .

إن المقالة الأولى ليس لها ، في اجرائيات التحليل ومنطلقات المقاربة ، من أفكار الاختلاف والتأجيل عند دريدا أو الأركيولوجيا عند فوكو إلا الاسم الوارد في العنوان ، أما المحاولة الثانية ، وعنونتها قد تكون من اختيارات جهاز تحرير الجريدة وليس الباحث (الماركسي الرصين عادة) ، فلا يرد فيها ذكر لدريدا إلا في مقدمة تبعد مفهوم التفكيك المقصود من الباحث عن تفكيك دريدا ، يقول هشام غصيب : «ما هو هذا الواقع الفعلي الذي يشكل أساس هذا الوثن الأثيري الذي تروجه الامبريالية الثقافية في العالم؟ إن الإجابة الجدية عن هذا السؤال تستلزم أولاً تفكيك هذا الوهم ، على طريقة ماركس بالطبع وليس على طريقة دريدا ، وتبديد عناصره واختراقه صوب هذا الواقع المعقد» .

العمومي الآخذ في الاتساع ، هو مزيج من الفضول والرغبة العلمية وسوء القراءة الضروري . ولقد يكون مما يكمل المشهد أن نعرض ، بعد ذلك ، لمسارات ثلاثة ، يمثل كل مسار منها أمثولة أو مجاز لاختيار من اختيارات القراءة العربية لدريدا . اختيار أول يذهب في اتجاه مظلة أوسع من دريدا هي مظلة الفكر الاختلافي في عمومه ، وهذا اتجاه جدير بالتقدير ولكن ينبغي الاحتراز دوماً من وضعه في خانة الدريدانية . ولعل ممن يمثلون هذا الاتجاه في اللحظة الراهنة سامي أدهم ومطاع صفدي .

وأما الاتجاه الثاني فهو اتجاه يبتسر المسائل ابتساراً ، ويفرغ التفكيك من محتواه ، ويحول مفاهيمه إلى رأس مال للمزايدات والمناطحة والادعاء ، ولعل ممن يمثلون هذا الاتجاه جورج طرابيشي في نقده على الجابري الذي يقدمه تحت مسمى التفكيك .

ويبقى اتجاه ثالث ، نتبينه ، من ثنيات التسعينات ، اتجاه لم يطرح مفاعيله بعد ، لكنه يدأب على ارتكاب محاولات طموحة تستحق الانتباه أيّاً ما كان الموقف منها . ولقد نتجاسر فنمثل لهذا الاتجاه بالإسهامات التي تطرحها كتابات ككتابات محمد شوقي الزين .

في الفسحة التالية ، الأخيرة من متابعاتنا لمفاعيل التفكيك في العشرية الأخيرة من القرن العشرين ، نقف أمام هذه المفترقات الثلاثة بنذرها ووعودها وما تطرحه من ملامح . وأول ما نشرع في تقليب وجوه النظر في علاقته بالتفكيك هو ما يكتبه مطاع صفدي

يمثل مطاع صفدي ، بامتياز ، مسيرة أخرى من مسيرات استنبات الوجودية في فضاء الفكر العربي . وهو ، بعد عبدالرحمن بدوي ، ربما يمثل أبرز امتدادات هذا التيار الفكري في اللحظة الحاضرة . وعلى الرغم من انفتاح إسهامات صفدي ومواكبتها لآخر المستجدات ، إلا أن المرجعية الهيدغرية تظل متحيزة لامتيازاتها الخاصة في ثنايا المشروع الذي يدلي به هذا الكاتب . لقد قدم مطاع صفدي للمكتبة العربية خمسة أعمال أدبية وثلاث دراسات في المجال السياسي وأربعة أعمال متصلة بالوجودية ، إضافة إلى كتابين في الفلسفة

العامة[٣١٦] . هذا عدا عن أدوار ثقافية عديدة أسهم من خلالها في تأسيس وإدارة مجلة «الفكر العربي المعاصر» ومجلة «العرب والفكر العالمي» ، وأشرف على بعض السلسلات النشرية لنصوص من ينابيع الفكر الغربي أصدرها مركز الإنماء القومي ببيروت وباريس كما ساهم في ترجمة العديد من النصوص الفلسفية إلى العربية .

ولكن ، ما هي المساحة التي تتقاطع فيها أفكار مطاع صفدي مع دريدا واستراتيجيات التفكيك وأفكار الاختلاف؟

اننا إذا تتبعنا سلسلة النسب الفكري التالية : هوسرل؟ هيدغر ؟ دريدا في مفعولات أصدائها التي تعاملت مع التفكيك على الساحة العربية أمكننا أن نضع مطاع صفدي ، دون تردد ، بوصفه من أظهر الممثلين للحظة هيدغرية عربية تعاملت مع التفكيك ، أو اجتهدت في استثمار مقولاته .

يصنف جميل قاسم ، مطاع صفدي باعتباره أحد المفكرين العرب الذين يحورون عطاءهم الفلسفي حول سؤال الكينونة والآنية ثم يمضي إلى القول : «وصفدي هو من المفكرين القلائل الذين أدركوا ضرورة الخروج من اللعبة الثنائية القائمة على مزدوجات : التخلف/التقدم ، الأصالة/المعاصرة . . والتخلص من لعبة التراثي بين الذات والآخر من خلال العودة إلى الفلسفة كبحث في الموجود واللامفكر فيه ، والانتماء إلى فلسفة الاختلاف التي لا تحدد للفلسفة والفكر أية هوية مركزية باسم العمومية أو الخصوصية»[٣١٧] .

وليس من الممكن ، في هذه الحالة ، أن نسدل ستار الصمت ، على ما يبدو أنه توافقات هارمونية موحية بين الشوام الثلاثة : مطاع صفدي وسامي أدهم ثم علي حرب . يستخدم الثلاثة التفكيك والنقد بكيفيات متواترة في أعمالهم

---

(٣١٦) الرديسي ، حمادي : نقد العقل الغربي أو بالأحرى العربي . ترجمة جماعية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت-باريس ، ع ٨٤/٨٥ ، يناير/فبراير ١٩٩١ ، ص١٠٥ .

(٣١٧) قاسم ، جميل : العرب والزمن النهضوي . مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ع ٩٦-٩٧ ، ١٩٩٢ ، ص٤٣ .

واسهاماتهم حتى أن عناوين مؤلفاتهم كثيراً ما تردد هذه الأصداء[٣١٨] . والنقد عند الثلاثة صنو للتفكيك ونظير متداخل فيه ، عنيتُ التفكيك بالحرف الكبير لا التفكيك الدريدي حصراً ، وإذا كان دريدا يقيم الفوارق بين النقد والتفكيك حين يقول : «يتميز التفكيك عن النقد . فالنقد يعمل دوماً وفق ما سيتخذه من قرارات فيما بعد ، أو هو يعمل عن طريق محاكمة . أما التفكيك فلا يعتبر أن سلطة المحاكمة أو التقويم النقدي هي أعلى سلطة . إن التفكيك هو أيضاً تفكيك للنقد . وهذا لا يعني أننا نحط من قيمة كل نقد أو كل نزعة نقدية . لكن يكفي أن نتذكر ما عنته سلطة النقد عبر التاريخ»[٣١٩] فإن محترزات يقظة يضعها الثلاثة تحول دون وقوع «النقد» الذي يمارسونه تحت طائلة ما يأخذه دريدا على النقد . إنه نوع من نقد ما بعد كانطي على الأقل ، يتجه إلى الكشف عن آليات التفكير واستراتيجيات بناء المعرفة بغية بلورة شروط الإمكان وفحص حدود الصلاحية . ومن هنا لا يتردد أحد الباحثين الذين انكبوا على دراسة مشروع مطاع صفدي من القول : «النقد بالنسبة للأستاذ صفدي هو مجاورة ، فالكاتب يدع نفسه ينتقل إلى مواقعيات الأمكنة التي أراد أن يشغلها الغرب نفسه ، ثم تخلى عنها ، غير راضٍ عن توطنه الخاص وهو في بحث دائم عن

---

(٣١٨) لاحظ :

«نقد التطورية» في عنوان كتاب أدهم الأول ، «وتفكيك العقلي اللغوي» في عنوان الكتاب الثاني ، وعند مطاع صفدي «نقد العقل الغربي» ولدى علي حرب «نقد النص» و «نقد الحقيقة» و«نقد الذات المفكرة» . هذا بالطبع عدا عناوين الفصول والدراسات المتفرقة .

(٣١٩) Derrida,J: Points de suspension, entretien avcc D. Cohen. Ed. Galilée 1992 -

ونحن ننقل ذلك عن :

– بنعبدالعالي ، عبدالسلام : تفكيك النقد . مجلة فكر ونقد ، الرباط ، س١ ، ع٣ ، نوفمبر ١٩٩٧ ، ص٣٧ .

«اللامفكر فيه لديه . . . باختصار نقول إن النقد هو (تفكيك)»(٣٢٠) . أما علي حرب فينفي أن يكون النقد نقضاً للأعمال والنصوص أو تكذيباً للخطابات والأقوال بل يراه في الفرصة التي يسمح بها النص لتفكيكه واستكشافه من جديد من خلال الحديث عن تناقضاته واختلافاته وتوتراته(٣٢١) . إن النقد عنده لا يقوم باستبدال مفهوم مكان مفهوم آخر «وإنما يقوم بتفكيك المفاهيم المتعارضة والمتقابلة للكشف عما بينها من علاقات وتبادلات ومراوغات»(٣٢٢) .

إن حقيقة هذا التداخل بين مصطلحي النقد والتفكيك ، سواء مع حرب أو مطاع صفدي انما تنبع من أرضية معرفية أساساً تنطلق من المنظورات الفلسفية التي تدشنت مع هيدغر ، وتأكدت مع دريدا الذي كان له تأثيره البارز في صدد اعادة خلط الحدود بين الأدب والفلسفة ، لا سيما في التصورات المتعلقة بطبيعة المفاهيم وآليات انتاجها ، على نحو ما يتمثل الأمر كريستوفر نوريس من خلال التطرق لمعالجات دريدا بخصوص مفهوم البنية حين يقول : «لقد كان مفهوم البنية واحداً من المفاهيم التي فككها دريدا بغية تبيين اعتماد المفاهيم الخفي على كبت الطاقات والتوترات البلاغية فيها . وأن وسيلة القبض على المفهوم -كما يقرر دريدا- إنما تكون بواسطة تكوين فضاء مفهومي قابل لاشتغال حيل تتوق إلى مرتبة النظرية ولكنها تبقي ، بالرغم من ذلك ، على الاستعارات والإزاحات الشكلية وراء متناول هيمنتها الملكية المتخيلة»(٣٢٣) .

وقد يتسنى لنا أن ندقق زاوية الرصد الاختلافية التي تفرق بين المعرفة من

---

(٣٢٠) الرديسي ، حمادي : نقد العقل الغربي أو بالأحرى العربي . ترجمة جماعية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت- باريس ، ع ٨٤-٨٥ ، يناير-فبراير ١٩٩١ ص١٠٦ .

(٣٢١) حرب ، علي : نقد النص . المركز الثقافي العربي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص١٤ .

(٣٢٢) حرب ، علي : المصدر السابق ، ص١٩ .

(٣٢٣) Norris, Christopher: The Deconstructive Turn-essays in the rhetoric of philosophy. Methuen, London & New York. P.16

خلال المفاهيم والمعرفة من خلال بناء المفاهيم في التجربة الممكنة[٣٢٤] . ولنأت في هذه الحالة إلى بعض تفصيل فنقول : للتعامل مع المصطلح في الدرس الفلسفي مستويان ، مستوىً يروم الضبط وتوضيح الحد والنص على المشمولات الداخلة تحت سلطان المصطلح والأبعاد الخارجة عنه ، ومستوىً آخر يستريب في إمكان الحد ويميل إلى إعمال حركة هدم وبناء داخل المصطلح تفتح تخومه وتتسامح مع تحولاته وتحريفاته ، ولكل مستوى من المستويين معقوليته الخاصة ، وقد يكون من أولى أولويات بحثنا ، عند الحديث عن أعمال مطاع صفدي ، أن نستبين العلاقة بين هذين المستويين من المعقولية .

الواضح أنه كان على الفلسفة ان تشهد نوعاً من الزحزحة الأبستمولوجية مع انبثاق أفكار هيدغر عن الدازين «Dasein»[٣٢٥] أو صيغة وجود الإنسان في العالم حيث لم تعد اللغة حارسة للكينونة فحسب ، بل هي كذلك سكن الكينونة الخاص . الأمر الذي حوّل السؤال الفلسفي ، جاعلاً الحقيقة لا تقع في حدود التمثيل (تمثيل الشيء بالمتصور والمفهوم) ولكنها تقع في تعبيرية الدال داخل تجسده وراهنيته ، أي داخل النسيج اللغوي ذاته[٣٢٦] . هذا ما يعني تزمين المفهوم وتحويله إلى تشكل خطابي ينفتح على تعددية توالدية لا مناص منها ، مادام قد أحيل إلى التبلور كمفعول من مفعولات اللغة . إنه يعد بالدخول تحت سلطة الحد ،لكنه لا يطرح ذلك إلا في أفق ما لم يأت بعد . المفهوم وفق هذه المعقولية

---

(٣٢٤) راجع بخصوص هذا التفريق : دولوز ، جيل-غتاري ، فيلكس : ما الفلسفة ، مرجع سابق ، ص١٧ .

(٣٢٥) الدزاين هو الوجود - هناك أو الوجود في العالم . وهذه العبارة لا تشمل فقط على المعنى المكاني ، بل وأيضاً وخصوصاً بالمعنى الأنطولوجي . راجع : عبدالرحمن بدوي ، الموسوعة . ج٢ ، ص٦٠٠ وما بعدها .

(٣٢٦) مطاع صفدي : بيان من أجل الفلسفة المعقولية في لحظة الحداثة البعدية . ضمن : المعقولية والتاريخ . وقائع الملتقى المنعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفاقس- تونس ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ط١ ، ١٩٩١ ص٦٨-٦٩ .

زماني من حيث أنه يعد بالآتي ولكنه يظل يأتي بعده لأنه يتجاوزه باستمرار . حسبنا ان نتقبل المفهوم ، في هذا الضوء ، بوصفه لحظة مؤقتة في سياق تحولات .

يولد المفهوم في اللغة ، واللغة نسيج بيانات تمتلك أن تحيل ، أما دور المفهوم فهو أن يبني عرف منظم من الإحالة ، بحيث نستطيع ان نرد متصور معين إلى بيان ومشمولات معينة على أساس هذا النظام فنحل بذلك اشكالية الاستيعاب والفهم . لكن الحديث عن لغة هي سكن الكينونة وانتفاء تصور وجود خارج اللغة يعني أن نظام الاحالة لا يقدم حلاً شافياً ، لأن الإحالة ستسلمنا بالضرورة إلى إحالة أخرى في حركة تقهقر لا متناهية من أصل إلى آخر وهكذا . من هنا عدم كفاية المفهوم وعدم أهلية نظام الإحالة في ظل هذه المعقولية الخاصة . ولعلنا هنا نشهد اقتراب صفدي من مظلة فكر الاختلاف الذي انبثق مع هيدغر وتكرس مع دريدا .

وفي هذا البرزخ يكون مطاع صفدي ، شأنه شأن سامي أدهم ، محفزاً على تبيئة دريدا دون أن يتطابق معه . إنه يحث فاعلية أفكار تقع على مقربة من دريدا دون أن ينحصر في المقولات التفكيكية . إنه الاختلاف بالحرف الكبير الذي سنصادفه من جديد عند سامي أدهم أيضاً .

تبرز جهود سامي أدهم في مجال الابستمولوجيا الحديثة بوصفها جهوداً منصبة على فلسفة اللغة من وجهة الإيمان بالقطيعة الابستمولوجية والمطالبة بضرورة إحداثها على مستوى العلاقة بالتراث ، وفي مستويات التداول حول المعنى والهوية . إن جهد التبشير بهوية جديدة ، انسانية بالضرورة ، لا عربية ولا اسلامية ينهض ، عند أدهم ، على خلفية التوصيف التالي :

الحركة الأولى في المشهد : يصل الشرق مع انطلاق الثورة الفرنسية الكبرى إلى أدنى درجة من الإنحطاط والتخلف الحضاري بينما الغرب « يسطر بحروف من نور تمجيد العقل والعقلانية وتمجيد حقوق الإنسان»[٣٢٧] . وينتج عن ذلك

---

(٣٢٧) أدهم ، سامي : ما بعد الحداثة . انفجار عقل أواخر القرن . النص : الفسحة المضيئة . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٨ .

أن يظل «الوعي الشرقي مبهوراً يحاول للمة وانقاذ ما يمكن انقاذه من حضارة انفتحت وانفجرت غداة الثورة الفرنسية»(٣٢٨) .

وفي الحركة الثانية من المشهد : نتبين أن العصر لم يعد شرقياً ، «وأن العقل الشرقي يُسحق وينحل فتحل القطيعة الابستمولوجية والانطولوجية لأن المعاني تغيرت ولم تعد المنظومة الرمزية القديمة التي «تآكلت وبليت ويبست وأصبحت رماداً » تصلح لاستقبال الجديد والوافد ، من هنا لابد من رفض كل المقولات القديمة ومجموع الفكر السلفي المتداعي . وتكون الحركة الثالثة المرتقبة والمتممة لهذا السيناريو هي الدعوة ، بلا هوادة ، للخروج من الخطاب العربي القديم ، والآخر الذي صيغ منذ مطالع القرن ، والإفلات من جواذبه الغريبة ، والانطلاق نحو هوية جديدة «بإنسان جديد متحرر من جميع العقد التراثية» و«الهوية القديمة» و «الميراث الثقيل»(٣٢٩) . إن هذا «السيناريو من ثلاث حركات» هو لُبّ المشروع الذي يدافع عنه سامي أدهم في دراساته المتصلة والآخذ بعضها بخطام بعض .

وفي الندوة التي عقدتها إحدى المطبوعات حول كتاب «ما بعد الفلسفة»(٣٣٠) ، كما في مقدمات كتبه ، يبرز حرص سامي أدهم واضحاً على تصوير دراساته بوصفها منظومة في سلك مشروع واحد يبدأ من اقرار تقطع المعاني وعدم تطورها ، وأن الإنسان العربي الحاضر يعيش في قطيعة معرفية وانطلوجية لا تجعل من محاولات استعادته للمقولات القديمة الموجودة في تراثه محاولات مقبولة ومجدية في اللحظة الراهنة ، ويمر عبر الاقتناع بأنه لامناص

---

(٣٢٨) أدهم ، سامي : ما بعد الحداثة . المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٢٩) أدهم ، سامي : ما بعد الفلسفة : الكاوس . التشظي ، الشيطان الاعظم . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٠ .

(٣٣٠) انظر :

- ندوة مابعد الفلسفة ، تحولات نهاية القرن ومتغيراته . مجلة الشاهد ، نيقوسيا ، ع١٢٧ ، مارس ١٩٩٦ ، ص٨٩-١٠١ . وقد شارك في الندوة سامي أدهم ، إبراهيم النجار ، سليمان حسيكي ، وأدار الندوة حسان الزين وإلياس لحود .

من ارتكاب فعل «مجتمع مفتوح» «Societé Ouverte» بفتح خصوصيتنا على كل التجارب العالمية والسعي إلى الاسهام بكيفيات أصيلة في مشروع انساني للمعرفة (ليس عربياً ولا اسلامياً ، ولا غير ذلك ، بالمعنى الحصري) . إن هذا المشروع الذي يبشر به سامي أدهم ، كما يقدمه لنا ، يبدأ من تأثرات بباشلار في تنظيراته حول «القطيعة المعرفية»(٣٣١) واستفادة من تخصص الباحث في علم الرياضيات لمناقشة الاتجاهات التي نافحت عن رؤية تطورية اتصالية للمعاني (والحق أن معظم الاتجاهات التي يعنى أدهم بنقدها إنما هي اتجاهات قد إتكأت على الرياضة والمنطق الرياضي في تكوين منظوراتها وتقديم اسهاماتها) . وهو يفسح ، بحفاوة خاصة ، لمؤثرات هوسرل كي تفعل فعلها في طوابع طرحه واقتناعاته المنهجية التي يوظفها ويستثمرها في المعالجة والتطبيق . إن الاختلاف والتفكيك يحضران عند سامي أدهم في هذا الأفق . فهو يؤسس لقوله في الاختلاف من خلال اتخاذ الردود الهوسرلية ، والاختزال ، كأدوات لما يسميه «التفكيك اللغوي» ، ومن خلال ابراز الترنسندنتالية على نحو مجاوز لما كان كانط قد أراده بهذا المفهوم . فالترنسندنتالية التي يوظفها أدهم ليست وصفاً للمعرفة القبلية بقدر كونها معرفة لقبلية القبلي (apriori) أي تفكير في قبليته وطبيعته ووظيفته واستعماله(٣٣٢) . والمرء إذا فكر مع دريدا هنا فسيستحضر على الفور النقلة المشابهة التي أحدثها الأخير حين أوضح أنه لا يستغني عن المركز (= لا يستغني عن القبلي) . بل يفكر في المركز بوصفه وظيفة (= وضع القبلي في اطار جديد)(٣٣٣) .

---

(٣٣١) للإحاطة وأخذ فكرة مبسطة حول مفهوم القطيعة المعرفية راجع :

– البنكي ، محمد أحمد : «باشلار ، ألتوسير ، فوكو . . . والقطيعة الابستمولوجية» . جريدة الأيام ، ع١٩٢٥ ، ١٩٩٣ ، ص١٢ .

(٣٣٢) أدهم ، سامي : فلسفة اللغة : التفكيك العقلي اللغوي . مصدر سابق ، ص٤٤ .

(٣٣٣) دريدا ، جاك : البنية ، اللعب ، العلامة في خطاب العلوم الإنسانية . ترجمة : جابر عصفور ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج١١ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٣ ، ص٢٤٩ .

في سبيل تحقيق هذا المشروع يقدم سامي أدهم خمسة كتب ، صدر الشطر الأكبر منها خلال العقد التسعيني ، وهي : « ابستمولوجيا المعنى والوجود . نقد التطورية»(٣٣٤) ، «فلسفة اللغة ، تفكيك العقلي اللغوي ، بحث ابستمولوجي أنطولوجي»(٣٣٥) . «ما بعد الحداثة ، انفجار عقل أواخر القرن»(٣٣٦) ، «ما بعد الفلسفة . الكاوس . التشظي . الشيطان الأعظم»(٣٣٧) ، و«المعتقد المهيمن»(٣٣٨) . وهو في هذه السلسلة يبدأ من أطروحة نظرية في المجال الابستمولوجي تبحث في مقولة ثبات المعاني وتطورها ، منتقداً مقولة التطور ، ومنتصراً ، عوضاً عن ذلك ، لمقولة القطيعة والتقطع ، وراداً على جملة من الاتجاهات الفلسفية التي تقول بتطور المعاني مثل الاتجاهات التي برزت مع فلسفات كانط وفرديناند جوست وفريجه وراسل وفتجنشتاين وكارناب . في هذا الكتاب التدشيني والمتصل بأطروحة الباحث العلمية للدكتوراه على الأغلب(٣٣٩) يرسم أدهم العلامات الأولى للتوجه الذي سيظلل مجموع أفكاره

---

(٣٣٤) أدهم ، سامي : ابستمولوجيا المعنى والوجود : نقد التطورية . مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .

(٣٣٥) أدهم ، سامي : فلسفة اللغة : تفكيك العقلي اللغوي . بحث ابستمولوجي انطولوجي . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٣ .

(٣٣٦) مرجع سابق .

(٣٣٧) مرجع سابق .

(٣٣٨) أدهم ، سامي : المعتقد المهيمن : المحرك والدمية . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

(٣٣٩) رغم أنه لا ترد أية اشارة في الكتاب إلى انتظامه في اطار الاطاريح الأكاديمية إلا أن طريقة التأليف والمناقشة توحي بذلك لا سيما وأن سامي أدهم كان قد ذكر في تصريح صحفي ان أطروحته في السوربون كانت عن تقطع المعاني وعدم ثباتها وأنه قد تأثر في ذلك بغاستون باشلار الذي تتلمذ على يد إبنته . راجع : ندوة « ما بعد الفلسفة » ، بمشاركة مجموعة من المفكرين ، مجلة الشاهد ، نيقوسيا ، س١١ ، العدد ١٢٧ ، مارس ١١٩٩٦ ، ص٨٩-١٠١ .

بعد ذلك : حماسة لباشلار ستترحل في تلوينات مختلفة خفية مثل : الانتصار للمقترحات الفرنسية بإزاء الطوابع القارية للفلسفة بعد ذلك ، الاندغام في الابستمولوجية الحديثة من زوايا تمازج ابستمولوجيا العلوم الإنسانية بابستمولوجيا الرياضيات والعلوم البحتة (وأدهم أستاذ رياضيات بالأساس) ، ولغة قاطعة ومحمومة الذهابات نحو ما تراه وتأخذ به واستعداد غير متوان لتقرير القطائع الابستمولوجية والأنطولوجية وتكريس انفصال الجديد عن القديم . وفي كتابه التالي حول فلسفة اللغة يظهر «التفكيك» في العنوان ، غير أن هذا «التفكيك» الذي يتحدث عنه أدهم سرعان ما يتضح أنه «تفكيك» بالمعنى الواسع يدخل في إهابه دريدا وهيدغر وفتجنشتاين[٣٤٠] . ومن هنا لا تأخذنا الدهشة إذا ما لحظنا امتزاج التفكيك بالمنهج الظاهراتي الذي يعنى به أدهم ويعلن انطلاق كتاباته منه دائماً[٣٤١] ، إنه أفق تفكيكي لا ينسى جذوره الهوسرلية والباشلاردية (والرياضية في البعد الأعمق) .

وفي هذا ما يفسر أن بعض الأدوات والمصطلحات التي يكثر من استخدامها الكاتب تتماس مع الجهاز المفهومي للتفكيك دون أن تحسم مراوحاتها بين التفكيك وغيره . فهو يتحدث عن الاختلاف والاختلافي ، والاختلافاني ، وما بعد التفكيك ، واللوغوس ، والمركز ، والنص المستحيل ، والفسحة ، والطي ، والتشظي ، لكنه لا يطرح دريدا مباشرة إلا في كتابه «ما بعد الحداثة» .

وفي الجملة فقد برز من اسهام أدهم ذاك ملمحان : ملمح تأثر بباشلار في أفكاره حول القطيعة المعرفية (وقد كان أدهم تلميذاً لابنة باشلار في تكوينه السوربوني) ، ثم ملمح آخر يتصل بتخصص أدهم وميوله المبكرة نحو الرياضيات ، وهو ملمح دفعه إلى إيلاء عناية واضحة بالتداخل مع الإتجاهات

---

(٣٤٠) أدهم ، سامي : ما بعد الفلسفة . مرجع سابق ، ص٨ .

(٣٤١) يقول سامي دهم : «وظهر بعد ذلك كتابي ، فلسفة اللغة وتمحور حول علاقة اللغة بالفكر ، وتفكيك اللغة من الفكر بالطرق الفينومينولوجية» . راجع : المصدر السابق ، ص١١ .

المنطقية والتحليلية في الفلسفة ، نقداً و اعتراضاً واستثماراً ومناقشةً .

وفي الجملة أتى الكتاب الأول مرهصاً بقوام المشروع الذي سيتعمد عبر كتابات أدهم التالية ، وكانت طوابع الطرح الأكاديمي المتصل بانصباب أدهم على دراسة تقطع المعاني في مشروعه للدكتوراه بادية على هذا الكتاب من حيث الروح العام وأساليب الأداء .

بعد ذلك سيتخلص أدهم رويداً رويداً ، ثم بحركة أسرع ، من أوشاب الحضور الأول له في الذاكرة . سيكون الشغف بتشكيل لغة خاصة في الأداء الفلسفي بيّناً ، إلى حد التكلف أحياناً ، منذ الكتاب الثاني . وستعكس هذه السمة تلألؤات مؤثرات شتى . فكتابات سامي أدهم ، قبل كل شيء ، تقع تحت مظلة كتابة فلسفية تتجه منذ هيدغر إلى رعاية حظ الأداء اللغوي كمولد اجرائي من مولدات الإسهام الفلسفي جنباً إلى جنب مع ما تؤديه الوسائل المنطقية والرياضية ولغات التجريد والحدود والترتيبات الصارمة . وهي كتابات ، من جهة ثانية ، تجد نسبها في بعض أساليب التعبير التي ظهرت في سماء الفلسفة دون أن تقيم كبير عبء للمقترحات القواعدية الكلاسيكية في الاشتقاق والنحت والتوليد وهلة صياغة المصطلح (ها هنا ربما أمكن تصويب النظر إلى أيدي ابن سينا والرازي وابن عربي الممتدة بالتلويح في مرمى الاستعادة التاريخية) .

ومن جهة ثالثة فإن منحى سامي أدهم الأسلوبي لا يعد مستغرباً ولا متفرداً بالنظر إلى بعض مناخات المزاج الشامي في الرؤية إلى جماليات اللغة وامكانياتها التعبيرية المتشابكة بأصداء تثاقف لغوي يمزج ويتلاطم ويكاثر الأصداء ، مجترئاً ، وثّاباً ، ومتخففاً من المعيار . وحتى لا يسترعينا التعليق على المناحي الاسلوبية دون التواصل مع فكرة رصد المشهد الكامل لجهود سامي أدهم نقول : إن سامي أدهم بالقدر الذي يذكرنا باهتماماته الرياضية من خلال طرق مقاربته للمسائل فإنه يذكرنا أيضاً بوفائه لهوسرل والمنظور الظاهراتي الذي يؤسس لرؤاه ، هكذا سنكتشف أن طيف هوسرل هو الذي يجعله يستعيد نسخة خاصة من هيغل ، نسخة تعينه على تأسيس فهمه للاختلاف من خلال نقد

فكرة السلب الهيجلية(٣٤٢) . إن ما يريده أدهم من هيغل هو الإعانة ، ولو من طريق المعارضة ، على وضع فكرة التوسط بين الذات والموضوع أو الكينونة والعالم في ضوء جديد ، ما سيشتغل بين طرفي الثنائية ، في هذه الحالة ، ليس هو السلب Negation وإنما الاختلاف . وغني عن البيان أن السلب يفضي إلى مماهاة الذات بالموضوع بينما الاختلاف ليس كذلك ، وأدهم بهذه الخطوة إنما يسهم في فرش مظلة واسعة تتفيؤها أفكار الاختلاف والتفكيك التي ليست في التحليل الأخير أفكاراً دريدية بالضرورة ، وبالمعنى الحصري ، إلا أنها في الوقت نفسه لاتتصادم مع أفكار دريدا ، باعتبار من الاعتبارات على الأقل ، وربما عضدتها وعززت من سبل الإقبال عليها في الفضاء العربي بمراعاة اعتبارات معينة أيضاً . صحيح أن المعاينة التفصيلية قد تُلبس على مثل هذا الفهم (أدهم مثلاً ، مجاراة لهوسرل ، يرى إلى الاختلاف بوصفه مماثلا للّوغوس الذي ينطلق من الذات إلى الموضوع عبر قصدية قاصدة)(٣٤٣) . إلا أن الخطوط العريضة ترسم معابر كثيرة للتناظر في المشاهد الاجمالية رغم كل شيء (ألم نقل لكم منذ البداية أنها قبلة من وراء زجاج؟) . . . وفي معبر آخر من معابر تكوين سامي أدهم الفلسفي لابد لنا من أن نلاحظ تأثراته بباشلار التي جعلته ينطلق في أطروحته للدكتوراه وفي أول كتبه المنشورة من القول بالقطيعة المعرفية كما أسلفنا .

كان «باشلار هو مركز الثقل للفكر الفلسفي الذي تجمعت لديه كل مذاهب العصر من ظاهراتية ، ووجودية ، وسريالية ، وتحليلية نفسية ، ورومانتيكية شاعرية ، وتطورية ، ونسبية ، وتعددية» كما يقول عبدالفتاح الديدي(٣٤٤) . لكن هذه البؤرة الباشلاردية إنما أعطت نفسها لسامي أدهم من خلال قناة جدّ

---

(٣٤٢) راجع الفصول ٤ ، ٥ ، ٦ ، من كتاب سامي أدهم : فلسفة اللغة . مرجع سابق ، ص ٣٩-٩٩ .

(٣٤٣) أدهم ، سامي : فلسفة اللغة . مرجع سابق ، ص١٥٤ .

(٣٤٤) الديدي ، عبدالفتاح : الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٥١ .

خاصة ، هي سوزان باشلار إبنة باشلار ومساعدته في البحث والتدريس ، وهي أيضاً مترجمة هوسرل من الألمانية وشارحته في آن واحد(٣٤٥) . ثمة في كتابة أدهم ، سوى عبارات القطع والاعتداد المبالغ فيه بالخيارات التي يرسو عليها ، ما ينمي في استقبالك له صورة المريد ، الذي يعطي التلمذة حقها ، ويحفظ للشيخ حقه . انه ينقد على فريجه فتتراءى في خواطرك صورة فريجه وهو يشتد على هوسرل في خلطه لعلم النفس بالرياضيات . وهو يعرض لآراء بياجيه في الأصول البايولوجية للنشاط اللغوي ، مفنداً وداحضاً ، فتلتمس في هذا الصنيع لا مؤثرات التعارك المعرفي فحسب ، ولكن مؤثرات الإنتصار لغاستون باشلار ، أستاذه ، بمعنى من المعاني أيضاً ، على بياجيه الذي ذهب مذهباً أقرب إلى الوضعية في النظر إلى الابستمولوجيا باعتبارها علماً أو حقلاً يضطر إلى اقتراض الصرامة من العلوم ويكون وريثا للفلسفة التقليدية وبديلاً عنها لضمان صلاحيته بينما أراد باشلار أن تتبوأ الابستمولوجيا مكاناً إلى جانب الفلسفة وفي مصافها أو بالأحرى أن تكون «هي التي توفر الخصائص الجدلية ذاتها التي يوفرها عقل الفلاسفة ، وعندئذ يكون علم العلم بمثابة المصاحب الفلسفي والجدلي الصريح لهذه الفلسفة التي تجهل ذاتها»(٣٤٦) . حقاً قد يود المرء أن يقترح ، وهلة استحضار مثل هذه التداعيات أن تتعزز المقاربات المسلطة على

---

(٣٤٥) يضيء عبدالفتاح الديدي بعض ما يتصل بعلاقة سوزان باشلار ، أستاذة سامي أدهم ، بوالدها حيث لازمته في شقته المتواضعة باحدى عمارات الحي اللاتيني ، بعد وفاة زوجته ، وكانت عضيدته في الجامعة حين يحتاج إلى بعض أوراق من مكتبه ، أو من سجلات الجامعة ، فتسرع بدورها عدواً إلى حيث تلبي له مطلبه كشأنها يوم كانت طفلة . انظر : الديدي ، عبدالفتاح : المرجع السابق ص ١٠٠ . وقد كان الديدي تلميذاً مباشراً لباشلار أنجز تحت إشرافه اطروحة عن منطق تفكير برادلي سنة ١٩٥٢ وأتاح له باشلار الانضمام إلى حلقته في معهد تاريخ العلوم وصناعتها كما أشركه في إلقاء بعض المحاضرات في السوربون .

(٣٤٦) غيري ، فرانسوا : علم العلم : المعلومية . ضمن : مداخل الفلسفة المعاصرة . ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ص٦٨-٦٩ .

المسائل بمثل هذا الانفتاح على الطبائع المتداخلة والأنساق التبادلية في السيرورة التفاعلية بين مختلف الأفكار داخل نطاق الجماعات والأمم التي تعيشها وتخضعها لشروط انتاج مترابطة ومرتهنة لجواذب عديدة .

والمرء قد يلاحظ في نهاية الأمر أن نسيج فضاء الكتابة التي يفرزها أدهم انما تتطاوح فيه كل الأسماء التي تصادت مع هوسرل أو تصادى معها ، مهدت له أو تعارضت معه ، نال منها أو نالت منه . هذه الكتابة تعيد تشكيل المشهد من جديد ، تذهب البؤرة لهوسرل فيما تسبح وتنزلق وتعوم أسماء هيجل الذي مهد لأعمال هوسرل(٣٤٧) ، وجوتلوب فريجه الذي انتقد تخليطاته كثيراً(٣٤٨) ، وبرناتو أستاذه الذي أخذ منه نظرية القصدية(٣٤٩) . كذلك فإن الحضور النسبي لبيرغسون في كتابات سامي أدهم يمكن أن يعزى إلى ما بين البيرغسونية والظاهراتية من تشارك والتقاء في محور الصدور من هاجس الكشف عن ميدان كان الفكر الكلاسيكي قد تجاهله ، ميدان الوجود الأولي الذي تعتمده الدلالات التي ملأنا بها العالم والذي لا يمكن اكتشافه دون النفاذ إلى ما يتعدى الإدراكات التي وضعها العقل وافقرتها العادة .(٣٥٠)

بأي معنى يمكننا الحديث عن علاقة مشروع سامي أدهم باستراتيجيات

---

(٣٤٧) روجيه ، فرنسوا : الظهورية : علم مظهرية الوجود . ضمن : مداخل الفلسفة المعاصرة . ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص١٢٥ .

(٣٤٨) الحفني ، عبدالمنعم : الموسوعة الفلسفية . دار ابن زيدون ، بيروت . مكتبة مدبولي ، مصر ، ط١ ، دون ذكر سنة الطبع ، ص ٥٠٨ . وانظر ايضاً : الموسوعة الفلسفية المختصرة . ترجمة : فؤاد كامل وآخرون ، دار القلم ، بيروت ، د . ت ، ص٥٠٩ .

(٣٤٩) محمد ، سماح رافع : الفينومينولوجيا عند هوسرل : دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر . دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٢١٤ .

(٣٥٠) نواراي ، أندريه : ضمن : مدخل الفلسفة المعاصرة» ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ط١ ، ١٩٨٨ ص٢٢ ، والمادة مترجمة عن قاموس الفلسفة الذي أعده ونشره «مركز الدراسة وترقية القراءة» في باريس La Philosophie de Paris, 1969 .

دريدا وأدوات التفكيك؟ الواقع أن اللقاء بين ما ينشغل به أدهم وما نجده عند دريدا أشبه بالقبلة من وراء زجاج . أدهم يتحدث طوال الوقت عن اللوغوس والتمثل والحضور والهوية والتشظي واللاتناقض ، وهذه مواضيع دريدية بامتياز ، لكنه لا يدرج مؤلفات دريدا في العادة بين مراجع كتاباته رغم طول هذه القوائم في أغلب الاحيان(٣٥١) ، وإن كانت الإشارات إلى دريدا تتوارد بين الصحفات في كتاب «ما بعد الحداثة . إنفجار عقل أواخر القرن»(٣٥٢) ، وتتحول إلى مناقشة صريحة لبعض منطلقاته في كتاب « ما بعد الفلسفة »(٣٥٣) ، إن الذي تخلص اليه الانطباعات الأولى مؤداه أن أدهم إنما يضع دريدا ضمن سياق ويتعامل معه من خلال قراءة تخرط دريدا في سلك مسار واحد حاول أن يدشن حركة مساءلة للفلسفة التقليدية يمكن أن يستهوي بعضهم تسميتها باتجاهات «موت الفلسفة» أو «نهايتها» .

وبالتالي فإن الذي يعني أدهم من دريدا تحديداً هو القدر الذي يتشارك به الأخير مع نيتشه وفتغنشتاين و هيدغر ودائرة فيينا والمدرسة التحليلية ، دون أن نغفل الإختلافات الجمة بين هذه الجهود بطبيعة الحال . القدر الذي سيظهر هاهنا هو مساحة مترامية جامعها ما أينع في تربتها من حركة نقدية إزاء اتجاهات المنطق والعلم والفلسفة التي ظهرت حتى لحظتي هيغل وكانط .

وستطلعنا الملاحظة على أن أدهم يعتبر جهد هذا المناخ الواسع بجنباته كلها

---

(٣٥١) من بين خمسة كتب أصدرها سامي أدهم : لم تتضمن قائمة المراجع والمصادر اشارة إلى دريدا إلا في كتاب « ما بعد الفلسفة » حيث وردت الإشارة إلى الترجمة التي قدمها كاظم جهاد لبعض كتابات دريدا تحت عنوان «الكتابة والاختلاف» ، واللافت أن هذا الكتاب كان هو الكتاب الوحيد الصادر بالعربية ضمن قائمة المراجع في «ما بعد الفلسفة» .

(٣٥٢) أدهم ، سامي : ما بعد الحداثة : انفجار عقل أواخر القرن . النص : الفسحة المضيئة . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ .

(٣٥٣) أدهم ، سامي : ما بعد الفلسفة : الكاوس ، التشظي ، الشيطان الأعظم . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ .

داخلاً تحت مصطلح : «التفكيك» . أي أن التفكيك الذي تتردد أصداؤه في كتابات أدهم هو تفكيك بالحرف الكبير ، وبالمعنى المتسمح الذي يدخل تحت إهابه ما قد لا يتلاءم مع التكييفات الفنية لـ «التفكيك» الدريدي بمعناه الحصري ، وإن كان الامر لا يفضي ، ضرورة ، إلى معاكسة وتدابر . ترى هل في غمزات العين المحسوبة التي يمارسها أدهم تجاه دريدا ما يغني تناولنا لقراءة دريدا في الفكر النقدي العربي؟

أنه ، على أية حال ، سؤال مشروع ومطروح ، وقد يكون في التماس الإجابة عليه ما يغني التوقعات حول الخيارات المتاحة أمامنا للذهاب إلى دريدا في مقبل من الوقت ، وقد يكون في ارجاء الإجابة عليه ، ما يفسح لتأمله بشكل أفضل إذا ما تمت المضاهاة بين معطياته ومعطيات ذهاب آخر نحو التفكيك يجترحه جورج طرابيشي في نقده المتحمس على الجابري .

وبداية نقول : إن لاشتغال جورج طرابيشي بالنقد على الجابري تاريخ خاص واشكالية خاصة ، والأمر بينهما يقرب من أن يأخذ شكل المماحكة الشخصية التي أُشرِبَتْ ما أشربت من إحن وتشنيع وسجال . ولم يعد مما يغري طالب العلم اليوم أن يتتبع نقدات الطرابيشي على الجابري لفرط ما يراه من تعقب لذات التعقب حذو القذة بالقذة حتى لو دخل الجابري جحر ضب خرب لهرع الطرابيشي في إثره ولم يبطِّئ .

ولكن ما نريد أن نثبت الاشارة إليه هو صنيع جورج طرابيشي في الجزء الأول من ثلاثيته «نقد نقد العقل العربي» والذي وسمه بمسمى «نظرية العقل»(٣٥٤) ، ففي ذلك الكتاب كان تكرار لفظ «تفكيك» على امتداد الصفحات يشكل ما يمكن أن نعتبره «استعارات هلوسية» تلح على طرابيشي

---

(٣٥٤) طرابيشي ، جورج : نظرية العقل . دار الساقي ، بيروت ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٦ .

وإجراءاته بالمعنى الذي يعطيه شارل موران لهذا التعبير[٣٥٥] . في المقدمة فحسب يحرص جورج طرابيشي على تبيان أن مشروع الجابري هو مشروع تفكيك وبناء ، وإن نقد اشكاليات المشروع يقتضي «قبل دحض النتائج ، تفكيك الاشكاليات نفسها» ، ويضيف «الحال إن تفكيك الاشكاليات يتطلب من الناقد جهداً ، ومن القاريء صبراً ، ومن كليهما معاً أناةً» وما ذلك إلا لأن «ما يزرع في ليلة واحدة يحتاج تفكيكه إلى شهور طوال» . وطرابيشي لا يكتفي بذلك بل يصرح بأن مشروعه لنقد «نقد العقل العربي» «يحصر نفسه عمداً بتفكيك اشكاليات» تكوين العقل العربي[٣٥٦] ، ثم تترى مفردة التفكيك في التماوج مع صفحات الكتاب . تُرى هل نجح جورج طرابيشي ، بعد أن روّج لمفردة التفكيك بهذا القدر ، أن يقدم معالجة تفكيكية ، تستثمر في استراتيجيات الاتجاه الذي ندرسه؟ وما نوع التفكيك الذي توسله؟ والى أي حد يمكن ادراج ممارسته في عِداد قراءات التفكيك في الساحة العربية؟

إن جورج طرابيشي يبذل لنا اغراءً آخر ، سوى ترديد مفردة التفكيك ترديداً متواتراً يرفعها إلى درجة المصطلح ، حين يستغرقه الجهد فصلاً كاملاً للحديث عن «التوظيف المركزي الإثني لنظرية العقل» عند الجابري[٣٥٧] ، ثم هو بعد ذلك يوحي لنا بعمق مقاربته لهذه المركزة وبجذرية تعامله البحثي معها حين يؤكد أن الأمر يتطلب دورة جديدة من التقويض والتحليل يفرد لها فصلاً جديداً ، يقول في مفتتحه : «وكل ما نستطيع أن نقوله في هذا الطور من عملنا

---

(٣٥٥) الإستعارات الهلوسية هي ألفاظ أو صور تظهر لها تكرارات في نصوص الكاتب الواحد بطريقة تتداعى وتتسلط لتشكل في النهاية بنية مشتركة تعرب عن جوانب لا شعورية تتصل بالصراعات الباطنية المندمجة ببنية الكاتب العقلية ، وللتوسع في ذلك راجع ما يتصل بمنهج شارل موران في :

– كابانس ، جان لوي : النقد الأدبي والعلوم الإنسانية . ترجمة : فهد عكام ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص٥١-٥٧ .

(٣٥٦) طرابيشي ، جورج : المرجع السابق ، ص٧-٨ .

(٣٥٧) طرابيشي ، جورج : المصدر السابق ، ص٢٥-١١٥ .

النقدي التفكيكي هو أن المركزية الإثنية ، التي نصرّ على التوكيد بأن كل مشروع الجابري لنقد العقل العربي يصدر عنها ، تحتجب ، تماماً كما في لعبة الدمية الروسية ، خلف عدة أغلفة متداخلة . ومن هنا فإن التدرج في نزع الأغلفة واحداً واحداً يمثل ضرورة منهجية»[358] . بعد ذلك سيعلن طرابيشي بأن الغلاف الأخير لمركزية الجابري الإثنية يتمثل في التراتب الذي يتخذه المغرب كمركز والمشرق كهامش أو الأول كمعقول والثاني كـ «لا معقول»[359] .

الأرجح أن مثل هذه المعطيات تزحم أفق توقعات المتلقي بارتقابات للطريقة التي سيشتغل بها التفكيك على الإشكاليات المؤسِسة ، وعلى ثنائيات المركز والهامش في كل حالة ، لكن نصوص جورج طرابيشي تصدم التوقع ، ويعرى تفكيكها من أي آثار للتفكيك بالمعنى الذي قدمه دريدا ، أو بالنحو الذي سارت في رحابه تفكيكات الآخرين من بعد . إن ما يقدمه طرابيشي هو صيغة ما قبل كانطية من النقد كما يلاحظ علي حرب محقاً[360] ، وهو لا يزيد طوال صفحات هذا السفر الضخم على تصيد الأخطاء واغفالات الشواهد ، وعلى دحض المقولات والاستنجاد ببعض وسائل الإستدلال العقلي التقليدي للقول بخرق الجابري لشروط القياس وخلل التئام مقدماته مع نتائجه . والشأو بعيد ، كما هو ظاهر ، بين هذه الممارسة ومقترحات التفكيك التي تقدح زناد الانتاجية

---

(358) طرابيشي ، جورج : المرجع السابق ، ص119 .

(359) يقول طرابيشي في هامش الصفحة المذكورة سابقاً : «نظراً إلى أن مشروعنا هذا لـ «نقد النقد» قد يمتد إلى عدة أجزاء ، وحتى لا يبقى انقلاب الجابري «الطروادي» على العقل العربي مفاجأة بلا تفسير ، فقد يكون مباحاً لنا أن نشير من الآن إلى أن الغلاف الأخير لمركزية الجابري الإثنية يقع على مستوى التقسيم «البنيوي» للعقل العربي إلى عقلين مشرقي ومغربي وعلى اصطناع هوية ضدية بينهما دفعاً بالعقل المشرقي نحو دائرة حضارات «اللا عقل» وبالعقل المغربي نحو دائرة العقلانية الأوروبية» .

(360) حرب ، علي : طرابيشي والجابري : من ينفي من ؟ . جريدة الحياة ، لندن ، ع12495 ، الجمعة 16 مايو 1997 ، ص20 .

في النص من خلال اللعب على توتراته ومسكوتاته ومحتملاته .

وما دام ذلك كذلك ، فلننتقل أخيراً ، من الضفة إلى الضفة حيث محمد شوقي الزين أحدى المفاجآت الشابة التي تندرج في أفق التفكيك .

يمثل محمد شوقي الزين نموذجاً من نماذج الباحثين العرب الشباب الذين تتالت محاولاتهم في استثمار التفكيك والصدور عن رؤى وإجراءات تنضوي ضمن المنظور التفكيكي . ولعل أبرز ما يتعلق بجهود هذا الباحث هو محاولته لدراسة كتابات محي الدين ابن عربي عبر أدوات واستراتيجيات مستمدة من جاك دريدا بدرجة أساس .

لقد مثلت تجربة ابن عربي اغراءً متواصلاً لعديد من الباحثين العرب في العقود الأخيرة ، وقد كانت المداخل المنهجية لدراسة هذه التجربة متنوعة ، ومتعارضة أحياناً ، وربما كان علي حرب من أوائل الباحثين العرب الذين عمدوا إلى إعمال قراءة تفكيكية في آثار ابن عربي .[٣٦١] ومحمد شوقي الزين يشايع حرب في الاعتقاد بأن ابن عربي هو ، بحق ، أهم نقاد النص[٣٦٢] ، ويذهب إلى ما هو أبعد حين يتحدث عن قراءة جاك دريدا عبر ابن عربي ، ويتساءل ، على سبيل التحضيض ، قائلاً : «هل يمكننا في هذا السياق الحديث عن

---

(٣٦١) انظر مثلاً :

- حرب ، علي : الحب والفناء : تأملات في المرأة والعشق والوجود . دار المناهل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

وكذلك :

- حرب ، علي : التأويل والحقيقة . قراءات تأويلية في الثقافة العربية . دار التنوير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ .

(٣٦٢) الزين ، محمد شوقي : تفكيكية ابن عربي : التأويل ، الإختلاف ، الكتابة (عرفانيه الكشف والمشاهدة) . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٩ ، ع٣٦ ، فبراير-مارس١٩٩٩ ، ص٥٣-٥٩ ، ص٥٧ ، وهو ينقل هذا النعت عن علي حرب ، نقد النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ١٩٩٣ ، ص٢٥ .

«غراماتولوجيا» ابن عربي؟ وهل الخطاب الصوفي انتقال من «إقرأ» (القراءة هي اللوغوس الاسلامي) أي من الصوت والكلام إلى «أكتب» ، إلى «القلم» والكتابة والمكتوب؟»(٣٦٣) .

إن مثل هذا الربط الذي يلح عليه الباحث ينبع ، فيما يبدو ، من قناعة نظرية بإمكان قراءة النص الصوفي بوصفه مشتغلا ، بامتياز ، وفق استراتيجيات للتفكيك وتشتيت الدلالة وإرجاء المعاني . والباحث الزين يستحث توارد مثل هذه الإيحاءات حين يصرح : «وعليه نعتبر أن القراءات النقدية والتفكيكية المعاصرة بدءاً من نيتشه وانتهاءً بدريدا لا تخلو من نفحات وتلميحات عرفانية»(٣٦٤) ، ويورد في هذا السياق ملاحظة فرنسيس غيبال حول اختزان نمط الكتابة عند دريدا لبذور «إيتيكية وعرفانية» مع إيراد رد دريدا الذي يقول : «لا أقول بأنه ليست لديّ : رغبة عرفانية ، لكن هناك ضرورة تقود حياتي برمّتها هي جدّ غريبة عن العرفان المفهوم في دلالته الساذجة»(٣٦٥) ، والملاحظ أن شوقي الزين يحرص على تأويل عرفانية دريدا بما يقربها من الايمان السالب عند حركات لاهوت التحرير ، أو ما يسميه بالعرفان التشتيتي في مقابل العرفان التوحيدي ، وهو عرفان ينخرط فيه ، بحسب الباحث ، نيتشه ودريدا وهيدغر ، يقول الزين : «والعرفان التشتيتي diasporique (من الإغريقية diasperein وتعني تشتيت) الذي يميل إلى الكثرة والتعدد باستبعاده لمفهوم الوحدة . ولعل

---

(٣٦٣) الزين ، محمد شوقي : تفكيكية ابن عربي . السابق ، ص٥٤ .

(٣٦٤) الزين ، محمد شوقي : النص العرفاني . ميشال دوسارتو : الهيجان الأوقيانوسي للتجربة . اللاتطابق : سيلان الكتابة . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٩ ، ع٣٥ ، ديسمبر ٩٨- يناير ٩٩ ، ص٦-١٣ ، ص١٣ .

(٣٦٥) الزين ، محمد شوقي : النص العرفاني . ص١٣ ، وهو ينقل عن فرنسيس غيبال في :

Guibal, Francis ":L'ALtérité de l'Autre- Autrement. Sur les traces de Derrida " dans. Al-trerites. Par Jacques Derrida et Pierre-Jean Labarriére. Ed. Osiris. 1986.P.28.

كما ينقل رد دريدا من نفس المرجع ص٣٢ .

العرفان التشتيتي وإيتيكا الكثرة . . . هما اللذان يصيغان هذا النوع من القراءة الغريبة عن كل رؤية توحيدية ، أسطورية ، معنوية»[٣٦٦] . ولعل هذا التصور الذي يقدمه الباحث يستعيد إلى الذاكرة نعت إيهاب حسن لجاك دريدا حين وصفه بأنه «كابالاه يهودي ولكنه كابالاه أبيض (يقصد متصوف على نظام الكابالاه اليهودي) لأنه استطاع تحويل تراث الكابالاه كل جملة وكل كلمة لتعني شيئاً جديداً يراه هو ، وهذا ذكاء حاد استطاع به السيطرة اللفظية والوصول إلى لغة ساحرة ملغزة ولكن بعد أن أوقف سحرها وفك طلاسمها»[٣٦٧] .

مثل هذا الصنيع هو ما يدعو إليه ، وهلة قراءة نص ابن عربي والنص الصوفي عموماً ، محمد شوقي الزين ، محتذياً آثار ميشيل دوسارتو الذي أخضع النص الصوفي للفحص والتشريح على أساس قراءة «غير تقديسية» و«غير تبجيلية» للدلالة الترنسندنتالية والمقدسة في «البنية الأسطورية للنص»[٣٦٨] وهو يقول : «عوض القراءات التي تسجن الخطاب الصوفي في قوالب الشرح والتعليق ومذاهب الدفاع والتلفيق ومناهج العرض والتنسيق ، فإننا نتطلع اليوم إلى «قراءة نقدية تفحص الخطاب من الداخل بآليات لغوية ونفسية واجتماعية وسيميولوجية تستبق مناهجها ومفاهيمها من معارف متنوعة»[٣٦٩] ، وربما استبان للقارىء في خطوة أقرب إلى تحديد اجراءات القراءة ، ما يريده الباحث حين يقول : «إننا في قراءتنا للنص الصوفي لا نلتفت إلى المحتوى الجواني

---

(٣٦٦) الزين ، محمد شوقي : المرجع السابق ، ص١٣ .

(٣٦٧) تنكّر لجذوره لينجح (٢-٢) . إيهاب حسن : ماذا حدث لأنف أبي الهوال . حوار صحفي أجراه وجدي زيد ، مجلة الأهرام العربي ، القاهرة ، س١ ، ع١٠ ، ٣١ مايو ١٩٩٧ ، ص٧٢-٧٤ ، ص٧٤ .

(٣٦٨) انظر :

- الزين ، محمد شوقي : النص العرفاني . مرجع سابق ، ص٦ .

(٣٦٩) الزين ، محمد شوقي : قراءة في كتابات ابن عربي ومولد لغة جديدة . مجلة مدارات ، تونس ، ع٩-١٠ ، خريف-شتاء ١٩٩٧/١٩٩٨ ، ص١٥١-١٦٨ ، ص١٦٢ .

والإلتزام الأخلاقي لهذا الخطاب، فهذا مبحث لا يعنينا في هذا السياق، وإنما نبحث دوماً «تحت» الخطاب (لا «فوق» الخطاب ونعني به المحتويات والمضامين الباطنية والميتافيزيقية والمتعالية)، عن الأرضيات الدلالية التحتية والطبقات المجازية والمعرفية المترسبة في قاعه. إننا نأخذ العبارة «الأخلاقية» في ظاهرها لنزيح عنها مركزيتها ودلالتها الأحادية البعد ونبحث في ثناياها عن دلالات ابستمولوجية وفينومينولوجية وتأويلية مطموسة ومهدورة»:(٣٧٠)

ولعل محمد شوقي الزين، من هذه الوجهة التي يصدر عنها يمثل احدى الممارسات العربية الطموحة التي تجهد في استثمار دريدا مستقبلةً أفقاً مفتوحاً من الوعود والمخاطر والاحتمالات.

---

(٣٧٠) الزين، محمد شوقي: تفكيكية ابن عربي. مرجع سابق، ص٥٨.

الفصل الثالث

متن القراءات في ضوء المرجعيات القارئة

نماذج تحليلية

لقد وقع الاختيار على سبعة نقاد ومفكرين يجمعهم ، على تمايزاتٍ بينهم ، أنهم قد اهتموا بقراءة التفكيك ، ونقل اشكالياته إلى الساحة العربية ، ترجمةً أو توظيفاً أو معارضةً ، وإن كان الأمر لا يعني ، من وجهة أخرى ، أن هؤلاء الداخلين في العينة التمثيلية يصح نعتهم بأنهم أصحاب مشاريع تفكيكية ، أو أنهم نماذج لمفككين عرب . فالأمر لا يعدو أن يكون التقاطاً لبعض النقاد والكتّاب العرب الذين انشغلوا بقراءة دريدا في مرحلة من كتاباتهم تطول أو تقصر ، ثم أنتجوا ، في الإثر ، رؤيةً أو موقفاً أو وجهة نظر تؤشر إلى قراءة ممكنة قابلة للانتظام ضمن قراءات ممكنة أخرى . إن التقاط مثل هذه الاجتهادات وتسليط الأضواء عليها ، من أجل استنتاج بعض المستخلصات والنتائج هو غاية ما نرومه هنا بغية تحديد زاوية رصد أخرى تضيف إلى ما استبان من ملامح وبيانات واستنتاجات فيما سلف من مراحل البحث .

والعينة المختارة في هذا الفصل تتمثل في معالجات ووجهات نظر قدمها كل من : مصطفى ناصف ، عبدالعزيز حمودة ، عبدالوهاب المسيري ، عبدالسلام بنعبدالعالي ، كمال أبوديب ، بختي بن عودة وعلي حرب .

ولقد روعي في اختيار العينة أن تحوز تمثيلية مقبولة لمجمل القراءات التي تمت ضمن مشمولات ما اصطلحنا على تسميته «الفكر النقدي العربي» . ويمكن تمثيل أهم الاعتبارات التي وجهت هذا الاختيار في النقاط التالية : توازن العينة من حيث اشتغال أصحابها . وتوازن العينة من حيث التمثيل الإقليمي . وتوازن العينة من حيث النزعات الفكرية لأصحابها .

ولما كانت مساحة اشتغال هذا البحث مستوعبة للجهود العربية التي تعاملت مع التفكيك انطلاقاً من حقول الفكر كما من حقول النقد ، فإن العينة المرشحة لتمثيل هذه المساحة ينتظر لها أن تكون متوافقة مع طبيعة هذا التمفصل ، وخصيصة هذا الانقسام . والناظر إلى العينة المقترحة يلحظ أن القسيمين متوازنان ، فبينما تصب جهود مصطفى ناصف وعبدالعزيز حمودة وكمال أبوديب في حقل النقد ، تنصرف اسهامات عبدالوهاب المسيري

وعبدالسلام بنعبدالعالي وعلي حرب إلى الاهتمام بالشأن الفكري ، في الوقت الذي تتوزع محاولات بختي بن عودة بين الجانبين .

وباستحضار أن ما يتغياه الاختيار هو الموازنة والتكافؤ بين المساحات المختلفة من مشهد الاشتغال ، فإن ما لا ينبغي أن يفوت الناظر مراعاته هو حقيقة أن التمازج بين الاختصاصات يفرض نفسه منطلقاً ومنتهى . فبعض عينات التمثيل من النقاد يغلب عليها الاشتغال بأصول النقد ، وهو جانب نظري يتداخل ، أيما تداخل ، مع دراسة الفكر ، كما أن بعض من عددناهم في زمرة المشتغلين بالفكر هم أصحاب تكوين نقدي أساساً ، وبعضهم الآخر يكتب في النقد بين أوانة وأخرى إلى جانب اهتماماته الفكرية .

لقد ترامت بؤر الاهتمام بالتفكيك على امتداد الرقعة العربية كما اتضح ، ولما كان بعضهم يستهويه بذل الافتراضات عن عقلية مشرقية خاصة بإزاء عقلية مغربية خاصة ، وكان مثل هذا التقسيم موهماً بأن هناك فوارق نوعية في طرائق التأتي إلى المسائل بين الطرفين ، فقد ارتأينا أن تستوعب تمثيلية العينة المختارة نماذج متباينة ، وموزعة بتوازن جغرافي ، لا من أجل اختبار مثل هذه الفرضيات فحسب ، بل من أجل رعاية ما قد يتحصل عن اختلاف مرجعيات النقل والتعامل مع التفكيك (مرجعية أنجلوسكسونية-مرجعية لاتينية) ، وكذلك ما قد يشوب الممارسات التأويلية تبعاً لتغاير البيئات والشروط الحافة .

إن العينة المرشحة تحقق تمثيلية طيبة على هذا الصعيد إذ تتمثل الدائرة المغاربية بنموذجين والدائرة المشرقية بنموذجين على حين تأتي النماذج الثلاثة الباقية من موقع توسط الاثنين .

لقد اعتاد الباحثون في ميدان تاريخ الأفكار والنظريات النقدية أن يرتبوا التحولات على أساس أن النصف الثاني من القرن العشرين قد شهد ، في بداياته ، هيمنة للدرس النقدي المتصل بالنقد الجديد (والذي توازى مع

الظاهراتية وأفاد منها) ثم انتقلت الهيمنة للبنيوية قبل أن تفتك ما بعد البنيوية سدة الأمر من البنيوية في نهاية الستينات .

ولقد عرف المشهد النقدي العربي تعاقباً مماثلاً ، فقد تسيّدت البنيوية الموقف من منتصف السبعينات إلى نهاية الثمانينات تقريباً ، وخلال هذه الفترة شغلت البنيوية بجوانبها النظرية والتطبيقية فئة كبيرة من النقاد والمفكرين العرب وهو أمر أدى ، بشكل أو بآخر ، إلى خفوت صوت النقاد ذوي الأصول المرجعية المغايرة . ولعل مصطفى ناصف ، الذي تشرب اجتهادات ريتشارد وأضرابه من أساطين النقد الجديد ثم أضاف على ذلك تطعيمات من الفلسفة الظاهرية ، مثالاً مسعفاً للتدليل في هذا الصدد . وقل الأمر نفسه عند الإتيان على ذكر فئة النقاد المصريين الذين تأثروا بالنقد الجديد ، نتيجة تلقي تكوينهم العلمي في البلاد الأنجلوفونية في حقبة الستينات ، وهي فئة لاذت بقلعتها المعزولة في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة عين شمس خلال هذه الفترة وإليها ينتمي عبدالعزيز حمودة .

إن بدايات العشرية الأخيرة من القرن العشرين ، وربما أبكر قليلاً ، شهدت ، على المستوى العربي ، اشتداد حماس المراهنة على الاتجاهات ما بعد البنيوية . وإلى جانب تحولات تطبيقات بعض من أسهموا في المد البنيوي إلى الرهان الجديد ، فإن أجيالاً أخرى استلمت الراية وحاولت أن تمضي في الشوط إلى آخره .

وهكذا تحصّل لدينا ثلاثة مؤثرات متعاقبة أحياناً ، ومتمازجة زمنياً في أحيان أخرى ، تحكم حركية المشهد . وقد كان لابد للعينة ، من ثم ، أن تأتي متجاوبة مع هذه الروح التي تجري في نسقية المشهد وتؤثر على تواصلات أجياله وتحكم اختياراتهم ونزعاتهم بهذا القدر أو ذاك .

إن مصطفى ناصف وعبدالعزيز حمودة (وإلى حد معين عبدالوهاب المسيري) يندرجون في فئة النقاد الذين تأثروا بالنقد الجديد ، هذا في حين برزت الاجتهادات الأولى لكل من عبدالسلام بنعبدالعالي وكمال أبوديب في أجواء الانفتاح العربي على البنيوية ، ومقولاتها ، وآفاقها النظرية . وتأتي قراءات

علي حرب في أوج كوكبة من المستفيدين برأس المال الجديد الذي ناطح السيادة الرمزية للبنيويين . وكذلك الأمر مع محاولات بختي بن عودة ، التي على الرغم من تواضع محصولها ، إلا أنها شكلت بعض صرخات حياة جيل جديد يحاول أن يجد له موقعاً تحت شمس الفكر في الساحة العربية .

إن العينة المرشحة للمعالجة في الصفحات التالية ، بتحقيقها للتوازنات المشار إليها على المحاور الثلاثة السابقة صالحة ، أو هكذا نحسبها صالحة ، لتقديم تمثيلية معقولة تبرز الآثار الناجمة عن تراسل النقاد والمفكرين العرب مع التفكيك ومفعولات هذا التراسل على صعيد الإنتاج النظري والتطبيقي .

وسنشرع ، عبر الصفحات التالية ، في مناقشة هذه النماذج التحليلية ، مستأنسين ، في ترتيب تواراداتها ، بحركة مشهد الفكر النقدي من النقد الجديد ، مروراً بالبنيوية وانتهاءً بما بعدها .

١- التفكيك بوصفه تعدداً مفرطاً (قراءة مصطفى ناصف) :

تُظهرنا دراسات مصطفى ناصف المتواصلة على إفادته التي يجهر بها من منطلقات كان العقاد وطه حسين وأمين الخولي قد لفتوا إليها في معرض اتصالهم بالتراث اللغوي . ونحن وإن كنا لا نطمع بالتفصيل والاستقصاء في هذا الجانب ، كونه مطلباً يقتضي الإفراد بالتأليف ، لكننا سنُعْنى بالإشارة إلى ما يتصل بذلك من قرب ، بسبيل إعطاء صورة واضحة عن الجذور التي ستوجه قراءة ناصف لإسهام دريدا في الإطار الذي عقدنا هذه المباحث عليه .

في خاتمة تناول يوقفه ناصف على تراث العقاد النقدي ، يسوق نداء العقاد في تناغم ظاهر معه : «إن العقاد ينادي النقاد المعاصرين نداءً قوياً : عليكم بالتصورات الأخلاقية والروحية التي تشكل القوة الداخلية لوعي المجتمع الذي تنتمون إليه . إن التحليل اللغوي الذي لا يلقي الضوء على هذه القوة خليق

بالريب»[1] . ولا حاجة بنا إلى التعليق المسهب أو المختصر هنا ، إذ لا جدال على أن هذا التناغم هو مقطع الدقة في التدليل على الضوء الواسع الذي سيتمثل ناصف في رحابه مسار العقاد في النظر إلى الأدب والنقد .

كان العقاد يرى التجديد اللغوي والأدبي جميعاً محتاجاً إلى تمحيص القيمة وإدراك الوظيفة ، واقامة فلسفة جمالية ، وكان يرى في هذا كله تقدمة ضرورية للكلام في النصوص وشرحها ، ولم يدرك مصطفى ناصف تراخ ولا وناء في ترسم خطو العقاد في هذا الصدد ، لاسيما وقد وقع منه على جمْلة آثار تصله برتشاردز والنقد الجديد بأكثر من سبيل .

لقد أعطاه العقاد مفتاح مبحث هام ، سيبني عليه ناصف شأواً غير قليل من دراساته وتأملاته : تمحيص طرائق التأتّي للغة ومعالجتها . ولا شأن لنا في هذا المقام بمكان تأثير العقاد من مؤثرات أخرى فعلت فعلها في التكوين الذهني لمصطفى ناصف ، وإنما نقول إن دعوة العقاد إلى ربط الكلمة بالموقف الإنساني ووصل الاهتمام باللغة بثقافة تتطلع للنهضة والثورة على البلاغة القديمة ومناداته بقراءة ثانية للشعر العربي[2] ، كل ذلك قد استحصد في فكر ناصف ونظره ، فصدر عنه في مقاربته النقدية للبلاغة وفتنة اللغة ، ومحاولة دعم فلسفة قيمة خاصة بالحكم الأدبي وتناول اللغة من حيث وقوعها داخل اطار الذاتية المباشر[3] . فإن قال قائل : وأين طه حسين؟ قلنا : كان قرين العقاد في الإغراء والتأثير . تأمل نظر طه حسين إلى البيان العربي من الجاحظ حتى عبدالقاهر في مقدمة كتاب سميّ نقد النثر ونسب إلى قدامة بن جعفر خطأ[4] . ثم التفت

---

(١) ناصف : اللغة والبلاغة والميلاد الجديد . ص ٩٣ .

(٢) ناصف : اللغة والبلاغة والميلاد الجديد . مصدر سابق ، ص٥١-١٤١ .

(٣) ناصف : المصدر السابق ، ص٨٨-٨٩ .

(٤) حسين ، طه : «تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر» . ضمن : كتاب نقد النثر ، لقدامة بن جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، دون ذكر رقم الطبعة ، ١٩٨٢ ، ص١-٣١ .

إلى مبلغ حفاوة ناصف بما قرره طه حسين في قوله : «في مقال للدكتور طه حسين عن البيان العربي نشر في مقدمة كتاب سمي يوماً باسم نقد النثر يقول : إن دلائل الإعجاز محاولة للتوفيق بين النحو العربي وآراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب . هذه الملاحظة الموجزة يمكن أن تشرح شرحاً مفصلاً بحيث تنتهي آخر الأمر إلى تأييد ما نحن فيه ووصف أهم معالم البلاغة العربية وأكثرها تبادراً إلى الأذهان»[٥] .

من وجه من الوجوه ، ربما أمكن القول إن ما كتبه مصطفى ناصف حول تحولات الدرس البلاغي العربي في دراستيه المعنونتين بـ : «حوار مع الزملاء . المقدرة اللغوية في النقد العربي»[٦] . و«بين بلاغتين»[٧] يندرج كحاشية مفصلة وشارحة لمنظور طه حسين الآنف . ولا يكاد مصطفى ناصف يخرج عن هذا المنظور سواء في تصور الدكتور طه لأثر الصراع السياسي والحضاري على عناية العرب بعلم الكلام وآلة ظهور الحجة ورياضة الخصم منذ القرن الهجري الثاني[٨] . أو في بسط فلسفة اليونان سلطانها على دوائر النظر الأدبي عند العرب في القرن الرابع[٩] ، أو جناية الطريقة التقريرية المستمدة من أرسطو على عبدالقاهر الجرجاني والبيان العربي في القرن السادس[١٠] .

لقد أسهمت طرائق قراءة العرب للفلسفة اليونانية في وضع بيان عقلي للغة العربية استند إلى الفلسفة أكثر من استناده إلى أي شيء آخر . وقد أورث هذا

---

(٥) ناصف ، مصطفى : اللغة بين البلاغة والأسلوبية . كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ع٥٣ ، السعودية ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٨٣ .

(٦) ناصف ، مصطفى : ضمن : قراءة جديدة لتراثنا النقدي . كتاب النادي الأدبي الثقافي بجده ، مج١ ، ع٥٩ ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٥٣-١٠٥ .

(٧) ناصف ، مصطفى : المصدر السابق ، ص٣٧٩-٤٠٦ .

(٨) حسين ، طه : مصدر سابق ، ص ٤-٧ .

(٩) السابق ، ص١٠ .

(١٠) السابق ، ص١٤ .

كله طريقاً طويلاً شاقاً سلكه البيان العربي منذ نشأته إلى أن بلغ في القرن الخامس درجة الكمال والتبلور. إن طه حسين يحكم على هذا المسار الطويل بأنه «نَزْرُ الفائدة قليل الجدوى»[١١]. وما الخلاصة التي ينتهي إليها مصطفى ناصف في دراستيه إلا هي هي.

من ناحية أخرى، كان لناصف تلمذة على أمين الخولي، حفظ حقها في اسهاماته، وكثيراً ما يُسبِق ذكره بألفاظ من مثل: أستاذي[١٢]، وشيخي[١٣]، بل إنه ينص على أنه كتب أطروحتيه للماجستير والدكتوراه بوحي من آراء ونقدات أمين الخولي للدرس البلاغي القديم، يقول: وفي ضوء ما سمعته منه نظراً وعملاً كتبت رسالتين إحداهما عن «بلاغة عبدالقاهر، عرض ونقد وتوجيه»، والثانية عن «الكشاف» من وجهة أدبية»[١٤].

كان الخولي، بحكم تكوينه العلمي، موسوعياً، يصدر في مقارباته عن ايمان بتمازج الاختصاصات وإفادة العلوم بعضها من بعض. وقد آمن، مثل غيره من أبناء جيله، بارتباط مفهوم النهضة بالوجدان وأحيا الدعوة إلى ما كان يسميه المنهج الأدبي في درس البلاغة على قاعدة من تمييز الثقافة الأدبية من الثقافة الفلسفية أو العقلية (هذا الخلط الذي طالما استحلاه البيانيون العرب)[١٥]، وعلى ضوء من القناعة بأن دراسة التواصل اللغوي إنما تتم في ضوء تأمل انساني النزعة يدقق في القديم فيقتله، فهماً، وينشغل بما بين العلوم المختلفة من تبادل الأثر.

هكذا كانت وظيفة أمين الخولي في حركة الرواد -كما يرى مصطفى ناصف- «نابعة من اجتماع ميادين متعددة في بؤرة واحدة. أخذ من علم

---

(١١) حسين، طه: مصدر سابق، ص٣١.

(١٢) ناصف: اللغة والبلاغة والميلاد الجديد. ص١٥٨.

(١٣) السابق، ص١٧٥.

(١٤) ناصف: السابق، ص١٥٧، والمرايا بـ «الكشاف» هو التفسير المشهور للإمام الزمخشري.

(١٥) ناصف: اللغة والبلاغة والميلاد الجديد. ص١٥١.

الأصول ولعه بالوضوح والدقة وعلاقة اللغة بصناعة التفكير ، والتمييز بين الملائم وغير الملائم ، وأخذ من البلاغة الإحساس بالجمال ويقظة الوجدان ، وأخذ من التفسير درس فاعلية النص ومشكلات أبعاده ، ولا ريب كانت رسالته متميزة جامعة بين هذه الآفاق التي أشرت إليها»(١٦) .

وقد وعى مصطفى ناصف الدرس جيداً . وأنت تراه يعارض المنظور البياني العربي في التأتّي إلى مشكلات اللغة ، فيجد ضالته في طرائق ارتباط الدلالة بالمعرفة عند المتصوفة حيناً ، وعند أصحاب أصول الفقه حيناً آخر(١٧) . ويُظهرنا على ميل واضح إلى أنهاج تصور الأصوليين لوظائف اللغة ، لما لهذا التصور من انحياز خاص إلى رعاية الوجه الاستعمالي للدلالة الذي أولع به ناصف على خلفية من الاهتمام بأثر النشاط اللغوي في توجيه الأهداف المجتمعية وقضايا النهضة والتجديد . كان مصطفى ناصف عقّادياً في نشدان تَأَت للّغة يتلاءم مع حاجة المجتمع إلى وثبة أخلاقية وروحية ، وكان طاهوياً في تطلّب تعامل مع النصوص ينأى عن الفهم الأرسطي للمعنى ، وكان خولياً في التماس حلول لأزمة النقد تُسْتَحْصَلُ من خارج بيئة الدرس البياني في التراث العربي .

ثم إن ما أَنُفَ - بعدُ - وجه من وجوه المؤثرات في اسهام مصطفى ناصف النقدي ، نشفعه بالوجه الآخر أو الأهم من وجوه التأثير ، وذلك هو وجه النقد الجديد ، لا سيّما تلك الملامح التي توضحت مع ريتشاردز منذ كتابه «مبادئ النقد الأدبي» Principles of Literary Criticism (1924) . كان ريتشاردز ملء سمع العالم النقدي وبصره في المراحل التي كُتب فيها لمصطفى ناصف أن يستكمل أطر التكوين العلمي والعدة المفهومية للدخول على النصوص . وقد أفاد من أفكار ريتشاردز في هذا الصدد ما إن الاستقصاء في ذكره لينوء بالجهد ومقتضيات ما عقدنا هذه المباحث عليه ، ولكننا نشير اشارة عابرة إلى بعض ما يتراءى كأفكار تجد أصداءها في كتابة ناصف بأكثر من سبيل .

---

(١٦) ناصف ، مصطفى : السابق ، ص١٥٨ .

(١٧) ناصف ، مصطفى : ضمن : قراءة جديدة لتراثنا النقدي . مج١ ، ص١٠٠-١٠٥ ، وص٤٠٥ .

لعل المسألة المركزية في النقد عند ريتشاردز -كما يراها آن جيفرسون وديفيد روبي[١٨] - هي المتمثلة في السؤال التالي : «ما الذي يضفي على تجربة قراءة قصيدة معينة قيمتها؟ وكيف تكون هذه التجربة أفضل من سواها؟» . لقد تأسست قراءة الأدب عند ريتشاردز على محورين : نظرية في الاتصال ونظرية في التقويم[١٩] ، والحق إن الحرص الدائم على ربط هذا بذاك قد تأدى إلى ما يسميه تيري ايجلتون ادراكاً للنص بمصطلحات وظيفية[٢٠] . لقد كانت دراسة ريتشاردز الفاحصة والمتأنية للنصوص دراسة وصفية وتقويمية في آن واحد ، وهذا ما جعله منافحاً صلداً عن التقسيم القيمي الذي أقامه على أساس أن هناك قراءة صائبة وقراءة سيئة للنص[٢١] . والعماد في حسن القراءة مناط بفهم للقيمة يقوم على ضوء الوظيفة ، «كل شيء له قيمة إذا كان يحقق رغبة»[٢٢] ، ومثلما ارتبطت نظرية ريتشاردز حول القيمة بتوجه نفعي ارتبطت نظرية النشاط اللغوي في الأدب بنظرة جمالية للخبرة الإنسانية[٢٣] ، أفسحت لمؤثرات السيكولوجيا أن تتدخل في تفسير ما يحدث أثناء القراءة والتحليل الأدبي حيث انطرحت في هذا المجال أفكار المشاركة والتعاطف وبلوغ الاتزان[٢٤] . وهي ملامح سينسج في إثرها مصطفى ناصف مستبدلاً الرصد السيكولوجي بزاوية

(١٨) جيفرسون ، آن-روبي ، ديفيد : النظرية الأدبية الحديثة . ترجمة : سمير مسعود ، سلسلة دراسات نقدية عالمية (١٧) ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، ١٩٩٢ ، ص١٢٥ .

(١٩) جيفرسون ، آن-روبي ، ديفيد : السابق ، ص ١٢٥ .

(٢٠) ايجلتون : مقدمة في نظرية الأدب . ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص٦٥ .

(٢١) ديتشس : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق . ترجمة : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ، ١٩٦٧ ، ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٢٢) ديتشس : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق ، ص٢٠٤ .

(٢٣) ايجلتون : مقدمة في نظرية الأدب . مرجع سابق ، ص٦٣ .

(٢٤) ديتشس : مناهج النقد الأدبي ...... مرجع سابق ، ص٢١٨ .

ظاهراتية للنظر ييسر الانزلاق إليها تفعيلٌ لفكرة المقصد intention عند ناصف يجد عمقه في المشهد الظاهراتي بأكثر مما يتيح له ريتشاردز .

كان ريتشاردز معنياً بالتمييز بين أنواع مختلفة من المعنى واستعمالات متباينة للغة لكل منها وظيفتها وقيمتها الملائمة لها[٢٥] . وقد صدر عن مفهوم شعري للحقيقة يخالف مفهوم الحقيقة في غير الشعر . كما نقد طرق ارتباط اللفظ بالمعنى في النقد الأدبي التقليدي حيث يُسدي للبلاغة دوراً جدلياً واقناعياً يجعل اللغة المجازية في الأدب تحسيناً وديكوراً وتزييناً[٢٦]لا يتأدى إلى معرفة .

ولفرط ما تشاغل ريتشاردز باللغة والتواصل وتفسير عمليات شرح النصوص وقراءتها ، وطرائق تحقيق الفهم ، فقد عرفت أبحاثه النقدية ميلاً متزايداً إلى الاهتمام باللغة وفقهها وتحليل الدور الذي تؤديه اللغة العاطفية في مقابل اللغة الفكرية و العلمية . وانتهى به الأمر إلى المناداة بعلم للدلالة يقوم على استقاء المعنى من الوظيفة أو إن شئت فقل -مع رينيه ويلك- علم دلالة نفعي[٢٧] .

والحق أن مشروع مصطفى ناصف لم يخرج في خطوطه العريضة عن المنظورات التي تهيؤها جملة المؤثرات السابقة ، وعلى رأسها تأثيرات ريتشاردز والنقاد الجدد ، التي أمدت ناصف بما هو أكثر من التوجهات العامة والروح المحركة وقد قبسهما من العقاد وطه حسين وأمين الخولي .

في كتاب «اللغة والتفسير والتواصل»[٢٨] وهو من أهم المؤلفات التي تمثل

---

(٢٥) ديتشس : مناهج النقد الأدبي . . . . . . مرجع سابق ، ص٢١٩ .

(٢٦) بشبندر : نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر . ترجمة : عبدالمقصود عبدالكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٣٣ .

(٢٧) ويلك ، رينيه : مفاهيم نقدية . ترجمة : محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص ٤٧٦ .

(٢٨) ناصف : اللغة والتفسير والتواصل . سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت ، ١٩٩٥ .

خلاصة تأملية لطروح ناصف و أفكاره تشكل الإحالات المرجعية إلى ريتشاردز ما يفوق قليلاً ثلث الإحالات في مجموع الكتاب (٤٢ إحالة من أصل ١١٩) . وليس الأمر وقفاً على هذا الكتاب ، بل إن ما يطرحه مصطفى ناصف من نقد لفكرة المعنى عند البيانيين العرب وقيامها على تصور يجعل اللغة نظاماً مؤلفاً من أبنية أصلية وأبنية اشتقاقية ثانوية[٢٩] فتكون الدلالة المعيارية الحرفية فيه هي الأصل والدلالة الشعرية بمثابة التحسين أو المجاوزة والإفراط التي تفتقر دائماً إلى مقايسة تردها إلى المعيار الأصل ، أقول إن ما يطرحه ناصف في هذا الصدد يبدو متصادياً إلى حد بعيد مع منظور ريتشاردز فيما أورده على النقد التقليدي نحو ما مر معنا في ملاحظة بشبندر السابقة . ولا يقولن قائل إن هذه التماثلات لا ترقى أن تنهض دليلاً على خطو مصطفى ناصف في إثر ريتشاردز في كثير من التفاصيل ، فالحق أن مصطفى ناصف ظل طوال الوقت معنياً بنشر أفكار ريتشاردز . وقد خصص أربعة فصول من كتابه الموسوم : اللغة والبلاغة والأسلوبية[٣٠] لتتبع وشرح وعرض تأملات ريتشاردز . في «فلسفة البلاغة» وسواها من المباحث . وأنت إذا تفحصت نقد ناصف على دريدا فيما سيأتي تجد مستندات ناصف إنما تقوم في جلّها على استحضار ريتشاردز كسلطة معرفية تنطلق المعارضة من وحي الركون إليها .

وفي الخلاصة يتحدد مشروع مصطفى ناصف النقدي بانطلاقته من فلسفة خاصة للغة ، تعتمد الوصف والتقييم وهلة التعامل مع النصوص ، وهي في تحليلها الوصفي نزعة انسانية قرائية تنطلق من المشاركة والتعاطف وتدريب استقبال النص على فحص الالتباسات بين المعاني المتعددة المتاحة وإحسان الاهتداء إلى المعنى في ظل النظر في وظائف اللغة نظراً يحارب التحيز لبعض الاستعمالات اللغوية دون بعضها الآخر . إن هذا كله يرتب مسئلية أخلاقية جسيمة على دارس اللغة من حيث يكون مسئولاً عن حماية تفكير المجتمع من

---

(٢٩) ناصف : قراءة ثانية . ص٨٢ .

(٣٠) ناصف : اللغة والبلاغة والأسلوبية . مرجع سابق ، ص٤١١-٥٢٦ .

التـوجـهـات الضـارة لظواهر التناقض والالتـبـاس والقلق الناشيء من بعض الاستعمالات اللغوية .

ولا ينبغي أن تفوتنا ملاحظة على هامش هذا كله وهي أن مصطفى ناصف ينافح بشدة دون حياض آرائه ، وهو من هذه الوجهة ناقد محنّك ومتمرّس حَبَته التجربة بعين طائر تعثر على المراد بالتقاطة مباشرة . معه ينبغي أن تكون على ألفة بمنطق القفز وتسديدات الحدس . ولسنا نتحدث هنا عن مثلبة بالضرورة . فلمثل هذه الطرائق معقولياتها الخاصة ، ولها صرامة تجعل صاحبها غير عابئ بمواضعات الإجراء المدرسي في الاستقصاء واستخراج النتائج من المقدمات . إنه يذهب إلى بغيته من أقصر طريق ، ويضع منافحاته في نصوص مكثفة تبين منها التماعات الاستاذية في هذا الملمح أو ذاك تاركاً للقاريء أن يتعامل مع فجوات نصه بإشكالياتها وتحدياتها وأسئلتها المتكاثرة . وربما بدا هذا الحس منعكساً على تقشف التكشيف الببليوغرافي لإحالات الهوامش في كثير من دراسات ناصف فهي مناحي تأخذ من القدماء ببعض أثر في عبارتهم المأثورة : من أسند فقد أوكل .

هذه اللمحات التي ألمنا بها عن مصطفى ناصف وأُفقه النقدي تبدي لنا منه مزاجاً طريفاً في الطبيعة والتكوين . وإن فيه لمن مشابهة الطائر الذي يحدق من علٍ فيبصر ويشارف الكليات بأضعاف ما فيه من دأب النملة التي تحتاط وتلتزم الأناة في ذرع المسافات ، وإنه لتجثم على صدره سمادير خَلَفٍ أضاعوا طريقة «الرواد» واتبعوا «غي» البنيوية والسميولوجيا والتفكيك -من وجهة رصده- فينفّس عما بين جانحيه لطول ما صبر على المصانعة والتذكير . ولقد اجتمع ذات مؤتمر نقدي مع جيل من البنيويين العرب ، فكرّت منه عبارات أفصحت عن مدى ضيقه بما آل إليه حال النقد مع هجمة الألسنية الهصور(٣١) .

---

(٣١) ندوة : قراءة جديدة لتراثنا النقدي . التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي ، ١٩-١٩٨٨/١١/٢٤ .

«اسمحوا لي أن أقول لكم إنكم لم ترحموا شيخوختي»(٣٢) . هكذا واجه مصطفى ناصف ايرادات جابر عصفور وسعد مصلوح وكمال أبوديب وحمادي صمود على بحثه ، مغتاظاً ، وشاكياً من «سكب المداد في كثرة النقل عن الغرب» و«قلة الفطنة في سبر المعاني» ، ومنتهياً إلى التصريح بتدابر لابد من الوقوف عنده : «يؤسفني أن أقول إننا غير متفقين في طريقة التأتي لمشكلات اللغة ولا بد لي من أن أستعين بالله وأضع المسألة هذا الوضع الواضح»(٣٣) .

لعل الحاجة التي دفعت بناصف إلى اعلان مثل هذا الموقف كفيلة بأن تضعنا في حضرة الريب والوَجَس الذي يهبط ويثور في قلب مصطفى ، فيغير من مناظيره تجاه دريدا والتفكيك واستراتيجيات الاختلاف . فإذا أحد بحوث الغذامي ، مما مداره على التماس «الاختلاف» في التراث النقدي لافت للنظر ، كون الاختلاف اعتراضاً أساسياً على فقه النص في التراث العربي(٣٤) . وإذا بالاختلاف مرة أخرى ، نظرة سوفسطائية قديمة و«ضرب من الإلحاد في حق المعرفة»(٣٥) . وهو من جديد : مبدءٌ كان يمكن له أن يغير وجه النقد العربي تغييراً أساسياً فيما لو كتب له الإستقرار(٣٦) ، مع أنه في موضع آخر : خطر يؤدي إلى ابطال توقير اللغة(٣٧) . وإن شئت فكذلك الأمر مع التفكيك ، إنه عاصفة تُهدرُ فكرة الحقوق والواجبات» و«تشريع خفى»(٣٨) ، ولكنه «مبدأ يجب

---

(٣٢) ناصف : مناقشات بحث «بين بلاغتين» . ضمن : قراءة جديدة لتراثنا النقدي . كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، مج ١ ، ع٥٩ ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٤١٥ .

(٣٣) السابق ، ص٤٢٠ .

(٣٤) ناصف : المقدرة الغوية في النقد العربي . ضمن : قراءة جديدة . ص٨٦ .

(٣٥) ناصف : خصام . ص٣٥٦-٣٥٧ .

(٣٦) ناصف : المقدرة اللغوية . مصدر سابق ، ص٨٦ .

(٣٧) ناصف : اللغة والتفسير والتواصل . ص٢٠٠ .

(٣٨) ناصف : اللغة والتفسير والتواصل . ص٢٠٠-٢٠١ .

الاعتراف به»[٣٩] مع كل ذلك!

وقبل أن أشق عليك بتأويل هذا التلاطم . أبادر إلى طمأنتك بأنني لا أرى في مصطفى ناصف ما سبق أن رآه جابر عصفور حين قال : «إن الدكتور مصطفى ناصف يتجه في اتجاه ولكنه سرعان ما ينقضه هو بنفسه مما يحير من يتابعه ويقرؤه»[٤٠] . ثم أشار إلى أن مثل هذا الملمح ساطٍ في كل كتابات ناصف طوال صحبته لها ، قراءةً وكداً ، ربع قرن أو يزيد ، وإنَّ ناصف «يجعلنا دائماً في منطقة مهتزة معرفياً ولا تقوم على أساس سليم صلب من المعرفة اليقينية»[٤١] . ولكنني أقول إن مصطفى ناصف من أرومة تتعبد بفطنة الاستبار ، وتتعشق جلال العبارة بدلالاتها الحافة ، وتروح وتجيء أمام التباسات المعنى وممكنات الفهم . وهو لذلك كله شديد الاحتراز أمام مقتضيات السياق يركِّب هذا على ذاك ، ويحمل الحقيقة على المجاز ويضني خيله إثر شوارد الكلم فإذا الذي لا يأتي غيره إلا عنوة ينقاد إليه من أيسر سبيل . وقد هيأ الله لناصف باصرة توقعه على كوامن عزيزة ولطائف مذخورة لولا بعض تغاضب يلم به فيتأجل عندها المعنى دون ما تنكشف به جلية الموقف . هذا أو تكون نفثة من نفثات الكظم تنطلق منه فيخشوشن في التعبير ويغلظ في القول ، لاسيما وقد تجول بالرأس هضيمة النقد الجديد في أصقاع العرب ، ولابد من التفرقة حينها بين غضبة من يذود عن الحياض وغضبة من يستثار لقلة الاستعداد في الخلقة ومواهب الذهن .

لقد أنصف ناصف دريدا والتفكيك في غير موضع من المواضع ، فنوّه بذكاء دريدا[٤٢] ، وأثبت لأفكاره مساهمتها في رفع درجة ادراكنا لطبيعة الكلمة

---

(٣٩) ناصف : المقدرة اللغوية . مصدر سابق ، ص٨٦ .

(٤٠) جابر عصفور مداخلة على هامش بحث «بين بلاغتين» لمصطفى ناصف . ضمن : قراءة جديدة ، ص٤٠٨ .

(٤١) عصفور : السابق ، ص٤١٠ .

(٤٢) ناصف : خصام مع النقاد . مصدر سابق ، ص٣٤٤ .

المكتوبة أو المطبوعة ، وتعريفنا بغير قليل مما يتعلق بعملية الكتابة ونشاط الكلمات خلالها ، ثم إن هذه الأفكار ، فيما يرى ناصف ، قد كشفت عن أساس المركزية الأوروبية ودور التقاليد المنسوجة حول الكتابة في ذلك(٤٣) . وهي قد وسعت من مجال تطبيق أفكار النقد الجديد بحيث آذنت لها بتعدي حدود النصوص الشعرية حصراً(٤٤) ، كما أن دريدا «كتب فصولاً لا يمكن لأحد أن يهون من إثارتها القوية في نقض نظام التفسير» ، وهي الفصول التي جعلت دعاوى العلمية والبنى الصارمة تتهاوى . بل أنها كادت أن تشغب على النقد الجديد ، أو أنها فعلت ذلك حقاً لبعض الوقت(٤٥) . وقد مر بك بعض مواضع ثناء مصطفى ناصف على الاختلاف والتفكيك فتدبر .

ولعل صدور مصطفى ناصف عن مثل هذه الأقوال وظهور بعض تطبيقاته على النصوص التراثية في حُلة تبدو متوافقة مع جانب مما تتأدى ممكنات فهم هذه العبارات إليه هو الذي صرف محمد ناصر العجيمي إلى التركيز على تطبيقات ناصف وعدها مما يتمثلُ به عند الحديث عن استراتيجيات الاستفادة من المعطيات التفكيكية في جهود النقاد العرب ، يقول العجيمي : «المهم من هذا أن مصطفى ناصف لم يقتصر على مستوى التنظير ويكتف بتقديم مباديء التفكيكية ، بل هو لم يأبه بذلك إلا اتفّاقاً ، انما انصرف إلى الاختبار والتجريب انطلاقاً من أمثلة مأخوذة من التراث ليستنطقه ويبين مواطن النقص فيه بمقارعته بها للكشف عن طاقات الإبداع العربي»(٤٦) .

ويستعرض العجيمي بعض الأمثلة التي يراها دالة على إفادة مصطفى ناصف من «مفهوم» الاختلاف عند دريدا في التحليلات التطبيقية ، واتجاهه

---

(٤٣) ناصف : خصام . ص٣٤٦ .

(٤٤) ناصف : السابق ، ص٣٤٨ .

(٤٥) ناصف : السبق ، ص٣٥٢ .

(٤٦) العجيمي ، محمد الناصر : النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية . دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع - كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفاقس-سوسة ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٣٨٢ .

إلى اختبار النجاعة الاجرائية لهذا «المفهوم» في ضوء ما يمدنا به التراث من أمثلة متجسدة خاصة في الصور والمجازات . ويكون مما يعرض له العجيمي بالتمثيل على تحليلات مصطفى ناصف التطبيقية صنيعه في تحليل الكناية الشهيرة «كثير الرماد» ، حيث يلاحظ ناصف ، أولاً ، أن هذه الكناية قد حملتها التقاليد محمل العلامة الدالة على الشيء . ثم خلافاً لهذا الفهم يشرع مصطفى ناصف في بيان أن هذه العبارة يمكن أن تشع بمعان أخرى كثيرة . ويشير الباحث ، محتذياً تحليل ناصف ، إلى أن كثرة الرماد قد تدل على «محاولة فض الخلاف بين الفرد والمجتمع» ، أو على علاقة التوتر بين الغني والمجتمع ، وأن هذه العلاقة المتوترة من الصعب التخفيف منها إلا بثمن غال ، كما قد تشير العبارة إلى أن الغني لا يقبل المجتمع إلا إذا «حط نفسه أو زال الغنى» ، ومن جهة أخرى فإن مفهوم الرماد يتجاوز مجرد «الكريم» . ويعلق العجيمي منوهاً إلى أن جميع هذه الحالات يتوافر فيها قدر من التوتر والاختلاف وأن كلمة «الرماد» في العبارة ، تفصح عن ارجاء المعنى ، لأنها تعبث بمفهوم الشح حتى ليصبح الرماد الكثير منافساً للمال والعطاء . وهو يورد ملاحظة مصطفى ناصف ، التي تألق في روحها التماعة تفكيكية ، حين يقول : «نحن لا نخدم العطاء أو الكرم وانما نصفّيه ونتسامى به من جانب ونعود فنلقي عليه نظرة مشفقة مفارقة أو ساخرة من جانب ثان»[٤٧] . ثم يعلق العجيمي قائلاً : «فالدارس من هذه الوجهة يكون كمن يحفر في العلامة أو يزحزها لينطقها مالا تفصح به في الظاهر ليستجلي مواطن الخلاف المستكنّة فيها» .[٤٨] ومن ذلك كله يستنتج الباحث أن مصطفى ناصف قد حاول الإفادة من دريدا في جهده التطبيقي عبر نظره في التراث ومقارعة بعض مواطنه بمباديء التفكيك ، وهو يعرض للقاريء الخلاصة النظرية للجوانب التي وجهت قراءات مصطفى ناصف في هذا الصدد ومؤداها «أن الخلاف مستكن في الكلام متلبس به ، واعياً بكون صاحبه الناطق به . . . . . .

---

(٤٧) ناصف ، مصطفى : الوجه الغائب . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٩٢ .

(٤٨) العجيمي ، محمد الناصر : النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية . مرجع سابق ، ص٣٨١ .

أو غير واع به . ذلك أنّه قد يتعمد اخفاء المعنى والتعبير عنه بطريقة تنوب عنه . وقد لا يفطن إلى ذلك فيصدر عنه تلقائياً ، وفي كلتا الحالتين يكون الدارس مدعواً إلى الحفر والنفاذ ، من خلال السطور ، لاستبطان ما تخفيه العبارات والتشابيه» .(٤٩) ولأن الناصر العجيمي يستند في قراءته إلى تطبيقات جزئية محدودة لمصطفى ناصف ، وهي تطبيقات لم تأبه بالتأصيل النظري لمرجعيتها كما يلاحظ الباحث نفسه ، فإن الالتباس هنا وارد بين أن يكون مصطفى ناصف مقوداً إلى اصطناع تلك التطبيقات بوحي من أفكار النقد الجديد ، كما يغلب على ظننا ، أو أن يكون قد أتاها من مأتى التفكيك كما يظن محمد الناصر العجيمي .

إن من المعروف أن امبسون ، تلميذ ريتشاردز ، قد عنى بشكل خاص بتدقيق فكرة الغموض أو الالتباس في المعنى ، وهو قد كتب من أجل ذلك كتابه الشهير Seven Types of Ambiguity (1930) ، حيث توفر نقده التحليلي على إبراز الامكانات المختلفة القائمة في معاني الكلمات ، والتكثر الذي يمكن أن تتفرع إليه معاني المفردة الواحدة ، بما يؤكد أن الكلام حمّال أوجه ، وأن المسائل الأساسية التي تواجه الناقد في تحليله للنصوص هي التوفيق بين الحالات الواعية والحالات اللا واعية ، وبين طرز الإدراك الحدسية والعقلية ، كما بين المستوى الظاهر من النص والقصد الضمني في استعارات الشاعر(٥٠) . ومصطفى ناصف كثير الإحالة على امبسون ، وقد تقدم لك مبلغ تأثره بالنقد الجديد ، ولا يبعد أن يكون التحليل الذي أورده العجيمي لناصف هو من أمارات

---

(٤٩) العجيمي : المرجع السابق ، ص٣٨٢ وهو ينقل عن مصطفى ناصف في «الوجه الغائب» ، ص٩٤-٩٥ .

(٥٠) للإلمام بمنطلقات امبسون والاطلاع على نماذج من تحليلاته يمكن الرجوع إلى الجزء المعنون بـ «امبسون والمعنى حين يكون حمّال أوجه» ضمن :

- ديتشس ، ديفيد : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق . ترجمة : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧ ، ص٤٧٢-٤٨٣ .

هذا التأثر لا من دلائل مقارعة التراث بالتفكيك، إذ ان ناصف لا يرجيء المعنى في نهاية تحليله، بل نراه، بعد استعراض مختلف الإمكانيات، يميل إلى قراءة الدلالة ضمن السياق الذي يحكم النص (وهذا بالتحديد هو معقد الخلاف بين المبحثين اللذين شق عبابهما كل من النقد الجديد والتفكيك في الموقف من المعاني وظلال المعاني)، وتتخذ ممارسته التخيلية طريقها، بتؤدة وتمهل، بين المحتملات المتكاثرة، لكنه، من الوجهة المعرفية، يراهن على الوصول إلى ترجيح ما هو الأوفق في النهاية، وذلك لأن التباس المعنى عنده ينشأ من عدم التدقيق في اكتشاف السياق الأقدر على كشف دلالة المفردة. أما التفكيك فهو استراتيجية في سيرورة دائمة، والمعنى عند التفكيكيين لا يمكن أن يقع تحت سلطة الإغلاق في أية لحظة لأن السياقات متعددة أبداً ولا يمكن أن يتم حصرها وتحديد الأكثر ملاءمة منها كما يذهب إلى ذلك النقاد الجدد.

إن افادة مصطفى ناصف من التفكيك إذن، تقع في اشتغالات اجرائية محدودة وهي لا ترقى إلى اختراق الوجهة المعرفية التي يصنع ناصف من خلالها تصوراته.

وهذه النبذ التي سقناها فيما تقدم تبدي لنا من قراءة ناصف لدريدا صفة مستنبطة، وهي أنه يعلم من فقه الدرس النقدي الحديث ما لابد أن يقف به على ثقل مساهمة دريدا في الميزان. وهو على ولائه لريتشاردز وأقرانه ليستروح بعض السوانح فيقبل على اسهام دريدا ويود لو يغنم استثماره بريئاً من عقابيل الإرجاء اللامحدود التي تحول بين المرء وتقليبه لما يحتاج للقلب في مجتمع يروم النهضة والارتقاء، بحسب ما يشارف ناصف.

لقد ساق جابر عصفور، في معرض التعليق على تضادات مصطفى ناصف العاطفية تجاه عبدالقاهر الجرجاني، مفارقة تصور ناصف بوصفه قارئاً تفكيكياً يبصر الحدس في منطقة العمى على طريقة بول دي مان[٥١]. والأقرب إلى

---

(٥١) عصفور، جابر: ضمن المداخلات على بحث: مصطفى ناصف، بين بلاغتين، قراءة...، ص٤١٠.

الظن أن مبلغ التهكم لا يخفى في مجازكهذا ، إلا أننا سنتلبث أمام هذه الصورة ، بروح جديدة ، متسائلين فيما إن لم يكن ما يجمع مصطفى ناصف والإفادة من التفكيك أبعد ، حقيقة ، مما يحاول أن يستثير ابتساماتنا به جابر عصفور؟ لعل مثال بول دي مان ، في هذه الحالة مثير بامتياز ، أليس هو ممثل الدريدانية الأمريكية ، الذي لا يعدم من ينعت عمله على الدوام بأنه «مجرد نقد جديد»(٥٢)؟

ولا يمكن بحال فصل النقودات التي يوجهها ناصف لجاك دريدا عن طبيعة المشروع النقدي الذي يبشر به والمنظورات التي ينطلق منها للتأتي إلى مسائل الفكر والأدب . لقد مثّل مصطفى ناصف منذ البداية ، في المشهد النقدي المصري خصوصاً ، بعضاً من مقترح انجلو سكسوني كان في طور التنامي للإعراب عن حضور يطمح إلى افتكاك الهيمنة من التلاوين الفرنسية التي كادت أن تسيطر على محاولات التعاطي مع الأدب منذ طه حسين . «إذ كان التقليد المتبع حتى ذلك الوقت أن يتجه طلاب العلوم الطبيعية إلى إنجلترا ، وطلاب الدراسات الإنسانية إلى باريس»(٥٣) ، لكن ظروفاً عديدة نتجت عن اشتعال الحرب العالمية الثانية أدت إلى تنويع مصادر الاستمداد في درس النقد وظهور اجتهادات نقدية حولت الركائب نحو عطاء الأنجلوسكسونيين وطرائق نظرهم في الدراسة والتفسير . وهنا بدأت محاولات عبدالقادر القط ومصطفى ناصف ولويس عوض وعلي الراعي ومجدي وهبة في التبلور والاينناع ، وتوسيع أرجاء المشهد(٥٤) . إن هذه الطبيعة الخاصة التي وخطت لحظة التكوين المبكر ستفعل فعلها طويلاً في ذهابات مصطفى ناصف إلى المسائل واقتراباته من

---

(٥٢) حوار مع بول دي مان ضمن : النقد المجتمع ترجمة : فخري صالح ، دار الفارس للنشر ، عمّان ، ١٩٩٥ ، ص٥٠ .

(٥٣) حجازي ، أحمد عبدالمعطي : عبدالقادر القط . . الأستاذ والصديق . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٥ ، ع٨ ، أغسطس ١٩٩٧ ، ص ٦ .

(٥٤) حجازي : السابق ، ص٧ .

مواضع التماس بين الطوابع القاريّة والأخرى الأنجلوسكسونية في إدارة الاشتغال على النص ومعاينة اشكالياته .

وما فتيء مصطفى ناصف يذكرنا ، فينة بعد فينة ، بأثر الخصومة الفرنسية الإنجليزية في طوابع الأفكار حول النظرية وتاريخ الأدب ، وتوق كل طرف إلى تفكير يراه غير مدين على الإطلاق للطرف الآخر ، حتى وإن تبدى هذا التوق في شكل حجج يراد لها أن تكون موضوعية ، ولعل في ذلك ما يمثل بعض وجوه الخلاف بين بارت ودريدا والبنيوية من جهة والنقد الجديد من جهة ثانية[٥٥] . وسيردّنا مرة أخرى -في معرض تأوله لاستراتيجيات دريدا- إلى أهمية التنبه إلى أثر الصراع المسيحي/ اليهودي في منظورات دريدا (اليهودي) التي عارضت حساسية مسيحية تبجل التناقض الظاهري وأفكار الحضور باجتهادات تعتمر الغيبة والإرجاء والاختلاف . وسيقول ناصف «إن الصراع بين آراء حول اللغة يخفي في داخله أعماقاً من الصراع حول جوانب أجل من أن تكون أدباً صرفاً . ولكننا ننسى»[٥٦] .

ولعمري إن المؤثرات السياقية التي تتدخل في تشكيل الطوابع العامة لنموذج ثقافي أو حضاري من النماذج لتهيء زاوية من النظر طالما شغف بها المنشغلون بتواريخ الأفكار وتمايز الذهنيات . وانك لتقرأ في كتاب ككتاب جورج واطسون (الفكر الأدبي المعاصر)[٥٧] فتجد الحساسية المبالغة ازاء النموذج الفرنسي والرعاية التوقيرية للتقاليد التي تشكلت من خلال الدراسات الإنجليزية للأدب خلفيتان ماثحتان ، وتطالع في تتبع محمد الشيخ للمشهد الثقافي

---

(٥٥) ناصف : خصام . ص٣٦٨ .

(٥٦) ناصف : خصام . ص٣٩٢ .

(٥٧) واطسون ، جورج : الفكر الأدبي المعاصر . ترجمة : محمد مصطفى بدوي ، الهيئة المصرية العامة للمكتبات ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠ .

الفرنسي في المئوية الفائتة خلال اطروحة أكاديمية[٥٨] فيتفق لك رصد التلوينات الفرنسية على قراءة نيتشه وهيدغر وهوسرل في أعمال ديلوز وفوكو ودريدا .

وإنك لتقع على مناقشات دريدا مع آبل غضون مناقشة أزمة العقلانية الأوروبية في أحد الملتقيات حيث احتدم الجَدَل حول تأويلات هيدغر في كتابات تيار الاختلاف الفرنسي بالموازاة مع تأويله داخل الأفق الفيلولوجي الألماني ، فتجد ، جلياً ، أثر النازية على هجرة أفكار هيدغر إلى فرنسا ، وتوجس الأجيال الفلسفية الألمانية الجديدة من هيدغر[٥٩] . ولا نخاله يغرب عن بال المطّلع على تواريخ الفكر ما بين النقد الجديد والبرجماتية (النفعية) من اتصال وتوافق ، وكلاهما ربيب لمعطيات الثقافة الأمريكية . وكلاهما مما يتغنى مصطفى ناصف بمحامده ، بل إن الظاهراتية التي يحتفي بها تتصل بالأفق الذي تذهب إليه هذه المعطيات أوثق اتصال . لك أن تتابع حلقات الدور والتسلسل بين ملامح فكر هوسرل وأفكار المحيطات الفلسفية في الضفة الأخرى من الأطلسي بالنظر إلى الاستقصاءات التي قدمها ت . ل . س . سبيريدج في دورة المجمع الفلسفي بجامعة سيتي بنيويورك المنعقدة عام ١٩٧٦ احتفالاً بمرور مائتي عام على تاريخ الفلسفة في أمريكا[٦٠] . إن طروحات ناصف حول «التجربة» و«الخبرة» و«الحرية» و«المعنى» و«الاستعمال» كما نعثر عليها في ديدنه وهجيراه وهلة النظر

---

(٥٨) الشيخ ، محمد : المثقف والسلطة : دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ .

(٥٩) حول المناقشة المشار إليها انظر :

- صالح ، هاشم : ما بعد البنيوية ، أزمة العقل والعقلانية الأوروبية : مواجهة صاخبة بين الفكر الفرنسي والفكر الألماني . ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع٤٠ ، يوليو-اغسطس ١٩٨٦ ، ص١٢١-١٢٦ .

(٦٠) سبيريدج ت ل . س . : الصور المميزة في الفلسفة الأمريكية . ضمن تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال ٢٠٠ عام . اعداد : بيتر كاز ، ترجمة : حسين نصار ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت . ص ٤٠٦-٤٠٧ .

النقدي توقع في روع القاريء ما يبعث على الظن بتصاديات عميقة مع التماعات هذه المفاهيم داخل مساق الفكر الأنجلوأمريكي في صيغه الجيمسية والديوية على الأخص . هذا مع ان مصطفى ناصف لا يحيل ، عادة ، على مصادر تتصل بطروح هؤلاء ، وقصاراه أن يستكفي بريتشاردز وأضرابه من النقاد الجدد . فهل من البعيد أن نرد مثل هذه التصاديات إلى طوابع عامة تسم مناظير الوسط الثقافي الأمريكي بمزاجه الإجرائي الخاص وطرائقه الذرائعية العامة؟(٦١) .

ومعقد المجاذبة بين التفكيك ومذهب الذرائع إنما يكمن في الموقف ازاء التلبث عند لحظة غلق التأويل والاطمئنان إلى معنى أخير . وبينما يذهب أصحاب التفكيك إلى رعاية جانب التحول والأيلولة المستمرة دواليك دواليك . فإن من تلفع بمقالة الذرائعيين يسارع إلى الدفاع عن حق الاستعمال . وهو عنده يقتضي التواطؤ على سنن يحد ويضبط وظائف التواصل اللغوي وما ينبثق عنها من موجبات الإفهام والتفسير والتمييز مما يحتاجه البشر في ضرورات معاشهم . إن التفكيك تضاعيف مستمرة ومتماحية من حالة الصيرورة تهاب الوناء والتحقق ، وهو لذلك يتحرز من كل فصل للكينونة عن وجودها في العالم وكل اختلاف يدل على تمايز بين الهويات . إن الناقد الجديد ذا الميول الذرائعية هو فاحص يقف عند المعاني المتعددة رابطاً كل معنى منها بثمرته الاستعمالية في ضوء من التقليد التفسيري القار متأدياً إلى اظهار الأوفق والأقيم من خلال خبرة تندهش وتتعاطف وتجرب راعية في كل ذلك مسئوليتها الأخلاقية والحضارية بالمعنى الواسع .

ولعلك تلاحظ في خطاب النقد التفكيكي ، وما اندرج في آفاقه ، ميلاً إلى كلمات مفتاحية من مثل البَنْيَنَة والأثر والاختلاف والتكرار ومدارها كلها على انكار الإغلاق ومراوغة الحدود الضابطة . ثم انك تطالع في نقودات الذرائعيين ومن في حكمهم ، فتجد الإلحاح على تلازم : التعدد والتنظيم ، والتنوع

---

(٦١) للاستزادة :

- بيري ، لويس : تاريخ الحياة الثقافية في أمريكا . ترجمة : أحمد العناني ، مركز الكتب الأردني ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٩٨-٣٤٠ .

والسيطرة، والممارسة والغاية والمكابدة والوصول وهكذا.

ولعل مصطفى ناصف إنما يقترب من التفكيك بقدر ما يلطف من ادعاءاته (ادعاءات التفكيك) ويتعامل معها بوصفها مبالغة مجازية للمناداة بتعدد المعنى واتساع آفاق التأويل، والاحتدام عنده يبدأ في اللحظة التي يشعر غضونها بأن التفكيك يتعسف ويحمل مقولاته على محمل الحقيقة والجدّ.!

لقد تصارعت في رؤى مصطفى ناصف لدرس دريدا التفكيكي قوتان: قوة جذب، وقوة طرد، تعاورتا النظر إلى الاستراتيجيات والأبعاد المفتاحية التقويضية، وان كانت الهزيمة للقوة التي انتصرت للتفكيك لا عليه في نهاية الأمر.

إن المسار الذي اتخذه ناصف في قراءته الإجمالية للتفكيك يشي بأن آراءه المتقدمة حول هذا الاتجاه لا تسلم، على عمقها وجمعها من عاطفة مشحونة تصدر، أغلب الظن، عن مقلة وامقة، وكبد تتفرى لما ترى من حال الواقع الثقافي والفكري في بلادنا العربية. فلقد مدح فزاد في النقد الجديد، ومال فأفرط على البنيوية والتفكيك، ومن شواهد عاطفته المشبوبة أنك تراه في كتبه ومؤلفاته تنشرح نفسه عند ذكر ريتشاردز وربائبه، وينبسط لسانه بالثناء عليهم، والاسترواح لتقصي شواردهم. وآثاره طافحة بذلك جداً، فإذا أتى على ذكر البنيوية والسميولوجيا والتفكيك وسمهم ميسم سوء جملة واحدة، وتزايد في النكير عليهم، والتبخيس من بضاعتهم، والذي نعتقده أنهم خصماؤه عند من يتحرى بغي الخلطاء بعضهم على بعض، فلا النقد الجديد سلم من المعارض ولا التفكيك جمع المثالب دون المناهج الأخرى، وإنما الأمر مداولة ونطاح وحجج يقرع بعضها بعضاً كلما جال الفكر أو تحركت سانحة النظر.

٢- التفكيك بوصفه انعكاساً شائهاً (قراءة عبدالعزيز حمودة)

يندرج عبدالعزيز حمودة ضمن النقاد المصريين الذين يمثلون جيلاً تالياً من المتأثرين باتجاهات النقد الجديد يعقب جيل التكوين الأول في الأربعينات (مصطفى ناصف وشكري عياد على الأخص). إنه جيل تَشكّل في أجواء المعارك الأدبية والنقدية حول فكرتي «الفن للفن» أو «الفن للحياة» والتي

خاصها باسم التيار الأول رشاد رشدي وباسم التيار الثاني محمد مندور . ولقد كان لتشكُّل هذا الجيل تحت عباءة رشدي من ناحية ، وفي أقسام اللغة الإنجليزية من ناحية أخرى أثر ملحوظ في تغاير رؤاهم عن رؤى من سبق ، حتى وإن استنجد كلا الفريقين بأفكار النقد الجديد . لقد عرشت أفكار النقد الجديد في الحالة الأسبق على أرضيةٍ من طروحات العقاد وطه حسين وأمين الخولي وأساتذة المرحلة الباكرة من عمر الجامعة المصرية . أما الجيل التالي (وأبرز ممثليه اليوم : محمد عناني وعبدالعزيز حمودة وسمير سرحان وماهر شفيق فريد وفايز اسكندر[٦٢] ، فقد بدا مفكوك الصلة بالأرضية الأولى ، ولعل الفرص التي سنحت لممثليه بإتمام التحصيلِ العلمي في جامعات أنجلوسكسونية أو أنجلوأمريكية قد فعلت فعلها فعلاً في توسيع هامش المغايرة واختلاف أوجه الاستثمار في الدرس النقدي الذي تحقق عن طريق النقاد الجدد . وهكذا سنلمح في مواجهة عبدالعزيز حمودة للتفكيك بالنقد الجديد هواجس وإجراءات وتبئيرات لا تتطابق مع ما يناظرها عند مصطفى ناصف مثلاً .

إن حمودة الذي يتخذ على عاتقه دراسة التجليات العربية للاستثمار في البنيوية والتفكيك داخل الحقل النقدي يُقبل على مهمته بعدَّة أكثر تنوعاً واتساعاً بالمضاهاة مع عناصر الزوّادة المرجعية التي يلجأ إليها مصطفى ناصف . فهو يُدجِّج قراءته للتفكيك بمرجعيات أنجلوفونية متعددة بدءاً من كلاسيكيات النقد الجديد الممثلة في كتابات لريتشاردز وكلينث بروكس مروراً ببعض أعمال دريدا المترجمة إلى الإنجليزية وصولاً إلى الدراسات المتعددة التي قدمها نقاد

---

(٦٢) انظر :

حول دخول مدرسة النقد الجديد إلى مصر ، ملخص رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث جمال التلاوي لجامعة المنيا تحت عنوان : «تأثير مدرسة النقد الجديد الأنجلو أمريكية على النقد العربي المعاصر في مصر ، وقد تم نشر هذا الملخص في : جريدة الرياض ، السعودية ، س٣٠ ، ع٩١٧٣ ، الخميس ٥ أغسطس ١٩٩٣ ، ص٢٨ تحت عنوان : في دراسة جامعية جديدة جمال التلاوي يكشف تأثير مدرسة النقد الجديد الأنجلو أمريكية على النقد العربي المعاصر في مصر .

مدرسة ييل ، حاملة لواء التفكيك في الولايات المتحدة ، هذا فضلاً عن بعض أعمال الشراح الرائجة حول التفكيك(٦٣) . غير أن من أهم ما يلفت النظر في

---

(٦٣) من أهم ما يحيل عليه حمودة من بين أعمال ريتشاردز ما يلي :

- Richards, I.A. : The Philosophy of Rhetoric. New York, 1965.
- Richards, I.A. : Practical Criticism: A Study of Literary Judgment. Harcourt, Brace. 1952.
- Richards, I.A. : How to read a page: a course in effective reading. Norton, 1942.
- Richards, I.A. : Principles of Literary Criticism. Harvest Harcourt, New York, 1925.

ومن أعمال كلينث بروكس يحيل على :

- Brooks, Cleanth: The New Criticism. Sewanee Review, No 87, 1979, P. 604.
- Brooks, Cleanth: The Well Wrought Urm. Harvest Harcourt, New York, 1975.

أما آثار دريدا فيتداول عبدالعزيز حمودة منها ما يلي :

- Derrida, Jacques : Speech and phenomena, And Other Essays on Husserl's Theory of Signs. Trans: David B. Allison, Northwestern up, Evanston, 1973.
- Derrida, Jacques : "Interview" qtd. In : Leitch, Vincent: Deconstructive Criticism : An Advanced Introduction. Hutchinson & Co., London, 1983.
- Derrida, Jacques : De La grammatologie. Minuit, Paris, 1967.
- Derrida, Jacques : Glas, Galilee, Paris, 1974.
- Derrida, Jacques : "Living on: Border Lines". in Bloom, Harold, et. al: Deconstruction and Criticism. Seabury Press, New York, 1979.
- Derrida, Jacques : Positions. Minuit, Paris, 1972. (English trans.).
- Derrida, Jacques : Margins of Philosophy. Trans. Alan Bass, The Harvester Press, London, 1982.

كما يرجع إلى مؤلفات عديدة للتفكيكيين الأمريكان ومن بينهم : هيلز ميلر وجيفري هارتمان وهارولد بلوم وستانلي فيش وبول دي مان . بالإضافة إلى كتابات الشرح التي قدمها أمثال فينسنت ليتش وجوناثان كلر وكريستوفر نوريس .

مقاربة حمودة للتفكيك وللاستثمارات العربية الدائرة في هذا المدار المكانة التي يُسديها للمرجعيات التي تميل إلى إعادة إنتاج التفكيك بوصفه رافداً من روافد الأصول التي قعّدها أصحاب النقد الجديد، وفي هذا الإطار تتكرر الإحالات إلى عمل بول بوف حول بعض التحويلات التفكيكية للنقد الجديد(٦٤). وإلى كتاب آرت بيرمان «من النقد الجديد إلى التفكيك»(٦٥).

إن هذه الزوّادة النظرية، مضافاً إليها اعتمادات متواترة على بعض أشهر النصوص التي نظرت إلى التفكيك من موقع الضدية الحدية، مثل آثار إبرامز وجون إليس(٦٦) كافية لإنبائنا بإشارات أولى حول المسار الذي يمكن أن نخمّن أن معالجات عبدالعزيز حمودة ستسلكه. والحق أن عبدالعزيز حمودة لن يُخيِّب توقعاتنا، للأسف، فهو يعزز مثل هذا الشعور منذ البداية حين يقول في المقدمة التي تؤسّس لمدخله: «لقد انطلق التفكيك كالثور الهائج في حانوت العاديات يحطم كل غالٍ وثمين أو مقدس.... خلاصة الأمر، أن البنيوية والتفكيك انطلقا من رفضٍ مشترك للمذاهب النقدية المعاصرة والسابقة نحو هدف واحد - على رغم اختلاف الوسائل التي اختارها كل منهما - وهو تحقيق المعنى، وانتهيا

---

(٦٤) Bove, Paul A. : "Variations on Authority: Some Deconstructive Transformations of the New Criticism". In: Arac, Jonathan, et. al: The Yale Critics: Deconstruction in America, U of Minnesota P., Minneapolis, 1983.

(٦٥) Berman, Art: From the New Criticism to Deconstruction. U of ILLinois P. Urbana, 1988.

(٦٦) انظر:

- Abrams, M. H. : "The Deconstructive Angels": Critical Inquiry, No. 3, 1977, P.P. 425 - 438.

وكذلك:

- Ellis, John M.: Against Deconstruction. Princeton UP, Princeton, 1989.

ورغم أن عبدالعزيز حمودة ينقد بعض آراء هذه الآثار، إلا أنه يتعضد بها في المجمل العام لطرحه.

إلى نفس المحطة النهائية . فالبنيويون فشلوا في تحقيق المعنى والتفكيكيون نجحوا في تحقيق اللامعنى . لقد رفضوا كل شيء ولم يقدموا بديلاً أو بدائل مقنعة . وعلى رغم ذلك ، فلم يتوقف ضجيجهم ، وهم واقفون أمام مراياهم المحدبة ، فهم يتحدثون وكأنهم المخلِّصون الجدد لحركة النقد المعاصر»(٦٧) .

غني عن البيان أن مثل المنافحة السابقة تحمل في داخلها بذور مسبِّقاتها : التفكيك خطر ماحق ينطلق من رفض المذاهب النقدية السابقة عليه (وبضمنها النقد الجديد بالطبع) ، لكنه لا يستطيع أن يقدم بديلاً مقنعاً للاجتهادات التي يرفضها . إن كل ما يفعله هو ضجيج رافض ومخدوع . هذا المتصور الذي تكشف مقاربتنا لمصطفى ناصف عن تحكمه في مواقفه من التفكيك هو نفسه الذي يحكم عبدالعزيز حمودة فيما يأخذ ويدع . يحضر التفكيك في الحالتين كمتجاذب مع النقد الجديد لرداء الهيمنة والتسيّد ، وتطفر من صور المنافحات ضده اشارات وفاء للنقد الجديد كمحضن تكوين قبل كل شيء . غاية ما هنالك أن قراءة مصطفى ناصف ، رغم محدودية الاطلاعات والإحالات المرجعية المستنجد بها ، أنفذ رؤية وأقوى عريكة . وبينما يمهر عبدالعزيز حمودة من حيث الرواية ، فإن مصطفى ناصف يسجل تفوقه من حيث الدراية .

إن هذه لمحة أولى ، وهي تتأدى بنا إلى مزيد من اللمحات ، فعبدالعزيز حمودة الذي يكتب بأسلوب فيه من الإعادة والتكرار الشيء الكثير ، لايملّ من تذكيرنا بمسلّمات متحكمة يتخذها قاعدة لمقارباته على امتداد «المرايا المحدبة» ، وهي مسلّمات ترد في البدايات والمداخل وليست نتائج ومحصلات تنتهي إليها المعالجات والتحاليل . والمؤلف ينطلق منها كحقائق دون أن يفكر أبداً في عرضها للنقاش والنقد . وفي أُس ذلك يقع الاعتقاد بأنه من شبه المتعذر نزع فكر نقدي من تربته التي ظهر فيها ، ومناخه الذي نما بداخله واستنباته في أرضية أخرى وظروف مناخية مغايرة . إن هذه الفكرة مستعادة في كتابة عبدالعزيز حمودة

---

(٦٧) حمودة ، عبدالعزيز : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك . سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١٠ .

بقوة، وبأكثر من شكل من أشكال التعبير، فهو يصف ما يعده المقولة الأساسية الموجهة لدراسته على النحو التالي: «إن التركيبة الثقافية التي تدخلت في تكوينها الدراسات والمذاهب الفلسفية الغربية منذ القرن السابع عشر حتى الآن هي التي تولد حداثة خاصة بها، وهي أيضاً تفسر ردود الفعل التي تثيرها تلك الحداثة. ثم إنها بالطبع تفسر التعديلات المختلفة التي تدخلها كل ثقافة على نسختها من الحداثة»[٦٨]، إن «كل ثقافة» المقصودة هنا محصورة في الثقافتين الأنجلوفونية والفرنكفونية كما يفهم من سياق المقارنات التي يعقدها الباحث. أي أن الحداثة (والمعنى مصروف على امتداد كتاب حمودة للبنيوية والتفكيك من وراء استخدام هذا المصطلح) هي بنت السياق الغربي المختلف جوهرياً عن الثقافة العربية التي تشهد، راهناً، محاولات من يعدهم المؤلف دعاة للبنيوية أو التفكيك. هكذا يجلّي المؤلف الموقف في موقع آخر حين يقول: «كانت تلك وقفة أطلنا معها بعض الشيء لتأكيد مقولتنا الأولى عن غربة الحداثيين العرب الذين نقلوا نتاج مدرسة فكرية ذات صبغة فلسفية واضحة، وترتبط بأزمة إنسان غربي أوصلته تركيبته الثقافية الخاصة من فكر فلسفي نشط عبر ثلاثة قرون وثورة علمية وصناعية قلبت موازين العلاقات التقليدية، إلى أزمة خاصة به فقط. وحيث إننا لا نستطيع أن نسحب أزمة الإنسان الغربي على الإنسان العربي- وله بالقطع أزمته الخاصة به - فإن الأخذ بالحداثة الغربية وتجلياتها النقدية، يعتبر نوعاً من الترف بل العبث الفكري لا تستطيع، ولم تستطع حتى الآن، أن تنقذه التبريرات المختلفة التي يسوقها النقاد الحداثيون العرب من دعاوى الأصالة واستقراء التراث[٦٩]. إن المبالغة في الإصرار على سلطان التركيبة الثقافية الأم على الأفكار النابتة بين مفاصلها ستبلغ ذروتها حين يؤكد عبدالعزيز حمودة من جديد على أن «نقطة انطلاقه الأولى» تتمثل في القول: «إن الحداثة الغربية وتجلياتها البنيوية والتفكيكية على وجه الخصوص، خرجت

---

(٦٨) حمودة، عبدالعزيز: المرايا المحدبة. مربع سابق، ص٨١.

(٦٩) حمودة: السابق، ص٨٤.

من عباءة المزاج الثقافي الغربي على مدى ثلاثة قرون أو تزيد ، ثم إن أي حداثة أخرى لابد أن ترافق ثقافتها هي وليست أي ثقافة أخرى ، وإلا فقدت مفرداتها ومصطلحاتها دلالاتها المحددة ، وأصبحت تشير إلى دلالات لا وجود لها أصلاً في الثقافة التي تزرع فيها»(٧٠) .

على أساس من هذه الزاوية التصورية النظرية التي يعاين منها عبدالعزيز حمودة كل ما يتعلق بمسارات سفر المفهوم وانتقال المصطلح وهجرة النظرية ، ستنبني دراسته ، فيما يتصل بموضوع بحثنا ، على عقيدتين : تتعلق الأولى منهما بالتفكيك ، وترتبط ثانيتهما بـ «المفككين» العرب . فأما التي هي بخصوص التفكيك فيوردها حمودة على النحو التالي : «ربما يكون التفكيك أكثر تجليات الحداثة وما بعدها تأكيداً لمقولتنا المبدئية في هذه الدراسة بصعوبة الفصل أو استحالته ، بين المذهب أو المشروع النقدي الحداثي والمزاج الثقافي الذي أفرزه ، وأن ذلك المشروع حينما ينتزع من خلفيته الثقافية ويغرس في تربة ثقافية مختلفة غريبة عليه يثير الكثير من البلبلة والفوضى . هذا إذا قدر له أن يعيش في المقام الأول»(٧١) . وأما الاعتقاد الذي يحرك المؤلف فيما يتعلق بالنظر إلى جهود المستثمرين العرب في التفكيك فيفصح عنه منذ لحظة باكرة من صفحات كتابه عبر حكم يصدم القاريء المنتظر لمعالجة لا تتسرع في اصدار الأحكام والإخلاد إلى المسلّمات . إن المؤلف بعد أن يستفتح ببعض العرض لجهود النقاد الحداثيين العرب (والمقصود : البنيويون والتفكيكيون) ، لا يتورع عن وصم الجهود كلها ، جملة واحدة ، هكذا : «إنها كلها عمليات اقتباس ونقل وترقيع وتوفيق لا ترتبط بواقع ثقافي أصيل»(٧٢) . هذه القطعية الجازمة المطمئنة ، التي تضع الجميع في جراب واحد ، منذ البداية ، ستكشف عن استراتيجيات تبريرية أيديولوجية تتخذ من مسارات الدراسة وسائل لتأكيد القناعة المحورية

---

(٧٠) حمودة : السابق ، ص٩٩ .

(٧١) حمودة : السابق ، ص١٦٤ .

(٧٢) حمودة : السابق ، ص٦٣ .

التي انطلق منها المؤلف دون بذل مؤيدات كافية ، أو تمحيص للسلامة من المعارض ، أو اتاحة للمناقشات التحليلية أن تأخذ مداها .

والى هذا الانتصار للنقد الجديد الذي يؤدي إلى تحجيم التفكيك ، وهذه المنطلقات النظرية التي يصادر عليها حمودة بخصوص امكانيات هجرة التفكيك إلى السياق العربي ، يمكن للقاريء أن يلاحظ انقياد عبدالعزيز حمودة ، في رسم مسلسله التصوري لسياقات توالد الاتجاهات النقدية ارتباطاً بمعطيات البيئة وتواريخ الأفكار ، إلى استعارة نموذج شبه جاهز كان آرت بيرمان قد قدمه في كتابه «من النقد الجديد إلى التفكيك»[(٧٣)] .

إن مجمل الاستعراض الذي يقدمه عبدالعزيز حمودة لتأكيد تأثير المذاهب الفلسفية على اللغة والأدب ، ولبيان العلاقة العضوية بين تصورات الفكر الفلسفي الغربي منذ القرن السابع عشر الميلادي من ناحية والدراسات الأدبية والنقدية من ناحية أخرى (وعلى وجه الخصوص حلقات الترابط بين النقد الجديد والتفكيك) ، إن هذا الاستعراض بأهم مشمولاته إنما يجد مرجعيته في تضاريس التتبع الذي يضع بيرمان يده عليه ، ويأتي حمودة ليسير في إثره دون ما يشي بأن معاينته قد عدّلت ، بطريقة ملحوظة ، من زاوية النظر أو منطلق الرصد . إن حمودة يجاري بيرمان في ارجاع التفكيك الأمريكي إلى أقطاب النقد الجديد لا إلى دريدا[(٧٤)] . وهو يجاريه في ملاحظة أن التركيبة الثقافية الأمريكية استقبلت الفكر النقدي القادم إليها من منطلق الميل الأمريكي للحفاظ على ذات حرة موحدة وتلقائية وشبه ديكارتية بأي ثمن[(٧٥)] . وهو يأخذ باقتراح بيرمان في قراءة تاريخ الفكر في أمريكا من منطلق المواجهة بين ثنائية

---

(٧٣) Berman, Art: From the New Criticism to Deconstruction, U of ILLinois P, Urbana, 1988.

(٧٤) انظر :

– حمودة ، عبدالعزيز : مصدر سابق ، ص٧١ .

(٧٥) المصدر السابق ، ص٧٣ .

تكنولوجيا العلم وقيم الإنسان[٧٦] . ثم هو يوافقه على الطريقة التي يفسر بها اندراج النظرية الرومانسية في النقد الجديد داخل المزاج الثقافي الأمريكي[٧٧] . وهو ، مرة أخرى ، يستدعيه لتلخيص التطورات التي حاقت بمفهوم اللغة واستخداماتها منذ القرن السادس عشر الميلادي[٧٨] . وفي عطفة أخرى يتبنى حمودة رأي بيرمان في تقييم أدوار النزعة «التجريبية» داخل سياقات الفكر الأنجلوأمريكي[٧٩] . ولا ينقضي الأمر دون الاستعانة بنظّارات بيرمان لإبصار محاولات النقد الجديد لتجسير فجوة التعارض بين الحقيقة العلمية والحقيقة الشعرية[٨٠] ، ولتلخيص الدلالة التي مثلها النقد الجديد في تاريخ الإتجاهات النقدية بوصفه نظرية جمالية متشربة بروح تجريبية واضحة[٨١] ، ولتمييز الدور المفصلي الذي لعبه نورثورب فراي كحلقة انزلاق تاريخية من النقد الجديد إلى النقد البنيوي والتفكيكي[٨٢] ، ثم لتحديد القضية الأساسية التي حكمت مسارات النقد البنيوي[٨٣] ، ولبيان الأسباب التي دعت إلى هيمنة البنيويين في الفضاء الثقافي الفرنسي وافتكاك السلطة من أسلافهم الوجوديين[٨٤] . ويمضي عبدالعزيز حمودة في الاتكاء على قراءة بيرمان واستعادة تركيب مشاهد تاريخ الفكر النقدي وفقاً لمقترحاتها حين يؤكد على افادة سوسير من تجريبية لوك[٨٥] ،

---

(٧٦) المصدر السابق ، ص٧٦-٧٧ .

(٧٧) المصدر السابق ، ص٧٩ .

(٧٨) المصدر السابق ، ص٨٩-٩٠ .

(٧٩) المصدر السابق ، ص٩٤ .

(٨٠) المصدر السابق ، ص٩٨-٩٩ .

(٨١) المصدر السابق ، ص١٣٤-١٣٥ .

(٨٢) المصدر السابق ، ص١٥٦-١٥٧ .

(٨٣) المصدر السابق ، ص١٦٠ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص١٦٢ .

(٨٥) المصدر السابق ، ص١٨٠ .

وحين يبرز النموذج اللغوي السوسيري كما يشرحه بيرمان بوصفه أساساً للمقاربة النقدية البنيوية للنصوص الأدبية[٨٦] . وهو يلوذ به مرة أخرى لاستعراض تجليات أبرز المقولات الماركسية في فكر بعض أقطاب البنيوية حول الأدب[٨٧] ، كما يستدعيه لمقابلة نموذج يمنى العيد الذي يقسم البنيوية إلى قسمين لتقديم تقسيمة أخرى تجعل البنيوية أقساماً ثلاثة[٨٨] . وفي عطفة جديدة يستضيء حمودة بتفسيرات آرت بيرمان لتحديد موقف البنيوية من الذات ومعنى الذات الفردية التي ترفضها[٨٩] . ثم يختم فصله المخصص للحديث عن البنيوية من «المرايا المحدبة» باعتماد النتيجة التقييمية التي يصل إليها بيرمان حرفياً ويقدم لاقتباسه بالقول : «ويضع «آرت بيرمان» النقاط فوق الحروف فيما يمكن اعتباره خاتمة ، لا للحديث عن موقف البنيوية من الذات ، بل للفصل الحالي بأكمله»[٩٠] . ويعود إلى بيرمان من جديد لبيان الفرق بين مفهوم البنية في البنيوية الأدبية ومفهوم البناء العضوي للنص الأدبي عند النقاد الجدد[٩١] . وتستمر هذه الحاجة الملحة إلى بيرمان لاستكمال جنبات المشهد فيستشهد به حمودة لبيان كيف تحولت تواريخ الأفكار والنقد من الحديث عن سجن العقل ، مع تجريبية القرن الميلادي الثامن عشر ، إلى الحديث عن سجن اللغة ، مع بنيوية القرن العشرين[٩٢] . ويورد المؤلف ، في معرض آخر ، عبارة لبيرمان يرى أنها تُغني عن التبسيط الذي فصَّل هو فيه لمعرفة طريقة عمل التحليل اللغوي في النص العلمي الإخباري أو النص الأدبي ، ويقول قبل

---

(٨٦) المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص١٩٢ .

(٨٨) المصدر السابق ، ص٢٠٦ .

(٨٩) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(٩٠) المصدر السابق ، ص٢١٧ .

(٩١) المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص٢٥٠ .

إيرادها : «ويوجز بيرمان كل هذا التبسيط الذي قمنا به حتى الآن في جملة واحدة أكثر تحديداً وبلاغةً»[٩٣] ثم يورد الجملة . والحاصل أن الشواهد متواترة على مبلغ الإغراء الذي يمثله آرت بيرمان على امكانيات القراءة التي يمارسها عبدالعزيز حمودة ، ونحن لم نورد شواهد أخرى كثيرة حفل بها الكتاب على امتداد صفحاته وإنما اكتفينا بالعينة التمثيلية التي سقناها آنفاً لجلاء نوع من التبني التسليمي الذي يقع فيه صاحب «المرايا المحدبة» تحت سطوة آراء مؤلف أمريكي أجنبي له شروطه وتفضيلاته التي لا يمكن فصلها عن سياقات الصراع بين طوابع الفكر اللاتيني وطوابع الفكر الأنجلو-أمريكي ، وهو صراع لا تظهر لنا صلته الواضحة بمحددات تراثنا الحضاري الأصيل الذي يدعونا المؤلف إلى الانطلاق منه في معاينة الأفكار والاتجاهات النقدية والفكرية .

مثل هذه المفارقة التي يقع فيها عبدالعزيز حمودة تبلغ منتهاها حين يلتمس مخرجاً للتوفيق بين مسلّمته التي بنى عليها كل دراسته من جهة ، وميله الجارف للانتصار للنقد الجديد من جهة ثانية . إن هذه المدرسة النقدية ، خلافاً للمسلّمة المحورية ، حققت تغلغلها الذي اخترق تأثيرات كل ما عداها كما يرى صاحب «المرايا المحدبة» . فهي ، كما يقول ، «سيطرت على الساحة النقدية الغربية لمدة ثلاثة عقود ، من الثلاثينات إلى نهاية الخمسينات على وجه التحديد ، وشغلتنا هنا في العالم العربي لمدة عقدين بعد ذلك . ولا أظن مدرسة نقدية - يواصل حمودة - استطاعت أن تثير في مصر من الجدل وأن تغذي العديد من المعارك النقدية مثلما فعلت مدرسة النقد الجديد تلك»[٩٤] .

إن فكرة تعذر انتزاع أي مشروع نقدي ، كالتفكيك أو البنيوية ، من تربته والمزاج الثقافي الذي أفرزه ثم غرسه في تربة ثقافية مختلفة غريبة عليه ، كالتربة العربية تكفّ فجأة عن العمل حينما يتعلق الأمر بتطبيق هذه المسلّمة الانطلاقية التي أكد الباحث على صدوره عنها في التحليل الأخير لمقاربته في

---

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٩٤) حمودة ، عبدالعزيز : المرجع السابق ، ص١٣٣ .

هذا الكتاب على النقد الجديد . وحين يتنبَّه المؤلف إلى أن سائلاً قد يسأل : وماذا عن النقد الجديد؟ «ألم تكن هذه نظريات نقدية استوردناها نحن في العالم العربي وعشنا على أفكارها بضعة عقود دون أن يثار نفس الاعتراض؟»(٩٥) . إن الباحث لا يجد مناصاً هنا من استحداث تفريع مصطنع يدّعي معه أن بعض الأفكار النقدية والمذاهب الفكرية ذات صبغة انسانية عامة لا ترتهن لتربة ثقافية خاصة بقدر ما تجيء نتيجة لتطور منطقي لتراث الإنسانية . وهي لذلك تنتشر دون تعارض مع المسلّمة التصورية الأساس للباحث . وبذلك يسلم للباحث قسيمان تحكّميان يضع بضمن الأول منهما ، وهو التراث الإنساني العام : النقد الجديد ، ويحشر في حدود القسم الثاني الذي هو نتاج مزاج ثقافي خاص وغير انساني الطابع : البنيوية والتفكيك .(٩٦) والمرء لا يتمالك ، والحال كذلك ، سوى أن يتساءل : أليس من موجبات النظر المتأني أن يقدم الباحث بين يدي مسلّمته الأولى بعض المناقشات التي تدعم صدقيّتها؟ ثم أن يقدم بالموازاة مع تقسيمته لتفرع الفكر النقدي أطراً وضوابط ومعايير ومحددات؟ .

عند هذا المفصل الهام ستنكشف المشكلة العميقة الأساسية في بناء مقاربة عبدالعزيز حمودة للاتجاه التفكيكي وللاستثمارات العربية فيه . وهي مشكلة تتصل بالأساس المعرفي والمرجعية المتاحة وراء هذا الجهد كله . إنه ما من شك في أن المؤلف قد قدّم جهداً ملحوظاً في المطالعة والتتبع ونشدان المظان بحيث أنجز ما أنجز في أربع سنوات كاملة من العكوف والتفرغ العلمي كما يذكر هو في غير موضع من الكتاب(٩٧) ، ولا شك ، كذلك ، في أنه قد بذل جهداً ، بقدر ما وسعته الطاقة ، في تأليف مشاهد الفكر وتركيب أجزائها وترتيب

---

(٩٥) حمودة ، عبدالعزيز : السابق ، ص١٦٤ .

(٩٦) حمودة : السابق ، ص١٦٤-١٦٥ .

(٩٧) انظر مثلاً :

- المرايا المحدبة . ص٧ .

مسلسلاتها ، وإنه استعان في هذا الصدد بمن حُسن فيه رأيه كما تقدم . إلا أن مثل هذا الدأب قد حدث في غياب «موقف يتأسس بمباديء فلسفية ورؤية عميقة» كما يقول ، محقاً ، جابر عصفور(٩٨) . فقد أسس حمودة أطروحته على نقولات واختيارات واقتباسات شكلت خطاباً سردياً متدفقاً يجهد في اقتناص المعلومة وتأليف النظير إلى النظير لتقديم رواية تبسيطية سائغة . لكنك إن أعملت فكرك في البحث عن بؤرة معرفية ونسق فلسفي متماسك ومتوافر على معقوليته المؤسسة وأسانيده النظرية وفاعليته التطبيقية لم تكد تخرج بطائل ، وما ذاك إلا لأن حمودة قد أخذ على عاتقه مهمة انتقاد منظور نقدي لا تنفصم عراه عن اشكاليات الفلسفة منذ أفلاطون مع أنه ينتمي إلى زمرة مشتغلين

---

(٩٨) لجابر عصفور رأي مثير في تقييم جهد عبدالعزيز حمودة في «المرايا المحدبة» نثبته هنا لاتصاله بالموضوع ، يقول عصفور : كنت العميد المساعد للأبحاث والشئون الثقافية في الكويت ، وجاءني د . عبدالعزيز ، وطلبت منه أن يحاضر في أي موضوع ، وليكن الحداثة ، وأعرته بعض الكتب الإنجليزية من مكتبتي ، وكانت فرصة لكي يدخل عالم الحداثة . . لكنه للأسف دخل عالمها بعقلية قديمة وتقليدية . . ومن هنا لم يحدث حوار ، وعقلية عبدالعزيز حمودة عقلية تقليدية تشبعت بنقد قديم فلم تستطع فهم الحداثة ، وفي كتابه خلط بين الحداثة كاتجاه والنظريات النقدية ، فوضع كل الأشياء في سلة واحدة ، لأن عقليته غير قادرة على فهم المدارس الجديدة ، ولأنه لم يحدث لديه تراكم معرفي ، ولم يقرأ ما يكفي من البنيوية والتفكيك ، ومن هنا ظل كلامه على السطح ، وبعد أن قرأت الكتاب خطر على بالي د . شكري عياد عندما أصدرنا عدداً من مجلة «فصول» عن مناهج النقد الأدبي ، وطلبنا من شكري عياد أن يكتب عن البنيوية «المختلف عنها» ، فكتب مقالاً من أعظم الدراسات تحت عنوان «موقف من البنيوية» وكان موقف ضد ، لكنه موقف يتأسس بمباديء فلسفية ورؤية عميقة . . وأظرف من ذلك أن كتاب «المرايا المحدبة» دخل به عبدالعزيز حمودة معركة البنيوية التي انتهت منذ مظاهرات الطلبة في فرنسا عام ١٩٦٨ ، وظهر كأنه ذهب إلى الحج والناس عائدون» . انظر :

- جابر عصفور : لا أعمل في الحكومة الإسرائيلية . حوار أجراه : إبراهيم داود ، مجلة الأهرام العربي ، القاهرة ، س٢ ، ع٦٢ ، ٣٠ مايو ١٩٩٨ ، ص٦٦-٦٩ .

بالنقد الأدبي بمعناه الحصري ، يقول عنهم : «وجدنا أنفسنا ، باختصار شديد ، بعد أن كنا نتعامل مع الشعراء والنقاد ، نقتاد عنوةً رغم إرادتنا إلى عوالم بيكون ولوك وكانط وهيوم وهوبز وبيركلي ونيتشه وهيجل وهوسيرل وجادامار ، وبقية القائمة الطويلة من الفلاسفة الذين يمثلون تاريخ الفلسفة الغربية في القرون الثلاثة الأخيرة»(٩٩) .

إن تواضع حظ محاولة عبدالعزيز حمودة من الناحية المعرفية المرجعية ينكشف من خلال النظر إلى منطلقه التصوري الذي تحكّم في موازينه ورؤاه ، ففكرة «تعذر انتزاع أي مشروع نقدي من تربته الأصلية وغرسه في تربة أخرى» هي محاولة لتأسيس قول معين في مسألة انتقال الأفكار والنظريات ، امكانياتها وشروطها ، وما يصاحبها من أعراض واشكالات . وقد عرضنا لجملة من مناظير الطرح في هذه المسألة وهلة بناء الجانب النظري من هذا البحث . غير أن عبدالعزيز حمودة يواجهنا بمقترح نظري آخر وإن كان لا يؤصل لهذا المقترح ولا يبين مؤيداته أو يدفع ما قد يكون عليه من ايرادات .

إنه مع عمومية الصيغة التي يطرحها صاحب «المرايا المحدبة» يلزم أن يقدم لنا تشقيقات للحالات التفصيلية المختلفة التي يمكن أن تعرض لأي انتقال بين سياقات الأفكار . وإذا كانت الفكرة المنطلقية لعبدالعزيز حمودة تضبط علاقة بين متغيرين هما : الفكر في سياقه الأصل والفكر في السياق المنقول إليه ، فإن الأمر لا يخلو من احتمالات هي التالية :

- الفكر في سياقه الأصل جيد * الفكر المنقول جيد
- الفكر في سياقه الأصل جيد * الفكر المنقول متهافت
- الفكر في سياقه الأصل متهافت * الفكر المنقول جيد
- الفكر في سياقه الأصل متهافت * الفكر المنقول متهافت

إن الصورة الوحيدة التي يقدمها لنا عبدالعزيز حمودة في مناقشته لانتقال التفكيك والبنيوية هي صورة تنطلق من تهافت الأصل وتهافت النقل ، ثم إنه

---

(٩٩) حمودة ، عبدالعزيز : المصدر السابق ، ص٨٩ .

يسكت عن بقية الاحتمالات . البنيوية فاشلة منذ البداية ، والتفكيك كذلك[١٠٠] ، وتجليات الأخذ بأي منهما في المجال النقدي العربي تفشل هي الأخرى ، إنه التهافت الذي يؤدي إلى التهافت . ولكن ماذا لو جاءت مناقشة أخرى وانتهت إلى أن التفكيك في سياقه الأصل لم يك فاشلاً ، هل ستفشل حينها التطبيقات والاستثمارات العربية فيه ، ضرورة وعلى كل حال؟ ولو أننا سلّمنا بأن التفكيك قد فشل في تربته الأصل ، فهل معنى ذلك أنه يمتنع لغرسه في تربة أخرى أن يؤتي الثمار على أية صورة؟

إن تواريخ انتقال الأفكار وتحويلها وهجرتها لا تسند عبدالعزيز حمودة فيما يذهب إليه ولا تقدم التعزيزات لمنطلقه التصوري في كل حال . إن تاريخ العلم ، في منظور كمنظور باشلار هو تاريخ الخطأ الضروري «ومن هنا الأهمية التي يعلقها على الأخطاء ، على الأهوال ، على الاختلالات ، وعلى كل ما يمثّل الجانب التاريخي من التاريخ الذي لا تشمله الابستمولوجيا التاريخية» كما يقول جورج كانغيلهم[١٠١] . ويرى باشلار أن «في صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات بنوع من الضرورة الوظيفية»[١٠٢] ، هنا يغدو «شكل الفكر العلمي هو أنه حقيقة فوق شبكة أخطاء»[١٠٣] ، والتاريخ يشهد أن تحويلات وهجرات عديدة للأفكار قد أعطت نجاعتها في بيئة غير التربة التي ظهرت فيها ، وأن «النص يكون حيّاً في لغة ، ميتاً في أخرى ، والأهم من ذلك ، أنه لا يبقى ، في أحيان عديدة ، حياً في اللغة التي ظهر فيها ، اللغة التي وُلد فيها وبها ، وانما في لغة أو لغات أخرى . وأشهر مثال معروف في الفلسفة هو

---

(١٠٠) حمودة : السابق ، ص١٠ .

(١٠١) كانغيلهم ، جورج : دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها . ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص١٦٦ .

(١٠٢) باشلار ، غاستون : تكوين العقل العلمي . مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية . ترجمة : خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ ، ص١٣ .

(١٠٣) كانغيلهم ، جورج : دراسات في تاريخ العلوم .... مرجع سابق ، ص١٩٢ .

مثال أرسطو الذي تكلم باليونانية ، ثم كف عن الحديث بلغته ليتكلم (تتكلم أعماله) بالسريانية فالعربية فاللاتينية فالألمانية ، وربما هو يتحدث اليوم بالإنكليزية . معروف أن الترجمات العربية الأولى للفكر اليوناني كانت عن السريانية ولم تكن قط عن اليونانية مباشرة . . . . . . وهذا الدور نفسه لعبته اللغة العربية حينما نقلت هي ، لا اليونانية ، الفكر الإغريقي ، وقد تُرجم وأُوِّل وأُعيد انتاجه ، إلى العالم اللاتيني في بدايات عصر النهضة الأوروبي»(١٠٤) .

إن هذه العقيدة المبدئية الموضوعة قبل النقد وفوق النقد والتي انطلق منها عبدالعزيز حمودة قد مثلت في كل مرحلة من مراحل قراءاته عقبة معرفية ، بالمعنى الباشلاردي ، فوّتت عليه تعميق نموذج تصوري نظري يتناول مسألة انتقال الأفكار وسفر النظريات من خلال صيغة متماسكة تقبل التطبيق على حالات متغايرة من الانتقالات والهجرات بحيث يتمخض مجهود تفرغه العلمي عن بحث تأصيلي في ظاهرة من الظواهر . بدل هذا الارتباط بظاهرة محددة وبدل السعي إلى موضعة كل متغيراتها واختبار حساسية هذه المتغيرات ، كان عبدالعزيز حمودة يجري وراء اغراء المقارنات التي لا يختلف عليها ، ملتمساً تعضيداً من هنا واقتباساً من هناك ، ناقلاً مجساته المتحمسة من موضوع إلى آخر ، من غير منهج تقريباً ، وفي هذا كما يلاحظ غاستون باشلار يكمن الفرق بين الفكر العلمي والفكر ما قبل العلمي(١٠٥) .

إن أحكاماً متسرعة على الاستثمارات العربية في التفكيك أو غيره ، وأوصافاً لآليات النقل والإدماج بأنها من قبيل : الترقيع والترف والعبث الفكري . . . الخ ، لهي ممارسة بادية الخفة ولا تكاد تفصح عن جديد . خاصة وأنها لا تقدم لنا تحديداً دقيقاً لما هو ليس بعبث أو نسخ أو ترديد غير فطن لأفكار محدودة الفاعلية ببيئة دون أخرى . كما أنها لا تتبين المسافة الفاصلة بين التأثر

---

(١٠٤) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة (إلى العربية خصوصاً) ، في بعض مسائلها المتصلة بالمنهج والدلالات . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٤١٩ ، الثلاثاء ٢٤ مايو ١٩٩٤ ، ص١٧ .

(١٠٥) باشلار ، غاستون : تكوين العقل العلمي . مرجع سابق ، ص٢٧ .

غير المحمود بالآخر والانطلاق من بعض جوانب فكر الآخر لصياغة اشكالية جديدة. ونرانا عند هذه النقطة على اتفاق كامل مع محمد وقيدي الذي يلاحظ «أن فكرة التأثر بفكر آخر تؤخذ في الغالب بمعنى سلبي يطابق دائماً بين المفاهيم في مجالها الأصلي وبينها عندما تنتقل إلى فكر آخر. والواقع هو أن المفاهيم تتحرك دائماً ضمن اشكالية ما وإن من ينقلها قد يدمجها ضمن اشكالية جديدة»(١٠٦). ولعل من الأحرى افتراض أن بعض من أقدموا على هذه الاستثمارات على الأقل، لم يكونوا في وارد الغياب التام عن شروط وامكانات الإدماج ومسارات وسيناريوهات حراك المفاهيم.

٣- التفكيك بوصفه نهاية (قراءة عبدالوهاب المسيري)

تنم مجموعة من اسهامات عبدالوهاب المسيري عن اهتمام متواتر بالنقد على التفكيك وبيان المؤثرات السياقية المختلفة التي أفضت إلى ما يمكن اعتباره نزعات لضرب التماسك واشاعة النسبية المتطرفة عبر استراتيجيات من نوع ما يقترحه دريدا أو بول دي مان أو هيلز ميلر، إلا أن هذه النقودات تنتظم في اطار رؤية أشمل يروم بها صاحبها أن يسهم في تقديم نظرية حاكمة كبرى grand theory تعاين «الكون والأمور المعرفية الكلية والنهائية» من منطلق الخصوصية الحضارية والمعرفية العربية والإسلامية. وهي مهمة يحسبها المسيري ضرورية ولازمة لأن من لم يطور نظريته الكبرى سيقع فريسة للنظرية الكبرى للآخر وضحية لإمبريالية مقولاته(١٠٧). والحق أن المسيري يعدل من زاوية المنظور قليلاً

(١٠٦) وقيدي، محمد: بناء النظرية الفلسفية: دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة. دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٠٠.

(١٠٧) أنظر:

المسيري، عبدالوهاب: اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية. دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص٣٠٣. وانظر كذلك:

- المسيري، عبدالوهاب: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ. دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧، ص١٧.

حين ينبّه إلى أنه يقدم على محاولة وحسب ، وإن مثل هذا الجهد لا يمكن أن يصل إلى يقين مطلق أو تفسير نهائي «فنظريتنا لن تكون نظرية شاملة كاملة (جراند ثِيْري) وإنما «ريلاتيفتي جراند ثِيْري relatively grand theory» ، أي «نظرية كبرى وشاملة إلى حدٍّ ما» أو داخل حدود ما هو ممكن انسانياً»(١٠٨) . إن مثل هذه الانطلاقة التي يؤسسها عبدالوهاب المسيري تقتضي منا أن نتناول قراءته للتفكيك من خلال الانفتاح على علاقة هذه القراءة بالمشروع الأوسع الذي يصدر عنه ويمد في أرجائه .

تتمثل الصورة التي يعاين القاريء من خلالها جهد المسيري اليوم في هيئة رؤية نظرية نقدية للحضارة الغربية تنطلق من تأملات حول الإنسان ، والمركز ، والمعيار الأخلاقي ، ومعايير المادة ، وامكانية التجربة المتجاوزة ، وطبيعة المنظومات التفسيرية ، وعلاقات العلم والمعرفة والقيمة . وقد يكون من اللافت ، حقاً ، أن البلورة التي أنجزها المسيري لهذه الأفكار ، طوال ثلاثين عاماً أو يزيد ، قد جاءت في إثر تحول دراماتيكي من النقيض إلى النقيض تماماً ، أو بما يسميه هو نفسه بـ «الانبهار» بالحضارة الغربية إلى الرؤية النقدية الشاملة والجذرية كما تتضح في كتاباته(١٠٩) .

يفيد عبدالوهاب المسيري ، في انعطافاته التي أعقبت تحولاته الحاسمة ، من

---

(١٠٨) المسيري ، عبدالوهاب : اليد الخفية .... ص٣٠٣ .

(١٠٩) يروي المسيري جانباً مما يسلط الإضاءة على هذه التحولات حين يقول في أحد الحوارات الصحفية : «بداية لا بد أن أعترف بأنني بُهرت بالحضارة الأمريكية أثناء وجودي هناك .. وظللت لفترة من الوقت أنظر حولي وأستوعب وجودي هناك والواقع الذي أنا فيه بافتتان شديد .. ولكن مع عام ١٩٦٥ بدأت أتكشف وحشية هذه الحضارة .. ووجدت كل القيم الديمقراطية الأمريكية تتحطم وتتراجع أمام الصخرة الإسرائيلية فبدأت الشكوك تنمو داخلي .. ولا سيما أنني لا أقنع بالمعرفة لـ (السياسي) بل أتجاوزه إلى المعرفي .. أي التعامل مع القضايا الكلية والنهائية .. وهنا بدأت تطل على ذهني أسئلة حيوية مثل ما هي الصورة الإنسانية الكامنة وراء الحضارة الغربية؟» ، ارجع إلى : «الدكتور عبدالوهاب المسيري صاحب موسوعة المصطلحات الصهيونية يعترف (١)» ، حوار ==

مرجعيات الحضارة العربية ومقولات الفكر الإسلامي ، ويقيم تدخلاته النظرية على أساس أن ثمة اختلافات جوهرية بين الإنسان والطبيعة ، وأن الإنسان يحوي بداخله من التركيب ما يمكِّنه من تجاوز عالم الطبيعة والمادة . وأن هذه القدرة على التجاوز هي سبب ونتيجة ، في الوقت نفسه ، لمركزيته في الكون .

ومن الطبيعي أن تمثل مثل هذه المقدمات عوامل كافية لتأسيس مفترقات نوعية عن المنظور الحضاري الغربي الذي دشنته حقبة الأنوار وما تلاها من تحديث وعلمنة قاما على نفي تجربة التنزيه والمفارقة ما ورائية الطابع وعززا من جانب الرؤى الآخذة بأسبقية المادة على وعي الإنسان وحضارته وتوجهاته الاجتماعية والأخلاقية . يريد عبدالوهاب المسيري بذلك ، إذن ، أن يكون جزءاً مما يرى أنه «اتجاه فكري جديد في الحضارة العربية والإسلامية الحديثة بدأت تظهر معالمه في أواخر الأربعينات وبدأ في التبلور مؤخراً ، وهو الاتجاه نحو الإسهام في الحضارة البشرية من خلال الانطلاق من الخصوصية الحضارية والمعرفية ، العربية والإسلامية»(١١٠) .

وتحتكم تدخلات المسيري ، في ذلك ، إلى استخدام ما يسميه منهج دراسة الظواهر التاريخية الحضارية من خلال النماذج التفسيرية . وهو يطلق مصطلح :

= صحفي مع المسيري أجراه : محمد همام ، مجلة نصف الدنيا ، القاهرة ، س٨ ، ع٤١١ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص٨٩ ، ويقول في موضع آخر ص٩٣ : «سوف أعترف لك بما هو أكثر من ذلك حتى يفهم الجميع حقيقة التحول الذي حدث . لقد كنت صهيونياً حتى عام ١٩٦٣ نعم وكنت أطالب بنسيان الفلسطينيين ، أو البحث عن مخرج لهذه القضية كمشكلة للاجئين تسبب الارتباك في حركة المرور في شوارع العالم !! وكنت أحمل هذه الرؤية حتى قابلت فتاة يهودية وسألتني عن جنسيتي فقلت (مصري) وهي قدمت نفسها لي على أنها (يهودية) ، فأخبرتها إنني لا أسأل عن دينها ، إنني رجل علماني صهيوني ماركسي . . هكذا كنت للحقيقة . . ولكن قلت لها أسألك عن جنسيتك ، فأجابتني ثانية : أنا يهودية وأنت لا تفهم شيئاً . وفي هذا اليوم أدركت أن هناك مشكلة . وبدأت كعربي هناك أحاول تفهم الحقيقة .»

(١١٠) المسيري ، عبدالوهاب : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ . مرجع سابق ، ص١٧ .

نموذج على كل «بنية تصورية يجردها العقل البشري من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق والوقائع ، يستبعد بعضها لعدم دلالتها (من وجهة نظر صاحب النموذج) ويستبقي بعضها الآخر ، ثم يرتبها ترتيباً خاصاً وينسقها تنسيقاً خاصاً بحيث تصبح (من وجهة نظره) مترابطة ومماثلة للعلاقات الموجودة بين عناصر الواقع»(١١١) ، ويدلي المسيري بملاحظة هامة تستتبع هذا التعريف حين يقول : «ورغم أن النموذج بنية تصورية إلا أنه يمكن اختباره لاكتشاف مقدرته التفسيرية والتصنيفية . وإن تمكن النموذج من تفسير أكبر قدر من جوانب الظاهرة فهو أكثر تفسيرية وإن لم يتمكن من ذلك فهو من ثم أقل تفسيرية»»(١١٢) . وهكذا يحتفظ المسيري ، من الناحية النظرية على الأقل ، لنماذجه التفسيرية بهامش من النسبية والقدرة على المراوحة بين درجات المعيارية الصلبة والمرنة .

إن حساسية المسيري المرهفة في الالتقاط وتأليف الوقائع والتفاصيل ضمن سياقات جامعة وأنماط مستوعِبة ثم التجريد والتحليل والتركيب من ذلك كله لَهي مما يستطيع المتتبع أن يلحظه ، لأول وهلة ، في أغلب الظن . وهو ، اضافةً إلى ذلك ، يعرب عن مهارة في بناء المتصورات واشتمال الجزئيات ضمن «نماذج» وانتظامات متماسكة ، ولعله من خلال هذه الميزة يستطيع أن يبني مجده الخاص وقوة تدخلاته في العطاء الفكري ، إلا أنه ، رغم ذلك ، وعبر الدِربة الممعنة في اصطناع هذه النماذج تتعرض مساهمات عبدالوهاب المسيري لخطر التقوض والانكشاف واهتزاز رسوخ الأسس لأنها تنتهي إلى خلاف ما تطمح إليه وترنو إلى تحقيقه ، كما سنرى لاحقاً ، والحذر يؤتى من مأمنه كما تدل المفارقة الشاخصة عادة .

يقرأ عبدالوهاب المسيري المشروع الحضاري الغربي بوصفه نموذجاً يأخذ شكل متتالية تتحقق في الزمان ، تأخذ شكل حلقات تتبع الواحدة الأخرى ،

---

(١١١) المسيري ، عبدالوهاب : اليد الخفية . مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(١١٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

ويمكن تلخيصها فيما يلي : نقطة بداية يواجه فيها الإنسان الكون دون وسائط معلناً أنه سيد الكون ومركزه وأنه مرجعية ذاته ، تتحول هذه المركزية من الذات الإنسانية العامة إلى الذات الفردية الإمبريالية ، وحينما يستمد هذا الإنسان الإمبريالي معياريته من ذاته الإمبريالية التي تستبعد الآخرين يصبح إنساناً عنصرياً وتظهر ثنائية صلبة هي ثنائية الأنا والآخر . وبعد المراحل السابقة ، التي تتميز بالتمركز حول الذات ، يكتشف الإنسان تدريجياً أن الطبيعة/المادة هي الأخرى مرجعية ذاتها فتظهر إثنينية وازدواجية صلبة أخرى ، ازدواجية الإنسان المتمركز حول ذاته الذي يشغل مركز الكون مقابل الطبيعة المكتفية بذاتها التي تشغل مركز الكون ، وتنحل هذه الازدواجية الصلبة إذ تصبح الطبيعة/ المادة وحدها هي المركز ، فيبدأ الجوهر الإنساني في الغياب ، ويظهر الإنسان الطبيعي المادي ، أي أنه يتم تفكيك الإنساني ويتم رده إلى الطبيعي . وهكذا تقوَّض مقولة الإنسان وننتقل من عالم يتسم بالثنائية والصراع ، مركزه الإنسان أو الطبيعة ، إلى عالم واحدي مركزه الطبيعة وحسب . ومما يجدر ملاحظته أن هذا العالم - رغم لا انسانيته - عالم له مركز . ولذا فهو يتسم بما يسميه المسيري «الواحدية الصلبة» . وفي المرحلة الأخيرة يسقط كل شيء في قبضة الصيرورة الكاملة ويغيب اليقين ويصبح الاختلاف هو نقطة الثبات الوحيدة ، وتتعدد المراكز ، وتسود النسبية ، ويفضي بنا كل هذا إلى عالم مفكك لا مركز له ، ولا سلطة للثنائيات فيه ، وتصبح كلمة«انسان» دالاً بلا مدلول أو دالاً متعدد المدلولات ، لأن الدوال تنفصل عن المدلولات ويجري تهويم المرجع(١١٣) .

إن هذا النموذج هو ما يدأب المسيري على تتبعه في تاريخ الفكر الغربي الحديث منذ النزعة الإنسانية والتنوير مروراً بلحظات نيتشه وداروين وانتهاءً إلى اللحظة الراهنة حيث «ينحل العالم الثنائي الصلب والعالم الواحدي الصلب

---

(١١٣) تم استقاء هذه الصورة العامة ، ملخصة وموجزة ، من :

- المسيري ، عبدالوهاب : ما بين حركة تحرير المرأة وحركة التمركز حول الأنثى : رؤية معرفية . مجلة القاهرة ، القاهرة ، ع مزدوج ١٧٨-١٧٩ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٧ ، ص٥٤-٦٧ .

إلى عالم لا مركز له ، في حالة سيولة شاملة ، فيحل دريدا محل نيتشه ، ويحل مادونا ومايكل جاكسون محل طرزان ودراكيولا»[١١٤] . ومع أن هذا التصور ليس بجديد في مجمله ، وقد طرحت خطوطه العريضة في جهود غير واحد من مؤرخي الفكر ومتتبعي أنظمة المعرفة إلا أن ما يسترعي الانتباه هنا هو أن عبدالوهاب المسيري يفرد للتفكيك فيه مكانة خاصة حين يفترض أن النموذج يصل إلى تحققه الكامل أو شبه الكامل في آخر السلسلة ، والتفكيك هنا هو آخر السلسلة . مما يعني أن هذه اللحظة ترتقي إلى رتبة «لحظة نماذجية نادرة» تُعَيِّن النموذج وتبلوره وقد تعبر عن جوهره أكثر من اللحظات أو الحلقات الأخرى العادية .[١١٥]

في مطلع إحدى تناولاته للتفكيك يقترح المسيري ترجمة جديدة للمصطلح الأساس Deconstruction لأن الترجمة الشائعة إلى تفكيك أو تفكيكية ترجمة مباشرة ومعجمية ولا تنقل مضمون الكلمة الأجنبية . وجديد المسيري المقترح هو «إنزلاقية» وإن أشار إلى أنه يتجوز في استخدام الترجمة الأولى لأنها شاعت[١١٦] . إن عبدالوهاب المسيري يضيف بذلك اجتهاداً آخر إلى مجمل المحاولات العربية لترجمة الكلمة المفتاحية الأولى فيما عقدنا هذه المباحث عليه ، إلا أن ما نريد التلبث عنده في الفسحة الحاضرة هو الموقع الذي يسديه المسيري للتفكيك والتبعات التي تنجر عن مثل هذه الموقَعة .

يربط الكاتب بين ما بعد الحداثة والتفكيك بعلاقة ترادف وتلازم تجعل «كلمة تفكيك تأتي مترادفة مع مصطلح ما بعد الحداثة . ففكر ما بعد الحداثة فكر تقويضي معاد للعقلانية وللكليات ، سواء كانت دينية أم

---

(١١٤) المسيري ، عبدالوهاب : المصدر السابق ، ص٥٦ .

(١١٥) المسيري ، عبدالوهاب : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ . مرجع سابق ، ص١٣٢ .

(١١٦) المسيري ، عبدالوهاب : جماليات ما بعد الحداثة (١) : المنظومات الجمالية في عصر التحديث والحداثة . جريدة الحياة (ملحق آفاق) ، لندن ، ع١٢٠٧٦ ، ١٨ مارس ١٩٩٦ ، ص١١ .

مـادية»[١١٧] . والقسـمـة بينهـمـا هي كـالقسـمـة بين النظرية والتطبيق عنده ؛ «الرؤية الفلسفية هي «ما بعد الحداثة» ، أما «التفكيكية» فهي منهجها في تفكيك النصوص واظهار التناقض الأساسي الكامن فيها» ، وإذا كان المسيري يورد تقسيماً آخر ، في صيغة التمريض ، للقسمة بين النظرية والتطبيق حين يقول «وقيل إن الغراماتولوجي هو «علم الكتابة» ، وذلك باعتبار أن الكتابة كتابة أصلية أو أولية ، أما التفكيكية فهي الشكل الذي تأخذه عندما تتوجه إلى نصوص بعينها»[١١٨] ، فإن الشاهد في كتاباته هو أنه يأخذ بالرأي الأول ويتجوز في استخدام المصطلحات فيرد الحديث عن التفكيك في معرض قصد ما بعد الحداثة وعن ما بعد الحداثة في معرض ارادة التفكيك . والعمدة في الفهم عنه إنما توكل إلى جهد القاريء وحركة استنباطه في غضون السياقات .

باديء ذي بدء سنبدي بعض التحفظ على هذا التصور الذي يجعل من التفكيك وما بعد الحداثة وجهان لعملة واحدة . وقد يكون بوسعنا هنا أن نلفت إلى ملاحظة مارجريت روز حول الاحتراس الذي يظهره دريدا دون استخدام مصطلح ما بعد الحداثة[١١٩] ، وإلى التساؤل ذي المغزى الذي يطرحه كريستوفر نوريس : لماذا يرفض دريدا وصف فلسفته التفكيكية بأنها حديثة أو بعد حديثة؟[١٢٠] . وفي الجملة أيضاً إلى التمييزات التي تقيمها مارجريت روز بين

---

(١١٧) المسيري ، عبدالوهاب : جماليات ما بعد الحداثة (١) . . مرجع سابق ، ص١١ .

(١١٨) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها ، مع ملاحظة أن عدم عزو الرأي الأخير إلى صاحبه يندغم في اطار خصيصة ملحوظة في مقاربات المسيري تتمثل في عدم العبء بالتوثيق والإحالة إلى المظان وإرسال القول على عواهنه في كثير من كتاباته ومساهماته .

(١١٩) انظر :

- روز ، مارجريت : ما بعد الحداثة . ترجمة : أحمدالشامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٥٤ .

(١٢٠) روز ، مارجريت : المصدر السابق ، ص٤١٢ ، وهي تحيل إلى :

- Derrida, Jacques: in Discussion with Christopher Norris in Architectural Design, Vol. 58, no. 1-2 (1989); Profile 77, Deconstruction II, pp. 6-11.

تيارات ما بعد الحداثة التفكيكية من ناحية والأشكال الأخرى للتنظير أو التحليل التفكيكي من ناحية أخرى(١٢١) . إن العلاقة بين ما بعد الحداثة والتفكيك ، كما هو أقرب إلى التصور من حصيلة ما تقدم ، أدنى ما تكون إلى علاقة الكل بالجزء ، وابدال مصطلح من الآخر في هذه الحالة هو من قبيل بدل الاشتمال أو البعض من الكل ، أي أن التفكيك هو بعض ما تنطوي عليه ما بعد الحداثة ، لا أن هناك مطابقة يتساوى فيها البدل من المبدل منه مساواة تامة .

ومع استشعارنا للحساسية المفاهيمية التي تحول دون أن تتحدد مثل هذه الطائفة من المفاهيم التي ينضوي ما بعد الحداثة والتفكيك بضمنها ، ودون أن يجري تقييدها واغلاقها نظراً لأنها مفاهيم لم تعرف بعد الاستقرار الدلالي ولا يوجد اجماع واضح بين الباحثين حول معانيها كما يلاحظ إيهاب حسن الذي يدعو إلى نوع من الاكتفاء بالإيحاء بنطاق افتراضاتها وتخطيط حقول ائتلاف قيمها ولوائح اجراءاتها مع الإقرار باحتواء كل مصطلح منها على عدوه الداخلي في ذاته(١٢٢) ، أقول مع مثل هذا الاستشعار والاحتراز إلا أن توظيفات عربية عدة ، منها ما نحن بصدده الوهلة ، توحي بصدورها عن خلط وفضفضة وتجوز أكثر مما تعطي الانطباع بانطلاقة من روح المنظور المعرفي الذي ينتخبه إيهاب

---

(١٢١) روز ، مارجريت : ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ، ص٥٤-٥٥ . وهي تورد في موضع آخر نقداً على M. J. Dear قائلة : «لا يميز دير تمييزاً كافياً بين التفكيك وما بعد التفكيك وما بعد الحداثة ، أو الاتجاهات التفكيكية المختلفة داخل تيار ما بعد الحداثة ، والنقد التفكيكي لعمارة ما بعد الحداثة .» ص٢٥٢ .

(١٢٢) حسن ، إيهاب : نحو مفهوم لـ «ما بعد الحداثة» . مجلة الكرمل ، رام الله ، ع ٥١ ، ربيع ١٩٩٧ ، ص١٣-١٥ .

حسن في ملاحظاته السالفة(١٢٣) .

ومهما يكن من أمر فإن مناقشة قراءة المسيري للتفكيك تحتاج إلى قدر من الإحاطة بأسلوبه الخاص وطوابعه الشخصية في التطرق إلى المواضيع التي يعرض لها ، كما احتاجت إلى الانفتاح على تعالق هذه القراءة بالمشروع الأوسع الذي يصدر عنه ويمد في أرجائه قبلاً . وهنا يمكن القول إننا سنشرع في مواجهة كتابة فائضة دائماً حالما نتقصى في هذا الجانب .

إن كتابة المسيري هي من ذلك النوع العاصف المجتاح الذي يرسل زخماً من العلامات في اتجاهات متعددة دفعة واحدة . وفي مستويات هذه الكتابة وتدليلها تعثر على النكتة ، والعاطفة ، والصرامة العلمية ، والشطحة ، والاستنتاج الذكي ، والنقد اللاذع ، والمبالغة ، والاعتزاز بالذات والتأمل النافذ جنباً إلى جنب! هنا تكون أمام كتابة لا تغني الشروح الواصفة عن المعاينة المباشرة لظلالها وطرائقها التعبيرية . كتابة تقدم نفسها بوصفها ذوب روح

---

(١٢٣) ولعل مفارقة تترشح للتأمل عند مقارنة صنيع عبدالوهاب المسيري بصنيع علي الشوك الذي تعامل مع التفكيك بوصفه مرادفاً للحداثة في الكتابات النقدية العربية إلى الحد الذي جعله يستشهد بتعريفات للحداثة في كتابات أدونيس وكمال أبو ديب بوصفها تعريفات للتفكيك ، وانتهى إلى القول إن مصطلح الحداثة ، بالنسبة للحداثيين العرب هو بمثابة نظير تام لمصطلح التفكيك . انظر :

- الشوك ، علي : التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب . مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، عمان ، مج ١٦ ، ع ٣ ، مارس ١٩٨٩ ، ص٢٠٩ و٢١٣ . وانظر كذلك عبدالوهاب المسيري في ندوة منشورة بجريدة الحياة ، لندن ، ع١٢٤١٧ ، ٢٦ فبراير ١٩٩٧ ، ص٢٠ بعنوان «ندوة الحياة حول التطبيع الثقافي العربي-العربي والعلاقة مع ثقافات الجوار (٢ من ٣)» حيث يصرح : «إن أيديولوجية العولمة هي ما بعد الحداثة» خالطاً بذلك الحدود من جديد .

وعنوان مزاج وإشارة كينونة لها استبصارها البعيد كما لها عقدها الصغيرة(١٢٤) .

إن عبدالوهاب المسيري من ذلك الصنف النابه من الناس ، الذي يجمع النظير إلى النظير ويدأب في البحث والتقصي مضيفاً إلى فطنته فضيلة أخرى هي فضيلة المثابرة والمواظبة ، وهو يقدم مادة تآليفه في مساق أسلوبي أشبه ما يكون بلعبة تأليف الصور العشوائية المقطعة (puzzle) التي يقع على عاتق اللاعب فيها مهمة ملاءمة القطع الصغيرة المتناثرة وتركيب التضاريس المبعثرة من خلال تعشيق ابتكاري قادر على التخيل والتركيب . وكما ينبغي أن نضيف فإن هذا التخيل والتعويم لا يقتصر على طرائق النظم ومقومات السبك ، بل يمتد إلى طوابع الفحوى والتدليل حيث يوظف المسيري امكانيات السخرية والتفكه ، ولا يوفر منقوديه ولا يأخذه فيهم إلاً ولا ذمة دون ايقاعهم تحت طائلة اللوذعية ، بل يسلقهم بألسنة حداد تمزج الظرف بتوقد الخاطر واللدد بالتهكم الذي لا يجمجم فيتحول دريدا Derrida إلى الحاخام المنزلق red Drissa(١٢٥) . ويجري النظر إليه بوصفه عدمياً ظهر من تراث يهود المارانو الذين أظهروا الكاثوليكية وأبطنوا اليهودية(١٢٦) . أما بول دي مان فهو تلميذ هيدغر النشط

---

(١٢٤) للإحاطة بجوانب من ذلك يمكن الرجوع إلى مقالة لكاتب السطور بعنوان : عبدالوهاب المسيري في ألمعيته القابلة للأخذ والرد . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٤٦٩ ، ٢ سبتمبر ١٩٩٨ ، ص١٢ .

كما يمكن الاقتراب من ملامح شخصية المسيري وطرائق مقاربته للمسائل عبر الاطلاع على الحوار المطول معه الذي أجراه محمد همام ونشر على ثلاث حلقات بعنوان : الدكتور عبدالوهاب المسيري صاحب موسوعة المصطلحات الصهيونية يعترف . مجلة نصف الدنيا ، القاهرة ، على النحو التالي :

- ع ٤١١ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص٨٨-٩٣ .
- ع ٤١٢ ، ٤ يناير ١٩٩٨ ، ص٧٦-٧٩ .
- ع ٤١٣ ، ١١ يناير ١٩٩٨ ، ص٧٢-٧٤ .

(١٢٥) المسيري ، عبدالوهاب : انفصال الدال عن المدلول وما بعد الحداثة (٢) : تراقص الدوال . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع ٢١٨ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٧ ، ص٢٤-٢٥ .

(١٢٦) المصدر السابق ، ص٢٥ .

المخلص الذي لا يذكر حتى تذكر توجهاته النازية وميوله الصهيونية(١٢٧) . وحين ينعطف الحديث لتناول الحركات النسوية feminism التي يعدها المسيري «ذات خطاب تفكيكي يعلن حتمية الصراع بين الذكر والأنثى وضرورة وضع نهاية للتاريخ الذكوري الأبوي وبداية التجريب بلا ذاكرة تاريخية»(١٢٨) . ويربط المسيري هذه النزعات بإزاحة المركز عند ما بعد البنيوية وباطراح ذاكرة ووعي الإنسان لدى ما بعد الحداثة متحدثاً على منوال هذه المابعديات عن مرحلة ما بعد البكيني post bikini أيضاً(١٢٩) . وهو يتيح لنفسه الانطلاق من افتراضات مثيرة أو الانتهاء إلى خلاصات أقل ما يقال أنها تستحق التأمل . فالمفاهيم الكامنة في حركة التمركز حول الأنثى هي جزء من هجمة شاملة ضد قيمنا وذاكرتنا وخصوصيتنا ، وهي على علاقة بمشروع السوق الشرق أوسطية(١٣٠) . والتفكيك لغو حديث يستند إلى افتراضات مستحيلة(١٣١) . و «قد نجح النظام العالمي الجديد من خلال التفكيك في تحقيق الأهداف التي أخفق في تحقيقها النظام الإستعماري القديم من خلال المواجهة المباشرة»(١٣٢) . أما نموذج الشخصية التفكيكية فهو ليليت ، بديلة حواء في الأساطير التلمودية ، وهي الزوجة الأولى لآدم قبل حواء أو عشيقته أثناء فترة إنفصاله عن حواء ، وقد تمردت على وضعها كأنثى فرفضت أن يطأها الرجل في عملية الجماع ، ثم

---

(١٢٧) المسيري ، عبدالوهاب : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ . مرجع سابق ، ص٢٢٤ .

(١٢٨) المسيري ، عبدالوهاب : ما بين حركة تحرير المرأة وحركة التمركز حول الأنثى : رؤية معرفية . مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(١٢٩) المسيري : مرجع سابق ، ص٦٦ .

(١٣٠) المسيري : المصدر السابق ، ص٦٦ .

(١٣١) المسيري ، عبدالوهاب : جماليات ما بعد الحداثة (١) : المنظومات الجمالية في عصر التحديث والحداثة ، مرجع سابق ، ص١١ .

(١٣٢) المسيري ، عبدالوهاب : ما بين حركة تحرير المرأة وحركة التمركز حول الأنثى .... مرجع سابق ، ص٦٣ .

تمردت على الإله ، يقول المسيري : «فليليت ليست عكس حواء وحسب ، بل هي عكس الأنوثة والأمومة والحالة البشرية ذاتها ، فهي شخصية تفكيكية من الطراز الأول تنتمي إلى عالم ما بعد الحداثة الذي لا يوجد فيه لا مركز ولا معنى»(١٣٣) . وإذا رحنا نطلب نموذجاً آخر للشخصية التفكيكية عند المسيري فإنا واجدوه في شخصية الإنسان الذي يتابع سير نجوم السينما غير العطرة وزيجات الراقصات الفضائحية والذي تصبح كلاسيكياته الفنية هي أغاني شكوكو وأقوال إسماعيل ياسين(١٣٤) . هكذا تفرض لغة المسيري بما تبثه من رؤى وظلال عنفها الرمزي وأيديولوجيتها الخفية عبر فيض من الشطح والتفكه والإثارة للخيال مبتعدة عما كان أحرى بها التزامه وهلة التناول «العلمي» «الواعي» «وغير الاختزالي» الذي طالما تغنت به .

لنقترب مما يطرحه المسيري أكثر فنقول إن الثواء النظري البعيد الذي عنه يصدر هو ثواء مركّب تلتقي فيه لحظتان معاً ، اللحظة الستينية المتميزة بالانبهار والافتنان الشديدين بالحضارة الغربية وقيمها الديمقراطية على المستوى الشخصي(١٣٥) ، وهي لحظة تأسيسية بدرجة ما ، واللحظة الأخرى التي تمثلها تحولات الكاتب المتبنية لرؤية حضارية عربية اسلامية كما سبق أن أشرنا . وهي لحظة ستتمدد وتستطيل وتتعمق حتى تستوعب اللحظة السابقة في طواياها ولكن دون أن تستطيع استئصال شأفتها أو بتر جذورها تماماً . إن الأطر الاجتماعية والحضارية للمعرفة التي ستتشكل وفقها رؤية المسيري ، ابن أحد التجار الرأسماليين الذين شملتهم قرارات التأميم في مصر ١٩٦٤م ليتوفى في

(١٣٣) المسيري ، عبدالوهاب : اليد الخفية . مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

(١٣٤) المسيري ، عبدالوهاب : ما بين حركة تحرير المرأة .... مرجع سابق ، ص٦٦ .

(١٣٥) انظر الحوار الذي أجراه محمد همام مع المسيري بعنوان الدكتور عبدالوهاب المسيري صاحب موسوعة المصطلحات الصهيونية يعترف (١) ، مجلة نصف الدنيا ، القاهرة ، س ٨ ، ع٤١١ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٧ ، ص٨٩ .

العام التالي مباشرة[١٣٦] ، ستسمح له بالإبقاء على مزيج متخالط من اللحظتين طوال الوقت ، وحتى في أشد اللحظات احتداماً وهجائيةً تجاه الآخر الغربي . إن الإيمان بالغيب وتوقير الميتافيزيقيا والدفاع عن امكان المجاوزة الماورائية هي من قبيل الثوابت المحسومة في فكر عبدالوهاب المسيري ، غير أن تبني النزعة الإنسانية التي أفرزتها أفكار العقلانية والعلم والمظلة الليبرالية تبقي لقيم التنوير والديمقراطية والعلمنة النسبية مواقعها الحيوية في منظومة أفكار الكاتب رغم كل شيء .

يقدم في حدود التصور السابق عبدالوهاب المسيري إذن مشروعاً حضارياً يتحاشى اغلاقه ، إنه ينطلق من منظومة إسلامية ،لكنه قادر على اقامة جنس وئام مع مساحة مهمة من مساحات فكر الآخر نفسه . فهو بدعوته للاقتصار على الجانب الأخلاقي من الإسلام كأرضية مشتركة ، وبإقراره بأسبقية الفكر على المادة[١٣٧] لا يتمنع ، من حيث المبدأ ، على الالتقاء مع الديكارتية وتوليداتها التي تمثل ، وصولاً إلى توكفيل ، لقاءات الوداع الأخيرة مع الأسس الأخلاقية والدينية للنظام الاجتماعي والفكري في أعقاب الثورة الفرنسية بقيمها التنويرية والثورة الصناعية بتحولاتها الاقتصادية المؤذنة بالعالم التقني[١٣٨] . ولا شك أن مثل هذا المدخل ينطوي على اغرائه الخاص

---

(١٣٦) انظر :

- عبدالوهاب المسيري يواصل اعترافاته (الحلقة الأخيرة) - حوار مع المسيري أجراه محمد همام - مجلة نصف الدنيا ، القاهرة ، س ٨ ،ع٤١٣ ، ١١ يناير ١٩٩٨ ، ص٧٤ .

(١٣٧) انظر :

- المسيري ، عبدالوهاب : انفصال الدال عن المدلول وما بعد الحداثة (١) . مرجع سابق ، ص٢٤ .

(١٣٨) انظر :

تورين ، ألين : نقد الحداثة (ترجمة الفصل الثالث من كتاب نقد الحداثة الصادر باللغة الفرنسية عن Paris, Fayard ، ١٩٩٣) ، ترجمة : عقيل الشيخ حسين ، مجلة المنطلق ، بيروت ، ع١١١ ، ربيع ١٩٩٥ ، ص٢٢١ .

لـولا أنه لا ينجح في فـرض نفسـه تماماً أمـام اشكالات ملغـومـة تتلبث في مرماه .

إن ما يقدمه عبدالوهاب المسيري هو صياغة قصوى يمكن أن نسمع في أرجائها وقع اللحظة التاريخية الخاصة المنطلقة من قلب مشهد صراع حضاري هادر وصدامي . وبقدر ما يكون الإحساس بالانسحاق والإحباط كبيراً يصعب انتزاع النفس فعلاً من ردود أفعالها الصارخة وكثيرة التشويش .

ولكـن ليـس علينـا أن نمضـي فـي الاستنتاجات لما هو أبعد حول مشروع عبدالوهاب المسيري ، إلا من الزاوية التي تختص بمواقفه تجاه التفكيك والدلالة التي يمثلها في سياق انبثاقه داخل الحداثة الغربية وتحولاتها . والحق أن مثل هذه القراءة السياقية التي يتبعها المسيري في موضعته للتفكيك ضمن حلقات مسلسل تصوري شامل للحضارة الغربية هي التي تبرز أهمية ما قمنا به ، ومن وجهة نظرنا ، عنيت الاسترسال في تناول المنطلقات العامة لفكر المسيري بما يفضي ، في نهاية الأمر ، إلى تعيين مؤشرات دالة حول الموقع والوظيفة اللذين يشغلهما التفكيك في اطار النموذج الأرحب عند هذا الكاتب .

لنلتفت ، بعض الوقت ، ناحية الملاحظة المهمة التي يلاحظها هنتنجتون إذ يقول ما معناه : هناك صورتان لقوة الغرب بالنسبة للحضارات الأخرى . الأولى هي صورة لسيطرة وسيادة غربية شاملة . . . الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى ، ولها القدرة على التأثير على سياسة وأمن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى ، بينما الصورة الثانية للغرب صورة مختلفة تماماً ، إنها صورة حضارة تنهار ، نصيبها من القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية في العالم في هبوط بالنسبة لنصيب الحضارات الأخرى . وانتصارات الغرب الراهنة لم تسفر عن فوز ، بل انهك في الوقت الذي تهتز ثقة الغرب بنفسه وتتبخر استعدادات المجتمعات الأخرى لقبول أوامر الغرب أو التقيد بنصائحه . ويتساءل هنتنجتون بعد ذلك : أي من هاتين الصورتين لمكانة الغرب في العالم يصف الحقيقة؟ ثم يعقب : الإجابة

بالتأكيد كلتاهما[139] .

من كلتا هاتين الصورتين خرجت علينا محاولات عربية لفهم التفكيك في ضوء السياق الغربي الذي انبثق منه . وكانت صورة التفكيك مشرقة أو كئيبة تبعاً للصورة التي يحتفظ بها القاريء لا للتفكيك كمنهجية أو اجراءات تحليل ، وإنما للغرب كنموذج مولد من ناحية وكطرف في صراع شرس موجه ضد الذات الموروثة (المرغوب استعادتها أو القطيعة معها) من ناحية ثانية . الغرب ضديد في حالة من الحالتين وخَدِين في الحالة الأخرى . ومن الواضح الذي لا سجال فيه أن غرب المسيري الذي يحضر في وعيه ، مثله مثل غرب حسن حنفي تماماً ، هو غرب السيطرة والاستغلالية والتحكم وتضييق الخناق . والفلسفة التفكيكية في ظل هذا الوضع هي «آخر صرخة للوعي الأوروبي قبل إسدال الستار» كما قالها حسن حنفي[140] أو كما ستقولها نهاية منطقية لمسلسلات عبدالوهاب المسيري النموذجية .

لا يعوزنا الأمر إلى الكثير من التلبث ، بعد ذلك ، حتى نقرر المواقع المرشحة كي يشغلها المسيري سلفاً في التعاطي مع التفكيك . إنها ، بحصر المعنى ، المواقع الأكثر قابلية للاندراج ضمن قراءة كفاحية احتجاجية ضد الغرب المتعجرف والآخذ في الأفول . من هذا المنطلق سيقدم لنا عبدالوهاب المسيري قراءة عربية للتفكيك تقع في الطرف الأقصى تماماً لقراءة عربية أخرى تقرأ في التفكيك نقيضاً جذرياً لما وجده المسيري . ونحن نشير ، على وجه التحديد ، لقراءة عابد خزندار الذي يرى أن استراتيجيات دريدا في تقويض التمركزات وفي تعويم الدلالة تحول دون سيطرة النظام العالمي الجديد وتعمل على تعزيز الثقة

---

(١٣٩) انظر :

- هنتنجتون ، صامويل : صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي . ترجمة : طلعت الشايب ، منشورات سطور ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١٣٣-١٣٥ .

(١٤٠) حنفي ، حسن : مقدمة في علم الاستغراب . الدار الفنية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٦٠٢ .

بأن ثمة قوى اجتماعية تتضارب مع القوى العرفية أو الوضعية[١٤١] . سيكون علينا ، أن نأخذ في الاعتبار إذن ، حجم المفارقات الباذخة التي تنطرح في المشهد ، وعلى الأرجح سيكون من المفيد أن نتذكر أن أطياف دريدا التي تتزيا بزي الشيطان مرة وبزي المخلِّص مرة أخرى هي أطياف أعجز من أن تحتكر « كل الحقيقة» . فهذه الأخيرة ينبغي البحث عنها فحسب في لعبة اختلاف الأطياف المتقاوضة وتواراداتها .

٤- التفكيك بوصفه مجاوزة (قراءة عبد السلام بنعبد العالي) :

تنتظم مساهمات عبدالسلام بنعبدالعالي الفكرية ، بحسب ما تأدى بنا التتبع ، ضمن محاور وتفرعات عديدة ، سنتناول محورين منها . في ما يلي :

المحور الأول : الاشتغال على تقديم الاتجاهات الفلسفية للقاريء العربي من خلال القراءة والعرض .

المحور الثاني : الاشتغال على تقديم الاتجاهات الفلسفية للقاريء العربي من خلال الترجمة .

المحور الأول من محاور جهود بنعبدالعالي يشتغل فيه جهد تركيبي يقدم المعطيات الفلسفية المعاصرة ، أو يقدم متجه من متجهاتها على الأقل ، من خلال تركيبات نظرية تقرأ وتولِّف وتعيد التمثل والإنتاج معتمدة على استفادات من أفق الفكر الاختلافي الذي وسعت امتداداته أسماء مثل نيتشه وهيدغر وفرويد وماركس ودولوز ودريدا وفوكو . والاعتمادات هنا متراوحة من حيث الشدّة والأهمية في تقديم الرؤى معادة الإنتاج .

وقد تمثل هذا المحور من محاور اسهام عبدالسلام بنعبدالعالي ، أول ما تمثل ،

---

(١٤١) خزندار ، عابد : عن الحداثة وما بعدها . مجلة إبداع ، القاهرة ، س٩ ، ع١١ ، نوفمبر ١٩٩٢ ، ص٧٨-٧٩ .

في كتاب : «الميتافيزيقا ، العلم والأيديولوجيا»(١٤٢) الذي رأى فيه الخطيبي عملاً تمهيدياً باعثاً على الأمل ، وأضاف أنه يوقن أن هذا العمل سيزداد عمقاً(١٤٣) . في ذلك الكتاب الذي تأرّخت المقالات المجموعة فيه وفق توازٍ مع الفترة التي هيأ فيها المؤلف أطروحته الجامعية عن الفلسفة السياسية عند الفارابي(١٤٤) ، بدا عبدالسلام بنعبدالعالي مهموماً بالانفتاح على تيارات فكرية أوروبية متنوعة سواء في ميدان الفلسفة أو العلوم الإنسانية . وكانت مقاربته تنتقل خلل مروحة واسعة من المصادر والمظان تراءت من بينها الماركسية ، بتأويلاتها المختلفة ، قسيماً مشتركاً في المعالجات الغالبة . إن بنعبدالعالي يعرض غضون هذا الكتاب لنصوص هامة بمحاورات متحفظة ، حذرة ، و «من غير ما تهوّر في اصدار الأحكام واتخاذ المواقف ، «كما يلاحظ الخطيبي(١٤٥) . وإن تركيباته النظرية ، مجلّلة بهذه الروح ، ستتمظهر بوصفها تبرعمات لما سيثمر ويؤتي أُكُله في مرحلة تالية .

وفي كتاب : «هايدغر ضد هيغل : التراث والاختلاف»(١٤٦) ، يروم المؤلّف نقل القارىء إلى الأصول الفلسفية لإشكالية التراث (الأصول الألمانية التي نحتت فيها هذه الإشكالية منذ بداية القرن الماضي) ، وهو يحاول أن يفسر الشروط التي تطرح فيها مسألة التراث في حالات مختلفة لشعوب وحضارات متباينة وصولاً إلى ملابسات طرح الإشكالية في الفضاء الفكري العربي اليوم .

---

(١٤٢) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الميتافيزيقا : العلم والأيديولوجيا . دار الطليعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ط١ ، ١٩٨١ .

(١٤٣) الخطيبي ، عبدالكبير : ضمن المصدر السابق ، ص٦ .

(١٤٤) بوخزار ، محمد : معلومة مقتطعة من سؤال في محاورة مع المؤلف وردت ضمن المصدر السابق ، ص٨ .

(١٤٥) الخطيبي ، عبدالكبير : ضمن المصدر السابق ، ص٦ .

(١٤٦) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : هايدغر ضد هيغل : التراث والاختلاف . دار التنوير للطباعة والنشر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٥ .

يبدو هيدغر مسعفاً لزحزحة الإشكالية في رأي المؤلف من خلال طرح مسألة التراث خارج فلسفة الحضور وعبر تاريخ لا يعتبر تتابعاً لعدة عصور يتجاوز اللاحق منها السابق» . إنه على العكس من ذلك ، ينظر إلى الماضي على أنه ما ينفك يمضي وإلى الحاضر على أنه ما يفتأ يحضر . بهذا المعنى لا يكون التراث وراءنا ، ونحن لا نكون لا على مسافة قريبة ولا على مسافة بعيدة من أصولنا الفكرية ، بل إن هذه الأصول تكون معاصرة لنا . ومن هذا المنظور ينهار التقابل بين التراث والمعاصرة(١٤٧) .

في هذا الأفق الذي تشقه مقاربة المؤلف يمتلىء الكتاب بالإحالات إلى هيدغر ونيتشه ودريدا وألتوسير وفوكو ودولوز .

ويجيء كتاب «أسس الفكر الفلسفي المعاصر . مجاوزة الميتافيزيقا»(١٤٨) ليمثل ذروة اسهام بنعبدالعالي في هذا المحور النظري التركيبي الذي يرتكن إلى مرجعيات أفكار الاختلاف بتنوع مصادرها .

ومنذ البداية يموضع المؤلف جهده في هذا الكتاب في اطار فكر كوني لا يتعلق بمعطى تحتفي به حضارة من الحضارات أو قسم من الإنسانية دون سواه ، وهو في ذلك يتراسل مع المنظورات الاختلافية الحديثة ، ويبني على تفكيكه لإشكالية ثنائية : التراث والمعاصرة التي كان قد تصدى لها في «هايدغر ضد هيجل» . يقرأ عبدالسلام بنعبدالعالي فرويد ونيتشه وماركس وهيدغر ودريدا وفوكو بتقنياتهم ذاتها مطبقاً تقنيات في التأويل على الموضوع نفسه الذي يزوده بتلك التقنيات .

إن موضوع بحثه ، كما يقول ، هو : «الوقوف عند أصول فكر يقدم نفسه هو كذلك على أنه عودة إلى الأصول»(١٤٩) . وتبعاً لهذا الوصف ، فإنما يقدمه لنا

---

(١٤٧) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : المصدر السابق ، ص١٣ .

(١٤٨) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : أسس الفكر المعاصر : مجاوزة الميتافيزيقا . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ .

(١٤٩) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : المصدر السابق ، ص١٩ .

المؤلف ليس تركيباً بالمعنى المدرسي الذي يتغيّا اسباغ الوحدة ونظم الجزئيات في كلٍّ أشمل . إنه انخراطٌ في لعبة مرايا متعاكسة تبدو منكشفة ، وحدها ، على أمل مجاوزة الميتافيزيقيا . وقد يحسن أن ندع بنعبدالعالي يوضح لنا استراتيجيته ، أخيراً ، من خلال هذا الاستشهاد المقتطع من مقدمة الكتاب ، يقول : «لن يتعلق الأمر إذن باتباع منهج تركيبي يخلق الوحدات ويقيم التيارات ويصنف الفلسفة المعاصرة اتجاهات ومدارس ومذاهب . لن يتعلق الأمر بإقامة تاريخ موحد لتلك الفلسفة ، دراسة مختلف التيارات لتقصّي الوحدة التي تجمع بينها وردها إلى أصولها التاريخية بحيث يجد كل فيلسوف ، وكل مذهب فلسفي ، بل كل مفهوم من المفهومات الفلسفية تبريره ومعناه . ربما كان عكس ذلك هو الصحيح : إذ اننا سنتوخى اقامة تاريخ مضاد والوقوف عند المحاولات التي سعى فيها التاريخ إلى محاكمة الفلسفة لإرساء تاريخ يقلب تاريخ الميتافيزيقا بل يقلب التاريخ الميتافيزيقي ذاته»(١٥٠) .

في الفسح التي يتحقق من خلالها هذا التأسيس المجاوز سنلمح اتجاهاً مطّرداً إلى تنامي استثمار دريدا واستراتيجياته عند بنعبدالعالي ، فبينما لم ترد الإحالة إلى دريدا إلا مرة واحدة فقط في «الميتافيزيقا ، العلم والأيديولوجيا» (١٩٨١) ، فقد شكّلت الإحالات إلى دريدا ما يناهز الستة عشرة احالة في «هايدغر ضد هيجل» (١٩٨٥) . وما يقارب ٨٪ من مجموع الإحالات في الكتاب (نحو من مائتي إحالة) . ونحن إذا أخذنا في الاعتبار أن الكتاب الأول مؤلف من مجموعة من الدراسات المتفرقة التي اشتغلت على نصوص لكتّاب ومفكرين بعينهم إبان ابتداء الحياة العلمية للباحث ، وأخذنا في الاعتبار كذلك خصوصية موضوع الكتاب الثاني من حيث هو طرح لمفهوم الزمان الهيدغري الذي بواسطته تغدو مجاوزة التصورات الهيغلية ممكنة مع ما في ذلك من افتراض كثافة الانصراف إلى هيدغر وهيجل في المستوى المرجعي للتناول ، فإننا نجد في كتاب بنعبدالعالي «أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، مجاوزة الميتافيزيقا»

(١٥٠) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : المصدر السابق ، ص٢٠ .

(١٩٩١) ما يشكّل عينة أكثر تمثيلية للوحة الاستثمار المرجعي الذي تعتمده كتابات المؤلف في تناولاتها الفلسفية والفكرية ، لا سيما وأن المؤلف هنا قد استهدف الحفر فيما أسماه : أسس الفكر الفلسفي . إن مساهمة عبدالسلام بنعبدالعالي في تقديم التاريخ المضاد لهذا الفكر ، بمعطياتها التأويلية الخاصة ، تستخدم دريدا في نحو ستة وأربعين إحالة من نحو أربعمائة إحالة في مجموع الكتاب ، أي ما يوازي ١١,٥٪ من المعدل العام للإحالات . وهي نسبة أوسع مما وجدناه في الكتابين السالفين[١٥١] ، ولا يقتصر الأمر على المؤشرات الكمية وحدها ، ذلك أن مقاربات المؤلف لدريدا تدير حوارية نشطة مع النصوص وتأويلها وتقدم فهومات جديدة لبعضها وتجتهد في مستوى الترجمة الاصطلاحية للكلمات المفتاحية وتموضع المنظورات الدريدية في سياقات مقارنة مع منطلقات فوكو ودولوز وغيرهما على صعيد متزاحم واحد .

في محور ثانٍ تعكف محاولات موصولة من عبدالسلام بنعبدالعالي على الاهتمام بالترجمة في بعديها النظري والتطبيقي . ففي المستوى المتصل بالمسائل النظرية للترجمة أنجز العالي العديد من المساهمات يقع بضمنها : «الترجمة

---

(١٥١) بمسح احصائي سريع وجدنا أن الإحالات لهيدغر وفوكو ودريدا أو نيتشه وديلوز وهيجل تشكل أكثر من ثلثي الإحالات في الكتاب المذكور ، وهو أمر له دلالته في كشف الأفق الفكري الغالب على مساهمات المؤلف . إن نسب استخدام فلاسفة الاختلاف في مدونة الإحالة ترد على النحو التقريبي التالي : هيدغر (١٢٠) إحالة بما يوازي ٣٠٪ من المجموع العام ، فوكو (٥٥) إحالة = ١٤٪ ، دريدا (٤٦) إحالة ١١,٥٪ ، نيتشه (٤٦) إحالة ١١,٥٪ ، دولوز (٢٤) إحالة = ٦٪ ، هيغل (٢٢) إحالة =٥,٥٪ .ألتوسير (١١) إحالة = ٣٪ ، ماركس (١٠) إحالات = ٢,٥٪ .

وطبيعي أن هذا الإجراء الإحصائي المحدود لا يعطي استنتاجات حاسمة فيما يتصل بمرجعيات المؤلف وحدود استفادته من معطيات الآخرين إلا أن الاستئناس به كمسبر من المسابر المتعددة يضفي بعض القرائن في كل الأحوال .

بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والمثاقفة ، مجلة الوحدة ، الرباط ، س٦ ، ع٦١-٦٢ ، أكتوبر-نوفمبر ١٩٨٩ ، ص٧-٩ .

والمثاقفة»[152] ، «الترجمة والاختلاف»[153] ، «الترجمة (إلى العربية خصوصاً) في بعض مسائلها»[154] ، «الترجمة والميتافيزيقا»[155] ، «دائرة الترجمة»[156] ، «شفافية الترجمة»[157] ، «في المسألة اللغوية»[158] .

ما يطل برأسه من هذه الكوى والمشارف في كل مرّة هو نظرة للترجمة تنبع من مناخات اختلافية تجد مرجعياتها في أفكار وفلسفات الاختلاف كما مارسها الفكر الفرنسي الذي قرأ هيدغر منتجاً نظره المغاير حول النص والكتابة وما يتفرع عنهما . فمفهوم عبدالسلام بنعبدالعالي في الترجمة - شأنه شأن المفهوم المتقدم - يتعلق بمفاهيم متواشجة حول الكتابة والنص واللغة والكاتب والهويّة . إنه موقف معرفي وانطولوجي مستجد ، وهو يستند ، في جانب أساسي

---

(١٥٣) بنعبدالعالي ، عبدالسلام الترجمة والاختلاف . مجلة علامات في النقد ، جدّة ، ج٢ ، مج٥ ، سبتمبر ١٩٩٢ ، ص٢٧-٣٤ .

(١٥٤) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة (إلى العربية خصوصاً) في بعض مسائلها المتصلة بالمنهج والدلالات . جهد ثقافي ما بين خيانة و . . خيانة مضاعفة . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٤١٩ ، الثلاثاء ٢٤ مايو ، ص١٧ .

وأعيد نشر المساهمة حسب التوثيق التالي :

- بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الخيانة المضاعفة . مجلة فكر ونقد ، الدار البيضاء ، س١ ، ع٢ ، أكتوبر ١٩٩٧ ، ص٧٠-٧٤ .

(١٥٥) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والميتافيزيقا . مجلة الكرمل ، قبرص ، ع١٧ ، ١٩٨٥ ، ص١٧٧-١٨٢ .

(١٥٦) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : دائرة الترجمة . مجلة علامات في النقد ، جدّة ، ج١٧ ، مج٥ ، سبتمبر ١٩٩٥ ، ص٦٧-٧٢ .

(١٥٧) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : ثقافة الأذن وثقافة العين . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص١٧-١٨ .

(١٥٨) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : «بين - بين» . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٣-١٥ .

منه ، على تدقيقات هيدغر في الأصول الإيتيمولوجية لمفردة «ترجمة» في الإيطالية والفرنسية . تلك التدقيقات التي تجعل التأويل ترجمةً والترجمة تأويلاً ، «فالتأويل والترجمة هما في جوهرهما الشيء نفسه ، والظاهر أن اللفظ الفرنسي Traduction (وكذا مقابله الإيطالي) استحدث عند بداية القرن XIV ليحل محل لفظ Interpretation وTranslation ، وليعيد المجد للَّفظ الإغريقي Hermenia»[١٥٩] .

بهذا الربط الوثيق بين الترجمة والتأويل تترسخ المقاربة الاختلافية لفعالية الترجمة ، ذلك أن النظرية السيميولوجية المعاصرة التي ترى أن في اللفظ فائضاً في المعنى ، وأن النص ما أن يُكتَب حتى يدخل في دوامة التأويل اللامتناهية ، لا تدع لنا مفراً من الانتقال بنظرتنا إلى الترجمة من أبعاد التطابق إلى أبعاد التأويل[١٦٠] .

إن موقف عبدالسلام بنعبدالعالي من الترجمة ينخرط ضمن مسعاه للشروع في مجاوزة الميتافيزيقا . لذا ، فهو يعارض الفهم الذي ينظر للترجمة بوصفها نقلاً للمحتوى الدلالي ، من شكل في الدلالة إلى شكل آخر مع الإخلاص لروح النص المتَرجَم وعدم خيانته . إن هذه العملية تشكل جوهر البنية الأفلاطونية للميتافيزيقا . «فليست الأفلاطونية ، أساساً هي التمييز بين عالم المثل أو المعنى وعالم المحسوسات ، بين النماذج والنسخ وإنما هي كما بيّن دولوز ، وقوف عند النسخ ذاتها وفحصها لإظهار ما ينتسب إلى الأصل وما لا علاقة له به» كما يقول بنعبدالعالي[١٦١] . وغني عن البيان أن المرجعية الاختلافية التفكيكية حاضرة بقوة في هذا المنظور الذي يصدر عنه الكاتب .

وفي ضوء من تفكيك فكرة الأصل والنسخة عبر توظيف فاعلية السيمولاكر الذي يغادر الفهم الأفلاطوني للأصول والفروع ، والنماذج والنسخ

(١٥٩) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والميتافيزيقا . مرجع سابق ، ص١٨١ .

(١٦٠) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والاختلاف . مرجع سابق ، ص٣٠ .

(١٦١) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والميتافيزيقا . مصدر سابق ، ص١٧٨ .

يناقش الكاتب قيمة الترجمة عن لغة وسيطة لا عن لغة النص الأصلي ، نعني ترجمة الترجمات على غرار ما يحدث كثيراً في الثقافة العربية راهناً ، فيجري تقديم فرويد من خلال الفرنسية ، أو هيجل من خلال الإنجليزية وهكذا . إن عبدالسلام بنعبدالعالي يرى أن كل نص حتى وإن ظل غير مترجم فهو ترجمة ، بمعنى أنه مكون من تناصات واقتباسات يجري تحويلها داخل علاقة عنف ولعبة خيانات . فالمنطلق دائماً هو ما يسميه بلانشو الترجمة الخاصّة بالنص الأصلي[١٦٢] . وكل ترجمة مهما كانت حتى وإن انطلقت من النص الأصلي فهي ترجمةٌ لترجمات ونسخٌ لنسخ .

أما وقد تبدى لنا الأفق العام والمهاد المرجعي اللذان تتموضع فيهما جهود عبدالسلام بنعبدالعالي الترجمية في مستواها النظري ، فقد يحسن أن نأتي إلى بعض تفصيل تتضح من خلاله نقاط تماس المؤلف مع النص الدريدي واستراتيجيته في التعامل مع الترجمة والنظر إليها .

في العديد من تدخلاته وعروضه وايضاحاته يهتم بنعبدالعالي بتجلية ماهية الترجمة كعملية تحويل لا تأتي لمطابقة الأصل وقهر الاختلاف ، إذ لولا الاختلاف والتعدد لما كانت الترجمة ضرورية ولا ممكنة . وبنعبدالعالي يبدو حريصاً على تصدير مقال من مقالاته باقتباس من دريدا في هذا الصدد يقول فيه : «إن الكتابة الجديدة يجب أن تلعب اللعبتين معاً : وهذا يعني أننا ينبغي أن نتكلم عدة لغات ، وأن ننتج نصوصاً متعددة في ذات الوقت»[١٦٣] .

إنما تأتي الترجمة لتوليد الفوارق واقحام الآخر في الذات في عمليات تحويل لا متناهية للّغة ، فالترجمة لا تتم في اتجاه واحد ، ولا تحوّل النص المترجم فحسب ، إنها عندما تحوّله تحوّل في الوقت ذاته اللغة المترجِمة . وهي تتم حتى داخل اللغة الواحدة نفسها لأن الكلام نفسه إذا نطق به وكتب داخل اللغة الأم

---

(١٦٢) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة (إلى العربية خصوصاً) في بعض مسائلها ... ، مصدر سابق ، ص١٧ .

(١٦٣) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والميتافيزيقا . مصدر سابق ، ص١٧٧ .

يكون في حاجة إلى تأويل، وبالتالي فإن هناك بالضرورة ترجمة حتى داخل اللغة الأم ذاتها كما ينقل بنعبدالعالي عن هيدغر(١٦٤). وفي معرض التدليل على أن النص ليس سوى ترجمة، وعملية تحويلية للاقتباسات والنصوص، يضرب المؤلف المثل بنص هابرماس الذي يناقش فيه دريدا الذي يحاور أوستن حيث نص مكتوب بالألمانية يقتبس نصوصاً بالفرنسية تقتبس بدورها نصوصاً إنجليزية(١٦٥).

وهو يبرز زاوية نظر دريدية للترجمة في صيغة من الموافقة حين يكتب: «إن الترجمة، كما يقول دريدا وفي الحدود التي تظهر فيها ممكنة (لابد وأن تكرس الاختلاف بين الدال والمدلول، ولكن بما أن هذا الاختلاف لا يكون قط اختلافاً خالصاً، فالترجمة لن تكون كذلك) لذا -والكلام لبنعبدالعالي- فعوضاً عن مفهوم الترجمة يقترح دريدا مفهوم التحويل Transformation تحويل لغة للأخرى ونص للآخر»(١٦٦).

على أن مناقشة فعاليّة الترجمة تفضي بلا جدال إلى طرح السؤال التالي: ولكن من الذي يترجم بالفعل؟ والأرجح أن التماس وعود الإجابة في آثار بنعبدالعالي يضعنا في فسحة من الالتباس أول الأمر، فهو من جهة يعلن أن اللغة هي التي تترجم: «ربما كانت الترجمة مرتبطة بفاعل يتجاوز الأفراد والأشخاص الأخلاقيين. ذلك أن الذات المترجمة Le sujet de la traduction هي اللغة نفسها. ومن هنا تتهاوى كل أخلاقيات الترجمة. الفاعل المسئول عن عملية الترجمة هو اللغة المترجمة»(١٦٧). وفي ضوء هذا التصور فإن الترجمات

---

(١٦٤) بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والمثاقفة. مصدر سابق، ص٨.

(١٦٥) بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة (إلى العربية خصوصاً) في بعض مسائلها .... مصدر سابق، ص١٧.

(١٦٦) بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والميتافيزيقا. مصدر سابق، ص١٨١، وهو ينقل عن دريدا في Position Minuet 1872 p. 31.

(١٦٧) بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والإختلاف. مصدر سابق، ص٣٠.

المتعددة للنص الواحد في اللغة نفسها وفي الفترة نفسها كما يحدث في ساحتنا العربية راهناً هو نوع من ترويض اللغة المترجِمة وتمرينها وتعويدها لغة الحداثة ، كأن الترجمة لا تريد ، بالدرجة الأولى ، أن تقدّم النص المترجَم إلى القاريء العربي وإنما تتغيّا هذا الترويض فحسب[١٦٨] .

ومن جهة أخرى يصدفك بنعبدالعالي منتصراً للمترجم كمبدع ، متحيزاً له باعتباره مؤلفاً لا يقل أهمية عن المؤلف الذي يكتب النص . وفي هذا الصدد فإنه لا يقر الفهم القديم الذي ينتظر من المترجم أن يمحو اسمه ليسمح لكاتب النص الأصلي بالكلام عبر لغة أخرى دون أن يفقد هويته . إنه يتمرد على فكرة النص الموقع الذي يحمل هوية الكاتب واسمه ، فـ «المترجم مؤلف مترجم وليس المترجم هو ذلك الذي يترك خارجاً ، ولا تفتح له دفتا الكتاب إلاّ بصعوبة ، والذي يوضع اسمه بأحرف باهتة على الغلاف ، والذي قلما يتحدث عن حقوقه على غرار ما يقال عن حقوق المؤلف»[١٦٩] .

وبين أن يكون المؤلف مبدعاً في اللغة ، وأن يكون مفعولاً من مفاعيلها تتحرك أصداء دريدية كثيفة في كتابة عبدالسلام بنعبدالعالي . انه يضع الذات : (مؤلف مترجم) في منزلة بين المنزلتين . لا هي منزلتها في أركيولوجيا فوكو ، وليست هي المنزلة التي يبوّؤها إياها رولان بارت .

من المعلوم أن مفهوم «المؤلف» قد ظل مفهوماً مطمئناً حتى تفجرت اشكاليته -كما يلاحظ جيرمي هوثورن[١٧٠]- مع صدور مقالين مهمّين هما :

(١٦٨) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والإختلاف . مصدر سابق ، ص٣١ .

(١٦٩) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الترجمة والإختلاف . مصدر سابق ، ص٢٩ .

(١٧٠) Hawthorn, Jeremy: A concise glossary of contemporary Literary theory. Edward Arnold, London, 1992, p.9.

«موت المؤلف»[١٧١] لرولان بارت ، و«ما هو المؤلف؟[١٧٢]» لميشيل فوكو . إن فاعلية مصطلح «المؤلف» عند فوكو تتجاوز آلية رد الأثر المكتوب إلى منشيء انساني فرد ، وهو يفضل الحديث عن «وظيفة المؤلف» بدل التصور الذي يحيل على كائن عاقل محدد يكون أصلاً للنص ، ومن هنا فإنه يُعَنْوِنُ مقالته بـ : ما هو المؤلف؟ وليس : من هو المؤلف؟ ، إن وظيفة المؤلف تتشكل خصائصها من خلال نمط الوجود وتوظيفات مجموعة من الخطابات داخل علاقات المعرفة بالسلطة[١٧٣] . وهي لذلك (هذه الوظيفة) تدفع بذاتيات ، وموضوعات ، ومواقع متعددة من خلال طبقات النص . أي أننا -كما يلاحظ هوثورن- نكون أمام منطقة من خصائص الأفعال والأحداث والعلاقات التي لا يمكن ردها إلى ذات فردية واحدة[١٧٤] .

أما رولان بارت فإنه يبدو أميل إلى مناقشة اشكالية المؤلف في اطار لساني محصور : «فمن الناحية اللسانية ، ليس المؤلف إلاّ ذلك الذي يكتب ، إن الأنا ليس إلاّ ذلك الذي يقول أنا : إن اللغة «الفاعل» ولا شأن لها بـ «الشخص» ؛ وهذا الفاعل الذي يظل فارغاً ، خارج عملية القول التي تحدده ، يكفي لكي

---

(١٧١) Barthes, Roland: The death of the author. In heath, Stephen (ed & trains), Image - Music- Text, London: Fontana, 1977

وراجع في العربية ترجمة «موت المؤلف» التي أنجزها عبدالسلام بنعبدالعالي ونشرت في مجلة المهد ، عمّان ، س٢ ، ع٧ ، ص٩-١٣ .

(١٧٢) Foucault, Michel: What is an author? First Published in English, 1977 in bouchard. Donald F. (ed), language, Counter - Memory, Practice: Selected Essays and Interviews. New York: Cornell University Press and also in: Harari. J.V. (Ed): Textual Strategies: Perspective in Post - structuralist London, Methuen, 1980.

(١٧٣) Foucault, Michel: What is an author?. in Harari, J. V. (ed): Textual strategies, bid, p.148.

(١٧٤) Hawthorn, Jeremy: A Concise glossary of contemporary Literary theory, I bid, p.10.

«نقوِّم» اللغة ، أي لكي «تستنفذ»[١٧٥] . من هنا لا تعود الكتابة عملية تمثيل وتسجيل وتقرير وإنما هي ، باستدعاء فلاسفة أكسفورد ، إنجاز[١٧٦] . إن بارت يتحدث عن انقلاب ملحمي في الكتابة الحديثة يجعل النموذج النصي هو الأساس بالمضاهاة مع الذات الواقعية . «لقد أهدى بروست الكتابة الحديثة بملحمتها : فبفضل انقلاب جذري ، وعوض أن يضع حياته في أعماله كما يقال عادة ، فإنه جعل من حياته نفسها عملاً أدبياً كان كتابه نموذجاً عنها ، بحيث يتضح لنا أن ليس شارلوس هو الذي يقلد مونتسكيو ، وإنما أن مونتسكيو في وجوده التاريخي ليس إلا قطعة ثانوية تتفرع عن شارلوس» . إن الحياة عند بارت لا تعمل إلا على محاكاة الكتاب ، والكتاب ذاته ليس سوى نسيج من

---

(١٧٥) بارت ، رولان : موت المؤلف . ترجمة : عبدالسلام بنعبدالعالي ، مجلة المهد ، عمّان ، ع٧ ، س٢ ، ص١١ .

(١٧٦) المصدر السابق ، ص١١ .

وللتعرف على آراء فلاسفة أكسفورد حول «الإنجاز» الكلامي يمكن الرجوع إلى :

- لايكوف ، جورج : اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي . ترجمة : عبدالقادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ ، وبالأخص الفصل الرابع ، «الأفعال الانجازية (الإنشائية)» ، ص٣٣-٤٦ .

- أوستن ، جون لانجشو : نظرية أفعال الكلام العامة : كيف ننجز الأشياء بالكلام . ترجمة عبدالقادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٩٩١ .

وقد ناقش دريدا آراء فلاسفة أكسفورد حول الإنجاز ونظرية أفعال الكلام في «الشركة المحدودة» . ارجع إلى :

"Limited Inc abc", (response to John searle), Glyph, vol. II, (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1977), p.p. 162-254.

وترجمت إحدى الدراستين الموجودتين في كتاب دريدا «الشركة المحدودة» إلى العربية ، انظر :

- دريدا ، جاك : توقيع ، حدث ، سياق . ترجمة : فريق الترجمة بمركز الإنماء القومي ، مجلة العرب والفكر العالمي ، بيروت ، ع١٠ ، ربيع ١٩٩٠ ، ص٨٢-١٠١ .

العلامات ومن هنا يرتسم مصير الضياع القدري لهذه المحاكاة التي لا تنفك ترجع القهقري .

لكل ما تقدم يعلن بارت بثقة بأنّ ساعة القاريء قد حلّت وأنّ قرع أجراسها ما هو إلا نواقيس الرحيل الجنائزي للمؤلف . «لقد أصبحنا نعلم أن الكتابة لا يمكن أن تنفتح على المستقبل إلا بقلب الأسطورة التي تدعمها : فميلاد القارئ رهين بموت المؤلف» .

في سياق مقارنة حصيفة بين مؤلف فوكو ومؤلف بارت بالموازاة مع أفكار دريدا حول المفهوم نفسه يلفتنا ميجان الرويلي إلى أن فوكو يسعى إلى ايجاد المؤلف ووظيفته ضمن الحفريات المعرفية الممتدة عبر مساحات الثقافة الكبيرة وفي فضاء وامتداد عوامل متعددة منها الاجتماعي والسياسي والمعرفي . أما بارت ، فإنه ينطلق من توجه بنيوي لغوي ليحدد المؤلف بوصفه مجرد ضمير لغوي كغيره من الضمائر ، لا ينتشر في مساحة واسعة وانما يتجمع في ضمير «ورقي» ، يقول الرويلي : «من هذه المقارنة السريعة بين فوكو وبارت نستطيع أن نرى تقابلاً عجيباً بين عالم الآثار لدى فوكو وبين قاريء بارت المؤلف ؛ فالأول يتتبع أشلاء المؤلف المتناثرة ويجمعها حتى يحنطها في متحف تاريخي يقع تحت نظره المستمر حتى يضمن عدم عودته للحياة ، أما الثاني فقد استغل تحنيط المؤلف فأحل مكانه (خارج المتحف) قارئاً مؤلفاً قد ورث كافة سلطاته»[(١٧٧)] .

لقد نادى بارت بموت المؤلف ، واتسعت رؤية فوكو لتضع موت المؤلف في جنبات مشهد أكبر هو «موت الإنسان» . أما دريدا فلم يسعه ما وسع الإثنين ، بل سعى إلى الاحتفاظ بالمؤلف لأهداف استراتيجية -على نحو ما يلاحظ الرويلي محقاً[(١٧٨)]- . إن الطريقة التي تشتغل بها لعبة دريدا التفكيكية تعتمد أساساً على اذكاء التوليدات المستمرة بين قطبي أي ثنائية من الثنائيات من

---

(١٧٧) الرويلي ، ميجان : قضايا نقدية ما بعد البنيوية . النادي الأدبي بالرياض ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٦٤ .

(١٧٨) المصدر السابق ، ص١٦٥ .

خلال تبديل المواقع ، وخلط الحدود . ومن هنا ، فإن المؤلف والكتابة مندغمان في لعبة غياب وحضور لا نهائية ، وهناك على الدوام تداخل في الخصائص بين المؤلف والنص (الكتابة) يتعصى على الفصل والتمييز . في هذا الضوء يستحضر دريدا المؤلف كلما أراد أن يلفت إلى سمة الغياب في النص ، وهو يتحكم في إدارة اللعبة بنحو آخر كلما أراد أن يؤكد بأن خصائص الكتابة تتجاوز دائماً هيمنة المؤلف . هذه الإستراتيجية ، في توثيقها لأشكال الاعتماد المتبادل ، لا تدع للمؤلف فرصة للتمايز ، ولا تقود إلى «وظيفة» يمكن العثور عليها في مساحة متعالقة بالاجتماعي والسياسي كما هو الحال عند فوكو .

إن فوكو يخول «الخطاب» تركيزاً أكبر بالمقارنة مع نمط التفكير النصاني عند دريدا[(١٧٩)] . إن الاجتماعي والسياسي في داخل النص وليس خارجاً . لأنه لا وجود لخارج لا يصل إليه النص . وإذا كان عبدالسلام بنعبدالعالي يورد انتقاد فوكو على التصور الذي يقول به دريدا واصفاً إياه بأنه ميتافيزيقيا بيداغوجية «تمنح لصوت المعلمين سيادة بلا حدود»[(١٨٠)] ، فإنه يبدو منحازاً إلى رد دريدا

(١٧٩) Hutcheon, Linda: A poetics of Postmodernism. History, Theory, Fiction. Routledge, New York & London, P.P. 98.

- Lentrichia, Frank: After the New Criticism, Chicago, University of Chicago Press, 1980, P.P. 191.

(١٨٠) يقول فوكو : «لن أكتفي بالقول إنها ميتافيزيقا ، الميتافيزيقا أو انغلاقها اللذان يوجدان من وراء نصية الممارسات الخطابية ، وإنما أذهب حتى القول إن الأمر يتعلق ببيداغوجيا مشروطة تاريخياً أخذت تظهر . إنها بيداغوجيا تعلم التلميذ أن لا شيء خارج النص (. . . . . .) وأن لا داعي للبحث بعيداً عنه ، وأن معنى الوجود يتجلى في النصوص . إنها بيداغوجيا تمنح لصوت المعلمين سيادة بلا حدود فتخولها أن تعيد صياغة النص إلى ما لا نهاية له»

Foucault M.: Historie de La follie. Gallimard, 1972, Appendice. P. 602

أنظر :

- بنعبدالعالي ، عبدالسلام : أسس الفكر الفلسفي المعاصر . مجاوزة الميتافيزيقا ، مصدر سابق ، هامش ص٨٢ .

على فوكو حين يقرر (أي دريدا) بأنه لا يأخذ مفهوم النص في معناه الضيق وإنما يتعامل معه بالمعنى الذي يغدو به هو العالم وهو حركة الكتابة ذاتها . إن بنعبدالعالي يعلق ، بعد ذلك ، بالقول «والظاهر أن كل أتباع نيتشه بمن فيهم فوكو ، ملزمون مبدئياً بقبول هذا التعيين للنص . فالجينالوجيا ، كما مر معنا ، ترى أن الوجود كله حركة تأويل . لذا ، فإن انتقاد فوكو يبدو موجهاً لنيتشه نفسه»(١٨١) . وإن بنعبدالعالي يسفر عن اختلافه مع فوكو لصالح دريدا بالقول : «وبالرغم من ذلك فنحن لن نذهب حتى القول ، مع أستاذ دريدا ومعلمه ، بأن التفكيك هو المسئول عن «اعادة صياغة النص إلى ما لانهاية» . أليست هذه «طبيعة» النص بما هو كذلك حتى عند فوكو نفسه؟»(١٨٢) .

ثمة اصرار على المَدخَلَيْن اللساني والأنطولوجي لمقاربة اشكالية المؤلف عند دريدا أكثر مما عليه الأمر عند ميشيل فوكو . وعبدالسلام بنعبدالعالي يبدو مجارياً لدريدا في هذا الصدد . إن صيغة المتكلم في الخطاب لا تمثل إلا إحدى الاحتمالات الفكرية للـ «أنا أفكر» عند فوكو كما يلاحظ أحد الباحثين ، وهي لا تستطيع ، عنده ، أن تتفلّت من الكم الهائل من الترسبات الثقافية والتاريخية في اللغة(١٨٣) . ولئن كان دريدا ينتظم في اطار التصور الهيدغري الذي يرى بأن اللغة هي الفاعل الذي يوجد من وراء عملية التفكير نفسها وهي لا تفترض أي

---

(١٨١) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : أسس الفكر الفلسفي المعاصر . مصدر سابق ، هامش ص٨٢ .

(١٨٢) بنعبدالعالي ، عبدالسلام : المصدر السابق ، ص٨٢ ، ومن المعروف أن دريدا كان قد تتلمذ على فوكو في بعض مراحل تكوينه ، وهو يذكر ذلك بكثير من العرفان في أول مواجهة مع أستاذ الأمس واصفاً وعيه ازاء ثنائية : الأستاذ-التلميذ بأنه نمط من الوعي الشقي الذي يتيح للجسارة أن تزدوج مع التقدير في صعيد واحد ، راجع :

- Derrida, Jacques: Writing and Difference. trans.: Alan Bass, London, Routledge. 1978, p.p. 31

(١٨٣) الكردي ، محمد علي : نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٣٤٩ .

شخص يتكلمها ولا أي شخص يسمعها لأنها تكلم ذاتها وتكتب نفسها على نحو ما يذهب مالارميه وموريس بلانشو، ويوافقهم عبدالسلام بنعبدالعالي[١٨٤]، فإن ميشيل فوكو يعيل صبره أمام «نصانية الممارسة الخطابية» التي لا تنتهي، ولا تفضي إلى التحرر من براثن النص لصالح الحركة نحو الخارج والتمرد على إسار اللغة، ومن هنا فإنه لا يقف عند فكرة «اللغة التي تكلم ذاتها» و «اللغة التي تفكر بنا». تقول أنجيل ماريتي مسلطة الإضاءة على منظور فوكو «في العودة إلى كينونة اللغة التي يحققها الأدب، وفي الوصول إلى المنطوقات الذي تحققه أركيولوجيا المعرفة، لم تعد الذات المفكرة، الناطقة والكاتبة هي حتى اللغة نفسها، كما قد يخيل إلينا، وإنما الفراغ الذي تجد فيه مجالاً لها حينما تصاغ في قلب عراء الأنا أتكلم»[١٨٥].

إن المؤلف (والمترجم إذن) -عند بنعبدالعالي كما هو عند دريدا- افراز عائم في النص اللغوي، ولعل في هذا ما يفسر لنا -على نحو من الجمع مقبول- ما يرد في فسحة الالتباس من نقولات عن بنعبدالعالي كنا قد أشرنا إليها آنفاً عند مناقشة السؤال: من الذي يترجم بالفعل؟[١٨٦]. إن المؤلف (والمترجم) وظيفة مزدوجة -إذا كان هناك اصرار على منظور «المؤلف الوظيفة»-، «فالمؤلف بقدر ما يحكم لغته وقوانينها بقدر ما تتجاوزه هذه اللغة وتلغي قصده وغايته». وإن المؤلف (والمترجم) قاريء مزدوج، إذا كان هناك اصرار على موضوع: ولادة القاريء مرة أخرى، تهرب منه اللغة وتخونه دلالاتها كلما حاول أن يسيطر

---

(١٨٤) بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والاختلاف، مصدر سابق، ص٣٠.

(١٨٥) Maritti, Angele K. : Michel Foucault Arche'ologie et genealogie. Paris, .G.F. , 1985, P.108

نقلا عن:

- الكردي، محمد علي: نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو. مرجع سابق، ص٣٧٦.

(١٨٦) الرويلي، ميجان: قضايا نقدية ما بعد بنيوية. مرجع سابق، ص١٦٨.

(١٨٧) المرجع السابق، ص١٦٩.

عليها ويقيدها بأهدافه وقصده(١٨٧) .

٥- التفكيك بوصفه زئبرية (قراءة كمال أبوديب)

أكثر من سبب يجعل المساحة التي يتعامل فيها كمال أبو ديب مع استراتيجيات التفكيك مختلفة ، ومغايرة لمجمل القراءات العربية التي استثمرت في دريدا ، أو حاولت التداخل مع مقولاته بأي ضرب من ضروب الاستثمار أو أية طريقة من طرق التداخل . فالتجربة التي ينجزها كمال متمايزة ، بمناخاتها ، وهواجسها ، ومواضع تبشيرها ، وايقاعات بواطنها العميقة ، وهي تجربة لا يمكن فصلها عن الوشائج الحميمة التي ظلت تربط مشروع الناقد في كمال أبو ديب بجرثومة الناصّ والكاتب المبدع فيه . فقد ظل أبو ديب طوال الوقت قريباً من الكتابة الإبداعية العربية الجديدة ، تنوس مجساته مع متجهات المغامرة فيها من أدونيس وسعدي يوسف ومحمود درويش إلى قاسم حداد وأمجد ناصر ولينا الطيبي وعبده وزان .

وقراءة أبو ديب للتفكيك تندرج ، لذلك ، في أفق يلحّ على تأسيس قيم وجماليات وأدوات نقدية نابعة ، بشكل أساس ، من تحولات الكتابة العربية واكتشافاتها الجمالية ، وحدوسها الشعرية ، ومقترحاتها على مستوى التشكيل والأسلوب . إنها قراءة محكومة بتصور ثاوٍ ، يعمل بشكل مسبّق لتحديد طبيعة حركة الأفكار ومتجهات تداوليتها ومخططها العام للانبثاق والتشاجر ، كما يوحي بحظوظ الفكرة وفرص المقولة للنمو داخل النماذج الحضارية المختلفة .

ومن أهم الفرضيات التي تغذي ذلك النموذج ما يلي :

إن النشاط النقدي الفاعل انما يبلور قيمه الجمالية ومناهجه من خلال مقترحات النصوص الإبداعية وخصائص شعرياتها المتحولة . وإن العطاء النقدي العربي الجديد عليه أن يطور معطياته الخاصة من خلال جماليات

---

(١٨٨) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٧٤ .

الإبداع العربي في اللحظة الراهنة أو لحظة «الإنفشار الحداثي الثالث» كما يسميها الباحث .

وكما تتحدد العطاءات النقدية من خلال الكتابة الإبداعية التي تستدعيها فإنها تتحدد ، كذلك ، من خلال الطوابع الحضارية التي تحكم السياق الذي أنتجها . ولذا ، فإن حضارة يحتل فيها المعنى أسمى ذرى المنطلقات التصورية مثلاً لابد أن تتخالف مع ثقافات اللامعنى التي أفرزتها لحظة تأزم خاص في سياق تاريخ فكر آخر وهكذا .

ثم إن الحضور المتوتر الخلاق للإنسان في العالم ، وحضور العالم فيه يستلزم لا السعي لتقويض التمركز الغربي وحده فحسب ، ولكن لا بد من حركة تمتد لزعزعة التمركز العربي حول الغرب . إن هناك تمركزين إذن : التمركز الغربي العربي والتمركز الغربي الغربي(١٨٨) ، وإن إدارة ماكينات التطبيق والنسخ والسرقة على المعطيات الغربية الجاهزة هو أحد علامات التمركز المعكوس التي يتوجب الإقلاع عنها فوراً .

لا تتخلص لغة كمال أبو ديب ، العاطفية ، المشبوبة ، الحرى ، والقاطعة من هواجس هذه الأفكار وهي تواجه مشكلات التفاعل الحضاري التي تطلقها اللحظة الراهنة من التاريخ الكوني أمام درس النقد في الحقل العربي طوال صفحات كتابه «جماليات التجاور» الذي وصفه ، ذات لقاء بقوله : «هذا النص النقدي ببساطة ودون تواضع ، واسمح لي أنا لا أحب التواضع لأنه ليس فضيلة في عالمنا الزائف اليوم ، اسمح لي أن أقول إنه لا مثيل له في العالم . وليقتبسني الناس ويقولوا هذا أكبر المغرورين . حين يجدون نصاً شبيهاً له في العالم سأقول أنا مخطيء ولم أكن على حق . سيهرع المئات ليقولوا هذا مأخوذ من الإنجليز أو من الفرنسية أو الروسية لأننا نعيش في عالم مليء بالعقد لا يؤمن بأن عربياً قادرٌ على أن يبتكر شيئاً والنص سيظهر قريباً وحين تجدون شيئاً شبيهاً له في النقد العربي سأتخلى عنه»(١٨٩) .

---

(١٨٩) أبو ديب ، كمال : حوار أجراه : عبدالله السمطي ، جريدة الرياض ، ع٤ ، نوفمبر ١٩٩٣ .

تبرز الفقرة السابقة مبلغ اعتزاز كمال بهذا الكتاب في سياق تجربته النقدية الشاملة. ولكننا من بين ثلاثة مفترضات مدماكية في أساسيات التصور النظري العام السابق يتاح للمقاربة طرح التساؤلات حول الفرضية الأولى المتعلقة باكتناه موقع النشاط النقدي من الإبداع الفني من خلال استحضار تاريخ التطور النقدي عند العرب، خصوصاً وأن كمال أبو ديب يسوق ذلك التاريخ بالذات لإضفاء مزيد من المصداقية على فرضيته (شعر أبي تمام ولّد مفهوم الموازنة وشعر المتنبي ولّد مفهوم الوساطة والنص القرآني ولّد نظرية الإعجاز)(١٩٠). فهل بالوسع، فعلاً، الزعم بأن مسيرة ذات اتجاه واحد يمكن أن تشكل قاعدة للحكم على كل تاريخ النقد في بيئة من البيئات؟ وهل هذه التراتبية بين النص الإبداعي والعمل النقدي متسناة ومأخوذة في الحسبان بجدّية دون أن تعتبر حيلة بارعة يخترعها المبدع لكسب الجولة في التنافس الرمزي على رأس المال بينه وبين النقاد؟ وما علّ المرء يفعل باجتهادات أخرى، لم يناقشها كمال، رأت في تطوّر الدرس النقدي عند العرب أثراً للعوامل الخارجية بلغ أضعاف ما اسهم به التحريك الداخلي الذي اقترحته المعطيات الثقافية المحلية في الفن والأدب؟(١٩١).

إن المرء ليتوجّس خيفةً، ويتحرّز أحياناً لفرط ما تنطوي لغة كمال على صياغات تعميمية، ومنافحات جامحة، وذهابات جارفة نحو ما تتحمس له وتتبناه، هذا على الرغم من أن المرء لا يمتلك أن يخفي اعجابه بالمقدرة التحليلية المميزة والالتقاط النقدي المرهف اللذّين يتوفر عليهما الباحث وهلة مشارفته للنصوص والقضايا. ومن منزلقات لغة كمال المشحوذة أنها تكاد توحي بصدور

(١٩٠) أبو ديب، كمال: جماليات التجاور. المصدر السابق، ص٥٠.

(١٩١) من ذلك تنتظم في السياق المشار إليه قراءة مصطفى ناصف، الذي يناقش في موضع أخر من هذا العمل، وهلة مناقشته للتطور البلاغي منذ لحظة الجاحظ. راجع للتوسع:

ناصف، مصطفى: حوار مع الزملاء. المقدمة اللغوية في النقد العربي. ضمن: قراءة جديدة لتراثنا النقدي. النادي الأدبي الثقافي، جدّة، مج١، ط١، ١٩٩٥، ص٥٣-١٠٥.

صاحبها عن مركزية عربية مضادة في الكثير من المواضع رغم سعي أبو ديب للتملص من ذلك . ولئن كانت العبرة بالنتائج حقاً ، فإن مقدمات أبو ديب التي تستبق الأمر على قارئه كل مرة باستحضار أن هناك من سيقول (واهماً) في موضع أو آخر : «لقد سقط أبوديب في مطب التمركز هاهنا» لا تنجح في دفع التهمة بمثل هذه الحيلة الأسلوبية التكتيكية .(١٩٢)

إن أبوديب يتحدث في بعض مواضع كتابه الآنف عن أنابيق صافية مقطِّرة (بكسر الطاء) صاغها النتاج الإبداعي العربي وارتشحت عبرها مصادر التراث النقدي ومادته وقيمه الجمالية أجمعين(١٩٣) . والخشية هنا جدّ حقيقة من أن يشكل هذا النوع من تركيب الأمور قسيماً تمركزياً ثالثاً هو التمركز العربي العربي (باستخدام تصنيفات أبو ديب) والمؤشرات في النهاية شبه مخيبة حول ما إذا كان كمال أبو ديب يقيم كبير وزن لمخاطر مثل هذه المعادلة المقلوبة ، أو إنه يعبأ باستفحال مثل هذه الصيغة فيما لو تنبّه لوجودها أصلاً .

على خطى إدوارد سعيد الذي ترجم له «الاستشراق» و«الثقافة والإمبريالية»(١٩٤) ، يبرز كمال أبو ديب في الفرضية الثالثة نموذجاً صلداً من منافحات الخطاب ما بعد الكولينالي الذي يروم ربط «النظرية» بالحدث ، عامداً

---

(١٩٢) من أمثلة ذلك أنّ الباحث يثبت ، من وجهة نظره ، أسبقية الجرجاني على ريتشاردز في بعض المسائل ثم يكتب في الهامش : «سيقول لك جابر محتجاً أنت تستمر في نسبة كل شيء للجرجاني . هذه تمركزية عربية بلهاء . لكن جابر مخطيء فيما يقول» . راجع : جماليات التجاور . ص٦٢- ٦٣ ، ويقول في موضع آخر : «هذه كما قلت ليست دعوة للإنغلاق بل للتفكير النقدي الإبداعي . هل هي دعوة ، يقول صوت آخر ، تعبر عن مركزية عربانية نقضاً للمركزية الغربانية؟ والجواب هو أيضاً بالنفي» راجع المصدر السابق ، ص٧٣ .

(١٩٣) أبو ديب ، كمال : المرجع السابق ، ص٥١ .

(١٩٤) سعيد ، إدوارد : الإستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الإنشاء . ترجمة : كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ .

سعيد ، إدوارد : الثقافة والإمبريالية . ترجمة : كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .

بذلك إلى إعادة ترسيم العلاقات بين العالَم والنص والناقد ، مثبتاً لحضوره في العالم شكلاً متوتراً ومتواتر الجيئة والذهاب بين الثقافة والنص . ومن بين تعقيدات عديدة تحكم التشابكات المظفورة بين المعرفة والقوة ، والصراع المحتدم للسيطرة على المعنى التاريخي والاجتماعي ستبدي اجتهادات كمال أبوديب فيما يتصل بهذه الفرضية ، ما هو أكثر قليلاً من التشابه مع الصيغة الإدواردية (نسبة إلى إدوارد سعيد) في النظر إلى تواريخ العُقَدِ المتبادلة والعسف والعنف الرمزي وتصفية الحساب وتبييت الثأر على صعيد علاقة الأنا المهمش بالآخر الغربي المهيمن(١٩٥) . وتسمح مثل هذه الخلفية المانحة لكمال أبو ديب ، أن يضع نفسه بكل بساطة في موقع اصدار الأحكام الجاهزة على الآخرين لينتهي ، دون تحليل أو اثبات لما يقول ، إلى ترديد تهم الببغائية والسفه والنقل والنسخ والضحالة بحق كل النقاد العرب!(١٩٦)

إن مفهوم «الرغبة في الإعتراف» ذا الجذر الأفلاطوني ثم الهيجلي(١٩٧) ، يمكن أن يهدي إلى الحلقة المفقودة التي تجمع بين صورة الذات الفردية وصورة الذات الجماعية الأكبر عند كمال أبوديب . ومثله مثل سعيد ، لا يملك المرء إلا أن يتعاطف في لحظة معينة مع نيات كمال أبوديب وتطلعاته لشروط أقل اجحافاً تضع الذات في مصاف الآخرين وعلى قدم المساواة . إن ذلك لمما لا

---

(١٩٥) للإطلاع على بعض النقودات التي توجَّه إلى أدوارد سعيد في خطابه حول الشرق كـ«موضوع» غربي يمكن الرجوع إلى : غيلنر ، إرنست : القلم الأقوى . ملحق : آفاق ، ع ١ ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٠١٧ ، الاثنين ١٢ أبريل ١٩٩٣ ، ص : أ-ب .

(١٩٦) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . مرجع سابق ، ص٤٨ ، ص٦٤ .

(١٩٧) الرغبة في الإعتراف هي نزوع لشحن الأنا بقيمة معينة ينال بها المرء اعتباره بين الآخرين ، وبهذه الرغبة يتميز الإنسان من الحيوان وهي تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة أي شخصية انسانية ، وهيجل يتصور أنها المحرك الأول للسيرورة التاريخية بكاملها . للمزيد حول هذا المفهوم يمكن العودة إلى : فوكوياما ، فرانسيس : نهاية التاريخ والإنسان الأخير . ترجمة جماعية ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٢٧-٣٣ .

يماري في مشروعيته منصف ، لكن المشاكل تبدأ منذ النقطة الحرجة التي تحيف فيها الذات وتتملكها الرغبة في السيطرة المعكوسة والاستبداد ، وبدلاً من أن يجري التخلص من مخاطر المركزية الغربية يُعاد إنتاج المركزة في مساحة مناوئة تماماً وتحت مسمى جديد(١٩٨) .

إن مثل هذا النمط من اعادة المحاصصة والتقسيم قد تجلى في محاولات عدة من قبل ، يمكن الإشارة من بينها إلى محاولة حسن حنفي في موضع آخر . ومع أن كل فرد أو مجتمع من حقه أن يستند إلى رغبة الاعتراف بالتأكيد ، إلا أن الوفاء لدينامية الاشتغال بين المتون والهوامش ، والمراكز والأطراف والأنا والآخر هو ما يتكفل بمساهمات اندماجية حقيقية في التاريخ الكوني بصفته الشاملة .

كان كاتب السطور قد ناقش ، قبل سنوات(١٩٩) ، احساس كمال أبوديب

---

(١٩٨) للتوسع حول نقد مشروع إدوارد سعيد ، بمجمله ، يمكن الرجوع إلى : أحمد ، أكبر - دونان ، هاستنجز : الإسلام في عصر ما بعد الحداثة . ترجمة : غادة الحلواني ، مجلة إبداع ، القاهرة ، س١٦ ، ع٢ ، فبراير ١٩٩٨ ، ص٦٧-٧٧ .

وكذلك يمكن الرجوع إلى :

- العظم ، صادق جلال : «الإستشراق والإستشراق معكوساً» : فصل في كتاب المؤلف : ذهنية التحريم . سلمان رشدي وحقيقة الأدب . دار رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٢ .

- صاغية ، حازم : ثقافات الخمينية : موقف من الإستشراق أم حرب على طيف؟ . بيروت ، دار الجديد ، ط١ ، ١٩٩٥ .

- زكريا ، فؤاد : نقد الإستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة . دراسة في المنهج ، مجلة فكر للدراسات والأبحاث ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

(١٩٩) البنكي ، محمد أحمد : قرين التفوق كمال أبو ديب (١) جريدة الأيام ، البحرين ، ع١٨٢٠ ، الأحد ٢٧ فبراير ١٩٩٤ ، ص١٤ .

البنكي ، محمد أحمد : قرين التفوق كمال أبو ديب (٢) جريدة الأيام ، البحرين ، ع١٨٢٧ ، الأحد ٦ مارس ١٩٩٤ ، ص١٤ .

القاضم بالتفوق، وتساءل حينها عن الأرضية التي يتكيء عليها، ما يسميه كمال: «الرغبة الجحيمية في التفوق»، ومولدات ومصدر مشاعر التفوق التي تجتاحه. أهي وليدة المنجز الماثل؟ أم أنها أبعد من البارز للعيان؟ أم هي مزيج من هذا وذاك؟ وعلام يستند احساس كمال أبوديب بالتفوق وبذّ الأقران؟ وهل من معطيات سِيَريّة مفيدة في هذا الصدد؟.

قد يتاح رسم الصورة من خلال بعض ادلاءات يرويها كمال بنفسه. سينفتح المشهد السِيَري على أسرة سورية مسيحية من قرية صفتا وعلى أب تحتدم فيه رغبة أن يتفوق الابن في فصول الدراسة وفي التطلعات المهنية المستقبلية، ويملك هذا الاحتدام على الأب أقطار النفس حتى لا يتقبل مجرد غياب الابن عن المدرسة يومين فيكويه بأسياخ النار مُلَقِّناً إياه أهمية الانتظام في الدراسة وتحقيق التفوق الذي بات «اجبارياً» كما يصف أبو ديب.

تصلح هذه المقدمة لإنبائنا عن القدر الذي كانت رغبة الاعتراف من خلال التفوق متأججة في طفولة كمال. ولعل في هذا التأجج ما شكّل الانقداح الباكر لاقتران منظور أبو ديب عن الذات بفكرة التفوق. ولاحقاً سيتعلم ذلك الصغير أن يضبط امكانيات التفوق في معادلات رياضية. سيتلقى الدرس الأول يوم أن يتفوق عليه ابن عمه في الترتيب المدرسي، هنا سيربط أبوديب التفوق بمدى الحاجة والافتقار. «مرة لم أكن الأول، كان معي في الصف ابن عمٍّ لي كان أبوه فقيراً وجاء هو الأول. وهزّتني الحادثة هزاً، قلت وقيل لي: ترى الفقر؟ الفقر يؤدي إلى التفوق، الفقير ليس عنده ما يلهو به ويضيع وقته بالتسلية به وهو مجبر على التفوق. من يومها تعلمت أن الفقر فضيلة على الغنى وأن الغنى يقود إلى الضياع. وفي حياتي كلها كلما وجدت نفسي في موضع الأضعف الأفقر شحذني هذا التصميم الهائل على أن أتفوق»(٢٠٠).

(٢٠٠) تم استقاء هذه الإدلاءات من أحاديث رواها كمال أبو ديب لنوري الجراح، نشرت في جريدة اليوم السعودية بتاريخ ٨ فبراير ١٩٩٤، وتم تضمين بعضها في المقالين السالفين، ثم تعذر العثور على الجريدة المذكورة فكان الاعتماد فيما سيلي من استشهادات ومعلومات على ما توافر في «قرين التفوق كمال أبو ديب».

فيما بعد سيكون لهذه المعادلة : التفوّق - الحاجة ، فعل السحر في مسار أبوديب . سيحض النفس على التفوق في جامعة دمشق لأنه ابن الريف المحروم من ترف المدينة ، وسيتفوق في أكسفورد لأنه ابن العالم الثالث المحروم من مئات الأشياء . وسيستعيد في كل تنافس مع طلبة الإنجليز قريته الفقيرة وهزء أبناء الأغنياء منه بعد أن عاد إلى المدرسة وقد قصت أمه شعر رأسه توفيراً للنقود التي تدفع للحلاق يوم أن طرده مدير المدرسة بسبب القمل الذي احتشد في شعره مشترطاً لعودته حلاقة الرأس أولاً! .

ستكون «الرغبة الجحيمية في التفوق» هي التي تتبقى على رماد صور الماضي البائس : «كانت الصور تلتهب في القلب فيلهبني همّ هائل لاختراق المتوقع والتفوق على الجميع» يقول أبوديب . وستغدو فكرة التفوق على الجميع هي وسيلة المواجهة والانتشال من مواقع الضعف . وعندما تسكن الحي عائلتان اقطاعيتان في المنطقة سيكون الحل الذي يرضي كمال للانتصاف من المظالم التي توقعانها بالناس هو التفوق على أولاد الإقطاع في الترتيب المدرسي! «كان عدد من أبناء العائلتين معي في المدرسة ، وكان هماً لي دائماً ، وأنا أرى كيف يعامَلون ويدلَّلون من قبل الجميع إلا أستاذاً واحداً فقيراً ، أن أتفوق عليهم»!

وفي أروقة أكسفورد سيتساءل أبوديب حين يواجه الأتراب جوناثان كلر وتيري ايغلتون : «كنت أقول لماذا يكون روجر سميث أو تيري ايغلتون أو جوناثان كلر أو أمثالهم من أترابنا أفضل مني وأنا وهو طالبان معاً؟ ثم كنت أكرر ذلك وأنا في مرحلة الأستذة . وكنت لا أرى سبباً يسوغ تفوقهم عليّ بل أقول أنا من بلد فقير .. ولديّ ألف دافع يدفعني إلى التفوق ، أما هو فإنه لن يخسر الكثير إذا لم يتفوق» .

إن فكرة التفوق التي غرستها تنشئة العائلة في أبو ديب ستلعب دوراً كبيراً لا في اندفاعه نحو ادراك التفوق كلما شرع في أمر من الأمور فحسب بل ، وكذلك ، في تمثّله لهذا التفوق واحساسه الناجز بتحققه على صعيد الواقع حتى قبل أن يستوثق من مصادقة الآخرين على ما يذهب إليه .

مع ذلك ، يقتضي الأمر القول أن النظر إلى مجمل ما قدمه كمال أبوديب نقدياً بتصويب الانتباه على «جماليات التجاور» خاصة قد يتطلب تسامحاً من

نوع ما ، مع مغادرة كمال أبوديب لفضيلة التواضع أو مغادرة فضيلة التواضع له! فالحق أن ثمة في «جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية» ما يضيء ويغوي ويفسر ولو من بعض الوجوه ، تبجح وغطرسة كمال أبو ديب ، فالأثر الذي ينجزه أبوديب هنا مشغولٌ ، وباذخ الجماليات ، وما لم يتمسك المرء بفصل كلاسيكي للنص النقدي عن النص الأدبي ، فإن بالوسع التدليل على أن أكثر من سبب يجعل المساحة التي يوظف بها كمال أبو ديب استراتيجيات التفكيك في هذا النص مختلفة ، ومغايرة لجمل الاستعادات العربية التي استثمرت في دريدا ، أو حاولت التداخل مع مقولاته بأي ضرب من ضروب الاستثمار ، أو أية طريقة من طرق التداخل .

إنّ الكتابة النقدية التي يجترحها كمال أبوديب في «جماليات التجاور» تسعى إلى نبذ الهيراركية المكتملة المودعة في مفهوم «الكتاب» . إن أول تقديم يتبدى به كتاب جماليات التجاور ، دون أن يكون هناك مقدمة تقليدية ، يتحدث عن النص الموجود بين الدفتين بوصفه صيغة إلقائية/ حوارية/ تشابكية/ شجارية/ شفهية جمعت في كتاب[٢٠١] . وهذا يعني أن على القاريء أن يتلاءم مع انكسار أفق التوقعات منذ اللحظة التي يتصور فيها كتاباً في صيغة شفاهية كتابية مزدوجة . ثم إن عليه أن يعد للأمر عدته مع تقدم الصيغة إليه في هيئة تشابكية متشاجرة أيضاً . إن نص/ نصوص «جماليات التجاور» لا تسبقه مقدمة في الوقت الذي تعقبة «مؤخرات» و«مسك ختام» دون أن يكون في الكتاب فهرس عام للمواضيع . أما النص الأساسي بمتونه وهوامشه فيشغل حوالي ثلث الحجم الكلي في حين تستأثر الملحقات بثلثي الكتاب .

لعل المرء لا يتمالك نفسه ، بعد نقد عنيف سابق وجهه عبدالعزيز حمودة على جرافيكية انتاج الصفحة النقدية عند كمال أبوديب[٢٠٢] ، دون التشوق

(٢٠١) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . مرجع سابق ، صفحة غير مرقمة ترد قبل بدء النص ، ترقيمها الافتراضي هو ١١ .

(٢٠٢) حمودة ، عبدالعزيز : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك . سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٤٣-٤٦ .

إلى سماع رأي حمودة من جديد في التشكيل الجرافيكي لكتاب «جماليات المجاورة» . إن قهقهة مكتومة ستتملك القارىء ، أغلب الظن ، لأن كرة الثلج الناجمة عن التشكيلات الفضائية غير التقليدية للمتن النقدي ، والتي أثارت حنق حمودة قبلاً ، ستتضخم وتطّرد في الانزلاق . ولئن صحّ بأن نصوصاً ابداعية عربية راهنة عديدة قد عرفت شكلاً أو آخر من أشكال التلاعب في التنضيد الطباعي والتنسيق الطوبوغرافي لمساحات البياض والسواد داخل فضاء الورقة ، فإن النصوص النقدية العربية ظلت محافظة على المقترحات البصرية المعهودة . وفي هذا السياق تتنزل جدّة الحلول التشكيلية التي يلجأ إليها كمال أبوديب في هذا الكتاب متوخياً احداث تناظرات وتداخلات وتوازيات على مستوى الشكل كما على مستوى المضمون . غير أن هذه الجدّة تستحضر في الذاكرة ، مع ذلك ، صنيع الناسخين والمدونين العرب الذين تجاسروا على كسر الطابع التقليدي لرقعة التسجيل السائرة في الكثير من الأحيان(٢٠٣) .

كان اعرابياً ورد ذكره في المأثور النبوي قد أخطأ من شدة الفرح لمّا لقي بعيره الذي ضاع في أرض فلاة وشارف على الموت . ثم أطارت اللقية الثمينة صوابه فصرخ : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح(٢٠٤) . يمكن تصور كمال أبوديب في صورة ذلك الإعرابي المسرور وهو يعلن فرادة نصه ويعرب عن

---

(٢٠٣) للتوسع حول تشكيل رقع الكتابة عند العرب يمكن مراجعة :

- كرابار ، أولينغ : كيف نفكر في الفن الإسلامي . ترجمة : عبدالجليل ناظم وسعيد الحصالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١١١-١١٧ .

(٢٠٤) الإشارة إلى الحديث «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دويّة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه . فحمد ربه ثم قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» . متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس ، ورواه مسلم من حديث النعمان بن بشير ومن حديث أبي هريرة مختصراً .

استعداده للتخلي عنه إذا ثبت العكس . لقد أخطأ من شدة الفرح . وقد يكون الضحك الذي لا يأبه لكون كمال سيرمي بالعُقَد كل من لا يجاري دعواه هو رد الفعل المرن والمتعاطف والمستوعب حينها ، لا سيما وأن كمال يستدعي إلى أذهاننا دهشة العثور الباهر : وجدتها ، وجدتها . مذكّراً أن كثيراً من الأفكار والاكتشافات لا تنجلي له إلا شأن أرخميدس : في مغطس الحمام![٢٠٥] والحق أن كمال يقدم في هذا الكتاب محاولة مثيرة ولافتة واشكالية ، لكن ادعاءاته المدويّة بحاجة إلى بعض التلطيف والإغضاء والتسمح مع ذلك .

إن جيل دولوز وفيلكس غتاري يتحدثان طويلاً عن الكتاب : الجذمور[٢٠٦] الذي يتركّب من تعددية في المداخل وتكون الكتابة فيه ضمن عدد من الأبعاد غير محدود بحيث تُلغى البداية والنهاية وتمتلك كل فقرة منه قابلية الربط بأية فقرة أخرى[٢٠٧] . إن هذا الكتاب ينبثق من صورة للفكر منزوعة المركز ، تحتفل بالخرائطية مقابل السيمترية ، وبالتكثّر مقابل الوحدة ، وهو كتاب يتقابل مع الكتاب-الشجرة ، المراتبي ، المكتمل ، الكلاسيكي ، والمردود إلى نواة مركزية تمثل نقطة الأصل .

كان دولوز وغتاري قد شرعا في انجاز هذه الكتابة الجذمورية خلال كتابهما

---

(٢٠٥) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . مرجع سابق ، ص٨٨ .

(٢٠٦) لجذمور تجمعه العرب على «جذامر» و «جذامير» ، وهو ساق أرضية نباتية شبيهة بالجذر ، لكنها ليست جذراً . وأخذه بجذموره وبجذاميره أي بأجمعه . راجع : البستاني ، بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع ، ص٩٨ .

(٢٠٧) دولوز ، جيل -غتاري ، فيلكس : الجذمور ، ترجمة كاظم جهاد . والنص هو فاتحة الجزء الثاني من مؤلفهما المشترك : الرأسمالية والشيزوفرينيا : ألف سطح . وقد نشر المترجم هذه المقدمة ضمن : «جيل دولوز قطب الفلسفة الفرنسية الجديدة . وداعاً دولوز ، مجلة نزوى ، عمان ، ع٦ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص٣٣ - ٥٣ .

«ألف سطح»(٢٠٨) ، ونقلا جانباً من الحالات الهلوسية التي أدركتهم إبان البحث عن أساليب أداء تتوخى المتعدد والشيزوفريني ومتراكم التعبير . أكثر من ذلك ، لقد تطوعا بإيراد الأمثلة المتلاحقة على كتب حققت هذه الكتابة الجذمورية في مجالات بحثية متعددة أنجزها مؤلفون كثر ومراكز أبحاث متكرسة .

كان دولوز وغتاري ، أيضاً ، يحذران من الاقتصار على الحيل الطوبوغرافية ، والبراعات القاموسية ، وابتكارات البناء التي تسقط في محاكاتية موجهة لحل عرى وحدة مدعمة في بعد آخر من أجل كتاب/صورة ، أو نرجسية تقنية : «ليست الابتكارات الطوبوغرافية والقاموسية والبنائية ضرورية إلا عندما تكف

---

(١٠٨) عنوان الكتاب بالفرنسية Mille plateaux وهو صادر في ١٩٨٠ عن دار Minuit بباريس . وقد تنوعت اجتهادات المترجمين العرب في تعريب هذا العنوان تبعاً لتنوع الاحتمالات الدلالية فترجمه بعضهم بـ «ألف هضبة» أو «ألف نجد» ، وترجمه آخرون إلى «ألف سطح» على أن علي حرب قدم اجتهاداً لا تنقصه الوجاهة حين قال : ارتأيت تعريبه بهذه العبارة : ألف سطح وسطح ففي العربية ينفتح الرقم ولا ينغلق . فنحن نقول مثلاً «ألف قصة وقصة» أو «ألف سبب و سبب» ولا نقول «ألف سبب» لا غير . أما لأن النظرة العربية الإسلامية ترى إلى الشيء في عدم اكتماله وفي انفتاحه الدائم ، كما يذهب إلى ذلك ستيتيه ، من خلال قراءته للرقم الذي يمثله عنوان : ألف ليلة وليلة ، وإما لمقتضيات نحوية بيانية ، أي لأن الجملة في العربية لا تتوازن ولا تتناسق بغلق الرقم ، بل بفتحه ، وإذا صح الرأيان يكون في فتحه توازن العبارة وانفتاح الرؤية في آن «انظر :

- حرب ، علي : الممنوع والممتنع : نقد الذات المفكرة . المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٥ . هامش ص ١٥٦ .

- أما كاظم جهاد فقد راعى في الترجمة ولع المؤلِّفَين (دولوز وغتاري) بالجغرافيا فاختار «ألف هضبة» و «ألف نجد» لكنه استفاد من اقتراح علي حرب حين قرر : «مصيبٌ هو الباحث العربي (لا أتذكر اسمه) الذي أشار إلى أن من الممكن ترجمة العنوان إلى «ألف هضبة وهضبة» كما نقول «ألف ليلة وليلة «لأن الرقم «ألف» إنما يفيد هذا التنوع» راجع :

- جهاد ، كاظم : جيل دولوز ، قطب الفلسفة . . ، مرجع سابق ، ص٥٣ .

عن الإنتماء إلى الشكل التعبيري لوحدة خفية ، لتصبح هي نفسها واحداً من أبعاد التعددية المعبرة»[٢٠٩] .

تسمح هذه الإضاءات الدولوزية -الغتارية بمراقبة مشهد كامل تتحرك بضمنه أركيولوجيا الكتاب الجذمور ، الذي سيصبح عما قليل مظهراً من مظاهر تعبير الكتابات المابعدية عن منظوراتها ومعايناتها للأشياء . كتابة تجريبية ، لا نهائية التشكل تتلاعب بالبنط ، والبياض والسواد ، ومواقع المتون والهوامش ، وتطفر منها الأصوات المتحاورة ، المتناجزة ، المتنافرة في كل الاتجاهات بتطويرات تجاورية تتشابك وتفترق ، وتتقاصى وتتدانى لتعطي من خلال ذلك كله إحساساً بالصمت والأورفيوسية والتعدد والالتباس . . الخ . كان إيهاب حسن قد انتهج نمطاً من المقاربات النقدية يأخذ بهذه التقنيات التشكيلية في أكثر من مؤلف من مؤلفاته[٢١٠] . وكان جاك دريدا قد كرّس مناخات هذه الطرائق من التأليف بإعلانه عن موت الكتاب وبداية الكتابة كأثر عن انتقال من حقبة لوغوسية الأبعاد إلى مشهد متمركز على المستوى المعرفي . وهو قد كتب طائفة من أشهر نصوصه باعتماد مقترحات لا منتظمة من التجاور والتداخل والتوزع

---

(٢٠٩) دولوز ، جيل - غتاري ، فيلكس : الجذمور . مرجع سابق ، ص٥٠ .

(٢١٠) راجع لأخذ فكرة عن ذلك مثلاً :

- Hassan, Ihab: POSTmodern ISM: A Paracritical Bibliography, The PostModern Theory and Culture, Ohio State University, 1980.

وكانت المقالة الأساسية قد نشرت لأول مرة في مجلة : New Literary History ، مج٣ ، ع١ ، ١٩٧١ ، ص٥-٣٠ .

كذلك انظر :

- Hassan, Ihab: The Right Promethean Fire: Imagination, Science and Cultural Change. Urbana, University of Illinois press, 1980.

وعبدالعزيز حمودة يورد أمثلة للتشكيل الغرافيكي في كتابات إيهاب حسن في : المرايا المحدبة . مرجع سابق ، ص٣٥١-٣٥٤ .

الجرافيكي الحر على فضاء الصفحة لعل أشهرها ما ورد في نواقيس «Glas»(٢١١) ، والمحاولات متواصلة ومتكاثرة في هذا النهج وقد يمكن الإشارة إليها لولا رغبة الاكتفاء بالأمثلة السابقة دون الاستقصاء الذي يمكن أن يخرج التطرق عما انعقد هذا المبحث عليه .

بإصدار «جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية» يكون كمال أبو ديب قد كرس انكبابه على رهانات بلورة شعرية جديدة تنطلق ، في مستوى من مستوياتها ، من تدفقات لعب حر في حركة الدوال ضمن فضاء الصفحة المكتوبة ، وهي ذهابات كانت سجلت معدلات تسارعها الملحوظ منذ «عذابات المتنبي في صحبة كمال أبوديب»(٢١٢) . الجديد هنا هو امتداد ساحة هذه الرهانات من حدود النص الإبداعي إلى مجال النص النقدي .

في مستوى من مستويات قراءة كمال أبوديب لتفكيك دريدا تتمحور المآخذ التي يوردها كمال على انتهاك التطبيق الدريدي على النصوص لِما كانت المقولات النظرية قد قررته . وبينما يذهب دريدا إلى أن اللغة لا تقول ما تريد أن تقوله أبداً ، وأن هناك في النصوص الأدبية مساحة أساسية تلعب فيها المفارقة ويتكفل النقد بكشف هذه التناقضات ، فإن كمال أبوديب يلاحظ أن دريدا ،

---

(٢١١) Glas من أشهر نصوص دريدا وهو يتناول فيه بتوازٍ مبتكر فكر هيغل وأدب جان جينيه . راجع :

- Derrida, Jacques: Glas. Paris, Galilée, 1974. Also: Paris, Denoel/Gonthier, 1981.

وقد ترجم كاظم جهاد هذا النص إلى العربية إلا أنه أسقط منه ، بموافقة جاك دريدا ، الجانب الخاص بهيغل . انظر ترجمة كاظم جهاد ضمن :

- دريدا ، جاك : الكتابة والاختلاف ، ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص١٦٩-٢١١ .

والجدير بالذكر أن جهاد قد أثبت صورة من النص الفرنسي ضمن ترجمته الآنفة ص١٧٠ ، وكذلك فعل عبدالعزيز حمودة في «المرايا المحدبة» ، مرجع سابق ، ص٣٥٥-٣٥٦ .

(٢١٢) أبو ديب ، كمال : عذابات المتنبي في صحبة كمال أبو ديب والعكس بالعكس ٣٠١ هجرية - ٢٠٠١ ميلادية . دار الساقي ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٦ .

عند الممارسة ، يحاول أن يؤكد هذه الأفكار بوساطة لغة حاسمة لا تملك أدنى درجات الهلامية ، لغة تقول بقطعية نادرة كل ما تزعم أنها تقوله ، مخالفة بذلك تصورها النظري القائم على استحالة أن تقول اللغة ما تزعم أنها تريد أن تقوله(٢١٣) . هذا هو مأزق التفكيك الذي يقوّض مرتكزه التصوري بطريقة مضحكة كما يرى كمال أبوديب(٢١٤) .

لعله ينبغي استعادة أن مثل هذه الإثارات طالما طرحت حول التفكيك من قبل ، وأنها تكاد تنخرط في دائرة مجموعة من الحجج باتت تشكل نوعاً من التقاليد المنسوجة في طيات أي مناوءة للتفكيك . فقد كان إبرامز في نقوداته المبكرة للتفكيك من أوائل من أثاروا القضية من وجهة الدور الذي ينبغي أن يعطي للحنكة اللغوية والقواعد العرفية التي تعتمد عليها تلك الحنكة في تقرير معنى النص بما يجعله يتماشى مع ضوابط الاستخدام الاجتماعي للغة(٢١٥) . وإبرامز بإحيائه لفاعلية هذا الدور يريد أن يلفت إلى أن أصحاب القراءات التفكيكية بـ«تبحّرهم في أحد الأبعاد المغلفة للعوامل التي تدخل في تفسير النص» -أحد الأبعاد فحسب- (البعد المقصود هو امكانية اللغة في نقل معان محددة ، كما أن التبحر فيه مصروف إلى تعليق هذه الإمكانية أو تأجيلها الدائم) إنما يؤدي ، من وجهة نظره ، إلى انعكاس تنظيرات التفكيك على ذاتها . «بمعنى أن عمليته الهدمية تدمر امكانية توصل القاريء إلى تفسير صحيح لكل من نصوص نظريته ، والتفسيرات النصية التي تطبق نظريته عليها»(٢١٦) . ومن أجل ذلك يسمي إبرامز نظريات دريدا وستانلي فيش وهارولد بلوم «نظريات انتحارية» أي أنها تضع حداً لحياتها بنفسها .

---

(٢١٣) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . مصدر سابق ، ص٧٧-٧٨ وص٨٧ .

(٢١٤) أبو ديب ، كمال : المصدر السابق ، ص٦٤ .

(٢١٥) راجع : إبرامز ، م . هـ : فعل الأشياء بالنصوص . ترجمة : أحمد يعقوب الجذوبة . مجلة الآداب الأجنبية ، دمشق ، س ١٧ ، ع ٦٩ ، شتاء ١٩٩١ ، ص١٥ .

(٢١٦) إبرامز ، م . هـ : المرجع السابق ، ص١٥ .

إن هذه الحجة في الحدود التي عرض لها إبرامز ، والحدود التي يشترك معه فيها كمال أبوديب ، قوية ومطروحة وتبث تحديها أمام الاتجاهات التفكيكية بثقة ، لكن إبرامز ، بخلاف كمال أبوديب ، يدرك أن التفكيكيين يعون هذه المفارقة ويقرون بعدم امكان التفلت منها(٢١٧) ، أما كمال فيرى أن تصورات دريدا تفرض وجود معنى ما نسعى إلى الوصول إليه وإبرازه عن طريق تأويل ما ليس هو إياه في الظاهر ، لكن دريدا يسعى إلى اثبات عكس هذا الافتراض المتضمن تماماً وهو كون المعنى مؤجلاً وغير قابل لأن يحدَّد(٢١٨) . إن دريدا في عبوره من لحظة النظر إلى لحظة التطبيق يقفز على هذه الهوة بسهولة ، كما يعاين أبوديب ، دون أن يكون هناك ما يُشعر بأنه يعي ذلك .

إلى هذا الحد بالإمكان القول إن كمال يطرح حجة مستأنسة دارت في أكنافها نقاشات وسجالات كثيرة ، كما سنرى ، لولا أن كمال يتفرد بمنظومة خاصة للمسلسل التصوري الذي تندرج هذه الحجة بضمنه . وهاكم المزيد من التفصيل .

لقد جرى الاعتياد على سماع مثل هذه الحجة ، التي تدافع عن مسألة معرفية أساساً ، على ألسنة من ينافحون عن يقينية اللغة والمعنى أو ضرورة الأسس أو المعايير الضابطة التي تحدد المعنى وتضمن للغة أن تؤدي غرضها التواصلي المعهود . ويبدو أن كمال أبوديب يتقاصى عن هذه الأرضية حين يقرر أن لغته لا تتوافر على القطعية المكتنزة في لغة دريدا ، وأنه إنما يتناول النصوص بلغته «الزئبقية الهلامية التي لا تعرف ما تريد أن تزعم أنها تقول ، دع عنك أن تعرف إن كانت تقول ما تريد أن تقوله أو لا تقوله»(٢١٩) . غني عن البيان أن فحوى هذه العبارة يتراسل مع منطلقات دريدا المعرفية إلى حد المزايدة ، ولا يتصور ممن يضع اللغة في هذا الموضع أن يشهر في وجه دريدا حجّة مبنية على توقير حدود التأويل وتشذيب جموحات المعنى كشأن الحجة السالفة ، لكن

---

(٢١٧) إبرامز : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢١٨) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . المرجع السابق ، ص٨٧ .

(٢١٩) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . المرجع السابق ، ص٧٨ .

كمال يفعل ، وأكثر من ذلك ، تدخل مماحكاته طوراً أكثر جدّية حين يقرر : «وقد ناقشت هذا التدمير للمعنى في دراستي للجرجاني في النصف الثاني من الستينات حين لم نكن بعد قد سمعنا باسم كاتب اسمه جاك دريدا»(٢٢٠) . لا يجد المرء مبرراً كافياً للدخول مع كمال في مناكفات حول أمور من هذا القبيل ، وعلى أية حال فقد تصدى بعض الباحثين لمثل هذه الدعاوى من قبل(٢٢١) ، إلا أن القمين بالنظر هنا هو الصورة المتخللة الجذرية التي تغوص وتطفو وتنزلق وتعوم في «جماليات التجاور» وهي صورة لمشاهد مقارنة تلح على الحسم في التفوق بين دريدا وكمال أبوديب . إن رغبة كمال الجحيمية في التفوق تدفعه إلى إنشاء سياقات مقارنة بينه ودريدا في أكثر من موقع من مواقع الكتاب(٢٢٢) ، وتبرز في هذه المسابقة المحمومة أطياف تيري إيغلتون وروجر سميث وجوناثان كلر ، ورغبات كمال الجحيمية في أروقة الطلب الدراسي بأكسفورد : «كنت أقول لماذا يكون روجر سميث أو تيري إيغلتون أو جوناثان كلر أو أمثالهم من أترابنا أفضل مني وأنا وهو طالبان معاً؟ ثم كنت أكرر ذلك وأنا في مرحلة الأستذة . وكنت لا أرى سبباً يسوغ تفوقهم علي»(٢٢٣) إن كمال أبو ديب الذي يطلق القول في معرض التهكم : «نحن في موسم دريدا والميتاورائي والبوستمودرنيزم»(٢٢٤) بطريقة تذكر المرء بدريدا نفسه حين يعلن : «الآن أطياف ماركس»(٢٢٥) . إن كمال بهذا الصنيع إنما ينحو صوب خيار مفضل من خيارات الحكايا الصغيرة التي تسرد

(٢٢٠) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . المرجع السابق ، ص٦٢ .

(٢٢١) أنظر : كمال أبو ديب ومزاعمه المتشاجرة ، الفصل الأول من :

- أبو أحمد ، حامد : نقد الحداثة . كتاب الرياض ، الرياض ، ١٩٩٤ ، ص١٧-٤٨ .

(٢٢٢) لاحظ مثلاً الصفحات : ٥١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٧-٧٨ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ من كتاب جماليات التجاور السالف .

(٢٢٣) البنكي ، محمد أحمد : قرين التفوق ، كمال أبو ديب (٢) . مرجع سابق ، ص١٤ .

(٢٢٤) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاور . مرجع سابق ، ص٤٧ .

(٢٢٥) دريدا ، جاك : أطياف ماركس . ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٤ .

تمثيلاتنا للآخر في السوق الفكرية العربية غضون اللحظة الراهنة . وهو خيار مركب ، ضديد ، وفصامي ، ومزدوج يقرن الرغبة بالرهبة والاحتياج بالاستغناء .

لنتساءل الآن عن المباحث التي تطرح مشكلة العِنى وقدرة اللغة على أن تعنى . الحق إن مجال بحث هذه المشكلة يقع تحت مشمولات فلسفة اللغة (الأوسع بطبيعة الحال من علم الألسنية) ومن الواضح أن ما يغيب في أسئلة كمال أبو ديب التالية إنما هو ادراك المرجعيات التي تتأسس عليها مقاربات دريدا ، والتي تنطلق من فلسفة اللغة أساساً ، قال كمال : «ما لا يسأله الدرس النقدي لدريدا هو التالي : على أي مستوى يضع دريدا مقولته عن المعنى؟ على مستوى الكلمة أم الجملة أم النص المكتمل؟»[٢٢٦] يضع أبوديب المسألة هنا في سياق قاصر كما يبدو . ذلك أن سؤال المعنى عند دريدا مطروح في مستوى أشمل من مستويات المقترح الألسني المحصور : كلمة ، جملة ، نص .

إن ابستمولوجيا اللسانيات غالباً لا تجد نفسها معنية بالنقد الذي يوجهه دريدا للمعنى في أفق علاقة اللغة بالواقع والحضور والمعايير المطلقة ، ودريدا يستوعب مثل هذه الفجوة حين يدعو إلى طرح الدال والمدلول ضمن اطار بحثي جديد هو الغراماتولوجيا . إن دريدا يأتي في إثر فلاسفة كبار مثل هوسرل وفيتغنشتين وهيدغر وأوستن ، حيث لم ينظر أي منهم إلى دراسة اللغة دراسة عملية عن طريق اللسانيات وكأنها المقاربة الوحيدة للغة . ويوضح هذا الأمر بول ريكور عندما يقول : «إذا كانت اللغة بالنسبة إلى الألسني غرضاً خصوصياً ، إن لم يكن نظاماً مستقلاً من الروابط الداخلية الخالصة ، بحسب تعبير هجلمسلف ، فإن مجملاً كاملاً من المسائل الأساسية حول اللغة تستبعد عندئذ من الألسنية . منها قبل كل شئ : علاقة اللغة بالعمليات المنطقية التي لا يمكن ردها إلى أي من البنيات اللغوية ، أو بشكل أعم ، علاقة الاتصال اللغوي بالوقائع الأخرى في مجال الإتصال الاجتماعي ، وبالثقافة عموماً ، وبعدها وبصورة خاصة تأتي علاقة اللغة بالواقع : أن تحال أو تسند اللغة إلى مطلق شيء

---

(٢٢٦) أبو ديب ، كمال : جماليات التجاوز ، مصدر سابق ، ص٦٣ .

آخر غير ذاتها ، تلك هي وظيفتها الأساس ؛ هذه المسألة الضخمة هي المسألة التي يمكن وضعها تحت عنوان : السند أو المرجع . ولكن هذه المسألة تثير مفارقة : كلما ارتقت الألسنية لكي تصبح علماً ، بفضل النقاء ، كلما طردت من حقلها ما يتعلق بعلاقة اللغة بغيرها من المجالات»(٢٢٧) .

إن الذي يتبدى من مجمل توضيحات دريدا هو أن التفكيك يشتغل في فسحة تذهب تخومها نحو ما هو أبعد من مجال فاعلية اللسانيات . وهذا ما يجعل أسئلة أبوديب : هل المعنى أفق لا يتحقق على مستوى الكلمة؟ أم أفق لا يتحقق على مستوى الجملة؟ أم هو أفق لا يتحقق على مستوى النص؟ أسئلة مطروحة برمتها للمسائلة ، فالتفكيك لا يجد نفسه مضطراً للاختيار بين البدائل الثلاثة التي يتيحها كمال أبوديب . بل إن استراتيجياته تقتضي وضع الأسئلة نفسها تحت طائلة سؤال آخر : هل هذه التساؤلات ضرورية ؟

لقد قدمت الاتجاهات الفلسفية المختلفة اجاباتها المتباينة على مثل هذه الأسئلة من خلال معالجات مستفيضة . وكان كارناب ، مثلاً ، يرى أن المعنى في العبارة ، وكان كوين يذهب إلى أن المعنى في القضية الناشئة عن التركيب أي في قيمة صدقها أو كذبها ، بينما رأى فتجنشتين أن المعنى في طريقة استعمال الكلمة من خلال رمزها . وهكذا(٢٢٨) . والذي يظهر لي أن المسألة مع

---

(٢٢٧) ريكور ، بول : فلسفة اللغة . ترجمة : على مقلد ، مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ع٨ ، خريف ١٩٨٩ ، ص١٥ .

(٢٢٨) للتوسع بتفصيل في مذاهب الاتجاهات الفلسفية المختلفة في النظر إلى موضع المعنى يمكن الرجوع إلى : أدهم ، سامي : ابستمولوجيا المعنى والوجود : نقد التطورية . مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .

وللاحاطة التفصيلية حول موقع التفكيك من وجهات نظر هذه الاتجاهات في الأسئلة والقضايا المتقدمة يمكن الرجوع إلى الفصل السابع من كتاب المنعطف التفكيكي :

Norris, Christopher: The Deconstructive Turn: essays in the rhetoric of philosophy, Methuen, London and NewYork, 1983,P.144-162.

دريدا تتنزل في سياق مختلف عن وارد هذه الأسئلة . فدريدا بنقده الجذري لفكرة الحضور في كل المستويات يمضي بمقالة سوسير «في اللغة لا يوجد شيء سوى الاختلاف» إلى أقصى مكانتها جاعلاً وظيفة الاختلاف ، وليس الهوية الكاملة ، هي فحسب البعد الفاعل في اللغة ، من هنا يتأجل المعنى باستمرار ، ومن هنا يستغرق وليم راي استراتيجية دريدا ثم يعلق ، محقاً : « لما كانت القيمة اللغوية دالة الفرق وليست الهوية الكاملة ، لذا لا يمكن للمرء أن يحدد موضع المعنى ، ناهيك عن موضع المفاهيم في أي مكان داخل اللغة»(٢٢٩) .

إن مقولة دريدا حول عدم تحقق المعنى ، وارجاء هذا التحقق بشكل دائم تنطلق من مستوى مجاوز للسانيات ، وهو مستوى الجراماتولوجي الذي يرتد بالمسألة إلى سؤال الكينونة في الوجود ، مما يعنى أن مقولة عدم تحقق المعنى تتحول عند دريدا إلى مجال السؤال الفلسفي وليس السؤال الألسني ، فما يصوب إليه دريدا يمرق من دائرة الدال والمدلول مخترقاً إلى التساؤل حول امكان التطابق أو عدم امكانه في علاقات تحكم ثنائيات الأنا/الآخر ، العقل/الطبيعة ، الذات/الموضوع ، الهوية/الغيرية . . الخ . إن وضع المسألة في هذا الوضع يعني فتح أسئلة اللغة على هوّة ، هل تستطيع اللغة أن تكون وسيلة نقل وقناة توصيل ليس إلا ، أم أنها تفكر بنا كما نحن نفكر بها؟

إن الهواجس التي تضغط على دريدا وهلة وضعه للمسائل حول المعنى ليست هي الجملة والكلمة والنص ، وإنما هي علاقات الخارج والداخل ، والواقع واللغة ، والظاهرة والإدراك . إن التصور الألسني لا يتحيز سوى موقع فرعي من فلسفة (ودريدا هو فقيه لغة قبل كل شيء) . واصرار كمال على طرّح أسئلته بالطريقة التي طرحها بها آنفاً إنما يؤذن بالإسراف في جهود وحركة ونشاط في غير الملعب الذي كان أحرى بالمنازلة أن تحدث في جنباته . إن فارق ما بين المقاربتين المختلفتين للدلالة هو فارق ما بين اعطاء الأولوية نحو طرائق انتاج

---

(٢٢٩) راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص١٦٤ .

المعنى في نفس ذلك النشاط .

إذن لنجرّ الإشكال إلى ساحة دريدا . ولنحدد أولاً ما هي نظرته حول المعنى ، إن دريدا يرى أن المعنى أفق غير قابل للتحقق ، اننا نسير باتجاهه ونطلبه دائماً لكنه يهرب منا دائماً ولا يتحقق في كل ما نقبض عليه . وهو يتحدث عن «فرشة» للمعنى قبل لغوية وقبل سميولوجية وقبل تعبيرية يكون حضورها قابلاً للتفكير خارج المغايرة وقبلها ، خارج عملية أو نسق الدلالة ، «فالمعنى سواء أكان «مدلولاً» أم معبّراً عنه أم متشابكاً مع عملية دلالة ، فهو عبارة عن مثلية idealite معقولة أو روحية يمكنها أن تحدد بالوجه المحسوس الدال لكنها تظل في غنى عنه مكتفية بذاتها . إن حضوره ومعناه ، أو لنقل جوهر معناه ، لا يقبل أن يُفكر إلا خارج هذا التشابك»(٢٣٠) .

انك إذا جعلت المعنى لا يتحقق في مستوى الكلمة المفردة ، فإنك حينئذ تنفي المعنى عن العلامة اللغوية نفسها ، ولكنك حين تجعل المعنى أفقاً لا يتحقق في مستوى النص ككل ، فإنك ، في هذه الحالة ، تنفي نوعاً من الدلالة الإجمالية دون أن تمس قدرة العلامة اللغوية المعزولة على اعطاء معنى . لايقرّ كمال أبوديب الذهاب الذي ينفي تحقق المعنى عن العلامة اللغوية المفردة ، وإنما يقترح ما مفاده أن علينا أن نجعل العلامة اللغوية المستقلة تعني ثم ، بعد ذلك ، نتيح المدى واسعاً لحرية الأفق في مستوى النص الإجمالي الذي يقبل المرونة ، ويتسامح ، إلى حدود قصوى ، مع أفكار تعدد المعنى وانفتاحه وزئبقيته والتباساته .(٢٣١)

إن مقارنة كمال تريد أن تنتهي إلى أن دريدا ينفي تحقق المعنى عن العلامة اللغوية ، وكمال ينفي تحقق المعنى عن النص الكلي . وللتعبير عن هذين المنحنيين يستخدم كمال أبوديب صيغتين للتعبير عما نحن بصدده هما : زئبقية

---

(٢٣٠) دريدا ، جاك : مواقع . ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٣٣ .

(٢٣١) أبوديب ، كمال : جماليات التجاور . مرجع سابق ، ص٦٣-٦٤ .

المعنى وزئبرية المعنى(٢٣٢) .

إن «زأبر» و «زئبرية» لايفتحان على تواردات غنية في القاموس : الزئبر والزَوْبَر هو ما يظهر من درز الثوب وزأبر الثوب زأبرةً صار له زئبر(٢٣٣) .

هذا في حين أن الزئبقية تفتح على حقل دلالي واسع يدخل في مشمولاته : التغير والسرعة والإختلافية والتحرك والمفاجأة .

إن الزئبرية تشتغل في مقترحات كمال بنحو ما تشتغل لفظة differance ، والزئبقية تشتغل على الشاكلة التي تشتغل عليها لفظة difference . وفحوى ما يلح عليه أبوديب هو أن دريدا يتكيء على رهان زئبرية العلامة اللغوية حين يطرح المسائل طرحاً نظرياً ، لكنه عندما يباشر النصوص مباشرة تطبيقية فإنه يتخلى عن زئبريته الخاصة بالعلامة اللغوية ليطبق في مستوى آخر هو مستوى زئبرية النص لا زئبرية كل علامة على حده . إن ما يريده أبوديب باصطناع هذا التفريق هو القول بإن إرجاء المعنى يمكن أن يتحقق على مستوى النص ككل ، غير أنه من المتعذر تحقق مثل هذا الإرجاء اللامتناهي على مستوى الكلمة المفردة .

إن هذا الإرجاء للمعنى النصي هو ما يسميه كمال أبوديب زئبقية المعنى ، وهو الذي ينطلق منه كمال ، أما ما يلح عليه دريدا من ارجاء يشمل معنى الكلمة كما يشمل معنى النص فهو زئبرية المعنى . وهذا غير ممكن في رأي

---

(٢٣٢) ان في هاتين الصيغتين ما يدفع إلى استحضار دريدا على الفور ، فهو قد بنى اختلافه على تدخل هجائي في كلمة difference بحيث استبدل الـ (e) بـ (a) في وسط الكلمة لتصبح differance ، وهو ما يعني الحصول على كلمة مفتاحية جديدة غير مثبتة في قواميس اللغة ، وهي كلمة تلعب على ايحاءات الكلمة الأصلية من حيث إنها تتشاكل معها صوتياً وتتباين عنها كتابة وهكذا تأمّن لدريدا ترحيل المعنى بين مفتاحين يعبر عنهما بـ difference و differance . عندي أن الفكرة من وراء الاجراء الذي يقدم عليه أبوديب مستلهمة عن تلك الحركة الدريدية البارعة بشكل ما .

(٢٣٣) انظر :

- البستاني ، بطرس : محيط المحيط . مرجع سابق ، ص٢٦٥ .

أبوديب(٢٣٤) .

الآن وقد بان أن مدلول الزئبرية- عند كمال- مصروف إلى معنى النص ومعنى الكلمة ، وأن الزئبقية إنما تنصرف إلى معنى النص دون معنى الكلمة يستبين لنا ما أراده أبوديب حين طرح السؤال : على أي مستوى يوجد المعنى عند دريدا؟ إن كمال الذي ينطلق من حضارة تقوم على فكرة المعنى ، يستشعر بعمق هذه الخصوصية ، ويريد لها أن تكون في مأمن من رمال دريدا المتحركة ، لذا فهو يصادق على أفق ذهابات مشترك مع التفكيك لكنه يحتفظ بنقاط علام تعمل كتحصينات أخيرة دون بديل المتاه الكامل إن زئبقية المعنى (وليس زئبريتة) تمثل وضع الحد الأدنى من الشروط التي تأوي إليها فاعلية التأويل كي لا تضيع فكرة الأساس أو أهمية القاعدة المشتركة للترجيح والتقييم . وكمال أبوديب هنا يكرر ، من زاوية معينة للرصد ، منافحة أمبرتو إيكو حول ضرورة «حد التأويل»(٢٣٥) . وهو يلتقي بذلك ، على تخالف في اجراءات الذهاب وأدوات المعالجة ، مع الحوصلة التي انتهت إليها قراءة مصطفى ناصف من حيث إن دريدا يمكن استثماره على الصعيد العربي في توسيع الدائرة الحيوية لتعدد المعنى ولعبه وانفساحه ، لكن ذلك لا ينبغي أن يحول في النهاية دون اقامة حصن أخير يضمن للمؤول هدأة مقبولة وضرورية(٢٣٦) .

٦- التفكيك بوصفه خلاصاً (قراءة بختي بن عودة) :

رغم حياته القصيرة ، إلا أن الباحث الجزائري بختي بن عودة (١٩٦٢-١٩٩٥م) قد أثار مؤشرات اهتمام متزايد بالتفكيك وبجاك دريدا . فقد

(٢٣٤) أبوديب ، كمال : جماليات التجاور . المرجع السابق ، ص٦٤ .

(٢٣٥) راجع :

- كوليني ، ستيفان : التأويل المحدود والتأويل اللانهائي . ضمن : امبرتوإيكو ، التأويل والتأويل المفرط . ترجمة : ناصر الحلواني ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٨-٣٠ .

(٢٣٦) ولا يغيب عن البال أن الاثنين يتفقان في ذلك مع ريتشارد وامبسون من مدرسة النقد الجديد ، وقد تقدم لك رأيهما .

أنجز أطروحته الجامعية للماجستير من خلال دراسة نموذج عبدالكبير الخطيبي كنموذج للكتابة التفكيكية في المجال العربي[٢٣٧] ، ونشر العديد من المقالات ، المترجمة أو المؤلفة ، التي عرض فيها التفكيك واستثمر استراتيجياته ، ومنها : «انسحاب الكتابة»[٢٣٨] ، «كيف نقرأ دريدا؟ احتراق الرفات نموذجاً»[٢٣٩] ، «موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا»[٢٤٠] ، «بوجدرة والدلالية المختلفة . مقاربة تفكيكية في شعرية الإساءة»[٢٤١] ، «العالم غير مناسب/قراءة لغياب ألتوسير»[٢٤٢] .

في كل هذه الكتابات كان بن عودة يسفر عن «حمولة نوستالجية كبيرة تتجاوز الميل المعرفي العادي» تجاه دريدا والتفكيك كما يلاحظ أحد الدارسين[٢٤٣] ، ولعل في هذه الحمولة ما يفسر لنا بعض ما يرد في ذلك البيان

---

(٢٣٧) بن عودة ، بختي : ظاهرة الكتابة في النقد الجديد . مقاربة تأويلية (الخطيبي نموذجاً) ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الحديث ، السنة الجامعية ١٩٩٤/٩٣م ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة وهران ، الجزائر . ويقتضي المقام أن أشكر الدكتور عبدالقادر فيدوح الذي أشرف على الأطروحة ويسر لي الحصول على نسخة منها رغم ان الأطروحة لم تطبع بعد وفاة صاحبها .

(٢٣٨) بن عودة ، بختي : انسحاب الكتابة . ملة التبيين ، الجزائر ، ع٦ ، ١٩٩٣ ، ص١٢ .

(٢٣٩) بن عودة ، بختي : كيف نقرأ دريدا؟ «احتراق الرفات» نموذجاً . مجلة مدارات ، تونس ، ع٥-٦ ، خريف ، شتاء ٩٥ ، ١٩٩٦ ، ص٤٠ .

(٢٤٠) بن عودة ، بختي : موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا .مجلة كتابات معاصرة ، لبنان ، مج٤ ، ع١٥ ، أغسطس ، سبتمبر ١٩٩٢ ، ص٣٤-٣٩ .

(٢٤١) بن عودة ، بختي : بوجدرة والدلالية المختلفة ، مقاربة تفكيكية في شعرية الإساءة . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٦ ، ع٢١ ، مايو-يونيو ١٩٩٤ ، ص١٣٣-١٣٦ .

(٢٤٢) دريدا ، جاك : العالم غير مناسب : قراءة لغياب ألتوسير ، ترجمة : بختي بن عودة ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٥ ، ع١٩ ، أغسطس ، سبتمبر ١٩٩٣ ، ص١٠-١٣ .

(٢٤٣) مهيبل ، عمر : حول الهوية والاختلاف في الخطاب الجزائري المعاصر : بختي بن عودة نموذجاً . مجلة دراسات عربية ، بيروت ، ع٥-٦ ، س٤٩ ، مارس-أبريل ١٩٩٨ ، ص١٣٤ .

الحماسي الذي يعلنه بن عودة في خاتمة أحد المقالات وبعد أن يتساءل :»ماذا يعني إذن اسم مثل جاك دريدا ، على الأقل بالنسبة إلى قارىء قادم من مدار أبي تمام أو الشابي»[٢٤٤] يقول : «لعل دريدا ، الذي لم يرسم اطمئنان المؤسسة للأعمال الممتلئة ، يمنحنا كقراء عرب أدوات حداثيةً بقدر ما لا تشير إلى الحداثة بشكل ملفت ، أدوات تتحاشى الارتهان ، أن تكون رهينة لحظةٍ أو غزو أو إلغاء ،لعل دريدا يعلمنا نحن أبناء المحيط كيف نفاجيء الهالات الموضوعة على جباه الآخر ، على شواطئه ، كيف نتسلل إلى الثغرات من خلال أمتعة معرفية نقدية تفكيكية ، أن ننسي ذواتنا إلى حين ، أن نؤجل الحديث عن وحدة ترعاها السماء ، أن نستحق طرفاً في الفكر القابل للسُّكْنَي [Pensée habitable] ، إنه فكر كذلك ، متى نحمل المصابيح؟»[٢٤٥] .

إن جدوى دريدا ، التي يشهرها في وجهنا ، بختي بن عودة ، جدوى تشعر بالاحتفائية والانجذاب المأخوذ بأكثر مما تفعل انحيازاً إلى قيم النقدية والتفكيك ، مادام دريدا هو « المثل الساطع والقوي» للاختلاف الذي يطال اللغة والكائن[٢٤٦] ، وما دامت الكتابة الدريدية «ذات بنية إعجازية»[٢٤٧] والكتابات التي تستلهم دريدا بشكل أساسي ، ككتابة الخطيبي ، هي « اجتهادات تفكيكية ، تأسيسية ورائدة في استثمار حقول ومناهج حديثة وفي فتح أفق مغاير في راهن الثقافة» [٢٤٨] ، والخطيبي نفسه هو «المفكر الكوني والجامع بين لذة اللامركز وانفتاح اللغة ، ذلك المنصت إلى الغيرية ؛ بل فيلسوفها الذي يحتويها في معناها الأقصى»[٢٤٩] كما يرى بن عودة .

---

(٢٤٤) بن عودة ، بختي : موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا . مرجع سابق ، ص٣٤ .

(٢٤٥) المرجع السابق ، ص٣٩ .

(٢٤٦) السابق ، ص٦٧ .

(٢٤٧) السابق ، ص١٨٨ .

(٢٤٨) السابق ، ص١٠٥ .

(٢٤٩) السابق ، ص١٣٠ .

لا تتخلص ، إذن ، قراءة الكاتب من مبالغة وحماسة وخفة تبشيرية ظاهرة في غالب الأحيان . وقد لا يتسنَ فهم هذه الطبيعة التي يحضر بها دريدا في محاولات بختي بن عودة بمعزل عن ممارسته الفكرية القصيرة ، والثرية . مع ذلك ، فهو يمثل جيلاً جديداً من الكتّاب الشباب ، حاول جهده تخليص الخطاب الفكري الجزائري من لعبة التقاطع اللغوي والإلغاء الثقافي التي كثيراً ما أصابت هذا الأخير بالعقم وأخرت مسار التقدم لديه»[٢٥٠] . كان الإنتاج الثقافي الجزائري قد تأثر بشكل لا فكاك منه بالأبعاد المرتبطة بالصراعات حول الهوية في مرحلة الهيمنة الفرنسية[٢٥١] . ومن وسط ذلك برزت اشكالية الهوية كإشكالية قصوى استبدت بأطروحات الخطاب الثقافي ككل . ولقد رافق احتدامات هذه الإشكالية تبلورات صراع عنيف حول الفرنسية والتعريب وملامح المشروع الحضاري المرجو .

ومع اشتداد وقع هذه الاحتدامات في الداخل الجزائري كانت شرائح الانتليجنسيا الفرنسية ترسم مواقف جديدة ، أكثر تعاطفاً مع التطلعات الجديدة للجزائريين في السنوات العشرين الأخيرة ، كما يتتبع أحد الباحثين[٢٥٢] .

لقد أضفت التحولات التي حاقت بالمشهد الفلسفي الأوروبي بعد ذلك ،

---

(٢٥٠) مهيبل : ص١٣٢ .

(٢٥١) يمكن تتبع بعض آثار هذه الأبعاد من وجهة ثقافية في إضاءات الخطيبي لكتابات : مولود معمري ومحمد ديب والبيريميمي وكاتب ياسين وآسيا جبار ومالك حداد في : الكتابة والتجربة . ترجمة : محمد برادة ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م .

(٢٥٢) انظر :

- جعيط ، هشام : أوربا والإسلام : صدام الثقافة والحداثة . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٩-٣٠ . وللوقوف على تتبع أكثر تفصيلاً لتحولات الوعي بالهوية الجزائرية الجديدة الآخذة بالتشكل داخل صفوف المثقفين الفرنسيين يمكن الرجوع إلى :

عمراني ، عبدالمجيد : جان بول سارتر والثورة الجزائرية . مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دون ذكر سنة الطبع أو رقم الطبعة .

مصداقية خاصة تقاطعت مع الحس النقدي في التعاطفات الفرنسية الآنفة ، ومن طيات ثورات فلاسفة الاختلاف على التمركز العرقي والمنطقي وانتصارهم للهامش والخارج على النسق ، برزت جاذبية خاصة لأفكار جديدة حول الذات والهوية والأنا والآخر . هنا بات السؤال الأساسي مع الجيل الجديد الذي تخطفته أضواء فلاسفة الاختلاف هو : كيف نفكر مع الذات ضد الذات؟ وقد مثلت أفكار التفكيك والمساءلة والمغامرة والثقة الأقل بالدلالة المغلقة مظلة فكرية لاجتراحات هذا الجيل وممارساته على صعيد الفكر . في هذا الوهج يمكن أن نفهم جانباً مما صاغ رؤى بختي بن عودة ومحاولاته لقراءة دريدا . فـ «لقد سكنه هاجس التفكيك في وعيه وفي جنونه ، في أحلامه وفي يقظته . فالتفكيك عنده ليس منهجاً وليس معرفة ، إنه دليل على علامة دالة هي الاختلاف ، والاختلاف مدخل إلى الحداثة ، والحداثة بمعنى من المعاني ثورة على الجاهز والنمطي . لنُعِد مفصلة الكلمات من جديد : التفكيك ، الاختلاف ، الحداثة ، الثورة . . إنها مفاصل الهيكل العام لمحاولة بن عودة الطريفة-والتي لم يقدر له اتمامها - التي لم تبح بأسرارها بعد للباحثين»(٢٥٣) . هذا بورتريه وصفي حميم قدمه أحد المتماسين بشكل مباشر مع بختي بن عودة ومناخاته ، ومنه نستشعر أن مسلك بن عودة إلى دريدا كان مسلكاً ، في جوهره الأعمق ، لإدراك شغل مكثف على هوية اختلافية-إن صح التعبير- تتباعد فيها الذات عن ذاتها ، «جاك دريدا ، إذن ، هو الاسم الذي اخترناه لنتمرن على المطالبة بالحق في الاختلاف وفي تفكيره» يقول بختي بن عودة(٢٥٤) .

لقد طالب بن عودة بحقه في الاختلاف ، بلا هوادة وطوال الوقت ، اتخذ من الكتابة ، بتوترها وازدواجها وتشظيتها لكل معنى ، مشكلة انطولوجية مارس بها ومن خلالها وجوده ومقترحاته بخصوص مشكل الانتماء الثقافي المتوزع بين اختراقات الفرنسة ونضالات التعريب . كانت أطروحته للماجستير حول ظاهرة

---

(٢٥٣) مهيبل ، ص١٣٧ .

(٢٥٤) بن عودة ، بختي : موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا . مرجع سابق ، ص٣٥ .

الكتابة في النقد الجديد مؤشراً على هذا الصراع ، إذ تقدم بها للجنة المناقشة في نسختين نسخة بالعربية وأخرى بالفرنسية ، مع اعتماد النسخة العربية في المجرى الرسمي[٢٥٥] . ومع أن أساليب التعبير العربي كانت تخون أحياناً ، إلاّ أن في مثل ذلك الإصرار على العربية ما يستوجب التحية والتقدير بالنظر إلى طبيعة الملابسات والشروط التي تحف بالسياق الثقافي الجزائري في ظرف انجاز الأطروحة .

لقد تركزت أطروحة الباحث على مقاربة كتابات عبدالكبير الخطيبي بوصفها أنموذجاً للكتابة الجديدة ، لكن التقدم في صفحات البحث يكشف عن أن كتابة النموذج أو الكتابة الجديدة ليست سوى الكتابة الاختلافية التي تسم مناخات دريدا ، وتتوسل كلماته المفتاحية ومفاهيمه ، ذلك أن «الطابع الدريدي» يرافق الخطيبي في كلِ انعطافات مساره الفكري[٢٥٦] ، وإن الإجراء الأوضح في ممارسة الخطيبي ماثلاً في كونه «يفتح في الإيقاع ذاته للنص امكانات تشتيت بالمفهوم الدريدي تنصت لما هو رقراق فيه»[٢٥٧] . وفي المجمل فإن مرجعية الخطيبي الفكرية تحدد ممارسته للكتابة بوصفها»ممارسة اختارت متاهها المتفرد ، تغترف من سارتر ، ماركس ، ليفي ستروس ، نيتشه ، كيركجارد ، ميشيل فوكو ، وبشكل أساسي جاك دريدا وموريس بلانشو»[٢٥٨] .

عند هذا الحد يمكن القول إن قراءة بختي بن عودة للخطيبي ، هي في مستوى من مستوياتها على الأقل ، أمثولة مغلفة لقراءة دريدا نفسه ، أو للتمرين على المطالبة بالحق في الاختلاف كما كان بن عودة سيقول لو راقه التعبير والفكرة . إن ثمة مؤشرات متكاثرة على أن بن عودة كان يقرأ في اختلافية الخطيبي أصداءً دريدية . وإن صيغة «مقاربة تأويلية» التي نص عليها في عنوان

---

(٢٥٥) تم استقاء هذه المعلومات مشافهة من الدكتور عبدالقادر فيدوح الذي أشرف على انجاز البحث .

(٢٥٦) الأطروحة ، ص١٢٦ .

(٢٥٧) الأطروحة ، ص١٧٧ .

(٢٥٨) الأطروحة ، ص١٨٣ .

أطروحته الجامعية ، لا تعني سوى أن التأويل في زوادة الباحث ليس إلاّ وجهاً آخر من وجوه التفكيك بالمعنى الدريدي إن شئنا الحصر . إن الشبكة المفاهيمية التي يقارب بها بن عودة الخطيبي هي شبكة دريدية أساساً ، وهي لا تخفي انتسابها أو تتحرج فيه بقدر ما تعلنه بحبور وتزهو به . إنه في ص٢٢ يستحضر مفهوم الالتواء Contorsion عند دريدا مقارناً إياه بمفهوم الرقص عند نيتشه ومفهوم نص اللذة عند بارت . وهو في ص٦٥ يستعين بمفهوم التشتيت Dissemination . وفي صفحة ١٤٤ يستخدم مفهوم المهماز لوصف القيمة النظرية المهيمنة على كتاب الخطيبي «في الكتابة والتجربة» . بل إن قراءته تنهض أحياناً على صور وتشبيهات مضمخة تَسْتَجْلِبُ تمثيلات الخطيبي إلى عوالم واستعارات دريدا كما يصغي هو إليها . إن صورة الشاعر بما هو «أعمى مغلوط ، يتحول إلى أعمى ليرينا جيداً قوة النظر العاشقة وومضاتها السحرية سحر أسود و أبيض «عند الخطيبي[٢٥٩] تتناص ، في وجهة نظر بن عودة ، مع فكرة القنفذ الدريدي الأعمى الذي ينكمش على ذاته موجهاً سهامه نحو الخارج كلما أحس بتهديد أو كارثة يقبل عليها وتقبل عليه»[٢٦٠] .

مع ذلك ، فإن ما لم تستطع محاولات بختي بن عودة تحقيقه كامن في سعيه لتطبيب الهوية المجروحة ، دون وعي ربما ، من خلال إقامة بنية تفاضلية بين معطيات دريدا ومعطيات الفكر العربي في صورته التراثية والمعاصرة . وتكون المزية فيها للأنا مقابل الآخر داخل رؤية لم تتخلص بعد من حنين ملحوظ

---

(٢٥٩) مقالة للخطيبي ضمن :

Ouvrage Collectif: "Imaginaires de L'autre. Khatibi et La mémoire Littéraire" 1987.P166

ونحن ننقل هنا عن : بن عودة ، بختي : ظاهرة الكتابة الجديدة ، مرجع سابق ، ص١٩٦-١٩٧ .

(٢٦٠) بن عودة ، بختي : ظاهرة الكتابة الجديدة ، مرجع سابق ، والفكرة المطروحة كان قد استخدمها دريدا في معرض توسل الاستعارة للإجابة عن سؤال وجهته له مجلة ؛ Poesia الإيطالية ، س١ ، ع١١ ، نوفمبر ١٩٨٨ : حول ماهية الشعر؟ وقد ترجم المقال إلى العربية : انظر : دريدا ، جاك : ما الشعر . ترجمة محمد بنيس ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٨٢٧ ، الأثنين١٠ يوليو ١٩٧٥ ، ص١١ .

لمنطلق الثنائيات التفاضلي . هكذا ينتصر الأنا ، بشقه التراثي ، في مقارنات تتغيّا تصورا تقليدياً للأسبقية حين يستنتج بختي بن عودة ما يلي مثلاً : «إن الكتابة في صميم التراث العربي الإسلامي استرعت الانتباه واستجلبت خواطر وتفكيرات حول بداهتها ، وسنرى في سياق هذا الجزء أن المتن المعتمد هنا سبق بكثير فيلسوف الاختلاف وإنه خصص لها (أي الكتابة) متاعاً له شجونه وبياناته»(٢٦١) .

وهكذا مرة أخرى ، ينتصر الشق الذاتي للأنا على الآخر الذي يمثله دريدا حين ينوه الباحث بوصول عبدالكبير الخطيبي ومحمد السجلماسي في اجتهاداتهما حول الخط العربي وعلاقته بالرقش والوشم والرسم في العصور السابقة للإسلام إلى ما يمكن أن يعد توسيعاً لمفهوم الجراماتولوجي أو كشفاً لعدم كفايته النظرية : «إن ذلك لا يعني وجود علم للكتابة كما يطور ذلك جاك دريدا في بحثه الفلسفي الهرمنيوطيقي عن علم الكتابة [De la Grammatologie] . إن الإشارات وحدها لا تكفي لاجتراح مكان نظري منه نرى إلى الظاهرة في جذورها ونموها واختلافها»(٢٦٢) يسوق الباحث مثل هذا التقرير الخطير في ملاحظة عابرة ، بادية الخفة ومفتقرة بوضوح للبسط والتفصيل .

في مِحرَق هام من البؤر المؤشرة إلى بعض الدلالات في قراءة بن عودة لدريدا تقع التناولات التي ناقشت حدود اشتغال فكرة الاختلاف في اطار مقارن بين دريدا والخطيبي ، و«سنلاحظ ما هي الفروقات البسيطة بين مفهومه [أي الاختلاف] لدى الخطيبي من جهة ودريدا من جهة أخرى»(٢٦٣) . هذا استهداف يجهر به بن عودة في مرحلة تفصيلية من مراحل بحثه حول ظاهرة الكتابة الجديدة ، لكن جولات بن عودة في الصفحات التالية بعد هذا الإعلان تبدو على شيء من الاضطراب والتداخل وعدم الحسم ، ولئن فهم منها أن

---

(٢٦١) بن عودة ، بختي : ظاهرة الكتابة . مصدر سابق ، ص٢١ .

(٢٦٢) بن عودة : المصدر السابق ، ص١٩٨ .

(٢٦٣) السابق ، ١٠٨ .

مفرقاً جلياً بين اختلاف دريدا واختلاف الخطيبي كامن في الموقف من الميتافيزيقيا حيث ينشد الأول اختلافاً «بدون حنين للميتافيزيقيا»[٢٦٤] وله الأسبقية على الوجود بالموازاة مع الخطيبي الذي وإن كان مشروعه قائماً «في معترك هذه الطروحات، منها يصنع قوته وبها يواجه مسائل الثقافة والتراث واللغة والحداثة[٢٦٥] إلا أنه «يتأمل في البياضات التي توفرها النصوص الأدبية من داخل هذا المعترك نفسه» أيضاً[٢٦٦] . والأرجح أن هذه الوقفة التأملية المقارنة تقود إلى ما يسميه بن عودة «قراءة المشروع الخطيبي»، وبها يفترق اسهامه عن اسهام دريدا كما يفترض، وهي مفارقة من ضمن مؤيداتها دمج المنظور الفلسفي بالمنظور السوسيولوجي، «وضم اللغتين العربية والفرنسية لتشكيل نص مغاير»، والحرارة المتميزة في أسلوب التعامل مع المدونة المهاجرة تارة من التراث وتارة أخرى من الآخر في حداثته، وعقد الصلات «باستمرار بين الفاعلين الحقيقيين من حيث انتاج الرموز وتوصيلها وبين السياق الذي ينتمي إليه هؤلاء الفاعلون من دون تفاضلية أو تهميش» ، وأخيراً تقدير الخطيبي الخاص «لقيم الكيان العربي ولإبداعيته النصية والتشكيلية والطقوسية»[٢٦٧] .

وبغض النظر عن أن مجمل هذه الفروقات التي يسوقها بن عودة تحتاج إلى تدقيق، فإن المرء يتساءل: هل بالوسع الحديث عن «بساطة الفروق» بين اختلاف دريدا واختلاف الخطيبي، كما زعم بن عودة في استشهاد سابق، في حال لو سلمنا جدلاً بوجاهة كل ما أجمله الباحث من فروق؟ .

إن بختي بن عودة يبدو متجاوزاً، في حماسه لأطروحة «فرادة المشروع الخطيبي» للكثير من الأبعاد والتلوينات التي يتوفر عليها اشتغال الخطيبي،

---

(٢٦٤) السابق، ١٠٨ .

(٢٦٥) السابق، ١٠٩ .

(٢٦٦) السابق، ١٠٩ .

(٢٦٧) التضمينات السابقة مستقاة من المصدر الآنف، ص١١٠-١١١ .

وتظهر مفعولات الحماسة المتجوزة ، بشكل أوضح ، بالنظر إلى مقاربات بن عودة لمفهوم اللاهوت والميتافيزيقيا الإسلامية عند الخطيبي .

كان الكاتب قد تحدث عن الاختلاف الدريدي بوصفه اختلافاً ذا أسبقية على الوجود ، وإنه معدوم الحنين إلى الميتافيزيقيا ، أما الاختلاف عند الخطيبي فهو «ملطف» لا يتصادم مع الدين بالضرورة لأنه يعثر على مكانته الاستراتيجية في «تقليص المفهومية الميتافيزيقية»[٢٦٨] وليس في مدابرتها والانسلاخ منها . وهو اختلاف إذ ينصب على الميتافيزيقيا الغربية والميتافيزيقيا الإسلامية بشكل مزدوج ، فإنه لا يهدف إلى المساس بقضية دينية أصلاً ، لأن اللاهوت هاهنا لا يعني العلم المتعلق بالله تعالى وكلامه Theologie ، وإنما الدوغمائية التي تبرز عجزها عن تفسير مشكلات الذات والعالم تفسيراً علمياً وتجريبياً ، فتعيد الأمور إلى الواحد بانتسابها إلى الكتاب المطبق»[٢٦٩] ، وهو يؤكد على هذا النص الحرفي حين ينقد منطق الواحد مبيناً أن المنطق المنقود إنما هو فحسب منطق الواحد الذي ليس هو الألوهية بزعم لا متاع نظري له»[٢٧٠] .

لعل من الجائز أن بختي بن عودة يلعب باستراتيجيات الخطاب في المساحة التي تسمح لخطابه بالمرور ، دون لأي ، من التابوهات المهيمنة ، ولعله يظهر خلاف ما يسكت عنه في قليل أو كثير . إلا أن استهداف المشروع الخطيبي لـ «تقليص المفهومية الميتافيزيقية» دون الموقف الجذري منها يبدو مستعصياً على التقبل بأمارة اشارات عديدة في كتابات الخطيبي نفسه تتجاوز فكرة «التقليص» إلى نقدية أبعد ، نقول ذلك بالرغم من أن بن عودة يقتنص مفردة «التقليص» من مؤلف للخطيبي نفسه[٢٧١] .

(٢٦٨) السابق ، ١١٦ .

(٢٦٩) السابق ، ١١٥ .

(٢٧٠) السابق ، ١٦٨ .

(٢٧١) الخطيبي ، عبدالكبير : النقد المزدوج ، ترجمة جماعية ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص١٧ . مع ملاحظة أننا نتوسع في معالجة موقف الخطيبي من الميتافيزيقا الإسلامية في المداخلة الخاصة بالخطيبي ضمن هذه المباحث .

إن بلورة اعتراضنا على قراءة بختي بن عودة لاستراتيجيات صاحب «النقد المزدوج» تجاه الميتافيزيقيا تتوضح عبر إبراز التعارض المتعذر على الردم بين الفهم السابق الذي يقدمه بختي بن عودة للاهوت الإسلامي عند الخطيبي وما يؤمن به الخطيبي من شروع يتشكل من رفض مطلق لكل ما هو مسبق ومتعال وذي نزعة تعميمية أو تقزيمية»[٢٧٢] إذ بينما يجهد بن عودة في ابعاد «العالم المتعلق بالله تعالى وكلامه» عن اللاهوت المنقود في استراتيجيات النقد المزدوج فإنه يثبت، من جهة أخرى، أن نزعات الخطيبي الفكرية رافضة، بإطلاق، لكل مسبق ومتعال. إن صدور الممارسة عن رفض للمسبق والمتعالي ثم عدم انتهائها إلى موقف من اللاهوت والميتافيزيقيا لهو أمر منطو على مفارقة صارخة. وأرى أن دون نظمه، في اطار منسجم، خرط القتاد في الليلة الظلماء، كما كان يقال. ولعل بختي بن عودة نفسه خالف ما قرره هنا، حين قال في موضوع آخر: «لا بأس أن ننصف مفكراً هو الخطيبي الذي أسس لهذا الهاجس موفراً للمعرفة العربية أرضية للاشتغال على الفرق والتباين واضعاً أمامنا طاقة مفهوم (الاختلاف الذي لا يمكن تذويبه) أو (معالجته) [Intraitable] والذي لا يعثر على اجرائيته سوى بهدم ميتافيزيقيا الأنا (اللاهوت وأشكاله المتعددة)، وميتافيزيقيا الآخر (التقدم والتقنية لدى الغرب)، وذلك انطلاقاً من (كفاح مزدوج، موت مزدوج)، من داخل مفهوم أساسي هو (النقد المزدوج)»[٢٧٣].

إن بختي بن عودة كان صادقاً في التعبير عن اعجابه الشديد بمعطيات الآخر النقدية، وهو لذلك كان مراهناً على القفز إلى الأمام دائماً، وكان كلما كتب «يدعو قارئه بجرأة إلى استعارة ثياب جديدة من الآخرين، أي من الغرب تحديداً، لأن ثيابنا بليت وعتقت، وما عادت على الموضة»، كما يلاحظ أحد

---

(٢٧٢) السابق، ١١٥.

(٢٧٣) بن عودة، بختي: موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا، مصدر سابق، ص٣٥-٣٦.

المتبعين[٢٧٤] . ولعل ذلك المزاج الذي سيطر على رؤية بختي بن عودة هو ما تحكم في تماسه مع دريدا إلى الحد الذي دفع بعض المترجمين خياته أن يقول : «كان من المعجبين بالثقافة العالمية ولا سيما «تفكيكية» جاك دريدا . كان مولعاً باستعراض الأسماء التي قرأ لها من دون إيراد نصوصها ، أو ما فهمه ، وتلك كانت نقطة ضعفه»[٢٧٥] .

لقد مثل بختي بن عودة محاولة طموحة وحماسية من جيل في طور التشكل ، كانت الحداثة بالنسبة إليه خيط أمل يمده ، ولو إلى حين ، بالعنف الباحث عن مشروعية اختلافه ووجوده . وفي هذه الفسحة ، الواقعة على تخوم الانهيار ، كان دريدا بالنسبة له أكثر قليلاً مما هو خلاص ووعد .

٧- التفكيك بوصفه اختراقاً للحدود (قراءة علي حرب) :

ما فتيء علي حرب يُلح ، الفينة بعد الفينة ، على أن افتقاد النسقية في مؤلفاته ، وغياب الروابط المنطقية بين مواضيعها ، وتشتت بؤر التناول أمور يقتضيها الذهاب الذي يجترحه الكاتب نفسه ، ذلك لأن النظرية ، والبناء ، والنسق اسهام في صناعة الهوية المغلقة والأحادية ، بينما يروم حرب مقاربة للمسائل تقوم على مساءلة الهوية والاحتفاء بفضاءات التعدد والتخالف ، والتجاور ، والتعايش ، والانفتاح المتراسل[٢٧٦] ، إنه غضون كل مقدمة من

---

(٢٧٤) عمر ، عزت : بختي بن عودة اغتيل قبل صدور كتابه رنين الحداثة . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣٦٠٢ ، ٨ يونيو ٢٠٠٠م ، ص١٦ ، والمقالة مكتوبة بمناسبة صدور كتاب بختي بن عودة : رنين الحداثة عن رابطة كتاب الاختلاف ، وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر ، ١٩٩٩ .

(٢٧٥) انظر :

- قلميه ، بيار يوسف : معجم وفيات مشاهير الأعلام (١٩٠٠-٢٠٠٠) . دار السلوى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص٥٤ .

(٢٧٦) حرب ، علي : الممنوع والممتنع : نقد الذات المفكرة . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص١٠ .

مقدمات كتبه تقريباً يأتي على ذكر تباينات مواد المتن، وضربها في سبل شتى، وهو حيناً يبرر اجتماعها في كتاب واحد بتوحد هوية الكاتب[٢٧٧]، وحيناً يعزو التسويغ إلى صدور المقالات عن منهج تناول متقارب، وكيفية قراءة مشتركة[٢٧٨]. ومع ذلك، فإن علي حرب يعوّل، في كل الأحوال، على وقوع هذه المقالات في حيز واحد هو ما يسميه «نقد النص»، وما يسميه غيره «علم النص» أو «نظرية النص»[٢٧٩].

ولئن كان لهذا النمط في التأليف أن يكشف عن شيء، فإنه يكشف عن كتابة مترحلة، يقبع في خلفيتها مزاج رؤيوي تتعرف ما بعد الحداثة فيه على نفسها عن طيبة خاطر. وهو يقدم كتابة متعددة المداخل جمعت ورتبت على نحوٍ عرضي، إذ لا اتصال بينها، ولا مفهوم ينتظمها، ولا سيرورة تخضع لها. ومن الممكن قراءتها من الآخر أو من الوسط أو من الفصل الأول نفسه، ولا فرق في ذلك[٢٨٠].

يُصِر ديلوز وغتاري على أن الكتاب يقلّد العالم، أو هو صورة عن العالم، والكتاب الكلاسيكي ذو التسلسل المنطقي والترابط النسقي هو صورة للعالم بما هو منظومة عضوية، جميلة ودالة. أما الكتاب المتفرع، المتعدد، غير المراتبي، والمفتقد للذاكرة التنظيمية فهو متعالق بعالم نزع المركزية، وترحيلها إلى جهات أخرى بشكل دائم، مع عدم الكف عن معاودة التشكل[٢٨١]. والأحرى القول

---

(٢٧٧) حرب، علي: مداخلات. دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٦٥، ص٦.

(٢٧٨) حرب، علي: نقد النص. المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٣، ص ٧.

(٢٧٩) حرب، علي: المصدر السابق، ص٦.

(٢٨٠) حرب، علي: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر: مقاربات نقدية وسجالية. دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص٥.

(٢٨١) دولوز، جيل - غتاري، فيلكس: مقدمة كتاب «ألف هضبة». ترجمة: كاظم جهاد ضمن: جيل دولوز، مجلة نزوى، عُمان، ع٦، ١٩٩٦، ص ٣٣، ٣٥.

جدير بالذكر أن علي حرب اجتهد في ترجمة اسم الكتاب السالف إلى العربية هكذا: «ألف سطح وسطح»، اعتماداً على أن العربية تفتح دلالة العدد من خلال صيغة: ألف+واحد، كما في «ألف ليلة وليلة».

إن الكتاب في هذه الحالة «أثر» trace للعالم أو هو نسخ للعالم، شرط أن نفهم النسخ بوصفه محواً وإثباتاً، تكراراً وتبديلاً. إنه صورة العالم التي لا تتطابق مع العالم. وكتابة علي حرب مقذوفة، بامتياز، في هذا الأفق الذي تشقه الرؤية الاختلافية.

وعند هذا المفصل، ربما أمكن الإستعانة بفكرة برغسونية من أجل اعادة فهم رؤى علي حرب الإجمالية. إن بيرغسون يقترح اجراءً منهجياً مهمّاً لفهم أية كتابة فكرية، هو أن يتم الضرب صفحاً، في البداية، عن التفاصيل والتعقيدات والتفرعات كي يتسنى النفاذ إلى قلب الحدس المركزي للكاتب، وينحصر البحث عن النظام الداخلي حينها في تحديد فكرة الكاتب الموجهة وابراز العلاقة بين هذه الفكرة ومختلف طروحات الكاتب[٢٨٢].

حسب ما تقدم من اشارات أَنْ يموقع كتابات علي حرب في أفقها المائح. إنها مقاربات مابعدحداثية المعين، تنطلق من فضاء معرفي يتشكك في كفاءة النسق ولا يقتنع بانغلاق البنية، ويتيح للنقد أن يستنطق ويكشف ما شاء له الاستنطاق والكشف، لا يروم بذلك تأسيس مشروع ولا انجاز رؤية متكاملة، وإنما هو نقد للنقد مستمر، واشتغال على انزياحات اللغة متواتر. والمرجعية المفهومية التي يقبس منها ويستثمرها واسعة ومتنوعة الحقول، وإن كانت في المحصلة منتمية إلى الصياغات الفكرية التي عرفتها العلوم الإنسانية الحديثة مع اتجاهات الاختلاف والتفكيك منذ نيتشه وهيدغر وصولاً إلى ديلوز وفوكو ودريدا.

ويعسر أن يتأمّن ادراك الأرضية التي تقف عليها مفاهيم علي حرب ما لم يَجْرِ تحريك المشهد الذي يكتبه على خلفية من الزحزحة الطارئة على حقل

(٢٨٢) الطاهر وعزيز: تاريخ الفلسفة: منهاجه وقضاياه. شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط١، ١٩٩١، ص١٠٤-١٠٥.

المفاهيم منذ هيدغر في حجاجه عن الرهان الشعري في الأداء الفلسفي(٢٨٣)، ومع دريدا في مفاهيمه التي توصف عادة بأنها «Anti-concepts» أو «مفاهيم مضادة Contre-concepts»(٢٨٤)، أو مع جيل ديلوز وفيلكس غتاري في حديثهما عن المحيط غير المنتظم للمفهوم والفوضى التي لا تكف عن التربص للالتصاق به وابتلاعه من جديد(٢٨٥).

إن نقودات كثيرة حول استخدام علي حرب للمفاهيم لم تتحلَّ بالسماحة الواجبة لإدراك حركة مفاهيمه بين جنبات المشهد السالف، إلا أنّ مؤاخذات لابد منها تخترق الحصانة التي يمكن أن توفرها نظرة مستوعبة لهذه التحولات، وتكون بسبيلها إلى النيل من توظيف علي حرب لأجهزته المفهومية في قليل أو كثير.

والحق أنّ ثمة استعصاءات عديدة يُتَوَقَّف عندها في الأداء الذي تقدمه نصوص علي حرب. إنها نصوص رجراجة، تفيض وتنسرب، ولا تكاد تميل إلى الوفاء بمقتضيات التقاليد الأكاديمية إلاّ في الحد الأدنى (المعرّض للإختراق مع ذلك). تستمد نصوصه هذا المزاج من أفق الاختلاف الذي تنطرح فيه مفسحة للواقعة، والتلابس الأنطولوجي، وتواترات الحدث كي تفعل فعلها في النتاج المكتوب، فإذا المفاهيم زئبقية، والمواقع متغيرة، والسياقات متداخلة.

وهكذا، فإنّ المفاهيم الفلسفية حين تحضر في متون علي حرب لا تحضر

---

(٢٨٣) صفدي، مطاع: بيان من أجل الفلسفة: المعقولية في لحظة الحداثة البعدية، ضمن: المعقولية والتاريخ، وقائع الملتقى المنعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط١، ١٩٩١، ص١١٨-١٦٥.

(٢٨٤) كوفمان، سارة-لابورت، روجي: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر، ترجمة: أدريس كثير وعز الدين الخطابي، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١، ص٤١.

(٢٨٥) دولوز، جيل - غتاري، فيلكس: ما هي الفلسفة. ترجمة: جورج سعد، دار عويدات الدولية، بيروت-باريس، ط١، ١٩٩٣، ص٢٥ وما بعدها.

بعافيتها السالمة من العوارض والتغيرات وإنما يداخلها الكثير من التحوير والاختزال والتكييف وينمي إليها شيئاً من التبديل والطمس والإضافة والإفقار ، وهي عمليات تنتج عن عوارض الانتقال والسفر والاستخدام ، وتتحدر من اجتهادات التبيئة واعادة الاستنبات والتوظيف .

على أن كتابة علي حرب تنجح ، في الكثير من الأحيان ، في الإبقاء على ذاكرتها متوترة بين تقاطبين ، فهناك ، من جهة ، عنفوان دينامكي يحرك المفاهيم ، ويخضع المتصورات للمراجعة والنقد من خلال كتابة سيّالة ، متدفقة ، بلاغية ، تعنى بالصوغ عنايتها بترسيخ المقولة التي تلح عليها ، وهي من هذه الوجهة نصوص موّارة ، تنمو وتتبلور ، وتفيض ، وتتجاوز ، وتتجدد ، وتنسلخ . ثم هي ، من الجهة الأخرى ، كتابة تسيطر عليها وحدة فكرية جامعة تضع المسائل في أفق مرجعي تظلله شجرة الاختلاف والتفكيك . وهي من هذه الجهة ، مساهمات حريصة على اهتمامات متساكنة وضاربة ، مدارها الحديث عن انشقاقات الهوية ، وتباعد الذات ، وتصدع الأنا .

وفي اطار مثل هذا التقاطب ، المتوتر والفاعل ، يصعب التصور أن علي حرب يستنسخ النماذج المفهومية حرفياً ، أو أنه يروم مطابقة التطبيقات المنهجية المنجزة حذو القذة بالقذة . غاية ما في الأمر أن الاختيارات النظرية التي تتيحها المنهجيات الفكرية الحديثة تقترح معطياتها ، وعلي حرب يذهب إلى توظيف بعضها توظيفاً اجرائياً برغماتياً كلما تسنى لمفتاح مفهومي من المفاتيح أن يفك مستغلقاً ، أو يفتح مواربأ ، أو يصرّع موصداً . فإذا وجد مفهوماً من المفاهيم الكانطية أو النيتشوية أو الصوفية أو التفكيكية (سيان) يتناسب مع حقول اهتمامه وتوقع اجرائية هذا المفهوم بالنسبة لمقاربته ، فإنه لا يتوانى عن استخدامه ، وربما تطويعه ، أو حتى طمسه واعادة إنتاجه ، مع ملاحظة أن استعارة المفاهيم والنماذج التحليلية عند علي حرب يهيمن عليها دائماً ايحاءات الأفق الاختلافي الذي يسيطر على روح التحليل ووجهته العامة . وقد لا تتسمّح تقاليد المؤسسة الأكاديمية ازاء المرونة المفرطة في التداخل والتخارج مع النماذج التحليلية بالإتّكاء على اجرائية التوظيف وحدها ، ولكن هذا هو ما

يفعله علي حرب ويبدو أنه ديدن الاتجاهات ما بعد الحداثية كلها التي تسعى من أجل إعادة النظر في تطلبات التقليد المدرسي للكتابة .

وقد يحسن أن لا ينسى المرء في هذا المقام الفكرة الدريدية حول عدم سيطرة المتواصلين على الدلالات الاستعارية في اللغة في جميع الأحوال كما يذكِّر كريستوفر بتلر معيداً إلى الأذهان ما كتبه دريدا في «الميثولوجيا البيضاء White Mythologies»(٢٨٦) إن علي حرب ، في هذا الضوء يذهب إلى مفهومات تلبي ذوقاً خاصاً ، يمنح سيرورةً وتوقيعاً خاصين لخلق المفهوم وطرق سلوكه . وهو يعمد إلى الإزاحة والإستبدال أحياناً فنشهد مفاهيم من مثل : «اللوغوس القرآني» بالموازاة مع اللوغوس ، أو العائق الأنطولوجي بالموازاة مع العائق الابستمولوجي الباشلاردي . وهو في أحيان أخرى يدقق في تعريب مصطلح ليفرز مصطلحاً آخر ، كما في حديثه عن «الممنوع من التفكير ، والممتنع على التفكير» ، وفي أحيان مغايرة يستبدل مصطلحاً صادماً لحساسيات التداول بمصطلح أكثر صدماً : الدهرية بدل العلمانية مثلاً ، وهو أحياناً يستدعي من الموروث الاصطلاحي مستنبتاً في أرضية جديدة ، كحديثه عن : الفرق والأحدية والفيض . وفي مرة أخرى يدس في ثنيات نصه كلمات متعددة المستويات الدلالية وهي في طبقاتها العميقة ذات عراقة اصطلاحية ، غير أن حرب ينشرها في نصه كعناصر أسلوبية جد عادية ، ربما لا تشعر برنينها الهارموني Harmonics البعيد سوى الأذن الفلسفية المدربة ، كلمات من مثل : الفسحة ، والأثر ، والتشتيت ، والزحزحة والطيف . .الخ ، وإلى اللون الأخير من التوظيفات تكاد تنتمي معظم استثمارات علي حرب فيما يتعلق بالتفكيك وجاك دريدا . من المشروع أن يحدونا الظن بأن في مثل هذا التوظيف المتخفف من التبعات ، أو في تَجَلٍّ من تجلياته على الأقل ، ما يوفر على علي حرب مؤونة الصمود أمام المساءلات الأرثوذكسية المدققة التي تتتبع شجرة نسب المفهوم

---

(٢٨٦) بتلر ، كريستوفر : متع النص التجريبي . ضمن : النقد والنظرية النقدية . تحرير : جيرمي هوثورن ، ترجمة : عبدالرحمن محمد رضا ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٠٢ .

والتحولات التي طرأت عليه منذ مغادرته أرض المنشأ . إن التعويل على استمزاج البرغماتية الإجرائية المفرطة في نص ، كنص علي حرب ، يضيق ذرعاً بالمسالك المتئدة في تناول آليات الإنتاج الاصطلاحي وأطوارها وطبيعة المحددات التي تقتفيها ، يؤول بالطرح إلى فضاءات عمومية تليق بالتداول الثقافي العام بأكثر مما تلبي مقتضيات الخطاب العلمي التقليدي الذي يتبين مواضع أقدامه مستنداً إلى قوانين نوعية تحكم التوليد والنقل والإنشاء .

ولا مناص من وضع الإشكال ، في هذه الحالة ، بين مزدوجين كبيرين : فهناك من جهة أولى : أنطولوجية اللغة وعدم امكان تصور السيطرة على الأداء الاستعاري الذي تقوم به ، وهنالك ، من الجهة الأخرى ، صرامة النموذج العلمي ، ومبادئ الاستعمال المؤسَّسة ، والكفاءة التركيبية في نجاعة أي تحليل منهجي أكاديمي للقضايا والمشكلات . وقد لا يسعنا أمام هذا الاستشكال سوى السعي لتلطيف ادعاءات كل جانب من الجانبين من خلال استحضار الجانب الآخر بإزائه دائماً ، وأغلب الظن أن حاجتنا للدفاع عن حقنا في استعمال اللغة داخل شبكة تواصل قار لا تستلزم ، بالضرورة ، نفي تلوث اللغة ، وقيامها على فاقد تراسل دائم في كل تعبير أو تخاطب ، واخفاق تمثيلية اللغة في الوصول إلى حالة شفافة وأمينة لأسباب تتعلق ، منذ هيدغر ، بسكننا في لغاتنا ، وتكلم هذه اللغات وتفكيرها بنا في الآن الذي نتكلم ونفكر بها على صعيد واحد .

في تتبع لما يقع تحت مسمى التفكيك والمحاولات التفكيكية يخرط علي حرب نيتشه وهيدغر وديلوز وفوكو ودريدا في اطار الاتجاه التفكيكي ، وهو لا ينسى في هامش استدراكي أن يضيف ألتوسير وستروس ولاكان وبارت إلى نفس الزمرة التي أسهمت في تعميق القراءات التفكيكية(٢٨٧) . إن في هذا الصنيع دلالة جلية على أن علي حرب يتعامل مع التفكيك بوصفه أفقاً ممدود الرحاب ، متسع التطبيقات ، لا سيما وأنه يلمِّح إلى أن بزوغ المصطلح قد تم على يد هيدغر ، ولئن كان من المعروف أن هيدغر قد تحدث عن Destruction

(٢٨٧) حرب علي : الممنوع والممتنع ، مصدر سابق ، ص٢٣-٢٤ .

وليس Deconstruction[٢٨٨] ، فإن هذا المنظور الذي ينطلق منه حرب يترك الانطباع بأن الإسهام الذي قدمه الكاتب انما ينطلق من أفق تفكيكي أكثر مما ينطلق من التفكيك بالمعنى المحدد الخاص الذي يحصر الأمر في استراتيجيات دريدا وأتباعه الأمريكيين من نقاد ييل ومن حذا حذوهم . ورغم أن هذا التوسيع ، المخالف قليلاً لصرامة المحافظين من المعنيين بالتفكيك ، مألوف ومتعارف وقد ذهب إليه فيمن ذهب هارولد بلوم عندما كتب «خارطة لإساءة القراءة»[٢٨٩] ، إلا أن بعض نَقَدَة علي حرب لم ينتبهوا إلى تراوح النظر بين هذه المستويات فحاكموا حرب وفقاً لمقولات دريدية بحتة وشطّوا في ذلك أيّما شطط[٢٩٠] .

يذهب علي حرب إلى التفكيك كفضاء نقدي وشكل من أشكال التفكير «أكثر من مجرد أسلوب للتفلسف ، وأوسع من أن ينحصر في مجموعة تقنيات أو اجراءات منهجية»[٢٩١] . إنه لذلك السبب حقل تشتغل فيه شبكات مفاهيمية متعددة لا يمكن قصرها على عدة دريدا المفاهيمية وحدها . ومن هنا ، فإن قراءة علي حرب لدريدا واستثماره لأدواته ستبدوان ممتزجتين دوماً بأصداء

---

(٢٨٨) بصدد العلاقة بين مفاهيم هيدغر وكلمات دريدا المفتاحية راجع :

Norris, Christopher: The Deconsturctive Turn. essays in the rhetoric of philosophy, Methuen, London-New York, 1983, pp23-24.

كذلك ارجع إلى :

Bove, Paul A.: Destructive Poetics. Heidegger and Modern American Poetry. Columbia University press, New York, 1980, pp.17.

وفيه عرض لعلاقة هيدغر بالتفكيك من خلال وجهة نظر هارولد بلوم وبول دي مان .

(٢٨٩) Bloom, Horold: A map of Misreading. Oxfrd University Press, 1975.

(٢٩٠) الرويلي ، ميجان : ثرثرة الحرية أم حرية الثرثرة : علي حرب بين الاستثمار والاحتكار . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٢ ، ١٩٩٤ ، ص٧٩-١٢٥ .

(٢٩١) حرب ، علي : الممنوع والممتنع . مصدر سابق ، ص٢٤ .

من هيدغر وفوكو وألتوسير وأركون دون أن نتبين حدود الاستعارة من هنا أو هناك في كل حالة . يتحدث علي حرب عن التأويل ، مثلاً ، فيرى أنه نظر إلى النصوص «بوصفها فسحة كلامية»(٢٩٢) ، ولا نكاد نتبين وسط سياق هيدغري يسوقه حرب لبلورة التأويل إن كان المقصود هنا هو التقديم الدريدي للفسحة L'Espacement(٢٩٣) ، أم محض تعبير أدبي لا يتوفر على الكثافة المفهومية اللازمة ، مع ملاحظة أن تكرار لفظ «الفسحة» يشهد تواترات مطردة داخل كتابات علي حرب .

إن أدبية اللغة التي تميز أسلوب حرب في الكتابة والتعبير من شأنها أن تضاعف من حجم المشكلات ، وهو ما انفك يشير إلى مبلغ عنايته بجماليات تَأَدّي العبارة وجمال سبكها ، فيقول : « إذا جاز لي الحديث عن أعمالي على سبيل التقييم ، بوسعي القول إنها تنفتح على المعايشات الوجدانية وتستخدم الأساليب البيانية والتقنيات البلاغية . وهكذا فهي لا تضحي بالأسلوب لمصلحة المفهوم ، بل تحاول صوغ الأفكار بمنطق التأليف والتشكيل ، وهذا ما يمنحها بعدها الذوقي والجمالي ، ويجعلها وثيقة الصلة بالكتابة الأدبية»(٢٩٤) . بهذا النحو من تطلب الجماليات التعبيرية يوقع علي حرب قارىء نصوصه في معضلة اضافية ، لأن الطلاوة الأسلوبية والأداء الشعري للغة من شأنهما ، وهلة التلابس بالمصطلحات النابعة من مرجعية مفهومية كثيفة ومستشكلة ، أن يضيفا طابعاً من الاتساع الدلالي والقابلية لازدهار صراع التأويلات . وقد يغدو هذا المنحى في الكتابة مفهوماً بالنظر إلى أن الكتابة في الأفق الذي شقه هيدغر ، وفيه تندرج مساهمات حرب ، لا تستنكف من اعتبار اللغة الشعرية

---

(٢٩٢) حرب ، علي : التأويل والحقيقة : قراءات تأويلية في الثقافة العربية . دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص ٦ .

(٢٩٣) كوفمان ، سارة - لابورت ، روجي : مدخل إلى فلسفة جاك دريدا ، مصدر سابق ، ص٤١-٤٣ .

(٢٩٤) حرب ، علي : الفكر والحدث : حوارات ومحاور . دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٥٩ .

وسيلة نحو بلوغ المعرفة مثلها مثل الدليل المنطقي والبرهان العقلي . بل لعل الالتماعة الشعرية أمضى سبيلاً بهذا الصدد .

لكن هذا لا يحول ، في آخرة من الأمر ، دون التأمل في الإحراجات التي تحيق بمحاولات التوفيق بين روح هذا المنظور ومقتضيات التناول الأكاديمي الصارم والمحتفي بالضوابط والحدود . إن علي حرب يضاعف صعوبة المهمة ، مرة أخرى ، حين لا يعفينا من مغبة التحولات التي تندلع في مسارات فكره وتطرأ على آرائه ، عاصفة ببادي الرأي ، طارحة ما كانت قد أخذت به ، على نحو لا يسلم من اللبس على القاريء في بعض الأحيان .

ومع ما تقدم يبدو علي حرب متوافقاً مع هذه السمة في كتاباته ناظراً لها بتسمح ، وربما بما هو أبعد قليلاً من الرضا ، ففي حوار له تضمنه كتاب «الفكر والحدث» يقول : «ما قلته سابقاً ، قد انفصل عني وشكّل نصاً له استقلاليته . وهذا النص أصبح ملك القراء وبوسعهم أن يتعاملوا معه بالطريقة التي يشاؤون . من جهة أخرى أنا لا أنفك أتغير عما أفكر فيه . من هنا لا أتعامل مع أقوالي بصفتها أقوالاً نهائية أو قاطعة»(٢٩٥) . وإذا كان للمرء أن يتقبل هذا الإفصاح في ضوء نظريات القراءة وأفكار موت المؤلف ، بمعنى من المعاني ، فإنه لا يملك سوى أن ينتبه إلى التحرزات التي قد يثيرها التقليد الذي يرعاه الكثيرون بصدد مثل هذه المسائل المتصلة بنسقية الفكر أو تضارباته على وجه غير وجه التطوير الذي تعرفه الأفكار أو التعميق والتعديل والتوسيع أو الاستعادة والمراجعة التي تفضي إلى مواقف جديدة يجري تسويغها وبيان أوجه القول بها وأوجه العدول عما سبقها إليها . إن علي حرب ، مثله مثل كمال أبوديب ، كما يتطرق البحث إلى ذلك في مواضع أخرى ، يبدو متجاوزاً لذلك على صعيد طرق تشغيل المفاهيم وبيان حدودها وحقول فاعلية كل مفهوم منها وما يدخل تحت مشمولاته وما يخرج عن ذلك .

في كتاب «نقد النص» يعرض علي حرب لمفهوم «اللامفكر فيه» عند

---

(٢٩٥) حرب ، علي : الفكر والحدث . مرجع سابق ، ص٨٥ .

محمد أركون عبر محاولاته النقدية للعقل الإسلامي فيرى أن منطقة «اللامفكر فيه» تتشكل من المهمش والمستبعد والمطموس وكل مسكوت عنه بوعي أو بغير وعي . وهو يزيد الأمر تفصيلاً فيقول : «إنها تتعلق بما يمنع التفكير فيه لأسباب سلطوية عقائدية ، وتتعلق خاصة بما يمتنع على التفكير في ظل العقلانيات المسيطرة والأدوات المفهومية القديمة التي فقدت قدرتها على الكشف والإضاءة»(٢٩٦) . لكن علي حرب في «الفكر والحدث» يقيم حدوداً أخرى للمصطلح نفسه ، في غضون توضيحه للتمايز بين استراتيجياته واستراتيجيات أركون يقول : «هو يفكر في مسعاه النقدي على اللامفكر فيه» أي على ما أسميه «الممنوع من التفكير» ، في حين أنني أركز على «الممتنع عن التفكير» أي ما يسميه هو أو مترجمه «ما يستحيل التفكير فيه» ، وهناك فرق بين المصطلحين والمقولتين ، إذ التفكير في الممنوع هو تركيز على نقد السلطات الخارجية السياسية أو الدينية ، المادية ، أو الرمزية ، في حين أن التفكير في الممتنع هو نقد للعوائق الذاتية للفكر ، أي تفكيك لآليات الفكر وأنظمته وأبنيته . بكلام آخر : التفكير في الممنوع هو تفكير في المسكوت عنه أو المهمش أو المنسي ، في حين أن التفكير في الممتنع هو خرق لحدود الممكن وتغيير لشروط المعرفة ، أي خلق امكانات جديدة للتفكير وابتكار عدة معرفية جديدة أكثر فعالية ومضاء»(٢٩٧) .

وتستشكل التضاربات بدرجة أكبر حين نعود إلى علي حرب في كتابه «الممنوع والممتنع» فنجده يقول : «إنني أوثر استعمال تعبير «الممتنع عن التفكير» لتعريب المصطلح الفرنسي الذي يترجم عادةً ، ترجمة حرفية ، بالعبارة الآتية : اللامفكر فيه . ذلك أن المفكر لا يطالب بحرية التفكير ، بقدر ما يمارس تفكيره بحرية» ، ويضيف : «هكذا نحن هنا ازاء إعادة تعريف لمفهوم الممتنع على التفكير» في ضوء التمييز بينه وبين مفهوم الممنوع الذي يصدّ الفكر من

---

(٢٩٦) حرب ، علي : نقد النص . مرجع سابق ، ص٦٣٠ .

(٢٩٧) حرب ، علي : الفكر والحدث . مرجع سابق ، ص٢٣٧ ، ٣٤٨ .

الخــارج»[٢٩٨] . وعلى الرغم من الإلبــاس الذي قــد توهم به العــبــارات في الاستشهادات السابقة إلا أن الراجح ، الذي يتأدى إليه الفهم ، هو أن التوفيق بيـن الصياغات السابقة يقتضي القول أن محمد أركون ومترجمه هاشم صالح يصرفان دلالة المصطلح الفرنسي «L'inpensé» للممنوع من التفكيـر ، ودلالة المصطلح الفرنسي الآخر «L'inpensable» للممتنع على التفكير فيه ، بينما يريد علي حرب أن تتمحض دلالة المصطلح الأول للممتنع على التفكير دون الممنوع من التفكير فيه وهذا ما يسميه هو : اعادة التعريف للمفهوم ، وعليه وضع مدار أحد عناوين كتبه «الممنوع والممتنع» مما يؤشر لفرط تثمين علي حرب الذاتي لهذا الاجتهاد . والملاحظة التي يجدر ذكرها هنا هي أن وجهة اجتهاد أركون واجتهاد مترجمه في التعامل مع مصطلح «اللامفكر فيه» لم تعد قاصرة عليهما ، بل إن بحوثاً عربية كثيرة جارت اجتهادهما واتفقت معه وأقرّته .

أما الملاحظة الأخرى ، المتصلة بما عُقدت الفقرات القليلة السابقة عليه ، فهي أن تعامل علي حرب مع مصطلح اللامفكر فيه قد انطوى على تغاير بين ما وجّه دلالته إليه في «نقد النص» وما انتهى إليه بعد ذلك ، وإن قاريء كتبه قد يعزّ عليه الانتباه لذلك في غياب الوضوح حول ما حاق بالمصطلح في ارتحاله وسفره ، وفي اضطراب العبارات وقابليتها للتفسيرات والاحتمالات الدلالية المتعددة .

ولعلنا نلمس جانباً آخراً من اشتغال المفاهيم التفكيكية عند علي حرب بالتأمل في الموقعة التي يكتسبها مفهوم الأثر trace ، بوصفه كلمة مفتاحية تفكيكية ، في استثمار علي حرب لها عند تعريفه للحقيقة من منطلق أنها «أثر الحدث» .

لقد انبثقت علاقة علي حرب بمفهوم «الحدث» أو «الحادث» على خلفية من اهتمامه بإنتاج محمد أركون . والأخير قد اهتم ببلورة مصطلح الحادث

---

(٢٩٨) حرب ، علي : الممنوع والممتنع . ص ١٧ .

القرآني تحديداً ، منذ كتابه : الفكر العربي[٢٩٩] والذي جاء فصله الأول معنوناً بهذا المصطلح . وفيه حاول أركون أن يعيد النظر في مفهوم الوحي بالاستناد إلى علاقة هذا المفهوم بالواقع والتاريخ . إن علي حرب بعد أن ينسب مصطلح «الحدث القرآني» إلى أركون ، يعلن تبنّيه له وإيثاره إياه بإزاء تعابير من مثل الوحي والدعوة والرسالة والعقيدة ، لأن «هذه التعابير ذات مضامين أيديولوجية أو ميثولوجية وهي تمارس نوعاً من الحجب على الشيء الذي تسميه وتصفه»[٣٠٠] . ويزيد علي حرب معدداً مزايا مصطلح «الحدث القرآني» فيرى أنه ينطوي على قراءة مختلفة للوحي الإسلامي ، وهو فضلاً عن ذلك ذو مدلول أنطولوجي يشكّل اضاءة لما هو كائن ، لأن من صفات الكون الحدوث[٣٠١] . وغني عن البيان أن ما يتدشن بهذا النحو من أنحاء السفر بالمصطلح انما هو حركة تضع «الحدث القرآني» في فضاء يفترق رويداً رويداً عن حيواته الممنوحة في كتابات أركون . إن مسرى اعادة انتاج علي حرب لمصطلح الحدث تحيد به عن مرجعيات علم الاجتماع التاريخي والأنثروبولوجيا التاريخية إلى المرجعية الأنطولوجية واستراتيجيات النقد التفكيكي ، من لوسيان فيفر وليفي شتراوس وجورج دوبي إلى مارتن هيدجر وميشيل فوكو وجيل ديلوز وجاك دريدا . إن ما يفعله علي حرب هو استحواذ واعادة تقديم للمصطلح ، وهو في سبيل ذلك يجهد في تغذية المصطلح باستدلالات تقبس من آلان باديو وجيل ديلوز في نظرة كل منهما للحدث . الأول من خلال نظرية يعرضها في كتابيه : الكينونة والحدث(منشورات سوي ، باريس ، ١٩٨٨) . والأخلاق (منشورات هاتييه ، باريس ، ١٩٩٣) . والثاني من خلال ما كتبه حول منطق الحدث في كتاب :

---

(٢٩٩) أركون ، محمد : الفكر العربي . ترجمة : عادل العوا ، ، منشورات عويدات ، بيروت- باريس ، ط١ ، ١٩٨٢ .

(٣٠٠) حرب ، علي : نقد النص . المركز الثقافي العربي ، بيروت- الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص ٦٢ .

(٣٠١) السابق ، ص٦٢ .

منطق الحس (منشورات مينوي، باريس، ١٩٦٩)[٣٠٢].

ربما كان علينا أن نلحظ التناسج الذي يوقع «الحدث» على مقربة من «الواقعة» و«الوقائع» داخل الشبكة المفاهيمية التي يوظفها علي حرب، إن التأشير هنا يعرب عن اهتمام يظهره حرب، مرة تلو أخرى، بأسئلة التعالق بين النص وسياقه الوقائعي. وبإمكاننا أن نتأول «الحدث» في هذه الحالة بوصفه «الواقعة» بالحرف الكبير أو بـ «أل» التعريف. وعلى هذا الأساس يهتم علي حرب ببيان العلاقة بين الفكر، الحقيقة، الحدث. «وبيانه أن الفكر هو علاقة بالحقيقة بقدر ما تفهم الحقيقة بوصفها «أثر» الحدث، ومفعولاً من مفاعيله»[٣٠٣].

ومع أن علي حرب قد نص على اثبات هذا التعالق كما هو واضح إلاّ أن ما لم يفعله، على التحديد، هو تدقيق صيغة التعالق، واحكام صورة المصافحة. فالقول إن الحقيقة «أثر» للحدث، لا يذلل الإشكالات بقدر ما يؤججها باعتبار أن «الأثر» مفتاح مفهومي ينطوي على الكثير من الكثافة والطيات ومناطق الإعتام والاشتغالات الاستعارية. لكن المؤلف لا يبدو عابئاً بحجم الإزعاجات التي يمكن أن يسببها ذلك مادامت وجهته، في الأفق التفكيكي الذي يمخر عبابه، هي وجهة العقل الأقل معقولية، والمفهوم الأقل مفهومية، والخطاب الأقل تنصيصاً، والكائن الأقل تماثلاً ووحدةً وتناغماً[٣٠٤].

---

(٣٠٢) حرب، علي: الفكر والحدث. حوارات ومحاور، دار الكنوز الأدبية، سوريا، ط١، ١٩٩٧، ص٢٢.

(٣٠٣) حرب، علي: المصدر السابق، ص٨.

(٣٠٤) حرب، علي: السابق، ص٢٠١.

المصادر والمراجع

* إبرامز ، م . هـ : فعل الأشياء بالنصوص . ترجمة : أحمد يعقوب المجذوبة . مجلة الآداب الأجنبية ، دمشق ، السنة ١٧ ، العدد ٦٩ ، شتاء ١٩٩١ .

* إبرامز ، م .هـ . : تاريخ الأدب الإنجليزي . ترجمة : بدر الرفاعي ، مجلة الثقافة العالمية ، الكويت ، ع٨٧ ، مارس-أبريل ١٩٩٨ .

* أبو أحمد ، حامد : نقد الحداثة . كتاب الرياض ، الرياض ، ١٩٩٤ .

* أبو أصبع ، حسام : فضاء التفكيك : التفكيك ممارسة سياسية لتقويض البنى السياسية . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٩٧٥ ، ٢٦ أبريل ١٩٩٧ .

* أبوديب ، كمال : الأدب والأيديولوجيا . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٥ ، ع٤ ، يوليو-أغسطس- سبتمبر ١٩٨٥ .

* أبوديب ، كمال : الحداثة ، السلطة ، النص . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٤ ، ع٣ ، ١٩٨٤ .

* أبوديب ، كمال : جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .

* أبوديب ، كمال : عذابات المتنبي في صحبة كمال أبو ديب والعكس بالعكس ٣٠١ هجرية - ٢٠٠١ ميلادية . دار الساقي ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٦ .

* أبوزيد ، أحمد : جاك دريدا فيلسوف فرنسا المشاغب . مجلة العربي ، الكويت ، ع٢٩١ ، فبراير ١٩٨٣ .

* أحمد ، أكبر - دونان ، هاستنجز : الإسلام في عصر ما بعد الحداثة . ترجمة : غادة الحلواني ، مجلة إبداع ، القاهرة ، س١٦ ، ع٢ ، فبراير ١٩٩٨ .

* أدهم ، سامي : ابستمولوجيا المعنى والوجود : نقد التطورية . مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .

* أدهم ، سامي : المعتقد المهيمن : المحرك والدمية . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

* أدهم ، سامي : فلسفة اللغة : تفكيك العقلي اللغوي . بحث ابستمولوجي

انطولوجي . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* أدهم ، سامي : ما بعد الحداثة : انفجار عقل أواخر القرن . النص : الفسحة المضيئة . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ .
* أدهم ، سامي : ما بعد الفلسفة . الكاوس ، التشظي ، الشيطان الأعظم . دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* أدونيس : الكتاب أمس المكان الآن . دار الساقي ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* أركون ، محمد : الفكر العربي . ترجمة : عادل العوا ، سلسلة زدني علماً ، ع١٧٧ ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط١ ، ١٩٨٢ .
* أركون ، محمد : من فيصل التفرقة إلى فصل المقال : أين هو الفكر الإسلامي المعاصر . ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت-لندن ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* أصلان ، ابراهيم : في «التفكيكية» ومسائل أخرى . جريدة الرياض ، الرياض ، ع١١٥٧٤ ، ٢ مارس ٢٠٠٠ .
* أفاية ، محمد نور الدين : جاك دريدا وتفكيك أدوات النقد . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣١١٣ .
* أفاية ، محمد نورالدين : المتخيل والتواصل : مفارقات العرب والغرب . دار المنتخب العربي ، بيروت ، ط١ .
* آل عبداللطيف ، محمد بن عبدالله : اغتيال الأصل ٣/٣ . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٤ ، ع١٠٦٢٢ ، ٢٤ يوليو ٢٩٩٧ .
* آل عبداللطيف ، محمد بن عبدالله : الترجمة واغتيال الأصل ٣/١ . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٤ ، ع١٠٦٠١ ، ٣ يوليو ١٩٩٧ .
* ألتوسير ، لويس وآخرون : قراءة رأس المال . ترجمة : تيسير شيخ الأرض ، الجزء الثاني ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٤ .
* ألتوسير ، لويس : الأيديولوجيا وأجهزة الدولة الأيديولوجية (ملاحظات تمهيدية لدراسة) . ضمن : دراسات لا أنسانوية من لويس ألتوسير وجورج

كانغيلهم . ترجمة : سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ .
* أنصار ، بيير : العلوم الاجتماعية المعاصرة . ترجمة : نخلة فريفر . المركز الثقافي العربي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* أوستن ، جون لانجشو : نظرية أفعال الكلام العامة : كيف ننجز الأشياء بالكلام . ترجمة : عبدالقادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٩٩١ .
* إيجلتون ، تيري : النقد والأيديولوجية . ترجمة : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* إيجلتون ، تيري : مقدمة في نظرية الأدب . ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ .
* إيجلتون ، تيري : نظرية الأدب . ترجمة : ثائر ديب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* إيفانكوس ، خوسيه-ماريا بوثويلو : نظرية اللغة الأدبية . ترجمة : حامد أبو أحمد ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* باروت ، محمد جمال : الشاعرية : نظرية عامة لـ «الأدب» أم نظرية محدودة لـ«النص»؟ . الملتقى الأدبي الرابع لمجلس التعاون لدول الخليج العربية «النقد الأدبي في دول مجلس التعاون» ، الكويت من ١٢ إلى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ .
* البازعي ، سعد : ما وراء المنهج : تحيزات النقد الأدبي الغربي . بحث ضمن أعمال ندوة إشكالية التحيز ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
* البازعي ، سعد : محور التقويض . . أم تقويض المحور . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ .
* باشلار ، غاستون : تكوين العقل العلمي : مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية . ترجمة : خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ .
* بتلر ، كريستوفر : التفسير والتفكيك والأيديولوجية . ترجمة وتقديم : نهاد صليحة ، مجلة فصول ، مج٥ ، ع٣ ، أبريل-يونيو ١٩٨٥ .

* بتلر ، كريستوفر : التفسير ، والتفكيك ، والأيديولوجيا . ترجمة وتقديم : نهاد صليحة ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج٥ ، ع٣ ، أبريل/مايو/يونيو ١٩٨٥ .
* بتلر ، كريستوفر : متع النص التجريبي . ضمن : النقد والنظرية النقدية . تحرير : جيرمي هوثورن ، ترجمة : عبدالرحمن محمد رضا ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* البحراوي ، سيد : البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث . دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* بدوي ، عبدالرحمن : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .
* بدوي ، محمد : أمثولة العبد الآبق . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١٥ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٧ .
* بدوي ، محمد : الراعي والحملان : قراءة في الحمال والبنات . مجلة فصول ، القاهرة ، مج ١١ ، ع١ ، ربيع ١٩٩٤ .
* بدوي ، محمد : غواية القتل الرمزي : «المرايا . .» حكاية تخلط الحوادث وأسماء الأبطال بسوء نية . جريدة أخبار الأدب ، ع٢٩٥ ، ٧ مارس ١٩٩٩م .
* بدوي ، محمد : موت الأحدب وقيامته . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١٣ ، ع٣ ، خريف ١٩٩٤ .
* بركة ، فاطمة الطبال : في الذكرى العاشرة لوفاته : عودة إلى رومان جاكبسون عميد الألسنية البنيوية . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٠٨٣٠ ، ٤ أكتوبر ١٩٩٢ .
* بشبندر : نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر . ترجمة : عبدالمقصود عبدالكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* بغدادي ، شوقي : السجال بين الدكتورين «حمودة» و «عصفور» معركة خاسرة للطرفين . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٩١ ، ٧ فبراير ١٩٩٩م .
* البقاعي ، محمد خير : تحول وانفتاح لا قطيعة وانغلاق : أسرار التحول . جريدة الجزيرة ، السعودية ، ع٨٨٦٩ ، ٩ يناير ١٩٩٧ .

* البكاري ، كمال : الهدم ، الحفر ، التفكيك : نيتشه ، فوكو ، دريدا (طريق العود الأبدي) . مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، ع٢٥ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ .
* البلغيثي ، محمد العلوي : فاس مقام العابرين : دراسة في كتابة الاختلاف . ترجمة : محمد الشركي ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* بلوم ، هارولد : الشعر ، والتعديلية ، والكبت . ضمن : نيوتن . ك . م . (محرر) : نظرية الأدب في القرن العشرين . ترجمة : عيسى علي العاكوب ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* بلوم ، هارولد : قلق التأثر : نظرية في الشعر . ترجمة : عابد إسماعيل ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* بن عرفة ، عبدالعزيز : جاك دريدا أسلوب وكتابة . نواقيس المختلف . كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، مج٧ ، ع٢٥ ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٥ .
* بن عرفة ، عبدالعزيز : دريدا في سطور : موجز لتفكيكية الاختلاف . مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، ع٢٥ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ .
* بن عودة ، بختي : انسحاب الكتابة . مجلة التبيين ، الجزائر ، ع٦ ، ١٩٩٣ .
* بن عودة ، بختي : بوجدرة والدلالية المختلفة : مقاربة تفكيكية في شعرية الإساءة . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٦ ، ع٢١ ، مايو-يونيو ١٩٩٤ .
* بن عودة ، بختي : رنين الحداثة . رابطة كتاب الاختلاف ، وزارة الاتصال والثقافة ، الجزائر ، ١٩٩٩ .
* بن عودة ، بختي : ظاهرة الكتابة في النقد الجديد : مقاربة تأويلية (الخطيبي نموذجاً) . بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الحديث ، السنة الجامعية ١٩٩٤/٩٣م ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة وهران ، الجزائر .
* بن عودة ، بختي : في ضيافة الخطيبي : الكتابة الأخرى . مجلة الكرمل ، نيقوسيا ، ع٤٠-٤١ ، ١٩٩١ .
* بن عودة ، بختي : كيف نقرأ دريدا؟ «احتراق الرفات» نموذجاً . مجلة

مدارات، تونس، ع٥-٦، خريف، شتاء ٩٥، ١٩٩٦.
* بن عودة، بختي: موقع لمقاربة اختلاف جاك دريدا. مجلة كتابات معاصرة، لبنان، مج٤، ع١٥، أغسطس-سبتمبر ١٩٩٢.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: التراث والهوية: دراسات في الفكر الفلسفي بالمغرب. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: «بين - بين». دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: أسس الفكر الفلسفي المعاصر: مجاوزة الميتافيزيقا. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة (إلى العربية خصوصاً): في بعض مسائلها المتصلة بالمنهج والدلالات. جريدة الحياة، لندن، ع١١٤١٩، الثلاثاء ٢٤ مايو ١٩٩٤.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والإختلاف. مجلة علامات في النقد، جدّة، ج٢، مج٥، سبتمبر ١٩٩٢.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والمثاقفة. مجلة الوحدة، الرباط، س٦، ع٦١/٦٢، أكتوبر-نوفمبر ١٩٨٩.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: الترجمة والميتافيزيقا. مجلة الكرمل، قبرص، ع١٧، ١٩٨٥.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: الخيانة المضاعفة. مجلة فكر ونقد، الدار البيضاء، س١، ع٢، أكتوبر ١٩٩٧.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: الميتافيزيقا، العلم والأيديولوجيا. دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ط١، ١٩٨١.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: تفكيك النقد. مجلة فكر ونقد، الرباط، س١، ع٣، نوفمبر ١٩٩٧.
* بنعبدالعالي، عبدالسلام: ثقافة الأذن وثقافة العين. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤.

* بنعبدالعالي ، عبدالسلام : دائرة الترجمة . مجلة علامات في النقد ، جدّة ، ج١٧ ، مج٥ ، سبتمبر ١٩٩٥ .
* بنعبدالعالي ، عبدالسلام : هايدغر ضد هيغل : التراث والإختلاف . دار التنوير للطباعة والنشر- المركز الثقافي العربي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٥ .
* البنكي ، محمد أحمد : «أطياف دريدا في ترجمة إلى العربية» : دفع علاقة النص بالواقع إلى أقصى المنطقة الشائكة . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢١٨٨ ، الخميس ٢ مارس ١٩٩٥ .
* البنكي ، محمد أحمد : «باشلار ، ألتوسير ، فوكو . . . والقطيعة الأبستمولوجية» . جريدة الأيام ،ع١٩٢٥ ، ١٩٩٣ .
* البنكي ، محمد أحمد : احتفاء بـ «منحة الموت» : دريدا بين موت ودين . جريدة الأيام ، البحرين ،ع٢٢٣٧ ، الخميس ٢٠ أبريل ١٩٩٥م .
* البنكي ، محمد أحمد : الاختلاف المرجأ . منهج الغذامي بوصفه تفكيكاً ، مجلة كلمات ، البحرين ،ع١٧ ، ١٩٩٢ .
* البنكي ، محمد أحمد : بول دي مان بترجمة سعيد الغانمي . جريدة الأيام ، البحرين ،ع٣٤٢٤ ، ١٩ يوليو ١٩٩٨ .
* البنكي ، محمد أحمد : عبدالملك مرتاض ومصطلحه المضطرب . جريدة الأيام ، البحرين ،ع٣٩٦٣ ، ٩ يناير ٢٠٠٠م .
* البنكي ، محمد أحمد : عبدالوهاب المسيري في ألمعيته القابلة للأخذ والرد . جريدة الأيام ، البحرين ،ع٣٤٦٩ ، ٢ سبتمبر ١٩٩٨ .
* البنكي ، محمد أحمد : عذابات دريدا في صحبة كمال أبوديب وعبدالعزيز حمودة : كيف يصنع العرب آخرهم النقدي؟ . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٣٦١ ، ١٧ مايو ١٩٩٨ .
* البنكي ، محمد أحمد : قرين التفوق كمال أبو ديب (١) . جريدة الأيام ، البحرين ،ع١٨٢٠ ، الأحد ٢٧ فبراير ١٩٩٤ .
* البنكي ، محمد أحمد : قرين التفوق كمال أبو ديب (٢) . جريدة الأيام ،

البحرين ، ع١٨٢٧ ، الأحد ٦ مارس ١٩٩٤ .
* البنكي ، محمد أحمد : مصطفى ناصف يخاصم جاك دريدا . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣١٤٠ ، الأربعاء ٨ أكتوبر ١٩٩٧ .
* البنكي ، محمد أحمد : من اللوغوس إلى اللوغوسنتريزم . نظرة في نشاط الترجمة العربية ، جريدة الأيام ، البحرين ، ع٢٦٧١ ، يونيو ١٩٩٦ .
* البنكي ، محمد أحمد : هل كان عبدالحليم عطية يقرأ دريدا فعلاً؟ . جريدة الأيام ، البحرين ، ع٣٢٧٨ ، الأثنين ٢٣ فبراير ١٩٩٨ .
* بنيس ، محمد : ورقة البهاء . دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ .
* بودريار ، جان : مكان الكاتب بين لحظتي التجلي والإختفاء . حوار أجراه : المعطي قبال ، جريدة الحياة ، ع١٠١٩٧ ، ٤ يناير ١٩٩١ .
* بورديو ، بيير : «بيير بورديو : كل شئ اجتماعي» . حوار أجراه بيير مارك دوبيازي .ترجمة : فوزي بوخريص . مجلة المنطلق ، بيروت ، ع١١٤ ، شتاء ١٩٩٦ .
* بورديو ، بيير : أسباب عملية : إعادة النظر بالفلسفة . ترجمة : أنور مغيث ، دار الأزمنة الحديثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* بورديو ، بيير : الرمز والسلطة . ترجمة : عبدالسلام بنعبدالعالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٠ .
* بورديو ، بيير-فاكون ، ج .د . : أسئلة علم الاجتماع : في علم الإجتماع الإنعكاسي . ترجمة : عبدالجليل الكور ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* بوسي - غلوكسمان ، كريستين : الفتنة أو اختلاف الحبّ الذي لا يمكن تذويبه . ترجمة : كاظم جهاد ، ضمن : المناضل الطبيعي على الطريقة التاوية (المؤلف : عبدالكبير الخطيبي) ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦ .
* بوسي-غلوكسمان ، كريستسن : الفتنة أو اختلاف الحب الذي لا يمكن

تذويبه . ترجمة : جهاد كاظم . ضمن : المناضل الطبقي على الطريقة التاوية لعبدالكبير الخطيبي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦ .

* بوشبندر ، ديفيد : نظرية الأدب المعاصر . ترجمة : عبدالمقصود عبدالكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .

* بومسهولي ، عبدالعزيز : الجسد . رؤية واكتشاف المختلف . مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، ع٢٥ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ .

* البياري ، معن : رواية عبدالكبير الخطيبي «صيف في ستكهولم» . سفر ذات مفتونة إلى مدينة تعانق الأرض والماء . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٠١٤ ، ١٩ أبريل ١٩٩٣ .

* بيري ، لويس : تاريخ الحياة الثقافية في أمريكا . ترجمة : أحمد العناني ، مركز الكتب الأردني ، ط١ ، ١٩٩٠ .

* بيل ، روجرت لندن : الترجمة وعملياتها : النظرية والتطبيق . ترجمة : محي الدين حميدي ، سلسلة كتاب الرياض ٧٢-٧٣ ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٩ .

* تاديه ، جان إيف : النقد الأدبي في القرن العشرين . ترجمة : قاسم المقداد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٣ .

* تورين ، ألين : نقد الحداثة : ترجمة الفصل الثالث من كتاب «نقد الحداثة الصادر باللغة الفرنسية عن Paris, Fayard ، ١٩٩٣ . ترجمة : عقيل الشيخ حسين ، مجلة المنطلق ، بيروت ، ع١١١ ، ربيع ١٩٩٥ .

* تيبوديه ، ألبرت : النقد الكلاسيكي : أعلامه وأصوله . ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٩ .

* ثامر ، فاضل : اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي الحديث . المركز الثقافي العربي ، بيروت- الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٤ .

* الجابري ، محمد عابد : الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ . (ط٢ ، ١٩٨٥) .

* الجابري ، محمد عابد ، التراث والحداثة : دراسات ومناقشات . المركز الثقافي العربي ،بيروت - الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ .
* جعيط ، هشام : أوربا والإسلام : صدام الثقافة والحداثة . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* الجميل ، سيار : نقد أبستمولوجية» الخطاب العربي المعاصر» . مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، س١٠ ، ع١٠٥ ، نوفمبر ١٩٨٧ .
* جناحي ، عبدالله : دريدا مفككاً للميتافيزيقا (٢-٢) ، جريدة الأيام ، البحرين ،ع٤١٠٥ ، ٣٠ مايو ٢٠٠٠م .
* جناحي ، عبدالله : دريدا مفككاً للميتافيزيقا (١-٢) ، جريدة الأيام ، البحرين ،ع٤٠٩٨ ، ٢٣ مايو ٢٠٠٠م .
* جهاد ، كاظم : بول دي مان في «مجازات القراءة» : وإذا كان المجاز يحكم الأدب كله و . . . الفكر كله! . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، الأثنين ١٣ نوفمبر ، ١٩٨٩ .
* جهاد ، كاظم : عبدالكبير الخطيبي في مدينته «الجديدة» . تكريم متعدد الأصوات لعاشق اللسانين . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، الأثنين ٦ أغسطس ١٩٩٠ .
* جهاد ،كاظم : مدخل إلى قراءة دريدا : في الفلسفة الغربية بما هي صيدلية أفلاطونية . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١١ ،ع٤ ، شتاء ١٩٩٣ .
* جيفرسون ، آن-روبي ، ديفيد : النظرية الأدبية الحديثة . ترجمة : سمير مسعود ، سلسلة دراسات نقدية عالمية ع١٧ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٢ .
* جيمسون ، فردريك : المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة . ضمن : «مدخل إلى ما بعد الحداثة» ، ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ .
* حافظ ، صبري : أفق الخطاب النقدي : دراسات نظرية وقراءات تطبيقية . دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .

* حامد ، الهادي : لا معنى الجسد : الفلسفة الأفلاطونية والجسد الدريدي . مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، ع٢٥ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ .
* حجازي ، أحمد عبدالمعطي : عبدالقادر القط . . الأستاذ والصديق . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٥ ، ع٨ ، أغسطس ١٩٩٧ .
* حرب ، علي : الممنوع والممتنع : نقد الذات المفكرة . المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* حرب ، علي : التأويل والحقيقة : قراءات تأويلية في الثقافة العربية . دار التنوير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ .
* حرب ، علي : الحب والفناء : تأملات في المرأة والعشق والوجود . دار المناهل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* حرب ، علي : الفكر والحدث : حوارات ومحاور . دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* حرب ، علي : طرابيشي والجابري : مَنْ ينفي مَنْ ؟ . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٢٤٩٥ ، الجمعة ١٦ مايو ١٩٩٧ .
* حرب ، علي : مداخلات . دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٥ .
* حرب ، علي : نقد النص . المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* حرب ، علي : أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر : مقاربات نقدية وسجالية . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ .
* حسن ، إيهاب : تنكر لجذوره لينجح (٢-٢) . إيهاب حسن : ماذا حدث لأنف أبي الهول؟ . حوار صحفي أجراه : وجدي زيد ، مجلة الأهرام العربي ، س١ ، ع ١٠ ، ٣١ مايو ١٩٩٧ .
* حسن ، إيهاب : نحو مفهوم لـ «ما بعد الحداثة» . مجلة الكرمل ، رام الله ، ع ٥١ ، ربيع ١٩٩٧ .
* حسن ، حسن محمد : النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز . دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ .

* الحسناوي ، مصطفى : خرائطية الكتابة . منشورات كراس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* الحسناوي ، مصطفى : دريدا . الترجمة : الكتابة . النص الشبح والنص الأيقونة . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع٢٥ ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٥ .
* حسين ، طه : «تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر» . ضمن كتاب : نقد النثر ، لقدامة بن جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، دون ذكر رقم الطبعة ، ١٩٨٢ .
* الحسيني ، رباب : ندوة أصول مع حسن حنفي حول علم الاستغراب ، تحرير : مجلة أصول ، القاهرة - باريس ، العدد الأول ، فبراير ١٩٩٤ .
* الحفني ، عبدالمنعم : الموسوعة الفلسفية . دار ابن زيدون ، بيروت ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ط١ ، دون ذكر سنة البع .
* حمودة ، عبدالعزيز : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك . سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* حنفي ، حسن : في الفكر الغربي المعاصر . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٧ .
* حنفي ، حسن : مقدمة في علم الإستغراب . الدار الفنية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ .
* حنفي ، حسن : من النقل إلى الإبداع . المجلد الأول : النقل(٢) النص (الترجمة-المصطلح-التعليق) . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
* خزندار ، عابد : عن الحداثة وما بعدها . مجلة إبداع ، القاهرة ، س٩ ، ع١١ ، نوفمبر ١٩٩٢ .
* الخطيبي ، عبدالكبير : الإسم العربي الجريح . ترجمة : محمد بنّيس ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .

* الخطيبي ، عبدالكبير : في الكتابة والتجربة . ترجمة : محمد برادة ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .
* الخطيبي ، عبدالكبير : النقد المزدوج . ترجمة جماعية ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .
* الخطيبي ، عبدالكبير : الذاكرة الموشومة . ترجمة : بطرس الحلاق . المؤسسة العربية للدراسات والنشر - سمير ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٤ .
* الخطيبي ، عبدالكبير : المناضل الطبقي على الطريقة التاوية . دار توبقال للنشر ، الدارالبيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦ .
* خليل ، أسامة : قراءة عربية للبعد الكتابي العبراني في فكر جاك دريدا . مجلة أصول ، ع٢ ، مؤسسة أصول الثقافة ، القاهرة - باريس .
* داغر ، شربل : افلاطون طرد الشعراء من «مدينته الفاضلة» وهايدغر أعادهم إلى صلب الفلسفة . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٠٦٨٤ ، ١٠ مايو ١٩٩٢ .
* داغر ، شربل : جاك دريدا : أطياف ماركس تخيّم فوق أوروبا . جريدة الحياة ، لندن ، ع٢١١٢٣٢ ، ١٤ نوفمبر ١٩٩٣ ، ملحق «آفاق» .
* داغر ، شربل : كتاب «أحادية اللغة لدى الآخر» : جاك دريدا يدافع عن التخالط والتلوث ، إلا في لغة يعتبرها وعداً مستمراً . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٢٣٧٣ ، الأحد ١٢ يناير ١٩٩٧ .
* دريدا جاك : من حوار مع جاك دريدا . حوار أجراه : كريستيان ديكامب . ترجمة : معجب الزهراني ، مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ .
* دريدا ، جاك : البنية والعلامة واللعبة في خطاب العلوم الإنسانية . ترجمة : محمد بولعيش ، مجلة بيت الحكمة ، الدار البيضاء ، س١ ، ع٤ ، يناير ١٩٨٧ .
* دريدا ، جاك : أطياف ماركس . ترجمة : منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري- المركز الثقافي ، بيروت-الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* دريدا ، جاك : أفكار حول جهنم . ترجمة جورج أبي صالح ، مجلة العرب

والفكر العالمي ، ع١٢ ، خريف ١٩٩٠ .
* دريدا ، جاك : إلى موميا «أبوجمال» . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* دريدا ، جاك : الـ (إ) خ(ت) لـ(ا)ف . ترجمة : الحسين سحبان ، مجلة الحكمة ، المغرب ، ع١ ، خريف ١٩٩٢م .
* دريدا ، جاك : الإختلاف المرجأ . ترجمة : هدى شكري عياد ، مجلة فصول ، مج٦ ، ع٣ ، أبريل-يونيو ١٩٨٦ .
* دريدا ، جاك : الإمضاء واسم الآخر . يجب أن يسهر جنونٌ ما على الفكر . حوار أجراه : فرنسوا إوالد . ترجمه : محمد ميلاد ، مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسياً ، مج٧ ، ع٢٥ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ .
* دريدا ، جاك : الإيمان والمعرفة مصدرا الدين . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* دريدا ، جاك : البنية ، الدليل ، اللعبة ، في حديث العلوم الإنسانية . ترجمة : محمد البكري ، مجلة الثقافة الجديدة ، المحمدية ، س٣ ، ع١٠-١١ ، ١٩٧٨ .
* دريدا ، جاك : البنية ، اللعب ، العلامة في خطاب العلوم الإنسانية . ترجمة : جابر عصفور ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج١١ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٣ .
* دريدا ، جاك : العالم غير مناسب : قراءة لغياب ألتوسير . ترجمة : بختي بن عودة ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٥ ، ع١٩ ، أغسطس ، سبتمبر ١٩٩٣ .
* دريدا ، جاك : الفكر الفرنسي وأشكال الخلخلة . ترجمة : عبدالسلام بنعبدالعالي . مجلة فكر ونقد ، الرباط ، س١ ، ع٢ ، اكتوبر ١٩٩٧ .
* دريدا ، جاك : الكتابة والإختلاف . ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ .
* دريدا ، جاك : الكوجيتو وتاريخ الجنون . ترجمة : الصديق بوعلام ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع٥٨-٥٩ ، نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٨ .

* دريدا ، جاك : المثقفون والسياسة . (حوار أجراه : أنورمغيث) مجلة ابداع ، القاهرة ، ع٤-٥ ، أبريل-مايو ٢٠٠٠م .
* دريدا ، جاك : المهماز أساليب نيتشه : المرأة أشرعة فراشة ضخمة . ترجمة : عبدالعزيز بن عرفة ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع٢٦ ، فبراير-مارس ١٩٩٦ .
* دريدا ، جاك : الوجود المكتوب . الدال المقروء في غيابه . ترجمة : إدريس كثير - عز الدين الخطابي ، مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٧ ، ع٢٧ ، أبريل-مايو ، ١٩٩٦ .
* دريدا ، جاك : اليسار هو الرغبة في تأكيد المستقبل . حوار أجراه : توماس أشوير ، ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٣-٤ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* دريدا ، جاك : توقيع ، حدث ، سياق . ترجمة : فريق الترجمة بمركز الإنماء القومي ، مجلة العرب والفكر العالمي ، بيروت ، ع١٠ ، ربيع ١٩٩٠ .
* دريدا ، جاك : حوار مع جاك دريدا . أجرى الحوار : كريستيان ديكامب ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ع١٨-١٩ ، فبراير -مارس ١٩٨٢ .
* دريدا ، جاك : ردود ضمن كتاب «لغات وتفكيكات في الثقافة العربية . لقاء الرباط مع جاك دريدا . ترجمة : عبدالكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* دريدا ، جاك : صيدلية أفلاطون . ترجمة : كاظم جهاد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٨ .
* دريدا ، جاك : عفوا أنا لم أقل ذلك بالضبط . حوار أجراه : بول برينان ، ترجمة : مايسة زكي . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* دريدا ، جاك : ما الشعر . ترجمة : محمد بنيس ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٨٢٧ ، الأثنين١٠ يوليو ١٩٧٥ .
* دريدا ، جاك : مسرح القسوة وحدود التمثيل . ترجمة : كاظم جهاد ، مجلة

مواقف ، لندن ، ع٤٣ ، ١٩٨١ .
* دريدا ، جاك : مواقع . ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* دوفور ، داني-روبير : البنيوية : الطية والثالوث . ترجمة : محمد الرفرافي ، مجلة العرب والفكر العالمي ، بيروت-باريس ، ع٩ ، شتاء ١٩٩٠ .
* دولوز ، جيل - غتاري ، فيلكس : الجذمور . ترجمة : كاظم جهاد . ضمن : «جيل دولوز قطب الفلسفة الفرنسية الجديدة . وداعاً دولوز . مجلة نزوى ، عُمّان ، ع٦ ، أبريل ١٩٩٦ .
* دولوز ، جيل - غتاري ، فيلكس : ما هي الفلسفة . ترجم : جورج سعد ، دار عويدات الدولية ، بيروت-باريس ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* دولوز ، جيل - غتاري ، فيلكس : مقدمة كتاب «ألف هضبة» . ترجمة : كاظم جهاد ، ضمن : جيل دولوز ، مجلة نزوى ، عُمان ، ع٦ ، ١٩٩٦ .
* دي مان ، بول : المقاومة للنظرية . ضمن : نيوتن ، ك .م . : نظرية الأدب في القرن العشرين . ترجمة : عيسى علي العاكوب ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* دي مان ، بول : العمى والبصيرة . ترجمة : سعيد الغانمي ، منشورات المجمع الثقافي ، الشارقة ، ١٩٩٨ .
* ديتشس ، ديفيد : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق . ترجمة : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ، ١٩٦٧ .
* الديدي ، عبدالفتاح : الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥ .
* راي ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية . ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ .
* رايت ، ايين : التأريخ ، وعلم التفسير (التفسيرية) والتفكيكية (أو التشريحية) . ضمن كتاب : النقد والنظرية النقدية . ترجمة : عبدالرحمن

محمد رضا ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ .

* رجيفسكايا ، ناتاليا : الإتجاهات الشكلية الجديدة في النقد الفرنسي المعاصر . جماعة «TEL QUEL» . مجلة الطريق ، بيروت ، ع٢ ، فبراير ١٩٧٥ .

* الرديسي ، حمادي : نقد العقل الغربي أو بالأحرى العربي . ترجمة جماعية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت-باريس ، ع ٨٤-٨٥ ، يناير-فبراير ١٩٩١ .

* روجيه ، فرنسوا : الظهورية- علم مظهرية الوجود . ضمن مداخل الفلسفة المعاصرة . ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .

* روديجر بوبنر : الفلسفة الألمانية الحديثة . ترجمة : فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ .

* رودينسكو ، اليزابيث : دريدا : التحليل النفسي يقاوم . ترجمة : كاميليا صبحي ، مجلة ابداع ، س١٨ ، ع ٢-٣ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .

* روز ، مارجريت : ما بعد الحداثة . ترجمة : أحمد الشامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ .

* الرويلي ، ميجان -البازعي ، سعد : دليل الناقد الأدبي . إضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً ، منشورات العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٥ .

* الرويلي ، ميجان : أسرار البلاغة بين الشمس والآذريونة . مجلة علامات ، جدة ، مج١ ، ع٤ ، يونيو ١٩٩٢ .

* الرويلي ، ميجان : التقويضية . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ .

* الرويلي ، ميجان : الحيوان بين المرأة والبيان . قراءة في كتاب البيان والتبيين . مجلة فصول ، القاهرة ، مج١٢ ، ع٣ ، خريف ١٩٩٣ .

* الرويلي ، ميجان : العالم المتخصص بين قضيتين : النحو والصرف . بحث مرقون على الطابعة الإلكترونية . لم ينشر .

* الرويلي ، ميجان : ثرثرة الحرية أم حرية الثرثرة : علي حرب بين الاستثمار والاحتكار . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٢ ، ١٩٩٤ .
* الرويلي ، ميجان : جيل النقاد العرب الحديث . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٣ ، ع١٠٤١٢ .
* الرويلي ، ميجان : رسالة مفتوحة . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٣ ، ١٩٩٥ .
* الرويلي ، ميجان : في الجراماتولوجيا : في النحوية . جاك دريدا ، كاظم جهاد جابر عصفور . بحث مرقون على الطابعة الإلكترونية .
* الرويلي ، ميجان : قضايا نقدية ما بعد البنيوية . النادي الأدبي بالرياض ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* ريفاتير ، ميشيل : دلائليات الشعر . ترجمة : محمد معتصم . كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* ريكور ، بول : فلسفة اللغة . ترجمة : علي مقلد ، مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ع٨ ، خريف ١٩٨٩ .
* زكريا ، فؤاد : انطباعات شخصية عن معركة غير مجدية . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٩٠ ، ٣١ يناير ١٩٩٩ .
* زكريا ، فؤاد : نقد الإستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة : دراسة في المنهج . مجلة فكر للدراسات والأبحاث ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
* زكي ، مايسة : شعر المكان في «دريدا من جهة أخرى» . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، ع٣-٤ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* الزهراني ، معجب : «المرأة واللغة : الحقائق التي نسينا أنها كانت أوهاماً!» . ج١ ، جريدة الجزيرة ، الرياض ، ع٨٨٥٨ ، الأحد ٢٩ ديسمبر ١٩٩٦ ،
* الزهراني ، معجب : النقد الجمالي في النقد الألسني : قراءة لجماليات الإبداع وجماليات التلقي كما يطرحها كتاب «الخطيئة والتكفير»» للدكتور عبدالله الغذامي . بحث مقدم إلى الملتقى الأدبي الرابع لمجلس التعاون لدول الخليج العربية « النقد الأدبي في دول مجلس التعاون» . الكويت من ١٢

إلى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ .
* الزهراني ، معجب : تدمير الذات في الآخر وأوهام «المعرفة» و «الترجمة» المثلى . جريدة الجزيرة ، الرياض ، ع٨٨٦٢ ، ٢ يناير ١٩٩٧ .
* الزهراني ، معجب : ملاحظات حول التفكيك(ـية) . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ .
* زيما ، بيير : التفكيكية دراسة نقدية . ترجمة : أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* زيما ، بيير : النقد الاجتماعي : نحو علم اجتماع للنص الأدبي . ترجمة : عايدة لطفي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ .
* الزين ، محمد شوقي : النص العرفاني . ميشال دوسارتو : الهيجان الأوقيانوسي للتجربة . اللاتطابق : سيلان الكتابة . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٩ ، ع٣٥ ، ديسمبر ٩٨- يناير ٩٩ .
* الزين ، محمد شوقي : تفكيكية ابن عربي- التأويل ، الإختلاف ، الكتابة (عرفانيه الكشف والمشاهدة) . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٩ ، ع٣٦ ، فبراير-مارس ١٩٩٩ .
* الزين ، محمد شوقي : قراءة في كتابات ابن عربي ومولد لغة جديدة . مجلة مدارات ، تونس ، ع٩-١٠ ، خريف-شتاء ١٩٩٧-١٩٩٨ .
* سالم ، علي : بيار بورديو (٣) ، اللعبة الاجتماعية : المعتقد المهيمن والمعتقد الجديد . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج ٧ ، ع ٢٦ ، فبراير-مارس ١٩٩٦ .
* سالم ، على : بيار بورديو (٥) ، استراتيجيات إعادة الإنتاج منطق الحقول والرأسمال الثقافي . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج ٧ ، ع٢٨ ، أغسطس- سبتمبر ١٩٩٦ .
* سالم ، علي : بيار بورديو ، قراءة تحليلية لنصوص مختارة : الحقلان المدرسي والسياسي(١) . مجلة كتابات معاصرة ، بيروت ، مج٦ ، ع٢٤ ، ابريل-مايو ١٩٩٥ .

* سبيريدج ت . ل . س . : الصور المميزة في الفلسفة الأمريكية . ضمن : تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال ٢٠٠ عام . اعداد : بيتر كاز ، ترجم : حسين نصار ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة - د . ت .
* سبيلا ، محمد - بنعبدالعالي ، عبدالسلام : الفلسفة الحديثة : نصوص مختارة . دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٧٧ .
* السريحي ، سعيد : قاع التجربة . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ أبريل ١٩٩٦ .
* سعد ، سمية : عرض كتاب التفكيك : النظرية والتطبيق . تأليف : كريستوفر نوريس . مجلة فصول ، القاهرة ، مج٤ ، ع٤ ، يوليو-أغسطس-سبتمبر ١٩٨٤ .
* السعدي ، غازي : الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود . دار الجيل للنشر عمّان ، ط١ ، ١٩٩٤ .
* سعيد ، إدوارد : الإستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الإنشاء . ترجمة : كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ .
* سعيد ، إدوارد : الثقافة والإمبريالية . ترجمة : كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* سعيد ، إدوارد : عندما تسافر النظرية . ترجمة : مصطفى كمال ، مجلة الحكمة ، المغرب ، ع٢ ، س١ ، يوليو ، ١٩٨٦ .
* سعيد ، خالدة : حركية الإبداع : دراسات في الأدب العربي الحديث . دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ .
* سلدن ، رامان : النظرية الأدبية المعاصرة . ترجمة : جابر عصفور ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ .
* السمطي ، عبدالله : عندما يستوفي النص دلالاته : أركيولوجيا الجسد وشعرية التأجيل . مجلة إيقاعات ، القاهرة ، ع٢ ، ١٩٩٤ .
* سوبر ، كيت : «الماركسية والتفكيكية» . ضمن كتاب : مابعد الماركسية . إعداد وتقديم : فالح عبدالجبار ، دار المدى للثقافة والنشر ،

دمشق-بيروت-نيقوسيا ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* الشامي ، حسن : صيدلية أفلاطون لجاك دريدا إلى العربية . الكتابة يصنعها الأبناء يتامى الكلام المتعالي . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٢٩٤٣ ، ١١ أغسطس ١٩٩٨ .
* شداق ، بوشعيب : رواية الكلية المستحيلة «حجارة بوبيللو» والتفكيك . مجلة كتابات معاصرة ، نيقوسيا ، ع٢٥ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٥ .
* شرارة ، وضاح : جاك دريدا . . محامياً عن موميا أبوجمال وخطيباً ساخراً» . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٨٩٣ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٥ .
* شعير ، محمد : اقرأوني أولاً . . ثم ناقشوني : هكذا تحدث جاك دريدا إلى المفكرين المصريين . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م .
* شوشار ، بول : اللغة والفكر . ترجمة : صلاح أبو الوليد - متري شماس ، سلسلة ماذا أعرف ، المنشورات العربية ، جونيه ، ط١ ، ١٩٧٧ .
* الشرع ، علي : التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب . مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، مج ١٦ ، ع ٣ ، مارس ١٩٨٩ .
* الشيخ ، محمد- الطائري ياسر : «مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة . حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر» . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* الشيخ ، محمد : المثقف والسلطة : دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر . دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ .
* صاغية ، حازم : ثقافات الخمينية : موقف من الإستشراق أم حرب على طيف؟ . بيروت ، دار الجديد ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* صالح ، أحمد عباس : جاك دريدا في القاهرة . جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ع٧٧٥٣ ، ١٨ فبراير ٢٠٠٠م .
* صالح ، هاشم : ما بعد البنيوية ، أزمة العقل والعقلانية الأوروبية : مواجهة صاخبة بين الفكر الفرنسي والفكر الألماني . ضمن : مجلة الفكر العربي

المعاصر، ع٤٠، يوليو-أغسطس ١٩٨٦ .
* صفدي، مطاع : بيان من أجل الفلسفة : المعقولية في لحظة الحداثة البعدية . ضمن : المعقولية والتاريخ : وقائع الملتقى المنعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية . منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط١، ١٩٩١ .
* صليحة، نهاد : المسرح بين النظرية الدرامية والنظرة الفلسفية . مجلة فصول، مج٥، ع٤، يوليو-أغسطس-سبتمبر ١٩٨٥ .
* الطاهر وعزيز : تاريخ الفلسفة : منهاجه وقضاياه . شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط١، ١٩٩١ .
* طرابيشي، جورج : نظرية العقل . دار الساقي، بيروت-لندن، ط١، ١٩٩٦ .
* طلب، حسن : دريدا في مصر . مجلة ابداع، القاهرة، س١٨، ع٢-٣، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* طلبة، منى : الفيلسوف الفرنسي ولد في الجزائر وغادرها شاباً ولم يتعلم العربية . جاك دريدا : ثقافة التفكيك تختلف من بلد إلى آخر . جريدة الحياة، لندن، ع١٣٥٠٦، ٣ مارس ٢٠٠٠م .
* طلبة، منى : تجربة شخصية مع التفكيكية . جريدة أخبار الأدب، القاهرة، ع٣٤٥، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م .
* ظاهر، عادل : بعض الدلالات الفلسفية للمغامرة الأدونيسية في الشعر . جريدة الحياة، لندن، ع١١٤٣٨، ١٢ يونيو ١٩٩٤ .
* عاد، حنان : من هو الغريب؟ . جريدة النهار، بيروت، الأربعاء ١ يوليو ١٩٩٨ .
* عبدالحافظ، مجدي : جاك دريدا بين مشوار الحياة والتفكيك . مجلة ابداع، القاهرة، س١٨، ع٢-٣، فبراير-مارس ٢٠٠٠ .
* عبدالرحمن، طه : فقه الفلسفة ١- الفلسفة والترجمة . المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط١، ١٩٩٥ .
* عبدالسلام، كريم : نهاية النهايات بين امل دنقل وجاك دريدا . مجلة سطور،

القاهرة ، ع٤١ ، أبريل ٢٠٠٠م .
* عبدالفتاح ، وائل : اكتشاف دريدا . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م .
* عبدالله ، عادل : التفكيكية : إرادة الاختلاف وسلطة العقل . دار الحصاد ، دار الكلمة ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
* عبدالله ، عصام : استراتيجية جديدة لقراءة التراث العربي : التفكيكية بين النظرية والتطبيق . جريدة القبس ، الكويت ، ع٧٥١٤ ، الخميس ١٩-٥-١٩٩٤ .
* عبود ، عبده : هجرة النصوص : «دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي» . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* العجيمي ، محمد الناصر : النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية . دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفاقس - سوسة ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* عصفور ، جابر : نظريات معاصرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* عصفور ، جابر : آفاق العصر . دار المدى للثقافة والنشر ، نيقوسيا - دمشق - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* عصفور ، جابر : انتشار دريدا . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣٥١١ ، الأربعاء ٨ مارس ٢٠٠٠م .
* عصفور ، جابر : حَشَفٌ وسوء كِيلَة : كتاب «المرايا المحدبة» سقطة علمية وإليكم الدليل الأول . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٨٠ ، ٢٢ فبراير ١٩٩٨ .
* عصفور ، جابر : حضور التفكيك . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣٤٤٣ ، الأربعاء ٢٩ ديسمبر ١٩٩٩م .
* عصفور ، جابر : دليل الناقد الأدبي المعاصر . مجلة العربي ، الكويت ، ع٤٤٨ ، مارس ١٩٩٦ .

* عصفور ، جابر : مفتتح . مجلة فصول ، القاهرة ، مج ١٣ ، ع٤ ، شتاء ١٩٩٥ .
* عطية ، أحمد عبدالحليم :التفكيك والإختلاف : جاك دريدا والفكر العربي المعاصر . ضمن : الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين ، كتاب قضايا فكرية ، الكتاب الخامس والسادس عشر ، يونيو-يوليو ١٩٩٥ .
* العظم ، صادق جلال : ذهنية التحريم : سلمان رشدي وحقيقة الأدب . دار رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* علوش ، سعيد : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . دار الكتاب اللبناني-سوشبريس ، بيروت- الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٥ .
* علوش ، سعيد : مكر الحداثة السلفية بين «المرايا المتجاورة» . . . و»المرايا المحدبة» . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٢٨٧ ، ١٠ يناير ١٩٩٩م .
* عمر ، عزت : بختي بن عودة اغتيل قبل صدور كتابه رنين الحداثة . جريدة الحياة ، لندن ، ع١٣٦٠٢ ، ٨ يونيو ٢٠٠٠م .
* عمراني ، عبدالجيد : جان بول سارتر والثورة الجزائرية . مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دون ذكر سنة الطبع أو رقم الطبعة .
* العميدي ، جمال : الهرمنيوطيقا والتفكيك : هارولد بلوم . . التناص أوسوء القراءة . جريدة الاتحاد ، ملحق الاتحاد الثقافي ، الإمارات ، الخميس ٢٠ أغسطس ١٩٩٨ .
* عناني ، محمد : المصطلحات الأدبية الحديثة . مكتبة لبنان-لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* عياشي ، محمد منذر : الكتابة الثانية وفاتحة المتعة . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* الغانمي ، سعيد : بول دي مان . تفكيك البلاغة/بلاغة التفكيك : مقدمة ضمن : دي مان ، بول : العمى والبصيرة . مقالات في بلاغة النقد المعاصر . ترجمة : سعيد الغانمي ، منشورات المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* الغذامي ، عبدالله : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية Deconstruction ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط١ ، ١٩٨٥ .

* الغذامي ، عبدالله : القاريء المختلف «تشريح المفهوم» . مجلة النص الجديد ، نيقوسيا ، ع٥ ، أبريل ١٩٩٦ .
* الغذامي ، عبدالله : ثقافة الأسئلة : مقالات في النقد والنظرية . كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* الغذامي ، عبدالله : رحلة إلى جمهورية النظرية : مقاربات لقراءة وجه أمريكا الثقافي . الشركة السعودية للأبحاث والنشر ، جدة ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* الغذامي ، عبدالله : مشروعه النقدي يتكوكب حول عشر سنوات وعشرة كتب . د .عبدالله الغذامي : انتقلت نقلة نوعية من النقد الأدبي إلى النقد الأدبي الثقافي . حوار أجراه : عبدالله السمطي ، جريدة الرياض ، الرياض ، الخميس ٣ اكتوبر ١٩٩٦ ، س٣٣ ، ع١٠٣٢٨ .
* غزول ، فريال جبوري : إدوارد سعيد : العالم والنص والناقد . مجلة فصول ، القاهرة ، مج ٤ ، ع١ ، اكتوبر-نوفمبر-ديسمبر ١٩٨٣ .
* غزول ، فريال جبوري : السابق ، مجلة فصول ، مج٤ ، ع١ ، أكتوبر-ديسمبر ١٩٨٣ .
* غصيب ، هشام : العولمة والهوية : تفكيك الوهم على طريقة ماركس وليس على طريقة دريدا . جريدة الزمان ، لندن ، س٣ ، ع٥٩٨ ، ١٥-١٦ أبريل ٢٠٠٠م .
* غيري ، فرانسوا : علم العلم . المعلومية : ضمن : مداخل الفلسفة المعاصرة . ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .
* غيلنر ، إرنست : القلم الأقوى . ملحق آفاق ، ع١ ، جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٠١٧ ، الاثنين ١٢ أبريل ١٩٩٣ .
* فتحي ، صفاء : دريدا من جهة أخرى (سيناريو فيلم تسجيلي أخرجته صفاء فتحي) ، ترجمة : بشير السباعي . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٦ ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م .
* فوكوياما ، فرانسيس : نهاية التاريخ والإنسان الأخير . ترجمة جماعية ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ .

* قاسم ، جميل : العرب والزمن النهضوي . مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ع ٩٦-٩٧ ، ١٩٩٢ .
* قبّال ، المعطي : مجموعة كتابات فرنسية لدريدا وآخرين عن «الغريب» و«الضيافة» في المكان واللغة والوجدان . جريدة الحياة ، ع١٢٧٤٠ ، ١٨ يناير ١٩٩٨ .
* قبيسي ، حسن : لغتنا والترجمة : بحث في العلة وتسكينها . مجلة الفكر العربي ، بيروت ، س١٥ ، ع٧٥ ، شتاء ١٩٩٤ .
* قرني ، عزت : أوجه قصور وأغلاط في تأريخ الفكر الحديث . مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج ٢٥ ، ع١ ، يوليو-سبتمبر ١٩٩٦ .
* قلميه ، بيار يوسف : معجم وفيات مشاهير الأعلام (١٩٠٠-٢٠٠٠) . دار السلوى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
* القمحاوي ، عزت : أجراس دريدا . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٦ ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م .
* كابانس ، جان لوي : النقد الأدبي والعلوم الإنسانية . ترجمة : فهد عكام ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٢ .
* كارلوني و فيللو : تطور النقد الأدبي في العصر الحديث . ترجمة : جورج سعد يونس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو سنة الطبع .
* كاظم ، نادر : المعنى من الظاهراتية إلى التفكيكية . جريدة الأيام ، ع٣٣٦٠ ، ٥ فبراير ١٩٩٨ .
* كامل ، فؤاد وآخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .
* كامل ، فؤاد : الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمة : فؤاد كامل وآخرون ، دار القلم ، بيروت ، د . ت .
* كامل ، ناصر : المثقفون المصريون ارتبكوا أمامه والاحتفاء أصبح هزلياً . دريدا في القاهرة : استمعت إلى خطاب لم أفهم منه شيئاً وأنصحكم بالرجوع

إلى ما كتبت إذا أردتم محاورتي . جريدة الرأي العام ، الكويت ، ٢٤ فبراير ٢٠٠٠م .
* كانط ، إيمانويل : نقد العقل المحض . ترجمة : موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت - باريس ، ط١ ، ١٩٨٨ .
* كانغيلهم ، جورج : دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها . ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* كتورة ، جورج : عرض لكتاب المتخيل والتواصل . جريدة الحياة ، ملحق تيارات ، ع ١١١٨٩ ، ٢ أكتوبر ١٩٩٣ .
* كرابار ، أولينغ : كيف نفكر في الفن الإسلامي . ترجمة : عبدالجليل ناظم وسعيد الحصالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وفلسفة التفكيك . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٨ ، فبراير-مارس ٢٠٠٠م .
* الكردي ، محمد علي : جاك دريدا وقضية الابتكار . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع١٤٠ ، ١٧ مارس ١٩٩٦م .
* الكردي ، محمد علي : نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو . دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* الكرمي ، حسن سعيد : معجم المغني الأكبر . مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .
* كروسمان ، روبرت : أهناك شيء كسوء التفسير؟ . ضمن :
هوثورن ، جيرمي : النقد والنظرية النقدية . ترجمة : عبدالرحمن محمد رضا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* كريغر ، موري : النقد فن ثانوي . ضمن : ما هو النقد؟ . تحرير : بول هيرنادي ، ترجمة : سلامة حجازي ، دار لشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .
* كريفيتز ، أ . فيلبس : الفلسفة والأدب . ترجمة : ابتسام عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .

* كوفمان ، سارة-لابورت ، روجي : مدخل إلى فلسفة جاك دريدا : تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر . ترجمة : أدريس كثير وعز الدين الخطابي ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ .
* كوليني ، ستيفان : التأويل المحدود والتأويل اللانهائي . ضمن : التأويل والتأويل المفرط . لأمبيرتو إيكو ، ترجمة : ناصر الحلواني ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* كيرزويل ، إديث : عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة : جابر عصفور ، عيون للنشر ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٦ .
* كيرزويل ، إديث : عصر البنيوية : من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة : جابر عصفور ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥ .
* الكيلاني ، مصطفى : النقد والنقدي الفاعل في كتابات عبدالكبير الخطيبي . مجلة الآداب ، بيروت ، س٣٧ ، ع٥-٦ ، مايو-يونيو ١٩٨٩ .
* لالاند ، أندريه : موسوعة لالاند الفلسفية . ترجمة : خليل أحمد خليل ، مج٢ ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ط١ ، ١٩٩٦ .
* لايكوف ، جورج : اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي . ترجمة : عبدالقادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ .
* لكراري ، عبدالباسط : النمذجة وآفاق التنظير في الخطاب النقدي الحديث . مجلة فكر ونقد ، الدار البيضاء ، س١ ، ع٩ ، مايو ١٩٩٨ .
* لويس ، ألتوسير : الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية . ترجمة : رضا الزاوي ، منشورات عيون ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٩ .
* ليلا ، مارك : سياسة دريدا : نقد فلسفة التفكيك الفرنسية . مجلة أبواب ، بيروت-لندن ، ع١٨ ، خريف ١٩٩٨ .
* المؤدب ، عبدالوهاب : رهينة الأمصار . جريدة أخبار الأدب ، ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م .
* مارتن ، والاس : ضمن : ما هو النقد؟ . تحرير : بول هيرنادي ، ترجمة : سلافة حجاوي ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .

* ماضي ، شكري عزيز : من اشكاليات النقد العربي الجديد . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* محفوظ ، أحمد : الجابري ، العروي ، الخطيبي : بعض أبرز تيارات ومحاور الفكر السياسي الاجتماعي في المغرب . جريدة الحياة ، لندن ، ع١١٧٨٣ ، السبت ٢٧ مايو ١٩٩٥ .
* محمد ، رمضان بسطاويسي : علم الجمال عند لوكاتش . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ .
* محمد ، سماح رافع : الفينومينولوجيا عند هوسرل : دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر . دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* مرتاض ، عبدالملك : أ-ي . دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة «أين ليلاي» لمحمد العيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* مرتاض ، عبدالملك : بنية الخطاب الشعري : دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية ، دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ .
* مرتاض ، عبدالملك : تحليل الخطاب السردي . معالجة تفكيكية سيمائية مركّبة لرواية «زقاق المدق» ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* المرتجي ، أنور : متعة الكتابة . مجلة برهان التلقي ، المغرب ، ع١ ، السبت ٢ يوليو ١٩٩٤ .
* المرزوقي ، حمد : الفصيح والعامي في استقراء تجليات الغذامي . جريدة الجزيرة ، الرياض ، ع٨٨١٣ ، ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ .
* مرسي ، أحمد : دريدا يتحدث عن موته وموت التفكيك . مجلة ابداع ، القاهرة ، س١٢ ، ع٣ ، مارس ١٩٩٤ .
* المسدي ، عبدالسلام : قضية البنيوية : دراسة ونماذج . منشورات دار أمية ، تونس ، ط١ ، ١٩٩١ .
* المسيري ، عبدالوهاب : «صاحب موسوعة المصطلحات الصهيونية يعترف

(١)» . حوار صحفي مع المسيري أجراه : محمد همام ، مجلة نصف الدنيا ، القاهرة ، س٨ ، ع٤١١ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٧ .
* المسيري ، عبدالوهاب : الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ . دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* المسيري ، عبدالوهاب : القبّالاه : جذور التطرف اليهودي . مجلة المجتمع ، الكويت ، ع ١٢٨١ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧ .
* المسيري ، عبدالوهاب : اليد الخفية : دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية . دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* المسيري ، عبدالوهاب : اليهودية وما بعد الحداثة : رؤية معرفية . مجلة اسلامية المعرفة ، ماليزيا ، س٣ ، ع١٠ ، خريف ١٩٩٧ .
* المسيري ، عبدالوهاب : انفصال الدال عن المدلول وما بعد الحداثة (٢) : تراقص الدوال . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع ٢١٨ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٧ .
* المسيري ، عبدالوهاب : جماليات ما بعد الحداثة (١) : المنظومات الجمالية في عصر التحديث والحداثة . جريدة الحياة (ملحق آفاق) ، لندن ، ع١٢٠٧٦ ، ١٨ مارس ١٩٩٦ .
* المسيري ، عبدالوهاب : ما بين حركة تحرير المرأة وحركة التمركز حول الأنثى : رؤية معرفية . مجلة القاهرة ، القاهرة ، ع مزدوج ١٧٨-١٧٩ ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٧ .
* المصباحي ، حسونة : الفرنسيون يحتفون بـ «كيركجارد» ودريدا يلاحق الأشباح . جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ع٥٤٧٣ ، ٢-١١-١٩٩٣م .
* مطاع صفدي : بيان من أجل الفلسفة المعقولية في لحظة الحداثة البعدية . ضمن : المعقولية والتاريخ . وقائع الملتقى المنعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفاقس- تونس ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ط١ ، ١٩٩١ .
* مطواع ، محمد : ملاحقة سلطة المعنى : دريدا مفككاً للميتافيزيقا . مجلة فكر ونقد ، الرباط ، ع٢٨ ، ٢٠٠٠م .

* مغيث ، أنور : التفكيك والمقاومة . جريدة أخبار الأدب ، القاهرة ، ع٣٤٥ ، الأحد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م .
* مغيث ، أنور : المثقفون والسياسة حوار مع جاك دريدا ، (مع مقدمة بقلم مغيث أنور) . مجلة ابداع ، القاهرة ، ع٤-٥ ، أبريل- مايو ٢٠٠٠م .
* المنصور ، عبدالرحمن حمد : منطق الملحق . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٤ ، ع١٠٦١٥ ، ١٧ يوليو ١٩٩٧ .
* المنصور ، عبدالرحمن حمد : موت التفكيكية . جريدة الرياض ، الرياض ، س٣٥ ، ع١٠٩٥١ ، ١٨ يونيو ١٩٩٨ .
* مهيبل ، عمر : حول الهوية والاختلاف في الخطاب الجزائري المعاصر : بختي نموذجاً . مجلة دراسات عربية ، بيروت ، ع٥-٦ ، س٤٩ ، مارس-أبريل ١٩٩٨ .
* مونان ، جورج : المسائل النظرية في الترجمة . ترجمة : لطيف زيتوني ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ .
* ميلر ، جي هيلز : أخلاقيات القراءة . ترجمة : سهيل نجم ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
* ناصف ، مصطفى : اللغة بين البلاغة والأسلوبية . كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة (٥٣) ، ط١ ، ١٩٨٩ .
* ناصف ، مصطفى : اللغة والتفسير والتواصل . سلسلة عالم المعفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت ، ١٩٩٥ .
* ناصف ، مصطفى : الوجه الغائب . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٣ .
* ناصف ، مصطفى : حوار مع الزملاء . ضمن : قراءة جديدة لتراثنا النقدي . النادي الأدبي الثقافي ، جدّة ، مج١ ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* ناصف ، مصطفى : خصام مع النقاد . النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط١ ، ١٩٩١ .
* نايل ، حسام : الحياة-الموت ، من نيتشه إلى دريدا . نبش القبور . مجلة

سطور ، القاهرة ، ع٤٣ ، يونيو ٢٠٠٠ .
* نوريس ، كريستوفر : التفكيكية ، النظرية والتطبيق . ترجمة : رعد عبدالجليل جواد : دار الحوار ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* نوكس ، إ . : النظريات الجمالية (كانط - هيجل - شوبنهاور) . ترجمة : محمد شفيق شيّا ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ .
* هابرماس ، يورغن : القول الفلسفي للحداثة . ترجمة : فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ .
* هنتنجتون ، صموئيل : صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي . ترجمة : طلعت الشايب ، منشورات سطور ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* هوثورن ، جيرمي : النقد والنظرية النقدية . ترجمة : عبدالرحمن محمد رضا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* هول ، روبرت .سي : نظرية الاستقبال : مقدمة نظرية . ترجمة : رعد عبدالجليل جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٩٢ .
* واطسون ، جورج : الفكر الأدبي المعاصر . ترجمة : محمد مصطفى بدوي ، الهيئة المصرية العامة للمكتبات ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠ .
* وغليسي ، يوسف : التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر . مجلة قوافل ، الرياض ، مج٥ ، ع٩ ، ١٩٧٧ .
* وقيدي ، محمد : بناء النظرية الفلسفية : دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .
* ويلك ، رينيه : تاريخ النقد الأدبي الحديث ١٧٥٠-١٩٥٠ . ترجمة : مجاهد عبدالمنعم مجاهد ، ج١ : أواخر القرن الثامن عشر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .
* ويلك ، رينيه : مفاهيم نقدية . ترجمة : محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧ .
* ويلك ، رينيه : ملحق النقد الأدبي نظرة تاريخية . ضمن : ما هو النقد؟ .

تحرير : بول هيرنادي ، ترجمة : سلافة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .

* الياس ، الياس حنا : جاك دريدا في رحاب كاظم جهاد : الترجمة ، أو كيف يتجاوز النص حِداده! . مجلة اليوم السابع ، نيقوسيا ، ع٢٥٨ ، ١٧ أبريل ١٩٨٩م .

* ياكبسون ، رومان : قضايا الشعرية . ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ .

* يوسف ، مجدي : بعد المغرب ، القاهرة تستقبل فيلسوف «التفكيكية» بحفاوة وفضول . مجلة الوسط ، لندن ، ع٤٢٥ ، ٢٦ مارس ٢٠٠٠ .

المراجع الأجنبية

* Barthes, Roland: S/Z, R. Miller, Hill & Wang, New York, 1975.

* Butler, Christopher: Interpretation, Deconstruction and Ideology. Clarinton Press, Oxford, 1984.

* De Man, Paul: Semiology and Rhetoric. In: Textual Strategies Perspectives In Post-structuralist Criticism. Ed. Josue V.Harari, Methuen & Co. Ltd, London, 1980, P121-140.

* Derrida, Jacques : "Living on: Border Lines", in Bloom, Harold, et. al: Deconstruction and Criticism. Seabury Press, New York, 1979.

* Derrida, Jacques: Marges of Philosophy. Trans.: Alan Bass, The Harvester Press, London, 1982.

* Derrida, Jacques: Writing and Difference, trans. Alan Bass, London, Routledge. 1978.

* Hawthorn, Jeremy: A concise glossary of contemporary Literary theory. Edward Arnold, London, 1992.

* Hutcheon, Linda: A poetics of Postmodernism. History, Theory, Fiction, Routledge, New York & London.

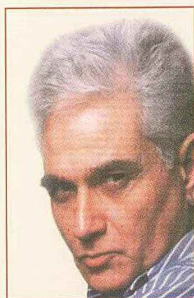
* Norris, Christopher: deconstruction: Theory and Practice. Methuen, London & New York, Reprinted 1988.

* Norris, Christopher: The Deconstructive Turn: essays in the rhetoric of philosophy, Methuen, London and NewYork, 1983.

ARABIAN DERRIDA

READING OF DECONSTRUCTION IN THE ARAB CRITICAL THINKING

دراسات STUDIES



دريدا عربيّاً

قراءة التفكيك في الفكر النقديّ العربيّ



إنّ المتن ، الّذي تمتح منه مقاربة القراءات المتعدّدة لجاك دريدا وتيّارات التفكيك في الفكر النقديّ العربيّ الراهن ، واسع ومتفلّت ، وهو ينتشر في فضاء تداوليّ متداخل يصبّ فيه الأكاديميّ والصحفيّ والإبداعيّ ، ويتوزع على دراسات ومقالات وبيانات وحوارات ومؤلّفات يصعب حصرها . ثمّ إنّ منه لما يكشف عن دراية كبيرة بردارة المقولات وحسن التعامل مع سياق الانتقالات ، ومنه ما ينمّ على انشداه بالموضات ومسارعة إلى إغراء الرواج ؛ وإنّ العكوف على متن متراكب من هذا النوع ليستفرض اجتهاداً نقديّاً متوخّياً للتميز ، مستدعياً لمتطلّبات منهجيّة تقتضي مرونة الانتقال من عمل الباحث كموثّق (أرشيفيّ) يلتقط النصوص والبيانات الدالّة من جنبات المشهد إلى العمل كمهتمّ بنقد الثقافة يوفّر الاعتبار لروابط الإنتاج الثقافيّ مع المؤسّسات والتحوّلات الاجتماعيّة والثقافيّة المحيطة ، ثمّ يستحضر هواجس مؤرّخ الفكر الّذي يتتبّع مسارات الفكرة والجدالات النظريّة الّتي عدلّت من مكوّناتها ومضامينها ، وأخيراً ، وربّما قبل كلّ شيء أيضاً ، العمل كمؤوّل يحاول استنطاق النصوص واستبانة الأصوات المتساكنة فيها والتأويلات المتصارعة في ثوائها .

ISBN 99901-01-89-2



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
بيروت ، الصنايع ، بناية
عيد بن سالم ، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨


مملكة البحرين
وزارة الإعلام
الثقافة والتراث الوطني